

أَخْطَارُ الْفَزْوَ الْفِكْرِ  
عَلَى الْعَالَمِ الْأَسْلَامِيِّ

بِحُوثِ جَوْلِ الْعَقَائِدِ الْوَافِدَةِ

تأليف  
الدكتور صابر طعيمة

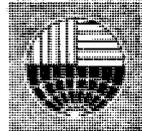
عالم الكتب

الطبعة الاولى  
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

أخطار الفِزْوِ الفِكرِيِّ  
عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ



بيروت - المزرعة بنساية الايمان - الطابق الأول - ص . ب . ٨٧٢٣  
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلکس : ٢٣٣٩٠



مقدمة المؤلف :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والصلاة والسلام على النبي محمد الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

فأما بعد : فمنذ أفاض الله سبحانه على البشرية بنعمة الاسلام والصراع بين الحق والباطل على قدم وساق، وقد كان للمسلمين عبر هذه الحقبة من التاريخ الطويل جولات وصولات كانت في معظمها تعبيراً صحيحاً وصادقاً عن علاقتهم بالاسلام . لكنها سنة الله تعالى في الخلق، هذه السنة التي لم تنته لها الأجيال المسلمة جميعها في وعي وبصيرة ومسؤولية ، فحقت عليها كلمة الله ، بعد تحذيره سبحانه أمة الاسلام، بأنه قد خلت من قبلها أمم، وكانت لها عاقبة سيئة ، وبأنه سبحانه يداول الأيام بين الناس على ضوء علاقتهم بسنن الله في الخلق، هذه السنن التي كان منها في علم الله وعده سبحانه لعباده المؤمنين، ان يمكنهم من الموارد الغنية ومن صحة وكفاءة استثمارها، ليحققوا بهذه النعمة، وهذا الوعد بديلاً للمؤمنين عن أنواع الخوف والقلق في مجتمعات غير المؤمنين، بديلاً يأمنون به على أنفسهم وذويهم من غوائل الخوف والقلق والصراع، مصداقاً لهذا الوعد: الوعد الالهي في سورة النور ٥٥ «وعدا الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» .

انه في ضوء هذه السنة تعرف الأجيال المؤمنة بوعي وبصيرة أن الرزق الوفير بضوابطه ، وأن الأمن المستقر على اليقين في الله تعالى هما سمة : «المجتمع المسلم» الذي لا يمكن أن تنحل عقده مع الله بالرفاهية والبغي، كما هو الحال في حضارات ومجتمعات غير المسلمين - والا فقد تأكد إنبيارهم أسرع من غيرهم في مأزق ومعادلات الناس .

وفي ضوء هذه السنة أيضاً تعرف الأجيال المؤمنة أن الاسلام وقد جذر من جميع أنواع الاسترخاء لأي نوع من أنواع المتاح يلفت المؤمنين في نفس الوقت الى غاية لا ترقى الى وعيها الحضارات والمذاهب والأفكار الوضعية فيقول سبحانه في سورة الحديد ٢٠ محذراً من الإخلاق الى المتاع الدنيوي دون السبق الى الغايات الجليلية في الدين، يقول الله تعالى « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً، ثم يكون حطاماً » .

ويقول الله تعالى حول هذا المعنى نفسه في آية أخرى من سورة سبأ وهو يجعل المتاح الحلال بزينة الأموال والأولاد طريقاً الى غايات الدين وأهدافه في الايمان والعمل الصالح : «وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا . . .» .

وفي هذه الآية الكريمة تتضح حقيقة تنبّهت لها الأجيال المؤمنة في بعض مراحل التاريخ الاسلامي، هذه الحقيقة تتعلق بالقلة والكثرة في منهج الاسلام ، فتبين أن عدد المؤمنين الذين يملكون بالايمان أمن العقيدة الصادقة في أنفسهم وأعمالهم، انما يميل الى جانب القلة المنتصرة بدرجتها في نوع الذات الانسانية النقية من البغي والعدوان وفي هذا يقول الله تعالى في سورة « ص ٢٤ » (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ) وهذه النوعية المتميزة بالايمان والعمل الصالح في دنيا الناس يوم وعت سنة الله في الخلق كان بيدهم أمر سعادتهم مع المجتمعات التي عاشوا فيها وكان بيدهم قوة تنصرهم على المجتمعات التي خاضتهم أو حاربتهم

وكان بيدهم - ولا يزال - الأمل المرتجى لكل المظلومين والحائرين والقلقين في عالم التطورات التكنولوجية التي أخذ بريقها باللب وخلب سحرها العقول ؟

وفي هذا العصر المسمى - بعصر العلم - وحين أفاض الله على المسلمين بكل مسببات الصحة السياسية والاجتماعية لتكون قوتهم الاقتصادية في ظل هذه الصحة في خدمة أهداف الاسلام وأمانى المسلمين بعد طول غيبة عاشها المسلمون بعيداً عن وعيهم بالاسلام، بفعل مؤثرات كثيرة كان من أهمها أنهم أهملوا علاقتهم الملتزمة والداعية لسنن الله في الخلق وفدت بالتخطيط الذكي من قبل أعداء الاسلام مذاهب ونظريات ومعتقدات في جملتها وتفصيلها : الحادية واستغلالية تحمل الطابع العقدي - لغة العصر وفدت وهي تحمل بريق اعلان خادع مغلف بالاثارة الحسية السريعة والرخيصة من جراء تداول للسلعة المتقنة والكلمة المزينة ، وأمام عطرها وليونها واشباعها للفرائز كان طبيعياً وقد فتحت معظم الأبواب أن يقع أسيراً جيل الشباب المثقف والمتعلم والذي هو خالي الوفاض تقريبا من زاد الحقائق الأساسية للاسلام وثقافته وما تمثله هذه الثقافة من ضبط للسلوك الانساني في ظل أحكام الاسلام ، وصيانتته عن الوقوع تحت مؤثرات المتغيرات المادية ، والاجتماعية والاقتصادية .

ومع بشائر الصحة التي تعيشها معظم أقطار المسلمين وفي ابان مراحل المواجهة الحضارية بين هجمة الأفكار الوافدة على الأجواء الاسلامية، تصدر الفكر الغربي في شكل حركات وتيارات : شعوبية وقومية وعلمانية ومذاهب إحادية فضلا عن التيارات السياسية ذات الطابع الإحادي كالشيوعية والاشتراكية وما إليها . ومن هنا برزت حاجة الأجيال الصاعدة للتعرف على الطبيعة ونشاط هذه العقائد الوافدة للتعرف عليها بأمل الوقوف امام مفسدها وأخطارها .

وهذا الكتاب : «أخطار الغزو الفكري على العالم الاسلامي» دراسة مجملة ومتواضعة لأهم مرتكزات ومتطبيقات الغزو الفكري وخططه ضد العالم الاسلامي .

ونرجو الله تعالى أن ينفع بها المسلمين، وأن يجنبنا الخطأ والزلل وأن يلهمنا الصواب، وأن يجزي العلماء السابقين في خدمة الاسلام كل خير ومغفرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد

المؤلف

دكتور / صابر عبد الرحمن طعيمة

الرياض في غرة ربيع الأول عام ١٤٠٤ هـ.

## الباب الأول

- أوروبا وحركة إحياء العلوم .
- عوامل ساعدت على النهضة الأوروبية .
- الحروب الصليبية ودورها في النهضة .
- الحروب الصليبية والتحول الحضاري .
- الحروب الصليبية في منهج المؤرخين .
- الباعث الحقيقي للحرب الصليبية .
- أوروبا العصر الوسيط .
- الملوك والأشراف .
- روح الفرد وظهور المدن .



## أوروبا وحركة إحياء العلوم

ظهرت حركة إحياء العلوم عقب فترة الانتقال من العصر الوسيط أي في الفترة من عام ١٣٠٠/١٥٠٠ م حيث أخذ المثقفون في المدن يهتمون بالتنقيب عن الآثار والمخلفات الأدبية اليونانية والرومانية القديمة . . فضلا عما انتهى اليهم وما وقع في أيديهم من علوم المسلمين في الأندلس وقرطبة ، ومونبيلييه . . وغيرها ، ولم تكن حركة إحياء العلوم هي النهضة الأوروبية ذاتها بقدر ما كانت بداية مظهر لها .

وقد عرف المشتغلون بهذه الدراسات باسم ( الانسانيين ) لأنهم كانوا فيما زعموا يهتمون بدراسة الانسان نفسه .

لكن ظاهرة تستحق الالتفات اليها لازمت عمل هؤلاء العلماء بالرغم من أنهم لم يكونوا من رجال الدين أو حتى من الجامعيين ، وهي ظهور أفكار التقشف واذلال الجسد وعدم الاهتمام بالفنون كالرسم والنحت . وغيرها .

ولم يكتف الانسانيون في ايطاليا بالدراسات العميقة بل بدأوا يحاولون محاكاة أولئك الكتاب القدامى في طريقة أسلوب الكتابة . . . وقد سار على هذا النهج الكتاب الأولون لعصر النهضة أمثال : دانتي ، وبوكاشير .

### ( كيف نهضت حركة إحياء العلوم )

وجد في ايطاليا وخاصة قبيل الحرب الصليبية نزعة يزعمها الغربيون على أنها من التراث الأخلاقي للرجل الايطالي خاصة وهي : الاعتداد بالنفس والثقة في

الانسان ، ومن هنا اشترط الانسانيون في حركتهم أن يكون الرجل الانساني أي المشتغل بعلوم ما قبل عصر النهضة بزعمهم : فنانا فصيحا ، فيلسوفا أخلاقيا ، سياسيا محبا للاطلاع ، باحثاً عن الشهرة بالابداع في أدبه وفنه ، وكانوا يعبرون عن أفكارهم بجمال الأسلوب وانتقاء الألفاظ .

وقد نهضت الحركة وقامت على دراسة المخطوطات الاغريقية واللاتينية التي بحثوا عنها في الكنائس والأديرة . واهتم حكام الولايات الايطالية بايفاد باحثين ينقبون عنها ويشترونها بل وتنافسوا في سبيل الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه المخطوطات .

### النهضة العلمية

كانت الحياة العلمية في العصور الوسطى مقيدة بقيود الكنيسة ، ولذلك كانت الكشوف العلمية نادرة ، ولم يستطع المشتغلون بالعلم أن يفكروا بطريقة فردية ، بل كانوا يعتقدون فيما قاله أسلافهم ، واضعين نصب أعينهم تطابق العلم بما ترضى عنه الكنيسة ، بينما كان بعض البابوات يحاربون أية دراسة حرة إذا لم تتمشى مع الدراسات الدينية<sup>(١)</sup> ، على أن اتصال الأوربيين وعلى رأسهم الايطاليون بالحضارة الاسلامية منذ القرن الحادي عشر ، ساعد أوربا على أن تبدأ نهضة علمية بلغت أوجها في أوائل القرن الثالث عشر ، وقد غزت الحضارة الاسلامية أوروبا من خلال وصول العرب الى اسبانيا ، وجزيرة صقلية ومن خلال الحروب الصليبية ، ونزوح طلاب العلم من غرب أوروبا الى مراكز الحضارة الاسلامية ، وكانت تلك الاتصالات بداية لظهور التفكير العلمي الحر وذلك بعد الدور الحضاري الذي قام به المسلمون في دراسة التراث العلمي عن سبقهم ، فنقدوه وصححوه وأضافوا اليه من انتاج بحوثهم ومكتشفاتهم ما ساعد بعد ذلك على الانتفاع به .

---

(١) «تاريخ أوروبا في العصر الوسيط» هـ . ا . ل . فيشر ، ترجمة محمد مصطفى زبارة ، السيد الباز العريني . ص ٢٣١ .

ولم تكن تلك البداية الا البذور العلمية التي ترعرعت في القرن السادس عشر ، وبلغت أوجها في القرن السابع عشر<sup>(١)</sup> .

### عوامل ساعدت على النهضة الأوروبية

في الواقع أن حركة إحياء العلوم التي نشطت منذ القرن الثالث عشر وحتى الخامس عشر والتي قادها من يسمون بالانسانيين قد ساعدت على ظهور النهضة العلمية وتطورها واستمرارها فقد كان معظم علماء النهضة حتى القرن السابع عشر ينتمون لتلك المدرسة . وكانوا يهتمون بتحقيق النظريات العلمية ووصف الظواهر الطبيعية وصفا جديدا قائما على الملاحظة والعلوم الرياضية . . ففي علم الفلك ظهرت نظرية جديدة على يد كوبرنيكس<sup>(٢)</sup> .

وفي القرن السادس عشر قامت نهضة في علم الطبيعة والفيزياء ومن روادها ( بريستي ، لافوازيه ، دايفي ، فراادي ) ، والرياضيات ومن روادها أيضا ( السير اسحق نيوتن ) ، والطب ( فاجنز وبانتنج وبلهارس ) والعلوم الطبيعية ( دلتن وماركوني وليدج ) وعلم التشريح « الفسيولوجيا » .

وبالجملة استطاع علماء عصر النهضة أن يتخلصوا من كل أثقال وأعباء الكنيسة وانتقلوا من قيود العصر الوسيط ، حتى ظاهرة إهمال الجسد والتكشف التي لازمت الانسانين فترة طويلة تم التخلص منها وأصبحت التجارب العلمية على يد علماء أكفاء أصحاب قدرة عقلية واهتمام بأنفسهم وذويهم ومجتمعهم شرطا أساسيا لتثبيت قواعد العلوم التجريبية ، ووضع النظريات في مستوى القوانين العامة .

### الحروب الصليبية ودورها في النهضة

من المسلم به من الناحية العسكرية ، أن الحروب الصليبية بحملاتها المتعاقبة

(١) المرجع السابق .

(٢) أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة - دكتور عبد المجيد نعنعي . ص ٣٢ .

لم تحقق أهدافها التي استمرت حوالي قرنين من الزمان من عام ١٠٩٦ - ١٢٩٨ م ،  
الا أن العقل الأوروبي استفاد كثيرا من هذه الحروب . . . فمن بين النتائج التي  
أفادت منها أوروبا الاحتكاك والتلاقي بينها وبين حضارة العالم الاسلامي الزاهرة  
آنذاك .

ومما يلفت النظر حقا هو أن إيطاليا التي كانت مقرا ومركزا لبدء الحملات  
الصليبية هي التي ظهر عليها التأثير مبكرا ، بحيث قطعت شوطا في تغيير المفاهيم  
التي كانت سائدة في العصور الوسطى قبل غيرها<sup>(١)</sup> .  
ضعف الكنيسة وانحلال البابوية

بعد أن كانت الكنيسة تسيطر على الحياة الفكرية والدينية والثقافية في أوروبا ،  
وتحاول خاسرة أن تفسر الكون على ضوء مفاهيم الكتاب المقدس المحرفة أرادت بعد  
ذلك أن تجاري مقدمات عصر النهضة فاهتمت بالدراسات اللاهوتية والأدبية  
والمنطقية ، ولكنها لم تستطع أن توفق بين دورها المنهار وبين رياح النهضة القادمة  
عبر المتغيرات المادية والاجتماعية التي حدثت وخاصة عقب إنهاء الحروب الصليبية  
وبعد عصر الانسانيين الذين قادوا حركة إحياء العلوم .

#### الحركات المناهضة للكنيسة

قامت في أوروبا قبل عصر النهضة حركات دينية معادية للكنيسة من بين أسباب  
قيام النهضة قبل تلك الحركات التي قادها مجموعة من الكنسيين والعلمانيين الذين  
كانوا يعارضون نفوذ البابا على حساب سيادتهم السياسية<sup>(٢)</sup> .

وكان من بين الحركات التي عادت الكنيسة حركة « الفرنسيسكانيين » ، و  
« الدومينيكانيين » الذين كان همهم أول الأمر اصلاح الكنيسة من المفاسد والآراء  
الخاطئة .

(١) هيربرت فشر . تاريخ أوروبا في العصر الحديث . ص ١٧٨ .

(٢) محمد سعيد عاشور . الحروب الصليبية . ج ٢ ، طبعة الانجلو المصرية ص ٤٢٨ .

أضف الى هاتين الحركتين موقف الامبراطور « فردريك الثاني » امبراطور الدولة الرومانية الذي ناصب البابا والبابوية العداء ، ومع أن الرجل خسر المعركة الا أنه جرح كبرياء الكنيسة وأسقط هيبتها .

ثم قامت حركة « جون هس » في « بوهيميا » الذي نادى بأن لا وساطة بين الانسان والرب الا عن طريق الايمان والعمل بما جاء في الكتاب المقدس دون واسطة .

### مظاهر النهضة الأوروبية

تطورت النهضة العمرانية في المدن ، وبنى الأساس الاقتصادي فيها على النظام الرأسمالي الذي أنتج الوظائف الإدارية التي كانت قد دخلت الى ايطاليا عن طريق علماء القسطنطينية قبل سقوطها بيد العثمانيين المسلمين سنة ١٤٥٣ م .

ثم ظهرت اللغات الحديثة في أوروبا بديلا عن اللغة اللاتينية . . وكان لظهور الشاعر الايطالي الشهير « دانتي » الذي أخذ يكتب بالايطالية بدلا من اللاتينية ، وحذا حذوه الفرنسيون والاسبان والبرتغاليون أثره الكبير في عمليات التحول الثقافي إبان عصر النهضة<sup>(١)</sup> .

ويمكن القول بأن ظهور اللغات القومية كان إحدى العمليات التي بلورت عصر النهضة الأوروبية، ذلك أن أدب هذه اللغات جعل الشعوب الأوروبية تقبل على العصور الحديثة بتحمس ومنافسة .

كذلك كان من مظاهر النهضة الأوروبية تغير أساليب الفن والعمارة في تناول العام ، فبعد أن كان البناء الكلاسيك يتميز بالأعمدة والأجزاء المحمولة على الأعمدة ، فقد توصل الفنانون الى طرز أخرى<sup>(٢)</sup> لم تخضع للمؤثرات الدينية

---

(١) (عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار) (التاريخ الأوروبي الحديث ، من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا) ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق . ص ٣٧ .

المسيحية التي كانت الكنيسة وراء أشكائها وفنونها .

## الحروب الصليبية والتحول الحضاري

يخطئ المؤرخون الذين يعقدون مقارنة بين عمليات الغزو الصليبي لديار المسلمين عبر الحملات المعروفة وبين عمليات الفتح والتحرير التي قام بها المسلمون في آسيا وأفريقيا ، فحروب المسلمين لم تتجاوز كونها دعوة لتحرير الشعوب من الظالمين تحت لواء العبودية لله وحده وإخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد بتشريع الحقوق والواجبات في الاسلام . وسيرة الفتح الاسلامي وأخبار قاداته خير برهان على ما نقول أما الحروب الصليبية ، فضلا عن انعدام روح التسامح فيها فقد كانت تنطوي على أعظم قدر من الغدر والعدوان وروح التدمير .

وبعيدا عن الجانب التاريخي أو التدويني الذي عنى به المتخصصون في هذه المرحلة من أمثال (ستيفن رينسمان) وسعيد عاشور فيما كتبه عن الحروب الصليبية فان للاستاذ المستشار أنور الجندي دراسة جادة حول هذا الموضوع وبرؤية اسلامية تدرك المنطلق والغاية من الحركات المعادية للاسلام وأهله ، وقد كتب عن الحروب الصليبية يقول :

هي انطلاقة أوروبا الدينية والاقتصادية في مواجهة عالم الاسلام وتوسعاته ، وقد بدأت منذ اليوم الأول لبلوغ الاسلام أطراف أوروبا، ثم ازدادت عمقا واتساعا مع توالي الزمن ، فلم يكذب يصاب تماسك الدولة الاسلامية بالضعف ، ويناها التجزؤ والانقسام حتى توالى هذه الحملات من طرفي عالم الاسلام اندفاعا ، فلم تلبث اسبانيا والمغرب وآسيا الصغرى وشمال إفريقيا والشام ومصر والعراق وشبه الجزيرة العربية والبحرين المتوسط والأحمر أن أصبحت جميعها ميادين معركة ضارية قوامها الحملة على الاسلام والعمل على سحقه والإدالة منه .

ان الظاهرة الواضحة الدالة لهذا المعنى هو : أن الغزو من قبل أوروبا والغرب كان عنيقا مليئا بروح التعصب والانتقام ، بينما كان التوسع الإسلامي في عالم

الغرب أو الدفاع عن عدوان الغرب ، ومقاومة غزوه كان رحيا عدلا . وقد أجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية لم تبدأ يوم بدأت ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م . بل أنها تعود الى الوراى سنوات طويلة ، وتعتبر امتدادا لمعارك الدولة الرومانية البيزنطية مع عالم الاسلام ، وترتبط بالصراع الذي دار بين المسلمين ، والفرنجة في أسبانيا وحدود فرنسا ، وأنها لم تنته يوم انتهت لسقوط عكا ٦٩٠ هـ - ١٢٢١ م . ولكنها امتدت بعد ذلك حتى استعادت الأندلس ، وأخرجت المسلمين من أوروبا ، وشملت - ليس منطقة الساحل الشامي وحده من القسطنطينية الى القدس ومصر - بل ساحل البحر الأبيض المتوسط جميعا .

هذا ويصنف الاستاذ أنور الجندي الحروب الصليبية لتكون أمام الدارس بهذا المنظور الاسلامي فيقول : ففي عام ٤٩٢ ( ١٠٩٩ ) الحملة الأولى : بيت المقدس ٥٤٢ ( ١١٤٧ ) الحملة الثانية : ساحل الشام .

وفي عام ٥٨٤ ( ١١٨٨ ) الحملة الثالثة : ساحل الشام ٥٩٩ ( ١٢٠٣ ) الحملة الرابعة : القسطنطينية .

٥٩٩ ( ١٢٠٣ ) ( عصابات ناهبة : ٦١٣ ( ١٢١٧ ) الحملة الخامسة عكا .

٦١٥ ( ١٢١٨ ) الحملة السادسة : دمياط ( مصر ) ٦١٦ ( ١٢١٩ ) استيلاء الصليبيين على دمياط .

٦١٨ ( ١٢٢١ ) انسحاب الصليبيين من مصر ٦٢٥ ( ١٢٢٨ ) الحملة السادسة : استعادة بيت المقدس ( فردريك الثاني ) .

٦٣٩ ( ١٢٤٤ ) الملك الصالح يسترجع بيت المقدس ٦٤٧ ( ١٢٤٩ ) الحملة الصليبية السابعة ( دمياط ) .

٦٤٨ ( ١٢٥٠ ) هزيمة الحملة الصليبية السابعة ( المنصورة ) ٦٤٨ ( ١٢٥٠ ) مقتل توران شاه وتولي المماليك حكم مصر .

٦٨٨ ( ١٢٨٩ ) الحملة الصليبية الثامنة : تونس ٦٩٠ ( ١٢٩١ ) سقطت

عكا في أيدي المسلمين ( الأشرف خليل ) .

\* الحملات الأولى والثانية والثالثة والخامسة : اتجهت الى الشام .

\* السادسة والسابعة : اتجهت الى مصر - والثامنة اتجهت الى شمال أفريقيا

( تونس ) .

\* أهم الحملات : الأولى والرابعة والخامسة .

\* كانت الحملات الثانية والثالثة والسادسة والسابعة والثامنة تحت زعامة

ملوك أوروبا .

\* منذ بدأت الحملة الصليبية الأولى الى الشام ١٩٠٨ لم يتوقف ورود

جموع صليبية جديدة ، متصلة على هيئة حجاج الى بيت المقدس . وقد بلغت هذه

الجموع في مجموعها أضعاف الأرقام التي عرفتها الحملات الصليبية .

\* اتصل مجرى هذه الحملات خلال قرنين كاملين ، ومر بثلاث مراحل :

( أولها ) : دور ظفر الافرنج ( ٤٩٢ هـ - ١٠٩٨ م - ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م ) .

( ثانياً ) : بدأ رد الفعل الاسلامي بحركات مقاومة وصلت الى استعادة

الرها ( ٥٣٩ ) بقيادة نور الدين ، ثم بلغت قممتها بانتصارات صلاح الدين في

« حطين » واستعادته بيت المقدس .

( ثالثها ) : محاولات لمقاومة التمزق والنهاية في مواجهة حملات المماليك

( الظاهر بيبرس ، وقلاوون ، والناصر ، انتهت ٦٨٩ هـ - ١٢٩١ عندما فقد

الصليبيون آخر سلطة لهم في بلاد الاسلام .

\* كانت جيوش الصليبيين مؤلفة من نورمانيين وايطاليين وبريطانيين

وفرنسيين وألمانيين ونرويجيين وسويسريين . ولم تكن لهذه الحملات الصليبية قيمة

توسعية هامة أكثر مما حققته .

\* الحملة الصليبية الأولى ( ١٥ يوليو ١٠٩٩ ) ٤٩٢ هـ استولت على بيت

المقدس . أما باقي الحملات فقد كانت موالاة للبقاء ومحاولات للاستمرار .

\* استطاع الفرنجة باحتلال بيت المقدس اقامة عدة ممالك هي :

(١) إمارة الرها (٤٩٢ - ٥٣٩ هـ) .

(٢) إمارة طرابلس (٤٩٦ - ٦٨٨) .

(٣) إمارة أنطاكية حتى ٦٦٧ هـ .

(٤) إمارة بيت المقدس .

أما إمارة الرها فقد استمرت من ٤٩٢ - ٥٣٩ حتى أزالها عماد الدين زنكي .

وأما مملكة بيت المقدس فقد أزالها صلاح الدين .

والمعروف أن حركة المقاومة الإسلامية بدأت منذ اللحظة الأولى تغير على قواعد العدو ثم تطورت الى قوة هجوم حمل لواءها : عماد الدين زنكي الذي استطاع أن يستعيد ( الرها ) كبرى معاقل المملكة اللاتينية ( ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م ) .

وقد اهتز الغرب لسقوط الرها اهتزازا ضخما ، فكان ذلك دافعا للحملة الصليبية الثانية ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م .

\* ولم تتوقف حركة اتحاد أجزاء العالم الإسلامي المتاخم لمجال الغزو الغربي . أما منطقة الشام وفلسطين ومصر . فقد اتحدت في ظل نور الدين محمود الذي هزم جيش انطاكية ، واستولى على تل باسر آخر بقايا إمارة الرها . كان لانتصارات نور الدين محمود أثرها في تحرك الحملة الصليبية الثالثة التي فشلت أمام دمشق .

\* توسعت خطوات المقاومة وبلغت قمته في أعمال صلاح الدين حتى استطاعت في معركة حطين أن تسترد بيت المقدس ( ٥٨٣ - ١١٨٧ ) هنالك أخذت الحملات الصليبية تتوالى على مصر بوصفها المركز الأقوى الذي يقود حركة المقاومة حيث اتجهت الحملات الصليبية الخامسة الى دمياط ( ١٢١٨ ) والسابعة ( ١٢٤٩ ) الى شاطئ مصر في محاولة لويس للاستيلاء على دمياط . ثم هزيمته في المنصورة وفارسكور ( ١٢٥٠ ) .

\* كانت الحملة السادسة قد استطاعت بعد وفاة صلاح الدين أن تستعيد بيت المقدس ( ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨ م ) غير أنه لم تمض على هزيمة لويس في المنصورة

الاسنوات قليلة حتى استولى المغول على بغداد ، وأسقطوا الخلافة العباسية ، وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي ( ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م ) ثم اجتاحتوا حلب ، واستولوا على دمشق . وأتيح لمصر كرة أخرى أن ترد المغول عند عين جالوت ( ٥٦٩ هـ - ١٢٦٠ م ) وكانت قوة المماليك قد سيطرت منذ سنوات قليلة على السلطة في مصر . وبذلك استطاعت مصر أن ترد الحملة الصليبية ( ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م ) والحملة المغولية ( ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م ) في خلال عشر سنوات ، هنالك بدأت هذه القوة الجديدة ( المماليك ) تسيطر على مقدرات عالم الاسلام ، وتحمل لواء المقاومة خلفا لنور الدين وصلاح الدين ، ممثلة في قطز والظاهر بيبرس وقلاوون والناصر . وفي هذه المرحلة حقق المماليك ثلاثة أمور هامة :

(١) تصفية المماليك اللاتينية الصليبية ، وإنهاء مملكة بيت المقدس .

(٢) تصفية قلاع الباطنية في الشام والقضاء عليها .

(٣) الحفاظ على الشام ومصر من غزو المغول .

وقد امتد هذا النفوذ واستمر حتى برزت موجة جديدة من موجات المقاومة الاسلامية البدوية هي قوة العثمانيين التي سيطرت بعد ستة قرون كاملة .

وصلت الحملة الصليبية الأولى القدس ٤٨٩ هـ - وسقطت آخر معاقل المملكة اللاتينية في القدس ٦٩٠ هـ - وتوالى خلال هذه الفترة ثمان حملات صليبية ( منها أربع حملات على القدس وحملتان على مصر وحملة على تونس ) .

ومن خلال الحروب الصليبية كانت حملات التتار التي انتهت بسقوط الخلافة في ( بغداد - ٦٥٦ هـ ) وقد بدأت مقاومة عالم الاسلام للغزو منذ وطئت قوى الفرنجة القدس ، ولم تتوقف خلال قرنين كاملين ، برز خلالها عدد من الأبطال والقادة والمجاهدين ، واستشهد عدد لا حد له من المحاربين . وواجه المسلمون والعرب هذا التحدي برد فعل متصل .

برز « نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي ، والملك الصالح نجم الدين ، والظاهر بيبرس ، وقلاوون وخليل » على فترات في الشام ومصر ، خلال

هذه الفترة ، حتى صفت هذه المواقع ، وقضي على هذه الحملات ، وانتهت بالفشل ، وكتب المسلمون المقاومون صفحات غاية في الاشراق والقوة والحيوية ، كشفت عن البطولة في المقاومة ، ومواجهة أساليب الصليبيين البالغة العنف في العدوان بأساليب كريمة . فقد اندفع الفرنجة في حملتهم يسفكون الدماء على نحو غاية في البشاعة ، فلما استمسك المسلمون بالأمر لم يردوا هذا الفعل بمثله ، ولم يوغلوا في الانتقام . وقد ضرب « نور الدين محمود » مثلاً عالياً في تطبيق خلق الاسلام وطابعه ، وكان صلاح الدين الأيوبي نموذجاً رائعاً في البطولة والسماحة معا . وكانا معا في اطار الجهاد والمقاومة : أشبه بالشيخين أول الاسلام ، وتتمثل في الظاهر ببيرس وقلاوون ، وخليل وجميعهم من المماليك موجة أخرى من موجات القوى الخارجة من أحشاء الاسلام ، تضاف الى موجات السلاجقة والبربر ، ولهم جميعاً دورهم في هذه المرحلة في مقاومة الغزو الخارجي . وقد كان لأبطال المماليك بعد دور بطلي السلاجقة ( نور الدين وصلاح الدين ) أثر ضخم في انهاء المملكة الصليبية اللاتينية ، والقضاء على التتار .

وكانت حطين معركة فاصلة في سبيل استرجاع بيت المقدس . وكانت هزيمة لويس في المنصورة حاسمة في فشل الحملات وعودتها خاسرة . غير أن ذلك لم يكن هو النهاية بالنسبة لموقف أوروبا من مقاومة توسع الاسلام ، والعمل على دفع موجة نفوذه ، فإن فشل هذه الحملات قد أغرى الفرنجة بالضغط على اسبانيا ، وتكتيل القوى الأوروبية في سبيل تصفية الاسلام والعرب من شبه جزيرة أيبيريا وفقاً لخطة مؤداها : « تحرير أوروبا من شرقيها وغربيها من دفعة الاسلام » ومن ثم فقد تعمقت في هذه المرحلة خطط اقتلاع الاسلام من إسبانيا والقضاء على الدولة .

ويمكن القول أن أبرز عوامل الحملات الصليبية هي العمل على استعادة الأرض التي في يد العرب ، وإعادة السيطرة على عالم الاسلام ، أو على الأقل إيقاف توسع الاسلام والحيلولة بينه وبين السيطرة على أوروبا ، وقد كان ذلك مفهوماً عاش واستمر وتطور في أعماق النفس الأوروبية قروناً متصلة ، منذ وصل المسلمون الى أسوار القسطنطينية وسيطروا على الأندلس . بلغوا نهر اللوار وما بعده حتى باتوا

قريبا من روما ، ومن هنا فقد كانت الدولة البيزنطية هي حامية أوروبا دون توسع الاسلام . فلما عجزت عن القيام بدورها التاريخي ، كان على الغرب أن يتربص فرصة وقوع جزر اسلامي جديد لتحقيق هذا الهدف باسم استرداد بيت المقدس .

وكانت محاولة الاسترداد ممتدة على طول البحر الأبيض المتوسط من القسطنطينية الى الأناطلس ، وعلى الشام ومصر والمغرب بالذات .

ولا شك كان العامل الديني ممتزجا بالعاملين الاجتماعي والاقتصادي ، دون تفرقة أو تغليب لأحد منهما على الآخر ، فهي حركة الأوروبية مناهضة لسيطرة الاسلام ، تحمل الطابع الديني في أشد مراحل عنفه وتعصبه لمقارمة نفوذ العرب المسلمين الذي تزايد في هذه المرحلة ، ثم هي حملة من مجتمع أقل حضارة ومدنية وثقافة على مجتمع أعلى حضارة وثروة ، وقد واجه الفرنجة حضارة أرقى من حضارتهم ، فأفادوا منها ، بينما ترك الأوروبيون أثارا بعيدة المدى لصور الجشع والتعصب والحرب والتدمير ، ما زالت تتمثل حتى اليوم بالرغم من محاولة الغرب رسم صورة أقل عنفا في حملته الثانية ( الاستعمار الحديث ) التي فصلتها عن الأولى ثمانية قرون هي عمر القوة العثمانية .

ولا شك أن حركة إعادة نفوذ الغرب في المناطق التي تحتلها الدولة الرومانية في شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط ، والتي لم تكن في الحقيقة جزءا من عالم الغرب نفسه ، وان فرضت عليها السيطرة الاستعمارية ، وهي التي أصبحت فيما بعد جزءا من عالم الاسلام . هذه الحركة قد تقدمت خلال مائة عام ونيف قبل الحملة الصليبية الأولى نتيجة لموجة الضعف التي كانت تمر بالمسلمين ، إذ ذاك بعد مرحلة تضخم وترف ، فكانت بعيدة الأثر في إضعاف الوحدة السياسية ، والقوة العسكرية ، مما أدى الى القصور عن الحماية واليقظة ، في الثغور والمناطق المكشوفة للغزو . ومن أهم المواقع في هذه الفترة : استرداد الغرب لصقلية الاسلامية وإزالة الفرنجة لكثير من أجزاء الدولة الاسلامية في الأندلس بتفريق الأمراء المسلمين ، والإيقاع بينهم ، وتمزيق إماراتهم ، وتضامن أمراء الفرنجة ، ودمج ممالكهم في

سبيل مواجهة البقاء الاسلامي في شبه جزيرة ايبيريا .

وقد كانت الحركة الصليبية في المشرق ذات مخطط واضح . فهي قد اندفعت في خط ممتد من القسطنطينية الى غزة ، ووجهت حملاتها الى شواطئ : الشام ومصر ، وأقامت دولة ذات أربع إمارات على الساحل الشامي خلال مائتي عام ، ثم وسعت نفوذها بالسيطرة على العقبة . وبذلك أقامت فاصلا يحول دون التقاء عالم الاسلام في أفريقيا وآسيا . واستطاعت فعلا أن تستنزف - خلال مائتي عام - جميع القوى البشرية والمادية في هذه المنطقة حيث كانت الشام ومصر هي المسؤولة عن مواجهة هذه القوة المعتدية ، وقد توقفت خلال هذه الفترة أعمال البناء والحضارة . كما اتسم « الفكر الإسلامي بطابع المقاومة والتحدي ورد الفعل . وقد برز ذلك في اتجاه فكر بعض العلماء وأصحاب الموسوعات . فمن الناحية الاقتصادية تناقصت الثروة ، وضعفت الأيدي العاملة نتيجة لأعمال الحرب التي استنفدت الموارد الاقتصادية والقوى البشرية ، غير أن هذه الحملات كانت معبرا للحضارة والثقافة الى أوروبا . اذ كانت بعيدة المدى في وضع جسر واسع عريض خلال قرنين كاملين لنقل الحضارة الاسلامية العربية الى أوروبا . فقد نشأت على الأثر حركة واسعة في ترجمة العلوم والمعارف العربية الى اللاتينية . وكان أبرز مركزي هذه الترجمة : جزيرة صقلية والأندلس .

كما استطاعت « أيديولوجيا الاسلام » أن تتمثل في كثير من الحركات الثقافية والاجتماعية التي عرفتها أوروبا بعد ذلك ، فالأوروبيون وان لم يأخذوا الاسلام ، وقاوموا عالمه بعنف وشراسة ، فإنهم أخذوا « منهجه التجريبي » في العلم ومقوماته في الفكر والاجتماع والفروسية ، فقد كان الاسلام وفكره وثقافته ومفاهيمه بعيد المدى في حركات الإصلاح الديني ، قوي الأثر في الحركة العقلية ، وعلى الحضارة ، وعلى كل جوانب النهضة التي بدأها الغرب بعد . وبذا يمكن القول بأن الاسلام أعطى وتعامل مع كل القوى التي اصطدمت به . أو حاولت غزوه ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للتتار . ومن هنا يمكن القول أيضا بأن الغزو الخارجي لعالم الاسلام كان هو العامل الأكبر في دخوله « مرحلة الضعف » . هذا الضعف الذي تمثل في تخلف

المسلمين متخلفين عن أيديولوجية الاسلام عن الحركة والعمل ، بينما كانت تتوالى موجات القوى البشرية القادرة على الدخول فيه وحمل لوائه .

هذه القوى التي تتمثل في السلاجقة والتتار والبربر والعثمانيين ، وهي قوى بشرية هائلة ، دخلت الاسلام وأمنت به وسيطرت على عالمه عسكريا وسياسيا . ولكنها ظلت دون القدرة الكاملة على تطبيق أيديولوجيته على نحو يكفل لها الاستمرار ، أو اقامة مجتمع العدل والحرية لجمهور المسلمين .

ولعل أبرز ما يلفت النظر هو : الاستجابة السريعة بالتحدي ورد الفعل على الحملات الصليبية الى المشرق « فلا يكاد الصليبيون يغزون الشام حتى تخرج الجيوش في العراق لمنازلة الغزاة المعتدين ، ولا يكاد الصليبيون يتحركون ضد مصر حتى تسرح جيوش الشام للذود عنها ، ولا يكاد الناصر صلاح الدين يثبت قدميه في مصر حتى يسخر جميع مواردها البشرية ، وطاقتها المادية لطرد الصليبيين من دمشق ، ولا يكاد أرناط حاكم الكرك الصليبي يخرج في البحر الأحمر لتهديد الحجاز ، حتى تشيد السفن في مصر وتحمل على ظهور الجمال الى البحر الأحمر لدفع الخطر عن الحرمين ، ولا تكاد الأخبار تصل الى القاهرة بأن لويس التاسع ملك فرنسا قد نزل على رأس جيوشه في تونس حتى تتخذ الاجراءات السريعة لدفع هذه الغارة<sup>(١)</sup> وهكذا ظل التجاوب سريعاً وتاماً بين أجزاء الوطن .

كانت الحروب الصليبية حلقة من حلقات الصراع بين الشرق المسلم والغرب الصليبي ، وكانت رداً على توسع الاسلام بعد سيطرة الغرب لأكثر من ألف عام على أغلب المناطق التي قام فيها الاسلام ، والتي كانت قد اضيفت الى الغرب بعد حركة الاسكندر الذي استطاع ان يسيطر على هذه المنطقة ، وأن يوحدتها تحت سلطة الغرب ونفوذه . ولكن هذه الحملات كشفت عن مفهوم جديد ، هو أن هذه المنطقة بعد ظهور الاسلام ، لم يعد من السهولة ضمها الى عالم الغرب وفكره .

---

(١) الدكتور عاشور : الحركة الصليبية .

لقد جاءت الحروب الصليبية بعد خمسة قرون من ظهور الاسلام في محاولة لاستعادة هذه المناطق التي لم يعد من السهل إعادتها الى الغرب . لأن مفهوماً فكرياً جديداً قد سيطر في هذه المنطقة وتعمق وأصبح يمثل قوة جديدة تستطيع أن تواجه عالم الغرب فقد برزت حضارة وعقلية جديدتين ، وظهر أسلوب حياة مابين بحيث يمكن القول أن الحروب الصليبية هي صراع بين حضارتين وعقليتين وأسلوبين في الحياة ، وأنه بعد مائتي عام اتضح للغرب عجزه عن تكرار محاولة الاسكندر الأكبر . ذلك أن الاسلام قد أقام أيديولوجيا جديدة عميقة الجذور . وأن الغرب نفسه قد جاء في أفواج همجية مشردة ، ليواجه عالماً من الحضارة والمدنية يستطيع أن يعطي في مجال القيم الخلقية والفكرية والحضارية الشيء العظيم .

### الحروب الصليبية في منهج المؤرخين

كثرت آراء المؤرخين واختلفت حول الدوافع والبواعث التي كانت وراء الحملات الصليبية واحدة بعد أخرى .

ويمكن تلخيص هذه الآراء على النحو التالي :

١ - رأى يرى أنها وليدة الحماسة الدينية التي ولدتها عصور الايمان . . وقد لعبت الكنيسة دورها في تأجيج المشاعر ، خاصة وأنها كانت تريد التدليل لبعض الأباطرة والأمراء على مدى سيطرتها وتمكنها من قيادة أوروبا موحددة الانتماء تحت لواء الصليب !

٢ - رأى يرى أن دوافع الحروب الصليبية كانت عملية من عمليات التعويض التي قامت بها الكنيسة كنتيجة لانهايار المجتمع الروماني ، أمام تفوق الجرمان .

٣ - رأى يرى أن الحروب الصليبية كانت مظهراً من مظاهر التوسع الاقتصادي والإستعمار المبكر في العصور الوسطى قبل عصر النهضة .

٤ - رأى يرى أن الحروب الصليبية كانت وليدة هذه العوامل مجتمعة ، بدليل إتجاه الحملات الصليبية وتعدد مقاصدها ، فالحملات الأولى والثانية والثالثة

والسادسة اتجهت نحو القدس ، والرابعة نحو القسطنطينية ، والخامسة والسابعة نحو مصر ، والثامنة نحو شمال إفريقيا .

نقد الآراء الاربعة :

الدراسة العلمية المحايدة والوقوف على مظاهر النشاط الأوروبي إبان الحروب الصليبية يكشف عن حقيقة غير تلك التي اهتم بها معظم المؤرخين الغربيين وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : لم يكن الايمان القوي بالمسيح على ضوء ما تريد الكنيسة لأتباعها في نهاية القرن الحادي عشر على أشده كما يحاول البعض أن يصوره . . ولم تكن عصور الإيمان في أوروبا في نهاية القرن الحادي عشر الذي بدأت فيه الحروب الصليبية كما هي وخاصة في المدن الأوروبية ، فقد بدأ الاهتمام بالتجارة بدل القرصنة . . فضلاً عن الاشتغال بالزراعة ومشتقاتها ، ولم يكن الحب الحقيقي الذي زعموه للمسيح على أشده في قلوب عامة الجمهور المسيحي كما كان قبل القرن الحادي عشر بدليل حركات التنوير التي قام بها ( الليبراليون ) في أوروبا ضد الكنيسة وخاصة بعد واقعة الامبراطور هنري الرابع ، والبابا جريجوري السابع والتي كشفت عن عنت الكنيسة وجاهليتها .

ثانياً : مسألة انهيار المجتمع الروماني أو فقدان الثقة في صلاحية قيادته الروحية أمام التفوق الجرمانى لا يمكن ان تكون باعناً للادارة البابوية وراء اعلان الحرب الصليبية ، بدليل اشتراك الجرمان وولائهم وحماسهم في الحرب . . ولو صح هذا الزعم لكانت الفرصة أمام الجرمان قوية لإضعاف مركز الكنيسة الرومانية في عدم الاستجابة للحرب .

ثالثاً : لا يمكن اعتبار العامل أو الباعث الاقتصادي لاعلان الحرب الصليبية ، نظراً لتكاليف الحروب الصليبية ، وتعرض القوافل المحاربة للسطو وللإغارة في الطريق عبر أوروبا والبحر ، الحال الذي لا يمكن فيه أن تكون البواعث الاقتصادية دافعاً حقيقياً للحرب الصليبية .

## الباعث الحقيقي للحرب الصليبية :

أمام الاعتبارات التي طرحناها بالرفض ، لا يبقى من باعث حقيقي وراء مقاصد الحرب الصليبية الا القول بأنها كانت حربا دينية عنصرية صليبية ضد الاسلام والمسلمين ، برز فيها الجانب التعصبي ورفع الصليب شارة ودليلاً ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً: ان مرحلة الذروة في الحرب الصليبية من عام ١٩٠٦ الى عام ١٢٩١ م كانت في أعقاب الفترة التي ظهر فيها المسلمون أكثر من مائتي عام كقوة عسكرية بحرية على حوض البحر الأبيض المتوسط . وإبان الحروب نشط المسلمون في أوروبا نشاطاً ملحوظاً في محاولة لاستعادة مركزهم في أوروبا الأمر الذي دفع ملك قشتالة ١٠٦٥ - ١١٠٩ م، لكي يواصل ضغوطه على المسلمين في طليطلة حتى استولى عليها بالفعل عام ١٠٨٥ م.

ثانياً : انه بينما كان المسلمون في اوروبا يتعرضون للتعصب الصليبي والمطاردات نتيجة الدفاع عن انفسهم وعقائدهم كان نصارى الشرق يتمتعون بالقوة والنفوذ ويمثلون ثروة اقتصادية جعلتهم في ظل الساحة الإسلامية يتطلعون الى امور كثيرة ، الأمر الذي كان في اعتبار الإدارة البابوية لاستغلال هذا الرصيد البشري لهم عوناً وسنداً . . ومن هنا كان البابا جريجوري السابع في عام ١٠٧٤ م كان من بين الذين تحدثوا كثيراً في موضوع نصارى الشرق .

ثالثاً : الدور الرهيب الذي أداه المدعو ( بطرس الناسك) في المجتمعات الأوروبية حين تمكن من تعبئة عواطف الريف وللانضواء في الحملات الأولى التي توجهت الى الشرق تحت لواء أمراء قادرين على تسليح أتباعهم .

وقد قامت الكنيسة بدور فعال حين كانت تطلب من جمهور الشعب المسيحي في كل صلوات الأحاد ان يضعوا تبرعاتهم في صناديق التبرع الموضوعة أمام كل كنيسة .

## استرداد هبة الكنيسة :

في الفترة التي اشتعلت فيها نار الحرب الصليبية تولى كرسي البابوية كثير من البابوات المتعصبين في الادارة البابوية ، وفي عام ١١٩٨ م تولى كرسي البابوية واحد من أكثر البابوات تعصباً وحيوية وقدرة هو البابا لوثرأوف سيجنى الذي يعرف باسم اينوستت الثالث ١١٩٨ - ١٢١٦ م ، وهو ينتمي الى عائلة رومانية عريقة التعصب وقوية النفوذ هي عائلة سيجنى ، وكان يبلغ من العمر السابعة والثلاثين ، حين تولى منصب البابوية ، وقد استرد نفوذ البابوية السياسي في ايطاليا وعبر جبال الألب ، وليحمي السلطة الاكليريكية من جور السلطة العلمانية . وفي أثناء الحرب ذكر البابا اينوستت الثالث أوروبا بأن البابوية هي المركز الأكثر تمجيداً على وجه الأرض . . بدعوى أن البابا نائب المسيح . . وخليفة بطرس الذي ليس له نظير بين البشر . واينوستت الثالث هذا هو الذي وجه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية ومن ثم هو المسئول عن انحرافها الذي قامت به في بلاد الشرق ضد المسلمين والمسيحيين فقد أضاف قادة الحملة للأهداف الصليبية أساليب اللصوص وقطاع الطرق أثناء قطع الطريق .

## الشعار الصليبي :

مما يجدر ذكره في التدليل على طبيعة الحرب الصليبية ، بأنها كانت عنصرية تعصبية تستهدف الاسلام وأهله ، أن الماركيز بوفيفيتس أوف مونتفرات قائد الحملة الصليبية الرابعة قبل الذهاب الى الشرق خطب في الجموع خطبة مؤثرة أوضح فيها أنه رغم كبر سنه ، يريد أن يذهب الى تحرير قبر المسيح . وفي كنيسة سانت مارك في البندقية ، احتفل باتخاذ شارة الصليب التي وضعت على قبعته البيضاء ، ومما يجدر ذكره أيضاً في هذا المقام ان مجمع كليرمونت الذي عقد بفرنسا عام ١٠٩٥ م وحضره معظم بابوات أوروبا تحت رئاسة البابا جريجوري ، هو الذي كان وراء القرار النهائي لقيام الحروب الصليبية .

## أسباب الحماسة الصليبية عند الغربيين :

إذا كانت البابوية هي صاحبة القرار الأول في الحرب ، وهي كما أشرنا حرب مكلفة فضلاً عما فيها من مخاطر الموت والاغارة من لصوص الطريق ، فلماذا كانت الحماسة الدينية الشديدة في المجتمع الأوروبي ، خاصة وأن بوادر العلمانية والاستياء من انفراد الكنيسة بتفسير كتب المسيحية كان قد بدأت تبشيره تظهر على يد مجموعة ممن يسمون بالليبراليين . الواقع أن الكنيسة استغلت عوامل عديدة أدت الى الاستجابة العاطفية والاندفاع التعصبي الذي وجد لدى المجتمع الأوروبي إبان قيام الحروب الصليبية ومن اهم هذه العوامل هي : أنه بالرغم من ظهور بوادر علمانية عديدة في المجتمع الأوروبي فان العصور الوسطى عرفت في أوروبا بتغليب القالب الديني على كل أشكال الحياة هناك . حتى حسبها معظم المؤرخين من عصور الايمان . ومع ذلك فان التحول الاقتصادي الذي قد بدأت أوروبا تدخل فيه صرف كثيراً من الناس عن أن يحيا الحياة الدينية التي كانوا يحيونها : مثل التردد على الأديرة وممارسة الأشكال الدينية في صلوات الأحاد أو قراءة الكتاب المقدس وغير ذلك ، فكان هناك فريق كبير من الأهالي في أوروبا يشعر بفراغ كبير . واشتد هذا الشعور في مطلع القرن الثاني عشر نتيجة لما اثارته عمليات النداءات الدينية التي قام بها البابوات والقسس حتى وجدوا ضالتهم أخيراً في الحروب الصليبية . . . وهي الحروب التي زعموا لهم أنهم سيتاح لهم تقبيل الصخرة التي صلب عليها المسيح والسجود أمام مقبرة بل دخول الجنة نفسها الى غير ذلك من ضروب الاغراء الكفيلة بأن تحرك مشاعر كل مسيحي في تلك العصور .

هذه هي العوامل والظروف التي أحاطت بالحروب الصليبية ضد الاسلام والمسلمين ، وهي في جملة أهدافها العامة لا تخرج عن كونها تعصباً وحقداً على الاسلام والمسلمين .

وفي الوقت الذي ظفر فيه المحاربون بالوقوف على تراث المسلمين العلمي

وذلك بنقل معظم ما وقعت أيديهم عليه حتى كان لهم المرجع والزاد في عمليات التقدم العلمي التي ارتادوها بعد ذلك، فان المسلمين لم يحافظوا على الأسباب الجوهرية التي أدت الى طردهم للصليبيين وانتصارهم عليهم في معظم معارك الصليب .

## أوروبا العصر الوسيط

تمهيد :

كما هو جدير بالذكر أن الكثير من الآراء التي سادت في العصور الوسطى في أوروبا عاشت أيضاً بعض الزمن في العصر الحديث ، وهذا يبين صعوبة إيجاد حد فاصل بين عصر وعصر . ولذلك يعتبر عصر النهضة الأوروبية من دلائل الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . . ويصعب على المؤرخ أن يحدد تاريخاً معيناً يبدأ به التاريخ الحديث فبعضهم يعتبر سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ هـ بداية للتاريخ الأوروبي الحديث فقد ترتب على هذا الحادث قيام حركة لإحياء العلوم في أوروبا عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين الى أوروبا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التي انبعثت منها دراسات جديدة أضاعت الطريق لظهور النهضة الأوروبية وحركة احياء العلوم<sup>(١)</sup> .

ويذهب البعض الآخر الى تحديد قيام العصر الوسيط في أوروبا كمقدمة للنهضة بنشوب الحروب الايطالية والصراع بين الملكية الأسبانية والفرنسية ، والواقع أنه ليس من السهل تحديد بداية التاريخ الحديث لأن التاريخ لا يعرف حداً فاصلاً بين عصر وعصر . وإنما هو تطور انساني ، يعتمد فيه التطور على ما سبق من ظروف

---

(١) : (التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا) . د (عبد الحميد البطريق عبد العزيز نوار) : دار النهضة العربية عام ١٩٧١ . ص ٣١ .

وأحداث وشخصيات ، تؤثر في سير الحوادث وتصنع التاريخ بسلوكها ومواهبها والانتقال من الوسيط الى الحديث حدث بالتدرج ولم يسر على وتيرة واحدة .

### مظاهر الانتقال الى العصور الحديثة

بدأت تظهر في أوروبا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر تغيرات ومعالم جديدة ، ولكنها لم تبدأ ببداية عام بعينه ، ولم تنتشر في أوروبا دفعة واحدة ، ولكن بذورها بدأت في أواخر العصر الوسيط ، ثم تطورت وامت وأنت ثمارها في العصر الحديث .

### الناحية الاجتماعية

تميز العصر الوسيط من الناحية الاجتماعية بالنظام الذي يسمونه «النظام الاقطاعي» والذي بدأت مظاهره تتلاشى قبيل عصر النهضة . فقد كانت الأرض موزعة بين أشرف يمتلكونها بما عليها من إنسان وحيوان ، ويحكمون اقطاعاتهم بمطلق ارادتهم يقضون بين الناس بما شاء لهم من حكم وبذلك كانت الأرض هي عماد الثروة الاقتصادية ، لذلك انعدم وجود الطبقة الوسطى التي تعتبر عماد الحياة ، أو كانت قلة معدومة الأثر في البلاد ، ولذلك كان المجتمع طبقتين أشرف ، يتمتعون بكل شيء ، وفلاحين يعتبرون أرقاء للأرض .

وكانت هذه السمة الغالبة للتركيبة الاجتماعية للعصر الوسيط .

### الملوك والأشرف :

أما عندما بدأت العصور الحديثة ، فقد أخذت الأوضاع في بعض البلاد تاخذ أشكالاً اقتصادية متغيرة ، ففي فرنسا مثلاً ، حيث كان النظام الاقطاعي سائداً ، كان الملك نفسه يحكم اقطاعاً في باريس مثلاً ، ولا يتعداه الى بقية الاقطاعات على الرغم من اعتراف الأشرف به وبأسرته الى أن حدث تطور أضعف قدرة الأشرف بعد ان أنهكت قواهم الحروب المتتالية ، وعندئذ بدأ بعض الملوك يحطمون نفوذهم

ويستولون سيطرتهم خارج باريس<sup>(١)</sup> ، فقام صراع طويل بين الملكية والأشراف انتهى بهدم النظام الاقطاعي ، وتحمر الفلاحون من رق الأرض ومنحوا حق الملكية ، فكان هذا التحول الاقتصادي على اكبر جانب من الأهمية وقد أعان الملكية في النصر الذي أحرزته على الأشراف أن الناس بدأوا يشعرون بأن الأرض لم تعد المصدر الأساسي للثروة ، فقد أينعت التجارة وراجت الصناعة وظهرت على أثر ذلك طبقة وسطى تشتغل بالتجارة ، ونالها ثراء رفعها الى النفوذ الذي حرمت منه في العصور السالفة ، وعلى الأخص عندما اتسعت العلاقات التجارية بين أوروبا والعالم الجديد ، بعد حركة الكشوف الجغرافية ، ومن جهة أخرى ازدادت العلاقات الأوروبية بالشرق الغني بغلاته ومنتجاته .

وانتعشت أحوال أوروبا الاقتصادية بانتعاش تلك الطبقة الجديدة التي كان من مصلحتها تدعيم نفوذ الملكيات ، ليسود الاستقرار والأمن حتى تستطيع ممارسة نشاطها ، ومضاعفة ثرواتها . وبذلك ارتبطت مصلحة الملوك بمصلحة الطبقة الوسطى في الصراع ضد الأشراف ، ورأت الملكية ، أن من مصلحتها الاستعانة بمواهب رجال الطبقة المتوسطة والانتفاع بأموالهم ، فعين الملوك منهم أعضاء في البرلمان وحكاماً في الأقاليم وقضاة ومشرعين .

### الجيش الثابتة

وقد غيرت تلك الظروف نظرة الملوك في الحكم ، فبعد أن كانوا يحكمون معتمدين على الجيوش التي يجمعها الأشراف في زمن الحرب عمدوا الى إنشاء الجيوش الثابتة التي تبقي زمن الحرب وزمن السلم كحارس ومدافع ضد أطماع الأشراف وضد العدو الأجنبي ، وتقوم تلك الجيوش بالغزوات والفتوحات التي يفكر الملوك في القيام بها ، وجاء اختراع البارود والمفرقات في نهاية العصور الوسطى أكبر معين للملك ضد فروسية العصور الوسطى ، فساعد ذلك على دك معاقل الأشراف

(١) : (التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا) . عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار

وتحطيم حصونهم . وقد استغرق القضاء على الأشراف زمناً ليس بالقصير .

## روح الفرد وظهور المدن

كذلك مما تميزت به المراحل الأخيرة من العصور الوسطى كمدخل للعصر الحديث ظهور روح الفردية ، أي انفصال الفرد عما لا يستسيغه او يعتقده في داخل نفسه ، ظهرت تلك الروح في التفكير الديني ، وكان من نتيجتها ظهور حركة الإصلاح ، ومحاولة المصلحين تغيير ما يرونه ضد العقيدة الحقة والدين الصحيح .

على أن ذلك لا يعني ان الفرد كان حراً في العصور الحديثة ، بل أنه كان مقيداً في بلده برأي حكومته ، إنما كان باستطاعته ان يهاجر الى بلاد اخرى فمذهب لوثر كان مذهباً عاماً ودولياً ظهر في المانيا ، فمن لم يرتح اليه من الألمان يستطيع ان يرحل من ألمانيا الى دولة أخرى لا تعتنق هذا المذهب .

وكان لظهور المدن في أوائل القرن الحادي عشر أثره في حياة المجتمع الأوروبي، وقد نشأت المدن كنتيجة لنمو التجارة والصناعة ، بعد ان تخلص عدد كبير من الناس من سيطرة الأشراف الزراعية .

وكان لظهور المدن أثره في اضعاف النظام الزراعي الاقطاعي ، واستطاعت بعض المدن ، لا سيما المدن الايطالية والألمانية ان تنجح في تدعيم وجودها حتى تطورت وأصبحت جمهوريات حرة منفصلة عن الدولة الاقطاعية التي كانت جزءاً منها ، وبعض المدن في دول كفرنسا وانجلترا ، ساعدت الملك على تقوية نفوذه ضد نبلاء الاقطاع . لأن سكان المدن رأوا أن قيام حكومة مركزية قوية على رأسها الملك أدعى لاستتباب الأمن ، وأصلح من التقسيم الاقطاعي الذي يقف حجر عثرة في سبيل حرية التجارة وإضعاف مكاسبها .

## التجارة والصناعة

منذ ظهرت المدن في القرن العاشر الميلادي وهي تتردد وتنمو نمواً سريعاً، وفي

ظلتها نمت التجارة والصناعة نمواً مضطرباً حتى ظهرت النهضة الأوروبية . وقد تميزت المدن الإيطالية عن غيرها بذلك النمو . ولعل أكبر ربح جناه الإيطاليون هو اتصاهاهم بالدولة البيزنطية المجاورة لهم وبالبلاد العربية التي ربط الاسلام فيما بينها ، والتي كانت على جانب كبير من الحضارة والتقدم . وقد تجلّى ذلك في تقدمهم التجاري اذ كانت تجارتهم الخارجية تنشط حتى تصل الى الهند والصين .

وقد نتج عن قيام تلك التجارة العالمية على هذه الصورة حركة تقدم واسعة النطاق في مختلف المجالات . فقد احتاج الأمر الى اصلاح شامل في وسائل المواصلات لتسهيل العمليات التجارية بين ايطاليا وأوروبا، وجرى الاصلاح في الطرق القديمة وأنشئت الكباري فوق الأنهار ، وتأسست المصارف واهتدى التجار الى وسيلة التعاقد الكتابي فيما بينهم ، ثم تطورت العلاقات الاجتماعية كأثر مباشر لهذه المتغيرات المادية والاجتماعية التي سادت القرن الحادي عشر وما تلاه حتى بدأ الدخول بهذه العوامل مجتمعة عصر النهضة .



## الباب الثاني .

- سلبات النهضة الأوروبية والعالم الاسلامي .
  - الدعوة لفصل الدين عن الدولة .
  - المنهج الغربي في أهدافه ضد الاسلام .
  - الغزو الفكري لمناهج التعليم .
  - الكنيسة والغزو الفكري .
  - الارساليات الأجنبية .
  - الاستعمار الحديث وأساليبه .
  - الركائز الفكرية ، للاستعمار الحديث .
  - الدعوة للتغريب .
  - الاسلام في مواجهة الغزو الاستعماري .



## سَلِيَّاتُ النَّهْضَةِ الْأُورُوبِيَّةِ وَالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

عصر النهضة الأوروبية الذي كان في أعقاب إظلام العقول في العصور الوسطى التي استمرت فترة طويلة جاء نتيجة صراع طويل ومرير بين من يسمون : رواد الفكر الليبرالي المتحرر ، وبين الكنيسة التي كان نفوذها على الأمور العامة والخاصة ، فضلا عن سلطانها على الملوك والأمراء والعلماء ، وقتذاك واسعا وشاملا ، فسيف الحرمان مسلط على رقاب كل من تحدثهم نفوسهم بتجاهل البابا فضلا عن مخالفته ، وقد كان للناس عظة بليغة رادعة عند ما رأوا أمام أعينهم مما جرى للامبراطور « هنري الرابع » من إذلال البابا « جريجوري السابع » له حين اختلف معه على حق تعيين الأساقفة على أقطاعاتهم فأعلن عصيانه وأحل أتباعه الأمراء من ولائهم له فاضطر الامبراطور أن يذهب تائبا في ( كانوسا ) سنة ١٠٧٧ م وأن ينتظر الغفران ثلاثة أيام وهو مدثر بالخيش حافي القدمين وسط الثلج في فناء القلعة ، ولن ينسى التاريخ ظلام وجاهلية العصور الوسطى في أوروبا دور الكنيسة ، ضد من أحرق ، ومن نكل به تحت آلات التعذيب في محاكم التفتيش من رواد علم الطبيعة والكيمياء والفلك .

هذا الصراع الطويل المرير الذي وقفت له الكنيسة سدامنيعا بين أوروبا وبين التقدم قد أتاح الفرصة لدعاة التحرر لأن يأخذوا موقفا من الدين استهدفوا به الكنيسة واستهدفوا معها الدين وانتهى ذلك الصراع في أوروبا بانتصار دعاة الليبرالية والحد من سلطة الكنيسة وحصرها في نطاق الدين ، وبذلك تحقق فصل السلطة

الدينية في أوروبا وانكمش نفوذ البابا ، فلم يعد يجاوز هذا النفوذ آداء طقوس التعميد والصلاة والزواج والجنائز .

وامام هذا وبأثر من احتكاك الغرب بالشرق فضلا عما ترتب على وجود علاقات دولية بين الغرب والشرق عقب الحروب الصليبية ، فإنه كان أمام أصحاب الثقافات الغربية من العرب والمسلمين ذلك التراث الأوربي في الصراع وفي التقدم ، فقرأ أصحاب الثقافة الغربية ذلك كله فيما تداولوه من كتب التاريخ التي فرضها الاستعمار الأوروبي في مختلف بلاد المسلمين وعلى مختلف مراحل التعليم تحت اسم ( تاريخ العصور الوسطى ) وقرأوا معه من ثم أن ذلك قد استتبع تحرير الفكر الانساني ، فنشط من عقاله ، واندفع يرتاد ويكشف في حرية لا يهددها خوف ، وقرأ أيضا أصحاب الثقافة الغربية فيما درسوا من كتب التاريخ المقررة على التلاميذ أن عصر النهضة قيد سلطان الكنيسة وفصل الدين عن الدولة ، وأن ذلك كان من أسباب النهضة !! وخيل للمثقفين المسلمين - وهم بغير زاد إسلامي - أن الشعوب الاسلامية تعيش في حالة تشبه حالة أوروبا في العصور الوسطى ، وساعدهم على هذا الوهم أن الذين يتكلمون باسم الاسلام كانوا متخلفين في استيعاب قضايا العصر الذي يعيشونه وقد دفعهم التخلف الى التورط في محاربة بعض العلوم النافعة ، بدافع من جهلهم لها فزعموا أنها تخالف الدين .

كان هذا الجانب من تطور الصراع في الغرب وتأثيراته السلبية على عقل المثقفين العرب والمسلمين عامة له انعكاساته على الواقع العربي والاسلامي من حيث انهييار وتعلق البعض بالتجربة في الغرب .

ثم أن نظام الوظائف الحكومية الجديدة التي جددت في ظل المتغيرات المادية في كثير من البلاد الاسلامية ، وفي عهد الاستعمار بخاصة ، قد أدى الى اختفاء أصحاب الثقافة الدينية من ميادين الاصلاح ، وتخلفهم عن ركب الحياة وانحصار وظائفهم في المسجد ، وأصبحت الوظائف الحكومية في أيدي أصحاب الثقافة الأوروبية وهم في الغالب الأعم لا يحملون بين جنبتهم زادا إسلاميا يسعفهم في

مواجهة ما أمامهم من معضلات .

وكانت هناك في أعقاب عصور النهضة الأوروبية وخاصة في القرنين الأخيرين ، قوة خفية غير ظاهرة على سطح الحوادث تؤيد هذا الاتجاه ، وتمد ناره بالوقود ، وتقويه بما تغذيه من أكاذيب ، وما تروجه من مبالغات ، وأعني بها « اليهودية العالمية » .

### الدعوة لفصل الدين عن الدولة :

في ظل مناخ عام في ديار الاسلام ، المسلمون فيه في حيرة تامة أمام سموم الفكر الوافد وتأثيراته ، وافتقاد القيادة الدينية التي تعبر عن روح الاسلام ، وتحسم التناقضات ، ظهر في مصر كتاب طبع في عام ١٨٩٩ م . لعبد الرحمن الكواكبي واسمه ( أم القرى ) والكتاب استهدف منه الكاتب حلولاً يعالج بها أسباب تخلف المسلمين وإزالة أسباب ضعفهم وتفرقهم كما ادعى المؤلف ذلك عن كتابه ،

وخيال المؤلف انتهى به الى تصوير مؤتمر في مكة يضم ممثلين عن البلاد الاسلامية أخذ كل واحد منهم يصف ما عند قومه من التخلف ويقترح العلاج الذي يراه ، والجديد المزعج في الكتاب أن الكاتب ينتهي الى جملة تصورات فيها يدعو الى فصل الخلافة عن السلطنة ، مقترحاً جعل الخلافة في العرب والسلطنة في الترك . . . ويبرر الكواكبي ذلك بأن الترك يقدمون السياسة على الدين .

ودعا المؤلف بين سياق كتابه الى نقل الخلافة الاسلامية للعرب ، لأن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتجديد حياة العثمانيين السياسية . . وفي الكتاب رسم المؤلف اختصاصات هذا الخليفة ، فحصرها في الشؤون الدينية العامة ، فليس له أن يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والادارية في السلطنة والامارات ، ولكنه احتراماً للشكل الشرعي يصدق على توليه السلاطين والأمراء ، ولا بأس من ذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين ، على أن لا يذكر اسمه في النقود .

وانتهى الكاتب في كتابه ( أم القرى ) الى اشارات مريبة تمثلت في دعوته الى موالاة الدول الأوروبية المستعمرة ، مثل ما جاء في تحديد وظائف الشورى العامة التي لا تخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية ، حين ضرب أمثلة لهذه المسائل ، فقال فيما قال وهو يدعو الى موالاة بلاد الاسلام للدولة المستعمرة ( وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من ارشاداتها ، وان كانت غير مسلمة ، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب ) . . . ثم قال في موضع آخر ( والغالب أن الدولة المسيحية التي لها رعاياها من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تتحذر من أن يجرح جمع الكلمة الدينية الى رابطة سياسية تولد حربا دينية فتعمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع هذا الارتباط أساسا فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه أمام تحذر الدول ) ؟ .

وبغير تعليق منا أو نقد جوانب العجز في ثقافة الرجل الدينية فضلا عن انعدام فكر صحيح عنده ، فان رد كلام الكواكبي هو ما يكشف عن الاتجاه العلماني في فكر الكاتب ، وخلاصة ما ذهب اليه ، أن المسلمين المتنورين أدنى الى المسالمة وأن العرب منهم أقرب من غيرهم للألفة وللثبات على العهد وأن الجهاد في سبيل الله ليس محصورا في مجرد محاربة غير المسلمين ، فكل عمل شاق - فيما زعم - نافع للدين والدنيا يسمى جهادا في سبيل الله .

ثم يواصل مفترياته ويقول : ( وكثرة رجال السياسة دليل مهم آخر على أن أصل الاسلام لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الألفة ، وذلك بأن العرب أينما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم ، كما أنهم لم ينفروا من الأمم التي خلت بهم وحكمتهم ، فلم يهاجروا منها ، كعدن وتونس ومصر ، بخلاف الأتراك ، بل يعتبرون دخولهم تحت غيرهم من حكم الله عليهم ، لأنهم لم يذعنوا بكلمة ربهم تعالى ثأنه ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها ، لا يتحذرون من الخلافة العربية بل يرون صوالحهم الخصوصية ، وصوالح الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محدودة الصورة ، مربوطة بالشورى على النسق الذي عرضته عليك ) انتهى .

ومن الواضح البين أن كلام الكواكبي متأثر بنظام البابوية الذي اتخذ مقره روما مهد المسيحية في أوروبا، والذي يتولى رئاسة المجمع الديني ويتوج الملوك والرؤساء رعاية لسلطان الدين ، كما أن في كلامه روح التودد الى الدول المستعمرة بشكل يجعله متهما ولو من وجهة النظر الوطنية أو القومية ، وفي نفس الوقت يبرز في كلامه وبوضوح التهوين من وقوع الأمم الاسلامية تحت حكمها .

هذا وشيبه برأي الكواكبي هذا ما دعا اليه الكاتب المعروف عبد القادر حمزة عام ١٩٠٤ م حيث كتب في مجلة ( المقتطف ) تحت عنوان : « خطر علينا وعلى الدين » . . . وفيه كتب يقول إننا نرد أسباب التأخر في كل شيء الى الدين ، وهذا وهم ، ويصوّر في زعمه استسلامنا استسلاما أعمى الى ماضينا الديني الذي يجب أن نتعد عنه كل الابتعاد ، مناديا بترك الدين في زيه الحقيقي ، لأننا نفر الناس منه بإقحامه فيما ليس من شأنه .

هذا وقد تطورت هذه الظواهر الفكرية الوافدة على ديار المسلمين ، بتأثير من الثقافة الغربية الصليبية ، حتى استطاعت الحركة ( الكمالية ) التي قامت في تركيا أن تؤدي دورها المرسوم في تركيا بفصل الدين عن الدولة ، وأقام رواد الحركة الكمالية عبد المجيد خليفة مجردا من كل سلطة فعلية ، يقيم في الأستانة بينما يقيم رئيس الجمهورية في أنقرة . . . ثم ما لبثوا أن ألغوا الخلافة ، وتحقق للقوى التي خططت ضد الاسلام ما أرادت حول قضية من أهم قضايا المسلمين .

### المنهج الغربي في أهدافه ضد الاسلام

منذ الحروب الصليبية التي بدأت بالحملة الأولى ١٠٩٩ م بانتفاضة عنصرية تعصبية حاقدة ضد الإسلام وأهله ، عرفت أوروبا عن كذب ديار الاسلام ووقفت على ما لدى المسلمين من وسائل أمنهم وأمانتهم وارتفاع مستواهم في الاجتماع والاقتصاد ونظم الحكم كثر لما هم عليه من فهم مستقيم لكتاب ربهم وسنة نبينهم . وفي أعقاب ما يسمى بعد ذلك بعصر النهضة الأوروبية والذي جاء نتيجة

صراع طويل ومرير بين من يطلق عليهم رواد الفكر المتحرر « الليبراليون » وبين الكنيسة . انعكست كل سلبيات هاتين المرحلتين على الديار الاسلامية في شكل غزو للأفكار ، وتمثل ذلك في التوجيه الغربي الكافر لأنماط الحياة العامة ، وعلى مستوى السلوك الشخصي والحركة الاجتماعية المختلفة في الواقع الاسلامي يومها حتى شاعت عادات وتقاليد وممارسة لكثير من الأمور التي لم تكن مشاعة ، فشاع مثلاً في الحواضر الاسلامية تقليد الغرب في دياره ، فشرب الخمر على نطاق الجمهور المسلم العام والقواعد الغفيرة ، شاع بعد أن كان شره قاصراً على فئة محدودة وشاع ارتداء ثوب الغرب عند الرجال أولاً ، ثم سرت العدوى الى النساء أيضاً وخاصة في أعقاب عودة المجموعة التي ابتعثها محمد علي باشا الى أوروبا لتلقي العلوم الطبية والهندسية وغيرها ، وقد ترتب على محاكاة الغرب في موضوع كالزني مثلاً مقتضيات في اتباع الحركة العامة في الشارع ومواقع العمل ، ومظهر الرجال بل قد دفع محاكاة الغرب في أزيائه قطاعات عريضة من الشباب أسرى التفتن ومسايمة ما يفد من هذه الأزياء ، كما شاع في معظم ديار المسلمين الدعوة لخروج المرأة الى الحياة العامة بشكل سافر ، ومزاحمتها للرجل في معظم الأعمال التي لا تتفق واستعدادها فضلاً عن المحافظة على كرامتها وشخصيتها كذلك شاع في الديار الاسلامية الاحتفالات العامة بالمناسبات القومية والوطنية والشخصية وغيرها مما يلقي كبير اهتمام في الحياة العامة بينا الاهتمام بالمعاني الاسلامية أو حتى ببذع الاحتفال بالمناسبات الدينية التي تقوم بها معظم بلاد المسلمين ، لا يلقي مثل هذا الاهتمام الذي تلقاه المناسبات الأخرى مما أوحى الى الناس بالمقارنة بين الديني والديني مقارنة سلبية لم تكن تعبر عن الشعور الديني بل تترك انطبعا بالأسى والحسرة في معظم الأحوال .

هذا تلخيص موجز لبعض أبعاد الغزو الأوروبي للحياة الاسلامية في شكلها العام لكنه لكي يتيسر له استمرار تحقيقه لأهدافه ، ومواصلة حملته ضد بلاد العرب والمسلمين ، لجأ في تخطيط ودراسات متأنية قامت بها أجهزة ومؤسسات متخصصة الى عدة مجالات والى أساليب تحقق له الهدف المبتغى من إضعاف شوكة المسلمين ومحاربة الاسلام ، ومن هذه الأساليب التي حققت فيما بعد للقوى المعادية للاسلام أهدافه في

العمل على تغريب عقل الأمة ، ثم دس الشعارات التي مزقت الوحدة الاسلامية مثل : الوطنية والقومية والعلمانية ، وفصل الدين عن الدولة ، وتحرير المرأة وغير ذلك .

### الغزو الفكري لمناهج التعليم :

بعد أن تعرف الغرب على نمط الثقافة الاسلامية ، والتي تتمثل في الأجواء الاسلامية انطلاقاً من قوله تعالى : ( . . . ) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) . . . فكانت الثقافة الاسلامية تعبيراً عن الرأي العام المسلم الموجه بضوابط وتوجيهات مثل هذه الآية الكريمة بعد أن تعرف الغرب على نمط الثقافة هذه ، واطلع علماءه على مصادر التشريع الاسلامي وأمهات كتب التاريخ والآداب والأخلاق لم يفعل بعد الحروب الصليبية ما فعله التتار حين ألقوا بنهر دجلة تراثاً إسلامياً ، صنعت مجلداته جسراً عبر عليه الجيش المغير الى داخل بغداد ، ولكنه أقام الأكاديميات ومراكز البحوث العلمية ، لكي يعمل على هدم أسباب تفوق المسلمين وهذا ما حدث في أعقاب ما يسمى بعصر النهضة ، دخل المسلمون في مختلف ديارهم مع الغرب معارك غير متكافئة فتسرب من خلالها الى بلادهم عبر خطة العمل التبشيرية في مناهج التعليم ، تمثلت هذه الخطة في الجهود التي رمت الى فصل التعليم المدني عن الديني ولم تكن مؤسسات التعليم في الديار الاسلامية ، تعرف هذا الفاصل ، ثم عمل الغرب على سيادة التعليم المدني على الديني ، ثم ظهرت جهود الذين استغربوا بقلوبهم وعقولهم تدعو الى التجديد والابتكار في عرض الأفكار الاسلامية ، وذلك كله من خلال عمليات التبشير والاستشراق التي قام بها علماء الغرب في عرض التراث الاسلامي ، وتدريبه في معظم المعاهد الاسلامية بالنهج الاستشراقي والذي كانت تمول الانفاق عليه مؤسسات دينية ومالية في الغرب بحيث يحول دون اعداد مجموعات من المتخرجين ترتبط بكتاب ربها وسنة نبيها .

في الوقت الذي ابتدأت فيه افرازات العمل غير الإسلامي تؤتي ثمارها في

أعداد وتخريج أجيال خالية الوفاض. من التعليم الاسلامي ذات اهتمام خاص وتعلق بالنهضة الغربية المادية مبهورة بالتقدم المادي الذي كان قد بدأ .

## الكنيسة والغزو الفكري

لجأ الغرب الصليبي الى عدة طرق لتصنع جسورا من اللقاء بينه وبين أبناء الديار الاسلامية ، تمثلت في الدور الذي أدته الكنيسة في بلاد المسلمين وخاصة حين اقتحمت الحياة الاجتماعية ومارست دورها في مؤسسات التعليم ، بالاضافة الى ما سمي بالعمل الخيري والنشاط الرياضي والكشفي الذي أقامت له أندية ومراكز ثقافية ، فمع كل السرية وجو الكتمان اللذان يحيطان بنشاط الكنيسة لكنها كانت ولا تزال في بعض ديار الاسلام تقيم علاقات اجتماعية ، وتدفع معونات وتبرعات حتى لغير أبنائها وتشكل لجانا لانشطتها من المسلمين ، لكي يكونوا على مقربة من التعرف على أهداف العمل الحركي للكنيسة ، أو حتى يكونوا بوقا إعلاميا لها وسط المجموعات والتجمعات الاسلامية ، وهذا ما ساعد على توفير مناخ مستقر آمن لرجال الكنيسة لكي يعملوا من خلاله على توفير مناخ بعيد عن أي مضايقات من جانب العناصر الاسلامية التي كان يمكن أن تحول دون النشاط الكنسي وتأثيراته في ديار المسلمين ، لو لم تبذل الجهود الضخمة والمتابعة بالتضليل والخداع للحيلولة دون المسلمين وامكان ان يقاموا أنشطة الكنيسة ضدهم .

- الغزو الاعلامي :

منذ أوائل القرن العشرين الميلادي ، بدأ تنفيذ مراحل الغزو الفكري للحياة الاسلامية بشكل جاد وتطبيقي عن طريق الاعلام الذي تمثل في معطيات الصحف والمجلات التي تخضع لتوجيه وكالات أنباء ومؤسسات فضلا عن الإذاعة الهوائية التي تبث برامج روائية وقصصية تنمي اتجاهات غريزية وميول عدوانية وعنصرية بين طبقات المجتمع الاسلامي ، هذا وأخبار الجريمة وقصصها وصور المجتمعات الغير الاسلامية المنقولة في الصحافة عبر الفوتوغرافيا ، أساليب اعلامية شدد انتباه أجيال

من المسلمين فربطت بينهم وبين هذه الأساليب العصرية التي ساقط لهم أفكارا وممارسات يمكن أن تعمق اعجابهم بالغرب ، وذلك لعزلهم عن الجو الاسلامي مما يمكن أن يتيح المناخ ويهيئ المجتمع لنشاط مذهبي ومدرسي ينفث سموه وحقده وكفره ضد الأمة الاسلامية .

ومنذ عرف العالم الاسلامي الاذاعة المسموعة ثم المرئية وبدافع من العزلة التي غيب فيها العقل الاسلامي اندفعت قطاعات عريضة من المسلمين وراء هذه الأساليب المثيرة في نقل المعلومة وسوق الخبر الذي يستهدف به الاعلام الغير الاسلامي عقل الأمة وفكرها ، فضلا عن حجبتها عن دينها .

هذا وقد تطورت أساليب الغزو الإعلامي بعد ذلك فاستثمرت القوى المعادية للاسلام من صليبية ومادية وسائل التقدم المادي الحديث في مجالات التصوير الفوتوغرافي والسينائي والفن التشكيلي وما سمي بأدب المسرح وغير ذلك من المبتكرات التي دخلت بيت وعقل كثير من أبناء المسلمين ، ووقعوا أسرى التوجيه المعادي لأمة الاسلام ، دون أن تكون لديهم الخطط والبرامج التي يجابهون بها وسائل العصر وما تحمله بين جنباتها من فكر ومعتقد لا يتفق وعقيدة الاسلام .

### الرساليات الأجنبية :

مع التوسع في العلاقات الدولية التي صحبت حركة النهضة في أوروبا واستتبعه تطوير العلاقات الدولية ، وخاصة في ظل الموجة الاستعمارية التي قادتها أوروبا ضد الشعوب الضعيفة فكان الغرب الصليبي أولا ثم الشرق الشيوعي الملحد بعد ذلك ينشئ المؤسسات المعمارية كمعونة انشائية لكي تكون مدارس ومعاهد ، ثم يعقد الاتفاقات الدولية لكي يقيم على منشأة معمارية ضخمة متعددة المرافق إرسالية تعليمية واعلامية تفتح أبوابها للقادرين من أبناء الديار الاسلامية وذلك لكي يتلقوا ثقافة خاصة تفصلهم على المدى البعيد عن بيئتهم وتعزلهم عن الاسلام وتؤهلهم للابتعاث لبلاد الغرب وحواضره ، للحصول على الإجازات ، بعد أن يكونوا قد

أعدوا لذلك بالتعرف على عادات وأخلاق ومذاهب الغرب ، لا يعرفون غير لغته ، ولا يتقنون غير أدبه ، ثم يعمل الاستعمار الفكري عمله ، حين يوعز الى رجاله وأركان وجوده بأن يتبوأ الذين وفدوا الى ديار الغرب ونهلوا من ثقافته وتأثروا بأخلاقه المواقع القيادية بل والسلطة التنفيذية والسياسية في بلادهم ، ولعل هذا الأسلوب كان وراء ذلك الجيش الضخم من الأدباء والكتاب والصحفيين والاذاعيين والفنيين الذي امتلأت بهم ديار الاسلام وتصدروا مواقع القيادة والتوجيه فحاولوا وأحالوا دون وصول صوت الدعاة الى الله كي يعمل عمله في توجيه الجمهور المسلم .

هذا وقد كان مما زاد الطين بلة أن هذه الارساليات هي التي كانت وراء عمليات انشاء النوادي السرية ، مثل : الروتاري والريونز والبنائي برت ، وغيرها من الهيئات التي استقطبت المجموعة القيادية التي جهزها العمل الغربي ضد الاسلام وأهله ، فكانت الجهود المعادية من خلال الأنشطة الاجتماعية لهذه النوادي لا تضع سدى حيث العمل الجماعي وتبادل وجهات النظر ومصادر التمويل بينما العمل الاسلامي كان من خلال الجهود الفردية أو صيحات بعض العلماء أو وقفات بعض المصلحين والمجددين ، وبغير سند أو معونة الا الصدق والايمان ابتغاء وجه الله تعالى .

#### - ابتعاث أبناء المسلمين للغرب والشرق :

استطاع مؤخرا بعض أبناء الاسلام أن يعرفوا أن من بين أساليب الغزو الفكري الذي خطط له الغرب : إنشاء أقسام في جامعاته بل ومعاهد عليا أحيانا في جامعاته لكي يخصص من خلالها مجموعة من علمائه في تعليم أبناء الاسلام الفكر الغربي وأدبه ، ولكي يتناولوا الثقافة الاسلامية من وجهة النظر الغربي بالاضافة الى تعليم بعض أبناء الاسلام المنهج الغربي في الدعاوي القومية والوطنية ، وأحيانا القبلية الى جانب ما يلقونه اليهم مما سمي بعلم النفس والتربية والأخلاق وغير ذلك .

ومن الملاحظ على المنهج الغربي وهو يخطط لهذه الغاية التي كان لا بد له فيها من تجهيز جيش فكري لغزو بلاد المسلمين أنه لا يتردد في استعمال كافة أنواع الاغراء المادي والاجتماعي والجنسي ، وغير ذلك من صور الاغراء في اختيار وتجنيد العناصر التي يستهدف بها غزو بلاد المسلمين فالاتحاد السوفيتي اعتمد خطة تجنيد العناصر التي يستقبلها للتعليم وهي أنه قبل البدء في دراساتهم يتعلمون اللغة الروسية في معاهد سوفيتية في بلادهم أولاً ، ثم يذهبون بهم الى الاتحاد السوفيتي فلا يسمح لهم بالتوجه الى حقول التخصص التي أبتعثوا اليها قبل الدراسة في معاهد شيوعية بحثة للاطلاع على الثقافة الشيوعية وأثرها في حياة السوفيت - على حد زعمهم أن لهم ثقافة - ومن ثم يتناولون بطرق غير مباشرة بعد الإعداد الدقيق والأسر الفكري الذي يكون المبعوث قد وقع فيه عقيدة المبعوث وتاريخه وواقع أمته وإذا لم يروا انبهاره أو استعداده للاعجاب ببعض أشكال التقدم المادي التي يراها ، وإذا لم يتأكدوا من استعداده للتجرد من ولائه لدينه وأمته وغير مجهز للاعجاب بفكر الاتحاد السوفيتي وفلسفته الإلحادية فانهم ان لم يعودوا به من حيث أتى : فإن خطتهم معه أن لا يتعلم شيئاً مفيداً في مجال التخصصات غير الإلحادية . . وإذا ما عاد من حيث أتى فإن المفترض فيه أنه تعلم آخر ما وصل اليه العلم في التخصص الذي أعد له ، فحين يتسلم قيادة انجاز العمل الذي يتصور قيامه به ، فإن الفشل فقط هو المصير المحتوم لكل ما سيوكل اليه ، وهذا الجانب السلبي من وجهة النظر المعادية للإسلام يعتبرونه بعض أهدافهم ، ذلك أنه حين لم يستجب لأن يدمر في أمته ويفسد في دينه باعتراف الفكر الإلحادي فإنه يؤدي دوراً مدمراً في أبناء أمته وإن كان بمنهج آخر وهو عدم القدرة على تحقيق ما يتصور أنه أهل للقيام به .

وهذا المنهج الإلحادي في التخطيط والإعداد لمحاولات غسل عقل أجيال الشباب المسلم الذي يبتعث الى بلاد الشرق يقابله منهج صليبي آخر في الغرب يستهدف نفس الغاية وإن كان بأساليب أخرى .

وهذا النهج الاستعماري في غزو الديار الاسلامية من خلال ابتعاث أبناء الاسلام الى معاهد وجامعات الغرب والشرق يجب أن تشكل له الجامعات

الاسلامية على وجه الخصوص ، لجانا علمية على أعلى المستويات فيها لإعداد الخطط والمناهج التي تحمي أبناء الاسلام إذا كانت هناك ضرورة ملحة وجادة في أن يكون أحد أبناء المسلمين بين أيدي الملحدون في الشرق ، أو الصليبيين في الغرب ، والأمل في الله تعالى لنصرة دينه وحماية المؤمنين بالاسلام هو العون والمدد . ان شاء الله .

### الاستعمار الحديث وأساليبه :

إثر التطور المادي والاجتماعي الذي شهده العالم في مطلع القرن العشرين ، وكان من بين العوامل التي خشيها الاستعمار العسكري الذي كان متمثلاً بقوة الحديد والنار في أيدي الرجال الذين يحتلون معظم بلاد العالم وخاصة ديار الاسلام ، كان الاستعمار المسلح يميل بإرادته المباشرة من خلال الاحتلال منهجه الذي يبتغيه ، واضطر الى الرحيل ورفع السلاح عن وجه أهل الديار التي كان يجثم على صدور أبنائها ، وذلك بتأثير المتغيرات التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى ، لجأ بعدها إلى أساليب مستترة وطرق غير مباشرة ، وهو ما اصطلاح عليه في المجال الدولي على لسان الشعوب المستضعفة بعد الحرب العالمية الثانية ( الاستعمار الحديث ) وهو ليس في حقيقته إلا السيطرة والتوجيه والاستثمار عن طريق أبناء البلد الذي كانت فيه قبضة الاستعمار تعمل عملها بقوة الحديد والنار ، هذا وقد تمثل جزء من هذا الاستعمار الجديد في طريقة توجيهه ، لما سمي بخطط التنمية أو التوجيه الاجتماعي ، بحيث تكون المشاريع التي تقام في الديار الاسلامية أجنبية في يد غير المسلمين في كل مراحلها من التصور حتى التنفيذ والمتابعة ، وكخطة ومنهج البنوك العالمية بحيث تكون تعبيراً وتمثيلاً لقوى أجنبية وأنظمة غير اسلامية في ديار الاسلام ، وكخطة التربية والتعليم والاعلام بحيث لا تعبر هذه الاجهزة عن أخلاق ومقومات العقيدة الاسلامية بحيث لا تعد الأجيال التي يمكن أن ترفع يدها ضد مصالح الاستعمار الجديد في وجوده واحتلاله الجديدين .. وهكذا .

ثم ولكي يتحقق لهذا الاستعمار الحديث ، أهدافه في الساحة التي يتوجه إليها ، فلا بد له من أن يكون قد درب عناصر وقيادات تدين بالولاء لفكره في مجال الاعلام والتعليم والاقتصاد والتخطيط والادارة وغير ذلك .

أذكر هنا في هذا المجال وعلى سبيل المثال . أن احصائية للجهاز المركزي للتنظيم والادارة في إحدى البلاد الاسلامية أجريت اتضح فيها من غير قصد من المسؤولين عن الجهاز المذكور أن عدد العاملات في مستوى الادارة العليا لوزارتي الثقافة والاعلام في ذلك البلد ٧٠٪ من عدد العاملين الرجال في نفس المستوى وأن عمر العاملات المشار اليهن أقل من زملائهن بحوالي ٨ - ١٠ سنوات ، حتى أن الاحصائية أشارت بغير هدف أيضا كهذا الهدف الذي نراه الى أن جهاز التلفزيون الذي يتبع وزارة الإعلام في ذلك البلد كانت تتربع على رئاسته امرأة حوالي ست سنوات بدرجة وكيل وزارة ، ونائبها امرأة بدرجة كبيرة المذيعات بدرجةها ، ناهيك عن جيش السكرتيرات ، والمديرات ، والفنانات ، ممن أعددن للقيام بأدوارهن المرسومة في العمل على عزل الأجيال الجديدة عن الانتاء لدينها فضلا عن الحفاظ عليه والتمسك بتعاليمه .

هذا وقد رأينا في ظل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها العالم المعاصر ، وخاصة في نهاية القرن التاسع عشر ، وفي مطلع القرن العشرين ، أن القوى المعادية للإسلام وأهله من أساليها - في حرب البلاد الاسلامية أدوات وأساليب كثيرة منها مثلا :

- الصحف : فمنذ عرف العالم هذه الوسيلة في الإعلام والإعلان عن الفكر الانساني وعن العلاقات ومصالح العالم المتداخلة قام الغرب بتدريب وتعليم جهاز فني واداري ومهني من أبناء البلاد الاسلامية ، يتولى مهمة التعبير والتوجيه للحياة العامة في المجتمع ، بمنهج غير اسلامي ، فضلا عن استحداث أساليب تحول دون تربية الأجيال والالتزام بالسلوك الاسلامي ، مثل نقل أخبار المجتمع الغربي وصور انحلالية منه ، بطريقة مثيرة ، تحبب الى قلوب الأجيال الجديدة ، التعلق ، بأنماط الحياة الغربية ، وذلك لاشباع فضوله . . ورغبته في التعرف على العالم المعاصر .

- الكتب : وذلك بالتشجيع على اصدار مسلسلات فكرية في الأدب والاقتصاد غير الاسلاميين عن طريق دور نشر معلومة ومدعومة تتولى فيما تصدره من

كتب معالجة قضايا الشباب والشابات ودراسة الثورات والانقلابات والاضطراب السياسي ، وموضات الجنس وأساليب الشذوذ بطريقة جذابة تأسر عقل الشباب وفكره .

- التلغاز : يتم الغزو الاعلامي عن طريق هذا الجهاز الرهيب في توصيل المعلومة . . وذلك عن طريق اعداد برامج في مسلسل يومي أو أسبوعي . . أو عروض أفلام تبرز الصراع الطبقي ، أو الترف الاجتماعي ، أو الفساد الأخلاقي ، بطرق مبتكرة وأساليب جذابة تشد اهتمام الأجيال ولقد تطورت وظيفة التلغاز في السنين الأخيرة حين شاع في بلاد المسلمين الاستعانة بالفيديو وفي عرض الأفلام المنحرفة الفكر . . والمثيرة الآداء . . . والمتقنة الصنع مما ترتب عليه حبس بعض الأسر أمام هذا النوع من التدمير الأخلاقي . . . . والفساد الاعلامي .

- المعاهد والجامعات : وهي التي أنشئت في بلاد المسلمين عن طريق المعونات الأجنبية وذلك لبث أفكار غير إسلامية في بلاد المسلمين : مثل : جامعة لقديس يوسف في لبنان جامعة بابوية كاثوليكية . ومثل كلية بروث البروتستانتية . ومثل كلية ( روبرت ) في استانبول التي أصبحت تتسمى باسم : الجامعة الأمريكية ومثل الكلية الفرنسية في لاهور .

مناهج دراسة الاسلام في الارساليات :

يقوم منهج المعاهد والارساليات الأجنبية في تعليم أبناء المسلمين على تلقين المزايم التالية :

١ - القرآن كتاب نسخه محمد من معلومات اليهود والنصارى العرب في التوراة والانجيل .

٢ - الاسلام دين مادي لا روحية فيه .

٣ - الاسلام دين يقوم على الغدر والاعتيال .

٤ - الاسلام دين يقوم على تنمية الملذات واشباع الغرائز .

ويستشهدون بأحكام الاسلام في الجهاد والدعوة والزكاة ورد العدوان وتعدد الزوجات وغير ذلك على ضوء نظرة صليبية مريضة .

أما في مجال الدراسات الاجتماعية والتاريخية فهم يضعون مناهج من المزامم التالية :

- ١ - الدعوة الى تعميق فكرة أن الفلسفة العربية فكر يوناني محض .
- ٢ - الزعم بأن الفصحى لم تعد صالحة اليوم .
- ٣ - الدعوة لحياء الفرعونية في مصر .
- ٤ - الدعوة لحياء الأشورية في العراق .
- ٥ - الدعوة لحياء البربرية في شمال أفريقية .
- ٦ - الدعوة لحياء الفينيقية على ساحل لبنان وفلسطين .
- ٧ - الدعوة لتفضيل الفارسية كلغة آرية على العربية .

هذا ومن بين الكتب التي تدرس ضمن برامج الثقافة العامة كتاب ( لورانس براون ) المسمى ( الاسلام والارساليات ) . . وفي مقدمته يقول براون :

( اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن لهم أن يصبحوا لعنة على العالم . . وخطرا . . ومن الممكن أن يصبحوا نعمة أيضا ) .

### الركائز الفكرية للاستعمار الحديث

بآثار من التطور الاقتصادي التي ترتبت على التقدم الصناعي الذي دخلته البلاد الاستعمارية كان لا بد له - أعني الاستعمار - من استبقاء البلاد التي وقعت في قبضته كي تكون سوقا للتصدير وحقلا للخام . . لكن الاستعمار أمام ادراكه أنه بدأ يتراجع عن الاحتلال المسلح بسواعد الرجال في كثير من البلدان التي كان يثقل كاهلها بوجوده المادي والعسكري خطط لأن يشغل البلاد التي كان يستغلها ويستنزف مواردها وخاصة ديار الاسلام بمشكلات اجتماعية وسياسية ، لكي يضع لها وهي حديثة عهد به الحلول والاقتراحات المستوردة ، التي تغيز من علاقة أهل الديار

الاسلامية بدينهم وتمزق روابطهم به .

ومن هذه الأساليب وأكثرها خطورة على المسلمين والتي هي من آثار الاستعمار الحديث في مراحل تغريب الأمة المسلمة عن دينها ووجودها ، ما سمي في بعض بلاد الاسلام باسم ( الليبرالية ، والديمقراطية ، والاشتراكية ) . . وغير ذلك من المسميات التي استوردت ، كتعبير عن مذاهب ومعتقدات يختلف عنها الاسلام كل الاختلاف ، وهي تستهدفه بالتناقض وعزل أهله عنه .

فعلى سبيل المثال اذا ما أردنا أن نعرف في إيجاز الخلاف الذي بين الاسلام وبين هذه المذاهب الثلاثة ، لأدركنا كم يطرح أمامنا أعداء الاسلام من مشكلات لنشغل بها عن العمل الاسلامي والارتباط به ، فهذه المذاهب الثلاثة : الليبرالية والديمقراطية والاشتراكية بينها وبين الاسلام خلاف جوهري وتناقض حاد ، ذلك أن الاسلام مبني أولاً وقبل كل شيء على أن حياة الانسان ليست إلا جزءاً من وجود طويل لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فالاسلام يطلق على الحياة الآخرة أنها (خير وأبقى) والاسلام يعمل لصالح هذا الوجود كله بينما كل النظم التي ابتدعها الانسان تعمل لصالح الوجود الأرضي وحده ، ويعلم أعداء الاسلام في القديم والحديث أن الاسلام نظام مُنَزَّلٌ مستقل متميز عن غيره قد يحدث وأن يلتقي مع غيره من النظم البشرية في شيء ولكن هذا لا يعني أن هذا النظام من الاسلام ، أو أن الاسلام من نظام غير إلهي مهما بلغت ساحة ونظافة هذا الشيء ، أقول قد يلتقي الاسلام مع غيره من النظم البشرية في أشياء ولكن هذا لا يمكن أن يكون أو أن يفسر على أنها منه أو أنه منها في شيء بل إن التقاء معها قد يكون كما هو في الغالب التقاء في ظاهر الأمر مع خلاف أساسي في اللب والجوهر .

فالشورى في الاسلام تشبه بالانتخابات في الديمقراطية ، تختلف معها اختلافاً كثيراً جداً ، فالشورى في الاسلام لأصحاب الحل والعقد من العلماء والحكماء ، وأصحاب التجربة الناضجة والظاهرين في قومهم المشهود لهم برجاحة

العقل واستفاضة السيرة والنزاهة وهي في الديمقراطية لكل الغوغاء أو لكل من ( هبّ ودبّ ) يستوي فيها رأي الأبله والحكيم ، ورأي النزيه والساقط ، ورأي من يعلم ومن لا يعلم ، على أن الشورى في الاسلام تستهدف تماسك المجتمع المسلم وتقوية أواصره وتعميق العلاقات الأخوية بين أفراده ، بينما الشورى أو الانتخاب بتعبير أدق في الديمقراطية ، مظهر لصراع المذاهب والمصالح ، وقهر الأقل عددا ولو كانوا على طريق الحق ، أما الاشتراكية الماركسية فهي تقوم على قهر الناس بالتسوية بينهم ، وتحويل الجماعة البشرية الى قطيع كل غايته أن يأكل ويصمت ، وعبارتهم المشهورة التي فتنوا الناس بزيفها حتى وقعوا في شراكها ( من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته ) ، يختلف معها الاسلام أساسا في المنطلق والغاية فبينما تقوم الماركسية على القهر الذي يستوي فيه الناس ، فإن الاسلام يقوم على سنة الله الذي خلق الخلق متباينين في قواهم الجسدية ، وفي ممتلكاتهم الخلقية والنفسية ، وفي مواهبهم الذهنية والفنية ، خلقهم متباينين في قواهم وفي ممتلكاتهم ومواهبهم ، مختلفين في ألوانهم وألستهم ، متفرقين في أمهم وشعوبهم ومذاهبهم وأديانهم ، وكان من وراء ذلك كله علم لا نعلمه وحكمة لا نحيط بها ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ، يقر المسلمون ذلك كله في الاسلام ويدعون له ، ويعرفون أن التباين في الأرزاق هو نتيجة حتمية لهذه السنن التي خلقها الله والتي يبلو فيها الله سبحانه خلقه بعضهم ببعض ، ويضرب فيها الحق والباطل ، ليذهب الزبد جفاء ، ثم لا يمكث في الأرض الا ما ينفع الناس .

أما التجربة الليبرالية ، فهي مبنية على رد الفعل الذي آلت اليه الأحوال والأوضاع في أوروبا نتيجة عنت الكنيسة وجاهليتها ، وانطلقت الليبرالية على ما اعتقدوه حق الفرد في أن يعتقد ما يشاء ويقول ما يشاء ويفعل ما يشاء ، بينما قواعد السلوك الانساني في الاسلام تنطلق من ذلك الاساس الذي كفل للانسان المسلم حرية وكرامته وأمنه وانسانيته ( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) .سورة الانعام ١٥٣ ومن هنا فان الاستعمار الحديث تعبيرا عن الحقد الصليبي القديم وتحقيقا

لمصالحه في العصر الحديث ، راح يصدر أفكارا ومذاهب وهو يعلم مسبقا مدى تعارضها لمعطيات العقيدة الاسلامية في الحياة وفي مختلف أوجه النشاط الانساني .

وفي هذا يقول ( سعد جمعة ) في كتابه ( الله أو الدمار ) لقد عمد الاستعمار الممهد له بالغزو الفكري والارساليات التبشيرية أو الاستشراقية بعد أن سيطر على العالم الاسلامي وفيه العالم العربي ، الى تجهيل الشعوب وتضليلها ، فوضع لها البرامج التعليمية التي تنسجم مع أغراض السيطرة والاستقلال واضمار الكراهية للاسلام ، فينشأ أبنائها وليس في نفوسهم الا أن الدين عقبة ورجعية وتخلف ، وأن الوسيلة الوحيدة للارتقاء والتقدم هو احتقار التراث والاقتصار على جرعات مركزة مسموعة من قشور الحضارة في مظاهرها المادية ، وسفالاتها الأخلاقية ثم تتلقفهم المصانع الفكرية في الجامعات الغربية التي يتولى التدريس فيها نخبة من دهاقنة اليهود ، مهمتهم غسل أدمغة أبنائنا ، وصبها في القوالب المنسجمة مع أهدافهم ومخططاتهم التأميرية ، واغراقها في متاهات الأيديولوجيات المدمرة التي تتعارض مع تراثها وتتناقض مع عقيدتهم ثم يعيدونهم إلينا - إلا من عصم الله - عملاء لهم وبلاء على أوطانهم بعد أن يمدوهم بالظهر والأداة ، ويوقعوهم الى الانحراف العقلي الذي يحول دون ممارسة البحث الجدي والاستقصاء السليم . . . الى إشاعة الفوضى الخلقية والبلبلية الفكرية يستحدثونها عن رأي أسيادهم وأوامرهم ، وأكثرنا ينصحون به مشوه ومدسوس .

وفي هذا المعنى أيضا يسوق سعد جمعة مقولة أحد أولئك الذين تربوا على فكر الغرب في ليبرالية وديمقراطية واشتراكية ، يقول أحدهم ( ما دامت الشعوب الاسلامية تعتنق قوما ثابتة تحالف قيم الغرب ، وهي القيم الاسلامية ، فلا بد اذن من أحد حلين ، أما أن يحى هذا الاسلام بتشكيك الناس فيه وفي قيمه الأساسية التي يستند اليها ، ويحاصر بحيث لا يتجاوز نفوذه المسجد ، باقتناع الناس أن الدين شيء ومشاكل الحياة شيء آخر . . . وأما أن نخضع الاسلام للتطور ليتقارب مع القيم الغربية الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ) ، ويعلق سعد جمعة . على قولة

الكاتب فيقول : هذا هو هدف المؤامرة الامبريالية والصهيونية بالتمام والكمال . .  
لكننا نعود فنسأل الكاتب الذي رواه الغرب حتى الثمالة : أي تطور أخلاقي هذا  
الذي تبتغيه للاسلام ليتقارب مع القيم الغربية ، نظن أنك عرفت أخلاق الغرب  
اليومية ودع عنك تطور الآلة وعناصر الانتاج ، وبقينا أنك لم تعرف شيئا عن أخلاق  
الاسلام ، ما رأيك في صالات الرقص الجماعي الملحقة ببعض مراكز الانتاج في  
أوروبا ، وطبعا بين الرجال والنساء ، وما رأيك في عطلات أيام الأحاد على قمم  
الجبال وبين الغابات مع تبادل الزوجات ، مع ملحوظة ان كنت لا تعلم هذا ،  
فقانون السويد المعدل في عام ١٩٦٢ م يبيح ذلك بل ويبيح أكثر من رجل لأمرأة  
واحدة في آن واحد ، ثم وما رأيك في نوادي الليل وجيوش الهيبيز والجملمر من شباب  
في ضياع الوحوش الكاسرة في غابة مفترسة زلزلتها الأعاصير ، بل وما رأيك في نوادي  
العرأة وشواطئهم رجالا ونساء معا . وما رأيك أيضا في عصابات المائل التي باتت  
تهدد الدول ويخضع لسلطوتها بعض الساسة : ألم تسمع صحبحات ( برتراند راسل )  
المعاصر وهو يصرح في وجه الحضارة الغربية وساخطا على عصر [الخرافة] الذي  
نعيش فيه على حد تعبيره . . . وما رأيك فيما أصبح اليوم في أوروبا داخل معظم  
البيوتات على أنه الحرية والتقدم وهو أن نرى رب البيت داخل البيت مع بعض  
أصدقائه أو صديقاته يقضيا وقتها فيما يريد كل منهما ، بينما الزوجة تقوم في موقع آخر  
من البيت مع أصدقائها لتقضي معهم بعض ما تريد وهذا هو أدب الحياة العامة  
وبعض سلوك الفرد هناك ، أما الساسة والسياسة فحدث عنها ولا حرج ، فأى شيء  
يريد الداعي لخضوع الاسلام للتطور بتقاربه مع القيم الغربية الاجتماعية  
والاقتصادية والأخلاقية ؟ نعتقد أن الأمية الفكرية التي عليها الرجل فيما يتعلق  
بشريعة الاسلام وقواعده في الاجتماع والاقتصاد والأخلاق هي التي دفعته للدعوة الى  
العرى والتجرد من مقومات الوجود الانساني في عقيدة الاسلام .

وعلى هذا الدرب يسير الكثيرون ، فهذا لويس عوض يقول في أهرام  
١٩٧٢/١١/٣ م (إننا حين نكثر من الكلام عن صلاح الدين ، فالعالم يسخر  
مننا ، بعد أن كان يرثي لنا والتنديد بدعاة الاكتفاء بذكريات حطين ومرج دابق وعين

جالوت ، هو تقليد شاع شعرا ونثرا في الآونة الأخيرة ، أي أن الرجل يريد منا ليحترمنا العالم أن نتنكر لبطولاتنا وأيامنا المجيدة وذكريات الشرف ، ونجتز سيرة سيده : كارل ماركس ؟ .

وعلى نفس الدرب أيضا يقول ( السيد يس ) في تعليقه على كتاب ( بوبرت نكر ) أستاذ علم السياسة في جامعة ( برنستن ) ( الفكرة الماركسية ) يقول الكاتب المحسوب على أمة العرب والاسلام : إذا كان محك أية نظرية هو التطبيق فقد أثبتت الماركسية بصورة أكثر وضوحا وجلاء من أية نظرية اجتماعية أخرى في التاريخ انها بحق فلسفة القرن العشرين ، هذا وقد تناول الأستاذ : محمود محمد شاكر في كتابه ( أباطيل وأسما ) أمثال لويس عوض ، وسيد ياسين بدراسة نقدية جادة كشف فيها اللثام عن البواعث والدوافع وراء مذاهب هؤلاء الكتاب أبناء الحضارة الغربية بزيفها وباطلها ، يقول الأستاذ سعد جمعة في تعليقه على قول السيد ياسين عن الماركسية إنها بحق فلسفة القرن العشرين ( لودرس هذا الكاتب وتعمق جوهر الدين الاسلامي لعرف أن الثورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، قد انتهت بمحمد ﷺ يقول الله تعالى : ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ) وأن النظرية الاسلامية هي أيديولوجية كل القرون وكل الأجيال لا القرن العشرين وحده .

هذا ويكتب الصحفي ( ابراهيم عامر ) في مقال بعنوان ( دور الجيش في أحداث تركيا ) بعدد المصور ١٩ / ٣ / ١٩٧١ م يقول في ظل تعنت الأحزاب التركية وعجزها استشعرت الاتجاهات المحافظة والرجعية وخاصة الاتجاهات التي تتاجر بالدين الاسلامي في السياسة والتي تقيم مائة مسجد مقابل إقامة مدرسة واحدة ؟ هكذا يقول بغير حياء :

وقد جهل الكاتب أو تجاهل أن الدين الاسلامي الذي لا يعرف عنه شيئا لا يكون أبدا تجارة ، وأن ادخال الدين في السياسة هو من صميم جوهر الاسلام . . . وأن المسجد في الاسلام هو المدرسة التي تخرج الأبطال والمجاهدين الذين لا ينامون على ثأر يتصل بدينهم وأن الاسلام فضل العلم على العبادة التي

تحول دون أن يتسلح المسلم به ما دام نافعا للدين والدنيا .

وللنظر الى ما يقوله كاتب متمركس هو ( كلوفيس مقصود ) في عدد النهار ٨ / ٨ / ١٩٧٢ م تعيبا على قرار إحدى الدول الاسلامية بطرد القوة العسكرية السوفيتية المتواجدة على أرضها تحت اسم ( الخبراء ) أنه يقول بغير دين وبغير حياء ( اليمين العربي يتجسد فيه التخلف والارتباط بالمخططات الامبريالية ، واليسار العربي تجسده قوى تقدمية تؤمن بالتغيير الشامل فالمناداة بالوسطية خدمة لليمين الرجعي ، والاعتراضات والخلافات التفصيلية لا يجوز أن تبعدنا عن العلاقات المصرية بيننا وبين السوفيت وذلك يحتم علينا الدعوة الى المزيد من التواجد السوفيتي وليس النقضان منه ) . . الى آخر ما قال : هكذا بغير دين وبغير عقل تعزز القوى الفكرية التي أعدتها المحافل السرية وتنظيماً الخلايا الاحادية عقيدتها وعقدتها الحاقدة على الاسلام والمسلمين ويجب علينا أن نسأل الكاتب هنا . . ماذا يعني باليمين الرجعي إذا كان يعني : الاسلام ، ونظنه يعني الاسلام فسيرته في كل أنشطته الصحفية وغيرها معروفة ، فهو كاذب لأن الاسلام عدو التخلف وعدو الجهل ، ونصير العلم والعلماء والاسلام يحارب في أبنائه الارتباط بالمخططات المعادية لدينهم وأخلاقهم وتراثهم وأمتهم لأن الدين مروءة والمروءة شرف وذو الشرف في سبيل أن يسلم شرفه من الأذى لا يبالي بالحياة . . أما الرجعي الحقيقي المتخلف عن فهم الكون وحقائق الايمان فهو الذي ينكر الايمان بالله وبدون ايمان بالله يصبح الانسان شر الدواب على الاطلاق ، ومن كان بلا دين فهو بلا مروءة بلا شرف ولذا من السهل عليه أن يدعو الناس بغير حياء الى مزيد من السيطرة والاستعمار الروسي لبلاد المسلمين .

هذا وقائمة العناصر التي جهزها الاستعمار بمنطلقه الماركسي والصليبي ضد بلاد المسلمين تحتوي على الكثير من أصحاب الأقلام وحملة الألقاب وأصحاب المواقع القيادية في بعض الأحوال ، وما يتأكد معه أن ضرورة مجابهة هذه التيارات في أشكالها المتعددة ومواقعها المتناوبة يقتضي يقظة اسلامية وخطة عمل حبذا لو نظرت الجامعات الاسلامية اليها نظرة مسئولة ، وأن تكون دراسة ( المذاهب المعاصرة )

جزءاً من هذه الخطة لإعداد أجيال مؤمنة وواعية وهي على بصيرة من المخاطر المحدقة بالاسلام وأهله .

## الدعوة للتغريب

من أهم ما حاوله الاستعمار الغربي ضد بلاد المسلمين ، ونجح فيه منذ أواخر القرن التاسع عشر ، القضية التي كان يحركها في معظم الديار العربية بالذات ، وأعني بها القضية التي أطلق عليها البعض اسم ( حقوق المرأة ) وبدأت عند الذين استجابوا لعمليات التغريب التي خطط لها ضد المسلمين باسم ( حقوق المرأة ) .

وكانت البداية العملية ، أنه عندما أرسل محمد علي باشا بعثة لتتعلم الهندسة والطب والعلوم الحديثة في أوروبا، كان رفاة الطهطاوي ، المشرف على البعثة قد بهره حال المجتمع الأوروبي وخاصة اختلاط الرجال والنساء ، فبدأت عمليات التبشير بهذه القضية والدعوى لها من خلال كتابه ( المرشد الأمين للبنات والبنين ) . . واستمر على خط اعجابه بالغرب حتى دعا صراحة وهو الشيخ الأديب الى الاختلاط بين الرجال والنساء في الكتاب الذي سماه ( تلخيص الأبريز في تاريخ باريز ) وفي هذين الكتابين ظهر على لسان الكاتب وفكره وهو يعرض لقضية كقضية تعدد الزوجات بعض النفور . . ولكن الشيخ محمد عبده حين أثار هذه القضايا في بعض مقالاته خفف من تأثير ما كتب الطهطاوي بعض الشيء ، فلم تلق دعوة الطهطاوي في الأوساط العربية كل الترحيب ، وخاصة ان دعوة الطهطاوي حول المرأة ، والاختلاط والتعدد لم تكن صريحة وبشكل سافر .

غير أن موضوع المرأة أثير من جديد وفي عنف إعلامي لفت الأنظار وشد الانتباه حين أصدر قاسم أمين ، في مصر كتابا اسمه ( تحرير المرأة ) ثم أصدر الكتاب الثاني ( المرأة الجديدة ) وكان ذلك في عام ١٩٠٠ م ، وفي هذا الكتاب بالذات ( المرأة الجديدة ) دعا قاسم أمين الناس الى أن يتخلصوا من عاداتهم وأن عادات الغربيين هي من أحسن العادات وأن ما سواها لا يستحق الالتفات .

ثم بعد أن قارن بأسوأ ما في الواقع الاجتماعي وسلبيات الحضارة الاسلامية في

عصور خلت وبين الحضارة الغربية التي بهرته ، قال : « متى تقرر أن المدنية الاسلامية ، هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه ، لا بما كانت في الحقيقة عليه ، وثبت أنها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ، فسيان بعد ذلك أن كان احتجاب المرأة كان من أصولها أولم يكن ، وسواء صح أن النساء في أزمان مختلفة في خلافة بغداد والأندلس كن يحضرن مجالس الرجال أولم يصح ، فقد صح أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا .

هذا الذي قاله قاسم أمين مما يخالف تعاليم الاسلام ويؤذي الرأي العام المسلم ، فضلاً عن أنه كفر يمتلىء بالأكاذيب والمغالطات لولم يكن قبل في ظل المناخ الذي صنعه الغرب الاستعماري في كل من مصر وتركيا على وجه الخصوص لما أتيح له أن يقوله .

هذا وقد شملت الدعوة لتحرير المرأة أربع مسائل ، جرت في ركاب الدعوة لتحرير المرأة وهي : الحجاب ، واشتغال المرأة بالسياسة العامة ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وقد ذهب قاسم أمين في كل مسألة من هذه المسائل الى ما يطابق الفكر الغربي ، مدعياً أن ذلك هو مذهب الاسلام ، ومن عجب أن حجج الذين يهرفون بمثل ذلك القول . لا تزال حججهم هي التي قدمها قاسم أمين ولا يجدون غيرها .

مثلا في موضوع الحجاب زعم أن الاسلام أباح للمسلمة أن تظهر بعض أعضائها متوسعا بغير فهم في تفسير قوله تعالى : ( . . . الا ما ظهر منها ) متجاهلا في نفس الوقت قوله تعالى : ( . . . يدنين عليهن من جلابيبهن )<sup>(١)</sup> .

وفي اشتغال المرأة بالسياسة أو بالشئون العامة ، جمع كل ما في التاريخ من حالات

---

(١) يمكن الرجوع إلى « رسالة الحجاب » للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين مكتبة المعارف - الرياض .

خاصة ، مع تحويرها وتحريفها ليصور أن عددا من النساء شاركن في مصالح المسلمين العامة في صدر الاسلام .

وفي تعدد الزوجات اعتمد على صدر الآية في قوله تعالى ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ) وركب منه ومن قوله تعالى ( فإن خفتن أن لا تعدلوا فواحدة ) مقدمتين يصل منهما الى تحريم التعدد ، متجاهلا عجز الآية الأولى الذي يبين أن المقصود بالعدل هو العدل القلبي وهو غير مستطاع ، ومتجاوزا عن صدر الآية الثانية وهو قوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) .

وفي الطلاق يعتمد على قوله تعالى : ( فإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، ان يريدوا إصلاحا ، يوفق الله بينهما ) والعجيب أنه يستند في هذه الآية في تقديم مشروع قانون لا يتم الطلاق بموجبه الا بحكم قضائي متجاهلا كل ما سبقه من آيات .

والكتاب يعد نموذجا للمحاولات المحمومة التي تبذل تحت الدعوى القائلة بتطوير الاسلام وحمله على الحضارة الغربية بتفسيره على الوجه الذي يلائمها .

هذا وفي الوقت الذي بدأت فيه تبشير هذه القضية في مصر تجد أذنا صاغية ، وينتقل تأثيرها الى تركيا وبلاد الشرق العربي ، قامت الحرب العالمية الأولى ، التي كانت مناخا عاونا على أن تخلع المرأة النقاب ، واستبدلت المعطف بالثوب الساتر الفضفاض ، الذي كانت تلتف به ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة ثم أخذ المقص على أيدي مصممي الأزياء الغربيين يتناول مع الزمن هذه الثياب من الذبول والأكمام والجيوب . . وهو لما يزل يضيق الخناق على المرأة حتى أصبح الثوب كبعض جلدها .

ثم قطعت المرأة مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي واقتحمت الجامعة ولم يقف في وجه اندفاعها أحد فالتشجيع من الخارج قائم وموجة والتخطيط من الارساليات والجمعيات والمنظمات المعنية على قدم وساق ، فبعد كلية الآداب ، تسربت الى الحقوق ثم الكليات الأخرى ، وأخيرا كلية الزراعة . . . وامتلات المتاجر

والمصانع بالعاملات والبائعات . . . وكانت تلك البداية في ظروف الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م وتطورت وازدهرت واتسعت حركتها وظهرت السلبيات والانحرافات بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٤ م . . . وقد شغلت الصحافة والمجلات السيارة بمثل هذه الموضوعات ، ودار حولها جدل كثير ، صور فيه المحافظون على دينهم والملتزمين بأخلاق الاسلام في صون المرأة وستر عورتها وحجبها عن الانخراط في ضياع الحياة العامة بصورة : الرجعي المتزمت الضيق الأفق الذي يريد أن يحرم الحياة من مباهجها ليردها الى كآبة الصحراء وجفاء البداوة ، واستعانوا على هذا التصوير بالمرحيات الهزلية والصور السخرية ، والفكاهات المستظرفة ، وتتبع الشباب هذه المعارك وهو بحكم استعداده الغريزي مشوق للتطلع لمثل هذه المقابلة والتي قد تفصح عما يعاون على الاستجابة لميوله وغرائزه وخاصة اذا كان في جو أخلاقي وفي بيئة لا تزدهر فيها تعاليم الاسلام .

وكان من أثر كل هذا أنه عند اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ م قال : أحد زعماء حركة الأحرار التركية وهو « أحمد رضا بك » ما دام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علنا مع المرأة التركية على الجسر وهي سافرة الوجه ، فلا أعتبر في تركيا دستورا ولا حرية فكانت مثل هذه المواقف وهذه الأقوال هي المرحلة الأولى من الحركة في شكلها التنفيذي .

هذا وقد قال أحد كتاب جمال باشا في سورية وهو : ( رفقي بك ) في ذلك الحين انه ما دامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن تشاء ، ولو كان من غير المسلمين ، بل ما دامت لا تعقد مقابلة مع رجل تعيش وإياه كما تريد ، مسلما كان أو غير مسلم ، فانه لا يعد تركيا قد بلغت رقيا .

وهكذا أثمرت الدعوة الى الحرية بمفهومها الغربي الصليبي كل عوامل الهدم التي تفاعلت في مجتمع المسلمين وأدت الى ما أدت اليه من الجهر بما أسموه تحرير النظم والقوانين ، من سيطرة الدين ، وفصل الدين عن الدولة ، وتحرير المرأة من قيود الدين وهكذا . . ؟ حتى رأت الديار الاسلامية رجلا ماسونيا أعلن عن

ماسونيته في كتاب أسماه ( تاريخ الماسونية العام ) وطبع عام ١٨٨٩ م بمطابع المحروسة بمصر ، وهو يزيد الحريق اشتعالا بما يلقيه من وقود ومفجرات حين يكتب في مجلة الهلال عام ١٩٢٤ م ، وهي المجلة التي أنشأها جورج زيدان صاحب كتاب ( تاريخ الماسونية العام ) يكتب عن « حرية الفكر » فيقول أن الناس واهمون ، حين يتخيلون أنهم أحرار في تفكيرهم ، فهم يخضعون عن وعي أحيانا وعن غير وعي في كثير من الأحيان لقيود ثلاثة هي : قيود الوراثة ، وقيود البيئة ، بكل ما فيها من عقائد وعادات ونظم وقوانين ، وقيوس النفس بما فيها من ميل وعواطف ومالها من مصالح . . . وينتهي الكاتب في هذا المقال - حرية الفكر - الى رأي أشبه ما يكون برأي الماركسيين في انكارهم للوحي الإلهي وعجزهم عن فهم هذه الظاهرة التي أرادها الله سبحانه لعباده على يد بعض الرسل من بين خلقه ، وهو أننا لا نفكر لنصل الى رأي أو عقيدة ، ولكننا في الواقع - واقعه هو - نعتقد أولاً ثم نحاول بتفكيرنا أن نبرز هذه العقائد وهو كما سوني ضليع ونصراني محترف يدعو الناس الى ان يحرروا انفسهم ثم يعتقدوا وينتهي الى ذلك الخبل الفكري القاصر في التعبير عن الأهداف المبتغاة من أمثاله ضد الاسلام وأهله حين يقول مدعياً وكاذباً : « فكل الأنبياء والمصلحين كانوا أحرار الذهن معتقي الفكر كل الأنبياء كانوا من أعداء القديم البالي ، كل الأنبياء والمصلحين تحرروا على النظم السارية والآراء الشائعة ) وهذا هو بيت القصيد عند الكاتب الماسوني الذي تجرد من كل ولاء لإحقده وكرهه للاسلام وأهله ، فهو يريد أن ينتهي بالعالم وأمة الاسلام الى هذه الغاية المستهدفة : اذا كان الأنبياء كما زعم أحرار الذهن ، معتقي الفكر ، ثوار على النظم السارية والآراء الشائعة ، فلا بأس اذاً أن يجذو الناس الذين يدعوهم ويخاطبهم جورج زيدان الى أن يكونوا على غرار الأنبياء والمصلحين بالصورة الفاسدة التي رأهم بها الداعية الماسوني . . . وما دام الأنبياء - فيما زعم - قد بدأوا بالشك ، فعلى الناس أن يشكوا بالتالي في كل موروث ، حتى ولو كان ديناً . . . بمثل هذه المقدمات والنتائج الفاسدة كانت الأقلام والأفكار التي جهزت ودربت لتغريب عقل الأمة المسلمة وتغييبه تعمل على جهات عديدة ومن منطلقات مختلفة لكنها جميعاً في اتجاه هدف واحد : وهو العمل ضد الاسلام فهذه الدعوة للتغريب ممثلة في محاكاة الغرب في

تقدمه المادي ومنهجه في الحياة العامة ، وهذه دعوة للانتماء الوطني والقومي ، بل وأحيانا كانت هناك دعوات للتعصب القبلي بديلا عن الإخاء الإسلامي وهذه دعوة لتجريد المرأة من دينها وأديمتها ، لا تحريرها كما زعموا وادعوا ، وبيت القصيد من وراء كل ذلك أن يحين الوقت المناسب لترتفع كل الدعوات المطالبة بفصل الدين عن الدولة ، والعمل على أن يتصدى لقيادة جمهور الأمة المسلمة عناصر تنسب للإسلام ، لكن جعبتهم من زاده وهديه خالية فارغة . . وهذا هو ما ابتلي به المسلمون في معظم ديار الاسلام وخاصة في أعقاب ما سمي بعصر التنوير أو قل سلبات النهضة الغربية التي قادها مجموعة من أعدائهم ذريتهم أنشطة وبرامج الارساليات الغربية الصليبية التي تحمل حقدتها المسموم ضد الاسلام والمسلمين في قلب ديار المسلمين .

### الاسلام في مواجهة الغزو الاستعماري

يخطيء أولئك الباحثون الذين يعتقدون أن المسلمين في مواجهة عمليات الغزو الشامل الذي تعرضوا له سواء منه ما كان فكريا أو اجتماعيا قد استسلموا له خاضعين خاشعين . فالحقيقة غير ذلك تماما . ذلك أن الغزو الاستعماري الحديث للإسلام وأهله جوابه : كما يقول الاستاذ أنور الجندي في موسوعته الاسلامية ومن الجزء الخامس المخصص « للإسلام وحركة التاريخ » ، بطابع الحركة في الاسلام بكل مقوماته واستكملت ملامحها على النحو الذي استكملت المراحل المتصلة المتلاحمة ، حلقة وراء حلقة ، لا يفصل بينها شيء ، فكل منها يتم ما قبله ، ويهيء بما بعده ، فحيث يبدو عامل الضعف في وحدة من وحدات عالم الاسلام ، يبدو عامل اليقظة في وحدة أخرى . وحيث ينحرف مفهوم الاسلام ، يظهر المصلح المجدد الذي يكشف عن جوهر الاسلام فيصحح المفاهيم ، وحيث تسيطر فكرة جزئية محاولة أن تمثل الاسلام ، يشرق من جديد ضوء الاسلام في تكامله وشموله ووسطيته ، وحين يقوم الظلم أو الجور أو الانحراف أو التحلل في مجتمع يبرز الآمرون بالمعروف ، والناصحون للولاية والدعاة الى الحق ، وهكذا يعطي الاسلام بنقاء جوهره وقدرته

على الحركة والحياة ، قوة مجددة على الاستمرار ، والفاعلية والحيوية ، وإعادة تشكيل نفسه ، وصياغة مفاهيمه على النحو الذي يجري مع كل زمن ، وفي كل عصر لا يتخلف ولا ينحرف . وتتسم هذه المرحلة بسهات واضحة .

أولاً : قدرة الاسلام على مواجهة الغزو الاستعماري ، والكشف عن أصالة جوهره وإيجابيته بعد أن تعرف على أسباب تأخر مجتمعه وتخلفه ، وقد تبين أن التخلف لم ينتج عن الاسلام نفسه . فالاسلام بفاعليته ودينامكيته الحية قادر على إعطاء القدرة الدائمة على المقاومة والقوة والحياة ، إنما نتج التخلف عن انفصال المجتمع الاسلامي عنه ، بينما كانت قيم تراث الاسلام وحدها من أكبر مصادر النهضة التي ظهرت في الغرب ، حيث العدو الذي ظل يستعد للسيطرة والانقراض .

ثانياً : أبرز الاسلام في هذه المرحلة قادة فكر وقادة عمل ، واستطاعت حركات المقاومة أن تستمد وقودها من الكلمات المضيئة التي جهر بها قادة الفكر واستمدوها من القرآن والسنة أصلاً ، فقد كانت قدرة الاسلام الجوهرية تتمثل خلال الأزمات الكبرى في التماس عوامل النظر من المتابع الأصلية : القرآن والسنة النبوية ، ( حديثاً وسيرة ) وأن تعبر عن مراحل الفكر الاسلامي كله مستمدة من الأصول والجذور بوصفها أصدق إمدادا ، وأعمق أثرا ، وأقرب الى العزائم ، وأبعد عن الزلل أو الرخص .

ثالثاً : برزت في هذه المرحلة قوى مقاومة عسكرية قادرة ، لا تقل في إيمانها بالاسلام والدفاع عنه عن قوى السلاجقة والبربر والماليك . وقد تمثلت هذه القوى في الجزائريين بقيادة الأمير عبد القادر ، والقوقازيين بقيادة شامل ، والمصريين بقيادة عمر مكرم ، وأحمد عرابي ، والسودانيين بقيادة المهدي التعايشي والهنود في ثورة ١٨٥٧ وغيرها ، والعثمانيين والسواحليين والأزارقة في مواجهة البرتغال والإسبان والانجليز ، وكذلك السنوسيين بقيادة السيد أحمد الشريف ، وبين المغاربة جملة على

شاطئ البحر الأبيض المتوسط وبين الفرنجة ، كما قاوم الجاويون هولندا .

... وهكذا استمرت الحرب بين المسلمين وهم في مراحل الضعف وبين الغرب وهو في أول مراحل القوة ، واستمرت هذه الحروب طويلاً حتى يمكن أن يقال أنها لم تتوقف ، وفي الجزائر استمرت سبعة عشر عاماً ، وتوالت ، وفي كل هذه المعارك لم يكن النصر فيها للاستعمار - رغم عدم التكافؤ العسكري والحربي - نصر ميدان . بل كان نصر غدر وتآمر . وقد كتب المسلمون في هذه المرحلة صفحة مشرقة لا تقل كفاءة عن صفحات مرحلة الغزو الخارجي التي سبقت عصر الوحدة الإسلامية العثمانية وبالقطع كان هذا الغزو الجديد امتداداً لها .

وبسيطرة الاستعمار الحديث على عالم الإسلام تمزق الكيان الموحد - حيث سيطرت حكومات جديدة أقامها الاستعمار وبدأت بينها وبين القوى الوطنية معارك مقاومة وبذلك دخلت وحدات عالم الإسلام في مرحلة جديدة هي مرحلة ( المقاومة بالكلمة ) وهو الدور الذي ازداد اتساعاً بعد الحرب العالمية الأولى . وقد تنوعت وسائل الاستعمار الذي أخذ صورة احتلال مسلح ، وسيطرة كاملة على المقدرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع تنفيذ برنامج كامل في مجال التربية والتعليم والثقافة والصحافة تهدف إلى قتل مصادر القوة في المجتمع والأسرة ، وتمزيق القوى المعنوية ، وبث روح من الالحاد والإيحاء والتشكيك والانحلال في القوى الشابة ، حيث سيطرت هذه القوى المحتلة بمختلف وسائل القضاء على القوى الاقتصادية والمعنوية واستغلت الامتيازات الأجنبية لانتزاع الأراضي وتحقيق أكبر قدر من الضغط والافساد ، وإتاحة الفرصة للرساليات الأجنبية وبعثات التبشير . ومحاربة الأخوة الإسلامية ، وأثارة الخلافات بين المذاهب وابتعثت الدعوات العنصرية القديمة كالفرعونية والأشورية والبابلية والفينيقية والبربرية ، وغيرها وفرض قوى ضخمة للسيطرة على مجاري الفكر بحيث يتحقق الجهر بهذه الدعوات مع إثارة الشبهات حول الإسلام ورسوله وقيمه وتاريخه ، وحول القرآن واللغة العربية والتراث مع ارتفاع هذه الأصوات وجهارتها عن طريق الصحف والمجلات الضخمة المسنودة بمالهم

ونفوذهم ، بينما لا تستطيع أن ترقى كلمات المقاومة ، والرد على هذه الشبهات الى نفس المستوى في التعبير أو الذبوع ومن هنا مهد الاستعمار في هذه المرحلة الى مرحلة أكثر عنفا وشراسة في تدمير القيم الأساسية للاسلام بوصفه العامل الضخم الذي أعطى المسلمين القوة على مقاومة الغزو الأجنبي والنفوذ الأجنبي ، واستطاعت قوى المبشرين والمستشرقين أن تعد حملة ضخمة بدأت سنة ١٨٣٠ ( وهو نفس العام الذي احتلت فيه الجزائر ) بإذاعة الشبهات التي أثارها خصوم الاسلام في عصوره المختلفة بعد إعادة صياغتها من جديد ، كوسيلة للتشكيك في قدرة الاسلام على الحياة ، واستغلت هذه القوى ما وجه الى المسيحية من اتهامات في أوائل عصر النهضة للهجوم به على الاسلام على بعد الفرق بين مواجهة الاسلام للحضارة وموقفه من العلم وموقف غيره من الأديان .

وفي الهند حيث كان المسلمون يحكمون الهند قبل الاحتلال البريطاني أبعدت بريطانيا المسلمين عن مجال الثقافة ومراكز القيادة السياسية ، وقدمت غيرهم وحجبتهم جيلا كاملا عن التعليم ، حتى هب قادتهم لمقاومة هذا الاتجاه بانشاء المعاهد والجامعات وفي الجزائر حاولت فرنسا أن تقضي على اللغة العربية قضاء نهائيا وأن تعتبر الجزائر جزءا من فرنسا ، وفي مصر عمد الإنجليز الى نشر اللغة الانجليزية ، وإضعاف اللغة العربية ، كما كانت الخطة الرئيسية للاستعمار الفرنسي والانجليزي الذي سيطر على القارة الافريقية كلها في هذه الفترة هي حجب اللغة العربية وتجميدها وإيقافها عن النمو والانتشار ونشر لغته ، واعتبارها أساس الثقافة والتعليم ، وكما فرضت بريطانيا في الأجزاء الاسلامية بالهند اللغة الانجليزية ، ثم شجعت اللغة القومية ( الأوردو ) للقضاء على اللغة العربية . كذلك فعلت هولندا في أندونيسيا حيث فرضت الحروف اللاتينية على اللغة الأندونيسية بعد ان كانت حروفها عربية .

ومع كل هذه الجهود الاستعمارية الغازية فان روح الجهاد في المسلمين لم تضعف ولم تستسلم القوى التي تجاهد بما لديها من قلة العتاد وندرة المال .

وأمام صمودها البطل الشجاع كان الاستعمار يحرك أدواته وأجهزته في اتجاه آخر  
عله ينفذ به الى قلوب المسلمين . وأعني بذلك جهود الاستعمار في مجالي التبشير  
والتنصير .



## الباب الثالث

- المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام .
- نشأة الاستشراق .
- من مظاهر نشاط المستشرقين .
- مؤتمرات صليبية ضد الاسلام .
- رواد النشاط الاستشراقي الحديث .
- بعض الكتب الخطيرة والمشوهة .
- الجامعة الامريكية في بيروت والقاهرة .
- البداية المتقدمة للعداء .
- من ميادين الحرب ضد الاسلام .
- المبشرون ليسو كفاءات علمية .
- الكتب المدرسية والطعن على الاسلام .
- التبشير يتعاون مع الصهيونية .
- نماذج من الحرب المضادة على المدى الطويل .
- زيف المطاردات العلمية لنبي الاسلام .
- صور من المطاردات العصرية ضدنبي الاسلام .



## المُبَسِّرُونَ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ فِي مَوْقِفِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ

تمهيد :

يجب أن يستقر في ذهن المسلمين أن رجال التبشير والاستشراق لا يتجاوز عملهم في المجال الإسلامي عمل عملاء الاستعمار في الشرق الإسلامي وهم مجهزون بعد تدريب طويل لانكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي أمة الإسلام . . . وهم الذين وظفهم الاستعمار للتنديد والاستخفاف بمقومات أمة الإسلام بأسلوب الجدل والمناقشة في قاعات الدرس أو بوسائل الطباعة والنشر في الميدان الفكري ، وبوسائل العون والدعم والانشاءات في مجالات أخرى !!

والمتتبع لنشاط التبشير والاستشراق ، يجد أن الغالبية المطلقة من رجال الاستشراق تنطلق لغايات محددة أعدوا أنفسهم لها وهي : أن ينالوا من القرآن الكريم بإضعاف العلاقة التي يمكن ان تكون بينه وبين المسلمين وذلك بالتشكيك في مصدره تارة وبالزعم بأنه يتضمن تناقضاً تارات أخرى<sup>(١)</sup> كما إدعى ذلك : جولد تسيهر- ولوسيان كليموفتش<sup>(٢)</sup> ثم أن يحولوا بين قضية الإخاء الإسلامي وعقيدة الأمة الإسلامية أمة واحدة وبين تطبيق هذه الحقيقة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) محمد عبد الغني حسن (الإسلام بين الانصاف والجحود) صفحة ١٠١ .

## نشأة الاستشراق :

يرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوربية الى القرن الثالث عشر الميلادي . . وانتشر الاستشراق في أوربا بعد فترة الاصلاح الديني والسبب المباشر الذي دعا الأوربيين الى الاستشراق هو ما تركته الحرب الصليبية من آثار مرمية عميقة . . . . . وحين جاءت حركة الاصلاح الديني شعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية . . . . . فاتجهوا الى الدراسات العبرانية . . . . . وهذه الدراسة فتحت الباب أمام الدراسة الاسلامية التي اهتمت بها الأقسام المتخصصة في الكنيسة البابوية ورعتها الجامعات الصليبية بعد ذلك في ظل الفراغ الذي كان من نتائج ركود الفكر الاسلامي والذي هيأ الفرصة للصليبية أن تعمل تحت الاستشراق<sup>(١)</sup>.

هذا ويستطيع الدارس أن يرى في القرنين الأخيرين النشاط الاستشراقي والتبشيري موجهاً ومحمولاً في مظاهر كثيرة .

## من مظاهر نشاط المستشرقين :

في عام ١٧٨٧ م . أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين الحقوها بأخرى عام ١٨٢٠ م . وتم إصدار المجلة الآسيوية التي عنيت بهذا الجانب الفكري الاعلامي .

وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣ م وقبل الملك أن يكون ولي أمرها . . . . . وأصدرت مجلة الجمعية الآسيوية الملكية التي تعنى بالدراسات الشرقية .

وفي عام ١٨٤٢ م . أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم ( الجمعية الشرقية الأمريكية ) . . . . . وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم . وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وايطاليا وروسيا . ومن المجالات التي

---

(١) محمد البهي (الفكر المادي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) - مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ص ٤٤٢ .

أصدرها المستشرقون الأمريكيون في مطلع هذا القرن مجلة جمعية الدراسات الشرقية . . . وكانت تصدر في جامبير بولاية أوهايو . . . ولها فروع في لندن وباريس وليبزج<sup>(١)</sup>.

ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر (مجلة شئون الشرق الأوسط) وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة (العالم المسلم) The Moslem world أنشأها صمويل زويمر S. Z wemer في سنة ١٩١١ م . وتصدر الآن من هارت فورد Hart Ford بأمريكا وكان رئيس تحريرها كنيث كراج K. Gragy وطابع هذه المجلة تبشيري سافر .

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة (العالم الاسلامي) في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها أيضاً : LE MONDE MUSULMAN .

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات ، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة وقد بدأوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء ، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبثوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم ، على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين<sup>(٢)</sup>.

واستطاع المستشرقون ان يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر ، والمجمع العلمي الغربي في دمشق والمجمع العلمي في بغداد ومؤسسات تعليمية كثيرة في معظم ديار المسلمين .

ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقده كان في سنة ١٧٨٣ م ، وما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم .

(١) التبشير والاستعمار د . مصطفى الخالدي ، عمر فروخ ط ٥ - بيروت ص ١٢١ .

(٢) : (اليهود في موكب التاريخ) للمؤلف صفحة ٤٢٣ - مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٩ .

وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي من الإغداق على المستشرقين وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق .

## مؤتمرات صليبية ضد الاسلام

في مسلسل الحرب الطويلة التي تقوم بها القوى المعادية للاسلام على نموء المتغيرات التي تحل بديار المسلمين تلك المؤتمرات التي يتم فيها التخطيط ورصد الأموال لحرب الاسلام والمسلمين ومن هذه المؤتمرات :

١ - مؤتمر عقد في القاهرة عام ١٩٠٦ م في منزل عرابي تحت شعار : (الدين لله والوطن للجميع ) وبلغ عدد إرسالياته ٦٢ عضواً مسيحياً وكان هدف المؤتمرين تحويل الأنظار عن أن المقاومة المصرية للإستعمار ليست إسلامية وإنما هي وطنية تقودها الوحدة الوطنية : أي : المسلمون والنصارى<sup>(١)</sup>.

ومن الآثار الفكرية لهذه المرحلة الانتاج الأدبي المعادي للإسلام فيما كتبه سلامة موسى في كتاب (اليوم والغد ) وما كتبه طه حسين في « مستقبل الثقافة في مصر » ولويس عوض في معظم كتاباته، إضافة الى كتابات « جورجى زيدان » ومدرسته الماسونية في ( دار الهلال ) .

٢ - مؤتمر أودنبرة الذي عقد في سنة ١٩١٠ م وقد ضم ١٢٠٠ ألف ومائتا عضواً مسيحياً كان من بينهم ٥٠٢ أو ٥٠٥ من الأمريكان . . والباقي من أوروبا الغربية والشرقية . . . وبلغت أهمية هذا المؤتمر المسيحي أنه كان من المقرر أن يرأس وفد أمريكا روزفلت : الذي أناب عنه شخصية بارزة لعدم تمكنه الحضور.

وفي هذا المؤتمر تمت دراسة مستقبل النشاط التبشيري ضد الإسلام في أوروبا على وجه

---

(١) أ. ل. شانليه « الغارة على العالم الاسلامي » ترجمة محب الدين الخطيب واليا في صفحة ١٩ .

الخصوص وفي بلاد المسلمين بصفة عامة .

٣ - مؤتمر لكنو بالهند الذي عقد في سبتمبر عام ١٩١١م . وقد إشتراك فيه ١٦٨ عضواً تحت إشراف وتوجيه الإرساليات الإنجليزية . . وقد مثل النشاط التبشيري في هذا المؤتمر ٥٤ جمعية تبشيرية بلغ عدد اعضائها الممثلين لها في هذا المؤتمر ١١٣ عضواً . . . بهدف العمل على عدم تمكن العناصر الإسلامية من العمل السياسي ولدراسة مستقبل التجمعات الإسلامية التي كانت نواة قيام دولة باكستان الإسلامية .

وكان رئيس هذا المؤتمر القس الدكتور صمويل زويمر الذي تعرفه الكنيسة بأنه (الرسول المختار الى العالم الاسلامي ) وكان إفتتاح المؤتمر دليلاً على خطته ومنهج عمله ، إذ قال زويمر : ( أن الاسلام تمخض عن حوادث خارقة لم يسبق لها نظير . . . وأن الأمور الإسلامية دخلت في قالب يلائم العصر . . . الأمر الذي ازداد معه التمسك بمبادئ الاسلام، حتى إنتشر بافريقيا والهند الغربية والجزر الجنوبية . . . وأن هذه الحوادث تحتم على الكنيسة ان تعمل بحزم ، وتنظر في أمر التبشير بكل عناية ) .

٤ - مؤتمر القدس الذي عقد في عام ١٩٢٢ م وضم عناصر يهودية ومسيحية اتفقت على إحتلال اليهود لفلسطين على ضوء وضع برامج وأساليب في مجال التعليم والاعلام وتحول دون دخول العنصر الاسلامي حلبة الصراع الذي لم يشتد ساعده بعد : وقد وضع هذا المؤتمر نصب عينيه أهداف المؤتمر الصهيوني الذي وضع في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م . وقرار (كامبل بينرمان) الانجليزي الذي استهدف من أجل المصالح البريطانية وضع كيان بشري غريب يعزل شعوب الأمة العربية عن بعضها في منطقة التقاء الجزأين الآسيوي والافريقي<sup>(١)</sup> .

٥ - مؤتمر المجمع المسكوني الذي عقد في ٧ نوفمبر عام ١٩٦٤ م . في روما وحضره

---

(١) الوثائق السياسية الرئيسية في قضية فلسطين ج- ٢ ص ٢٨٠ مطبوعات جامعة الدول العربية .

٢٤٢٧ شخصية دينية مسيحية من كبار المشتغلين باللاهوت والسياسة برئاسة البابا بولس السادس : وفي هذا المؤتمر تم التنسيق بين القوى المسيحية واليهودية في حرب الاسلام . . . وحتى تنشط الأقليات المسيحية في الديار الإسلامية . . . عرض الكاردينال ( بيا ) مشروع قرار ينص على تبرئة اليهود من دم المسيح<sup>(١)</sup> كما تم في هذا الاجتماع رصد مبلغ ٥٠٠ خمسمائة مليون دولار تحت تصرف بابا روما للعمل ضد الإسلام في إفريقيا وآسيا على وجه الخصوص وبالفعل فان البابوية في روما تصرف على عدة إتجاهات فكرية في العالم تستهدف بها بلاد الاسلام . . . ومن هذه المجالات التي تبشر بفكر معاد للإسلام : مجلة الشرق الإسلامي التي تصدر في ألمانيا . . . ومجلة العالم الإسلامي التي تصدر في بريطانيا ومجلة إرساليات التبشير التي تصدر في سويسرا .

٦ - مؤتمر التربية الإلحادية الذي عقد في ٥ فبراير عام ١٩٦٤ م . في موسكو وجدول أعمال المؤتمر يدل على مدى القلق الذي ينتاب القيادات الشيوعية من المد الإسلامي الذي ظهر في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين . فقد كان من أهم جدول أعمال المؤتمر : بحث مستقبل الشيوعية أمام الأيديولوجية في الإسلام . . . كذلك تم بحث موضوع التجديد في وسائل الدعوة الإسلامية وتجنيد العناصر الماركسية في بلاد الإسلام من بين الشخصيات البارزة التي تعرف في الساحة الإسلامية .

كما بحث المؤتمر فكرة إنشاء معاهد عليا لدراسة بعض الأفكار الإسلامية برؤية ماركسية حتى يمكن بها خداع الدارسين في هذه المعاهد ليعودوا الى بلادهم بهدف الدعوة للعلاقة المزعومة بين الشيوعية والاسلام<sup>(٢)</sup>.

---

(١) : (اليهودية العالمية وحرها المستمر على المسيحية ) ايليا ابو الروس . دار الاتحاد بيروت عام ١٩٦٤ ص ٨٠ .

(٢) : (الماسونية والصهيونية والشيوعية : غاية وهدفا ) للمؤلف دار الفكر القاهرة ص ٢١٠ .

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار الى مجال التربية ، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا ( مستغربين ) في حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تحف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية .

### رواد النشاط الاستشراقي الحديث

ليس نشاط المستشرقين موجهاً فقط الى المسلمين ، انهم يفتحون عيونهم لكل حركة قد تعوق سيرهم أو تفسد خططهم ، فان حاول احدهم أن يبدو محايداً أو يتخفف من أثقال التعصب تجذب بقية المستشرقين يهبون في وجهه يطالبون بأن يكون « موضوعياً » وأن يستخدم الطريقة العلمية ويلجأ الى النقد ذي المستوى العالي وهكذا . ومثال ذلك ما كتبه ( الفرد جيوم ) تعليقاً على كتاب « محمد في مكة » من تأليف مونتجمري وات هاجم ( جيوم ) وات ، لأن وات خرج عن الخط التقليدي للمستشرقين في بعض الاتجاهات ( انظر ص ١٣٨ من مجلة « الاسلام » الصادر في ١٥ ابريل سنة ١٩٥٨ م ) .

ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون من تحريف التاريخ الاسلامي ، وتشويه لمبادئ الاسلام وثقافته ، واعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله وكذلك يكيدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي لعبه الاسلام في تاريخ الثقافة الانسانية . ان المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك في هذا الجانب والتفاوت - ان وجد بينهم - إنما هو في الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصباً ضد الاسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعاً أنهم اعداؤه<sup>(١)</sup> .

وإذا كان الاستشراق قد قام على أكتاف الرهبان والمبشرين في أول الأمر ثم اتصل من بعد ذلك بالمستعمرين - فانه ما زال حتى اليوم يعتمد على هؤلاء وأولئك ولو أن

---

(١) انظر المجلات والكتب التي ورد ذكرها في هذه النقطة ، وخاصة (العالم الاسلامي) «والاسلام» التي تصدر بالانجليزية في كراتشي ، باكستان في اعداد فبراير ومارس وابريل ومايول سنة ١٩٥٨ م . وموجز «دائرة المعارف الاسلامية» .

أكثرهم يكرهون أن تتكشف حقيقتهم ويؤثرون ان يختفوا وراء مختلف العناوين والأسماء<sup>(١)</sup>.

أ. ج. أربري :

انجليزي معروف بالتعصب ضد الاسلام والمسلمين ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية » عمل استاذاً بجامعة كمبردج ومن المؤسف أنه استاذ لكثير من العرب الذين تخرجوا في الدراسات الاسلامية واللغوية في انجلترا ومن كتبه :

١ - « الاسلام اليوم » صدر عام ١٩٤٣ .

٢ - « مقدمة لتاريخ التصوف » صدر في عام ١٩٤٧ م .

٣ - « التصوف » صدر في عام ١٩٥٠ م .

٤ - « ترجمة القرآن » صدر في عام ١٩٥٠ م .

الفرد جيوم :

انجليزي معاصر اشتهر بالتعصب ضد الاسلام . حاضر في جامعات انجلترا وامريكا . وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية . ومن كتبه « الاسلام » ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية .

بارون كارادي فو :

فرنسي متعصب جداً ضد الاسلام والمسلمين . ساهم بنصيب بارز في تحرير « دائرة المعارف الاسلامية » .

هـ . ا . ر . جب :

أكبر مستشقي انجلترا المعاصرين . كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر وكان استاذاً للدراسات الاسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية . من كبار محرري

---

(١) (المبشرون والمستشرقون) دكتور محمد البهي - مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٢٢ .

وناشري «دائرة المعارف الاسلامية» . له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته .

ومن كتبه :

١ - « طريق الاسلام » ألفه بالاشتراك مع آخرين وترجم من الانجليزية الى العربية تحت العنوان المذكور .

٢ - « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » صدر في عام ١٩٤٧ م . وأعيد طبعه وترجم الى العربية تحت العنوان المذكور .

٣ - « المذهب المحمدي » صدر في عام ١٩٤٧ م . وأعيد طبعه بعد ذلك أكثر من مرة .

٤ - « الاسلام والمجتمع الغربي » صدر في أجزاء وقد اشترك معه آخرون في التأليف وله مقالات اخرى متفرقة .

جولد زهير :

مجري عرف بعذائه للاسلام وبخطورة كتاباته عنه ومن محجري «دائرة المعارف الاسلامية» كتب عن القرآن والحديث ومن كتبه « تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي » المترجم الى العربية تحت العنوان السابق<sup>(١)</sup> وقد رد الشيخ محمد الغزالي على هذا المستشرق في كتاب (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المبشرين والمستشرقين) .

جون ماينارد :

أمريكي متعصب كان يساهم في تحرير مجلة « جمعية الدراسات الشرقية » الأمريكية وخاصة باب الكتب الجديدة التي لها صلة بالاسلام وبالشرق على العموم : (انظر - مثلاً - ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢ ، من المجلد ٨ ، ابريل سنة ١٩٢٤ م من المجلة المذكورة .

---

(١) المستشرقون والاسلام - مهندس زكريا هاشم : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية صفحة ١٨١ .

س . م . م . زويمير :

مستشرق مبشر أشتهر بعوائه الشديد للاسلام ، مؤسس مجلة « العالم الاسلامي » الامريكية التبشيرية ، مؤلف كتاب « الاسلام تحت العقيدة » صدر في سنة ١٩٠٨ م ، وناشر كتاب « الاسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ م . بلكنو في الهند . وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الامريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت واعداد المبشرين .

عزيز عطية سوريال :

مصري مسيحي ، كان استاذاً بجامعة الاسكندرية والآن يدرس باحدى جامعات امريكا ، شديد الحقد على الاسلام والمسلمين وكثير التحريف للتعاليم الاسلامية ، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .

غ . فون جرونباوم :

من أصل الماني يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها وكان استاذاً بجامعة شيكاغو ، من ألد أعداء الاسلام . في جميع كتاباته تحبط واعتداء على القيم الاسلامية والمسلمين ، كثير الكتابة وله معجبون من المستشرقين . ومن كتبه .

١ - « اسلام العصور الوسطى » صدر في عام ١٩٤٦ م .

٢ - « الأعياد المحمدية » صدر في عام ١٩٥١ م .

٣ - « محاولات في شرح الاسلام المعاصر » صدر في عام ١٩٤٧ م .

٤ - « دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية » صدر في عام ١٩٥٤ م .

٥ - « الاسلام » مجموعة من المقالات المتفرقة ، صدر في عام ١٩٥٧ م .

٦ - « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية » صدر عام ١٩٥٥ م .

فيليب حتي :

لبناني مسيحي تأمر ك ، كان استاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون

بأمريكا ثم رئيسا لهذا القسم ، وهو الآن بالمعاش رهن الاشارة للعمل ، من ألد أعداء الاسلام ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا ، وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شئون الشرق الأوسط ، يحاول دائما أن ينتقص دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل فقد كتب - على سبيل المثال في « دائرة المعارف الأمريكية » طبع سنة ١٩٤٨ - تحت عنوان « الأدب العربي » ص ١٢٩ يقول : ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين ومحاولات ( حتي ) : إنتقاص فضل الاسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامي كما هو موضح في كتبه التي نذكر منها : (١) .

١ - « تاريخ العرب » ظهر بالانجليزية وأعيد طبعه عدة مرات وهو مليء بالطعن في الاسلام والسخرية من نبيه وكله حقد وسم وكراهية . انظر مثلا مجلة « الاسلام » الانجليزية التي تصدر في كراتشي - باكستان ص ١٣٨ من عدد ابريل سنة ١٩٥٨ م ، ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨ م .

٢ - « تاريخ سوريا » .

٣ - « أصل الدروز وديانتهم » صدر سنة ١٩٢٨ م .

أ . ج . فينسينك :

عدو لدود للاسلام ونبيه ، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطيب حسين الهواري مؤلف كتاب « المستشرقون والاسلام - صدر في سنة ١٩٣٦ م وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول مدعياً أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته . هذا والمعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان « عقيدة الاسلام » صدر في سنة ١٩٣٢ م

(١) نقلا عن الدكتور محمد البهي في « المبشرون والمستشرقون » .

كينيت كراج :

أمريكي شديد التعصب ضد الاسلام . قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت والآن رئيس تحرير مجلة « العالم الاسلامي » الأمريكية التبشيرية ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارفورد ومتعهد مبشرين ومن كتبه « دعوة المئذنة » صدر في عام ١٩٥٦ م .

لون ماسينيون :

أكبر مستشقي فرنسا في هذا العصر وكان مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا ، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر زار العالم الاسلامي أكثر من مرة وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى ، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق ، متخصص في الفلسفة والتصوف ، ومن كتبه :

« الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام » ، صدر في سنة ١٩٢٢ م وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف ، وهو من كبار محجري « دائرة المعارف الاسلامية » .

د . ب . ماكدونالد :

أمريكي من أشد المتعصبين ضد الاسلام والمسلمين ، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة . من كبار محجري « دائرة المعارف الاسلامية » ومن كتبه :

١ - « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الاسلام » صدر في سنة ١٩٠٢ م .

٢ - « الموقف الديني والحياة في الاسلام » صدر في سنة ١٩٠٨ م .

مايلز جرين :

سكرتير تحرير مجلة « الشرق الأوسط » .

مجيد قدوري :

مسيحي عراقي . رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة هوبكنز في واشنطن ، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن ، متعصب حقود على الإسلام وأبنائه ، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء :

« الحرب والسلام في الاسلام » صدر في سنة ١٩٥٥ م ، وله مقالات أخرى

د . س . مرجليوث :

انجليزي متعصب ضد الاسلام ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية » ، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق . ومن كتبه :

١ - « محمد ومطلع الاسلام » صدر في سنة ١٩٠٥ م .

٢ - « الجامعة الاسلامية » صدر في سنة ١٩١٢ م .

٣ - التطورات المبكرة في الاسلام » صدر في سنة ١٩١٣ م .

ر . أ . نيكلسون :

كان من أكبر مستشقي إنجلترا المعاصرين ومن محرري « دائرة المعارف » تخصص في التصوف الاسلامي والفلسفة وكان عضوا بالمجمع اللغوي المصري . وهو من المنكرين على الاسلام أنه دين روعي ويصفه بالمادية وعدم سمو الانساني . ومن كتبه :

١ - « متصوفوا الاسلام » ، صدر في سنة ١٩١٠ م .

٢ - « التاريخ الأدبي للعرب » صدر في سنة ١٩٣٠ م .

هارفلي هول :

رئيس تحرير « مجلة الشرق الأوسط » الأمريكية . وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشئون الشرق الأوسط السياسية والاقتصادية والثقافية في العصر الحديث .

هنري لامنس اليسوعي :

فرنسي من محرري « دائرة المعارف الإسلامية » شديد التعصب ضد الاسلام والحقده عليه ، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أفلقت بعض المستشرقين أنفسهم ( أنظر ص ١٥ - ١٦ من العدد ١ ، من المجلد ٩ - يناير سنة ١٩٢٥ من مجلة « جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية » ومن كتبه بالفرنسية :

١ - « الاسلام » .

٢ - « الطائف » .

يوسف شاخت :

ألماني متعصب ضد الاسلام والمسلمين له كتب كثيرة عن الفقه الاسلامي وأصوله من محرري « دائرة المعارف الإسلامية » ودائرة : معارف العلوم الاجتماعية . وأشهر كتبه : « أصول الفقه الاسلامي » .

### بعض الكتب الخطيرة المشوهة

الموضوعات :

١ - « دائرة المعارف الإسلامية » :

صدرت بعدة لغات حية ويعاد طبعها في الوقت الحاضر ، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل .

٢ - « موجز دائرة المعارف الإسلامية » :

٣ - « دائرة معارف الدين والأخلاق » :

( المقالات المتعلقة بموضوعات اسلامية ) .

٤ - « دائرة معارف العلوم الاجتماعية » :

( الموضوعات المتصلة بالاسلام والعرب ) .

٥ - « دراسة في التاريخ » .

( القسم المتصل بالاسلام ورسوله ) . من تأليف أرنولد توينبي .

## الكتب :

- ١ - « حياة محمد » من تأليف سير وليام موير :
- ٢ - « الاسلام » من تأليف الفرد جيوم :
- ٣ - « دين الشيعة » من تأليف د . م . دونالدسون :
- ٤ - « تاريخ شارل الكبير » من تأليف الأسقف تيرين :
- ٥ - « الاسلام » ظهر بالفرنسية من تأليف هنري لامنس :
- ٦ - « الاسلام تحد العقيدة » ظهر بالانجليزية من تأليف السير زويمر :
- ٧ - « دعوة المئذنة » ظهر بالانجليزية من تأليف كينيت كراج :
- ٨ - « الاسلام اليوم » بالانجليزية من تأليف أ . ج . أربري :
- ٩ - « ترجمة القرآن » الترجمة بالانجليزية من وضع أ - ج أربري :
- ١٠ - « تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي » ظهر بالألمانية وترجم الى العربية ، من تأليف جولد زيهير :
- ١١ - « تاريخ العرب » ظهر بالانجليزية والعربية وطبع عدة طبعات ، من تأليف فيليب حتي :
- ١٢ - « اليهودية في الاسلام » ظهر بالانجليزية من تأليف ابراهام كاش :
- ١٣ - « عقيدة الاسلام » ظهر بالانجليزية من تأليف ا . ج . فينسينك :
- ١٤ - « الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام » ظهر بالفرنسية من تأليف لوي ماسينون :
- ١٥ - « الحرب والسلام في الاسلام » ظهر بالانجليزية من تأليف مجيد قدوري :
- ١٦ - « تطور علم الكلام والفقہ والنظرية الدستورية في الاسلام » ، ظهر بالانجليزية من تأليف س . ب . ماكدونالد :
- ١٧ - « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » ظهر بالانجليزية وترجم الى العربية ، من تأليف ه . ا . ر . جب .
- ١٨ - « طريق الاسلام » ظهر بالانجليزية وترجم الى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترك في تأليفه ونشره ه . ا . ر . جب .

١٩ - « التصوف في الاسلام » ظهر بالانجليزية وترجم الى العربية من تأليف ر . أ . نيكلسون . :

٢٠ - « مصادر تاريخ القرآن » بالانجليزية من تأليف آرثر جيفري :

٢١ - « أصول الاسلام في بيئته المسيحية » بالانجليزية من تأليف ر . بل .

٢٢ - « مقدمة القرآن » بالانجليزية من تأليف ر . بل .

٢٣ - « التطورات المبكرة في الاسلام » بالانجليزية من تأليف د . س . مرجليوث :

٢٤ - « محمد ومطلع الاسلام » بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٥ - « الاسلام » بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٦ - « الجامعة الاسلامية » بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٧ - « قنطرة الى الاسلام » ظهر بالانجليزية من تأليف أريك بيتان .

٢٨ - « إسلام العصور الوسطى » ظهر بالانجليزية من تأليف ج . فون جرونباوم :

٢٩ - « الاسلام » مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالانجليزية للمؤلف السابق .

٣٠ - « الأعياد المحمدية » بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣١ - « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية » بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣٢ - « دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية » بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣٣ - « محاولات . . . في شرح الاسلام المعاصر » مجموعة مقالات ظهرت بالانجليزية لنفس المؤلف .

الدوريات :

١ - « مجلة العالم الإسلامي » :

مجلة تبشيرية تصدر بالانجليزية في هارت فورد بأمريكا وتوزع في جميع أنحاء العالم .

٢ - « مجلة عالم المسلمين » :

مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية في فرنسا وتوزع في جميع أنحاء العالم .

٣ - « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » :

أنشأها المستشرقون الأمريكيون في جامبير بولاية أوهايو ، وكان لها بعض فروع في أوروبا وكندا .

٤ - « مجلة شتون الشرق الأوسط » :

تصدر بالانجليزية في أمريكا ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين واهتمامها موجه في الدرجة الأولى الى الجوانب السياسية .

٥ - « مجلة الشرق الأوسط » :

مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر في بعض المقالات . . .

### الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة :

رغبة في تربية أجيال خالية الوفاض من زاد الثقافة الاسلامية ومجردة من الشعور بالانتماء للإسلام ومنزوعة عن الإيمان بالله وبرسله : وضع قسم الأدب العربي في كليات الجامعة الأمريكية في البلاد الإسلامية القرآن الكريم بين مناهج مواد النقد الأدبي ، وذلك بهدف دراسته دراسة نقدية بالمعايير الغربية الأمر الذي يؤدي بهذه الدراسة الى تقرير مفتريات ومزاعم كافرة في غيبة الرد الاسلامي على هذه المفتريات .

هذا وقد احتج طلبة لبنان المسلمين في الجامعة الأمريكية على مطالبتهم - بضرورة دخولهم الكنيسة ومشاركتهم لطقوس الصلوات المسيحية يوم الاحاد فكان الرد عليهم : أنهم يطالبون بدخول كنيسة لكلية يتعلمون فيها قد بنيت بأموال شعب مسيحي . . . ولا بد أن يعبروا لهذا الشعب عن ولائهم له .

هذا ومن بين مناهج دراسة الجامعة الأمريكية في قسم الأدب العربي كتب المستشرق المجري ( جولد تسيهر ) الذي يزعم فيها وخاصة في كتابه ( العقيدة والشريعة في الاسلام ) ان الاسلام لم يوضح المراد من عقيدة التوحيد . . وان القرآن كتاب يحمل المتناقضات وخاصة في قصة الخلق : التي يخبر عنها بأنها - : مرة

من طين . . ومرة من حماً مسنون ومرة من صلصال . . . وهكذا<sup>(١)</sup> .

ومن المخجل ان المستشرق المجري هذا ترجم كتبه الى اللغة العربية بغير رد كاف عليها .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن المناهج المستحدثة في حرب الغرب للاسلام بوسائل عصرية بروح الحرب الصليبية ضد الاسلام والمسلمين قديمة ففي عام ١١٢٢ م . قام الراهب بطرس الفنزالي رئيس دير كولونيا بدعوة من الكنيسة الى ترجمة القرآن . . الى اللاتينية وقد قام بهذه المهمة فعلا راهبان هما : ( روبرت وهرمان ) وذلك في عام ١١٤٢ م . وظلت هذه الترجمة سرا حتى طبعت في سويسرا في عام ١٥٤٣ م<sup>(٢)</sup> .

### البداية المتقدمة للعداء ضد الاسلام :

لقد ظلت الدولة الاسلامية بعد موت الرسول ﷺ تتابع سيرها حامية نفسها من الأعداء بالالتزام بأحكام كتابه وسنة نبيه ﷺ حتى جاء الطوفان من الشرق يدفعه التتار بجبروتهم ، في وقت كانت الخلافة العباسية فيه أضعف ما تكون عن مقاومته ، فسقطت بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وقتل كثير من الفقهاء وعظماء الدولة ، وأحرقت قبور الخلفاء ، وألقي بالكتب في دجلة<sup>(٣)</sup> .

ثم آوت الخلافة الى مصر حيث بايع أهلها سنة ٦٥٦ المستنصر بالله ، ولكنها كانت خلافة صورية لا تستطيع شيئا وقد شاء الله أن يرد هؤلاء المغيرين فيهمهم المماليك في عين جالوت بالشام ، في ١٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ .

---

(١) فند هذه المزاعم ودحضها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه ( دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ) .

(٢) ( تاريخ الحروب الصليبية ) ج ١ صفحة ٤٢٨ سعيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الانجلو المصرية عام ١٩٧٥ م .

(٣) حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام السياسي : ج ٢ صفحة ٢٧٤ .

وكانت قبل ذلك موجات أخرى قد وفدت من الغرب ، هذه الموجات التي عرفت باسم الحروب الصليبية ، وظلت تتدافع على الأراضي الإسلامية مدة قرنين من الزمان ( ١٠٩٩ - ١٢٥٤ م ) وكان من أبرز الأسماء التي كتبت في لوحة الشرف اسم صلاح الدين الأيوبي ، الذي هزمهم في حطين وخلص بيت المقدس منهم في ليلة الاسراء سنة ٥٨٣ هـ ( ١١٨٧ م ) .<sup>(١)</sup>

وما يزال الغرب يضم الحقد للإسلام ضد كل ما يمكن أن يكون له تأثيرا لما قام به صلاح الدين وبيبرس الى أن عبر عن الحقد الغربي الدفين الجنرال اللنبي « البريطاني » عندما دخل بيت المقدس أثناء الحرب العالمية الأولى ليقول : الآن قد انتهت الحروب الصليبية . وليقول معه الجنرال « جورو » الفرنسي : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » مع أن القائد بيبرس قد أذاق الصليبيين ما لم ينسوه أبدا وخاصة في الشام<sup>(٢)</sup> .

وما كانت الحروب الصليبية أبدا كما ادعى البابا ( أربانوس الثاني سنة ١٠٩٥ م ) لتخليص المسيحيين من الأذى الذي ألحقه بهم المسلمون فالإسلام معروف بسماحته التي لا جدال فيها ، ولقد تحدّث « هندريك فان فون » في كتابه « قصة الجنس البشري » عن سبب قيام الحروب الصليبية بعد بيان احترام المسلمين لعيسى وظهور الأتراك السلاجقة الذين حموا البلاد الإسلامية من غارات الدولة البيزنطية واستولوا على آسيا الصغرى ، فقال :

« ان الامبراطور « الكسيس » استنجد بالصليبيين لحماية القسطنطينية من خطر المسلمين ، وبدأ الصليبيون قتالهم وهم يضمرون أشد البغض للمسلمين ثم تغيرت قلوبهم تغيرا تاما بعد ذلك واحتقروا الروم في الدولة البيزنطية الذين كانوا يمدعونهم ويخونون دعوة الصليب في كثير من الأحيان ، وبدأوا يقدرون خصال

(١) بسام العسلي ( الايام الحاسمة في الحروب الصليبية طبعة أولى دار صفحة ٣٨ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور « الحركة الصليبية » ج ٢ صفحة ١٠٩٠ ط ٣ - الأنجلو المصرية .

اعدائهم المسلمين ، الذين أثبتوا أنهم ذوو مرؤة وخصوم أشراف . والحق أن الحروب الصليبية التي بدأت في صورة حملة لتأديب الأتراك السلاجقة أصبحت منهجاً ثقافياً عاماً يعلم الملايين من شباب أوروبا معنى الحضارة .<sup>(١)</sup>

وقد تعرض المسلمون لمحنة أخرى في الأندلس ، ذلك المعقل الذي ظل يؤدي رسالته نحو ثمانية قرون ، فقد أمر الكاردينال (اكسينس) اعدى اعداء العرب والاسلام سنة ١٥١١ م بإحراق الكتب العربية ، والمصاحف المحفوظة في ميادين غرناطة ثم تولى ديوان التحقيق الديني إبادة كل أثر للمسلمين بعد معارك استبسل فيها المسلمون مثل معركة الأرك في سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤ م ومعركة « الزلاقة » وغيرها لكن روح الجهاد ضعفت ، اذ لولا ذلك لزحف الاسلام على أوروبا، وسادت اللغة العربية فيها ، وكان الحكم للمسلمين عليها ، ولكان الناس قد نعموا بروح الحق والعدل التي تلائم مسار هذا الدين .

وعندما ظهرت قوة الاسلام مرة أخرى ، بعد طعنات التتار والصليبيين والاسبان بقيام الدولة العثمانية التي تقدمت حتى اسوار فيينا ، تحركت العداوة مرة ثانية في قلوب الأعداء وحيكت المؤامرات للقضاء عليها<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم هذه المؤامرات « طرابزون » التي أحبط كل مخططاتها «محمد الفاتح» ولما رأى البابا ان الحيلة لم تفلح في قتال الأتراك أراد ان يدخل محمد الفاتح في النصرانية فكتب له بذلك سنة ١٤٦٢ م ، ولما لم يفلح إستعان بجمهورية البندقية على قتال الأتراك ، واذاع نداء الى قواد الحروب في ٢٢ من اكتوبر سنة ١٤٦٣ م ، وباع في سبيل ذلك صكوك الغفران لأغراء المسيحيين على الحرب ، غير انه توفي قبل ان ينفذ خطته ، وذهبت جهوده أدراج الرياح .

وظلت الضغينة ماثلة قلوب الغرب المسيحي على هذه الدولة محاولين بكل

---

(١) انظر : (الدين العالمي ومنهج الدعوة اليه) للاستاذ / عطية صقر، صادر عن (مجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٧٠ م).

(٢) المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي « ذ . عماد الدين خليل ط ١ - مكتبة المعارف بالرياض ص ٨٦ .

وسيلة القضاء عليها ، وكان من مظاهر ذلك ، المسألة الشرقية ، التي تستهدف محوها وتوزيع ممتلكاتها .

وقد تحالفت علل الضعف والخلل على الخلافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فانهزمت جيوشها في ميادين عدة وكثرت ديونها حتى اعلنت إفلاسها سنة ١٨٧٤ م . وكانت الامتيازات الأجنبية ، وتدخّل الدول ثم تقسيم املاكها بين المستعمرين عوامل لها أثرها السيء على الحياة الاسلامية .

وكان لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ م ، أثره السيء في إقتصاديات البلاد العربية والاسلامية ، وكانت الكشوف الجغرافية ممهدة للإستعمار والاستغلال ، كما كانت ممهدة للتبشير بالمسيحية ولتكوين الشركات الاستغلالية التي جاء على أثرها الاستعمار .

وقد انتابت اوروبا في القرن التاسع عشر حمى الاستعمار ، ونكب العالم الاسلامي به وتوزع بين أعدائه الذين اجمعوا على إضعاف الدين في قلوب المسلمين واستغلال هذا الضعف لمصالحهم .

واستولى الروس على بلاد التركستان ذات الشهرة الاسلامية العظيمة وعلى القوقاز وشمال ايران ، وتنازلت لهم ايران عن جورجيا وأرمينيا سنة ١٨٢٨ م واستعمرت انجلترا الهند سياسياً عندما ألغت امتياز شركة الهند الانجليزية سنة ١٨٥٨ م<sup>(١)</sup> .

ودخلت أصابع الاستعمار العالم العربي ، وكان التدخّل بالديون التي فتح بابها محمد سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣ م) وبامتياز قناة السويس ، بالاحتلال سنة ١٨٨٢ م . وكانت الدولة العثمانية في ضعف دعا الى قيام حركات استقلالية في مصر وسوريا وغيرها .

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي «الطبعة الثالثة القاهرة ص ١٨٦ .

واحتلت فرنسا الجزائر ١٨٣٠ م وتونس سنة ١٨٨٢ م وأطلقت يدها في  
مراكش بمقتضى معاهدة بينها وبين الانجليز سنة ١٩٠٤ م، واعلنت حمايتها عليها  
سنة ١٩١٢ م.<sup>(١)</sup>

وكان نفوذ الانجليز في السودان الذي اخلاه المصريون ( ١٨٨٤ - ١٨٨٥ )  
وبعد إنتهاء أزمة فاشودة سنة ١٨٩٩ م واحتلت عدن وما جاورها سنة ١٩٠٩ م،  
وكذلك احتلت ايطاليا طرابلس سنة ١٩١١ م وتخلت عنها تركيا سنة ١٩١٢ م.

وبعد الحرب العالمية الأولى تقرر، في مؤتمر ( سان ريمو ) في مايو سنة  
١٩٢٠ م، الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين، والفرنسي على سوريا التي  
انقسمت الى سوريا ولبنان وتقرر إقامة إمارة في شرق الأردن خاضعة للإنتداب  
البريطاني .

كان من أسوأ آثار الاستعمار اضعاف شوكة الاسلام وابعاده عن مجال الحياة  
السياسية وحصره في دائرة ضيقة ، بعيداً عن المجتمع ، تطبيقاً لمبدأ (فصل الدين عن  
الدولة ) ولقد كانت شروط الصلح مع تركيا في مؤتمر (لوزان )، سنة ١٩٢٣ م  
المعروفة بشروط ( كيرزون ) الأربعة دليلاً على نوايا الاستعمار السيئة ضد الاسلام  
وهي ..

- قطع كل صلة بالاسلام .

- الغاء الخلافة الاسلامية .

- اخراج أنصار الخلافة والفكرة الاسلامية من البلاد .

- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الاسلام .

كما كان من آثار الاستعمار الوقوف أمام كل حركة إصلاحية على أساس  
الدين . ومن ذلك مقاومتهم لحركة «تبيوتيب» في الكونغو وحركة رايح بن الزبير في  
السودان وكذلك حركة عمرتال وأحمد ساموري وعثمان دنفديو فضلاً عن جهود

(١) المصدر السابق ص ١٩٢ .

الإستعمار في حصار الدعوات الاصلاحية والتصحيحية التي قام بها بعض دعاة الاسلام في قلب جزيرة العرب .

وكان من أثر الاستعمار ايضاً تفتتت الوحدة الاسلامية بجعل الفتن والمشاكل وقيام الأحزاب وإحياء القوميات المحلية للحيلولة دون قيام جامعة إسلامية عامة وليشغل المسلمون بعضهم ببعض .

ويقولون لورانس براون<sup>(١)</sup> : «الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام ، وفي قوته على التوسع والاختضاع ، وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار واذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية يمكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ويمكن ان يصبحوا نعمة له أيضاً أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير<sup>(٢)</sup> .

وكان من عوامل تفتتت وحدة المسلمين دعوتهم عن طريق المبشرين والمستشرقين الى التمكين للهجات المحلية كمظهر من مظاهر الاعتزاز بالقومية وعدم الالتزام بالعربية وقواعدها وقد عقد في دمشق سنة ١٩٥٦ م ، المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية تحت اشراف اليونسكو ، أقيمت فيه محاضرات كثيرة تمجد العامية وتدعو الى تبديل الخط العربي وقواعد النحو والصرف والبلاغة وهذه الدعوات الهدامة وأمثالها تقوم باسم التجديد والتطوير وهي دسيسة للعالم الاسلامي لتفكيك اوصاله<sup>(٣)</sup> .

يقول «امري ريفر» في كتابه (قضية السلام) : فالوحدة التي احتفظ بها القرآن قرونا بين الشعوب الاسلامية المختلفة الأصول قد ذهبت وصار الشعب الاسلامي قوميات شتى فدعاة الجامعة التركية يرمون إلى توحيد فروع معينة من الجنس التركي ودعاة الجامعة العربية يشيرون باتحاد الشعوب العربية ويقول المسلمون في الهند :

(١) انظر المصدر السابق الاشارة اليه على ضوء تصرف منا .

(٢) «الاسلام والارساليات» لورانس براون - بيروت .

(٣) «قضية السلام» المترجم «امري ريفر» ص ٨١ .

« إننا هنود أولاً ومسلمون بعد ذلك وقد نسى الجميع الصبغة العالمية التي كانت أساس الدين الاسلامي العظيم<sup>(١)</sup> .

جاء مع الاستعمار إطلاق يد التبشير في البلاد الاسلامية بوسائله المتعددة من مدارس ومعاهد وجامعات وملاجيء ومستشفيات وأفلام وصحافة واذاعة ودور نشر وندوات ومؤتمرات وما شابه ذلك<sup>(٢)</sup> . . فتمكنوا من تأجيل الصحوة الاسلامية المرتقبة إن شاء الله .

ومما يدل على خطر هذه المدارس على إستقلال الشعوب ما قرره اللجنة التي ألفها مؤتمر ( ونبرج ) التبشيري فقد جاء في القرار ما يلي : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة تركيا على أن معاهدة التعليم الثانوي التي أسسها الأوروبيون في البلاد الاسلامية كان لها تأثيراً على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به اوروبا كلها كما نقله مسيو ( لوشانيليه ) في كتابه ( الغارة على العالم الاسلامي ) ص ١٧٢<sup>(٣)</sup> .

ومما يدل على دور التبشير الاستعماري وخطورته على استقلال الشعوب قول بلفور صاحب الوعد المشؤم لليهود ضد المسلمين العرب : ان المبشرين هم ساعد الحكومات المستعمرة وعضدها في كثير من الأمور الهامة وكان بلفور نفسه رئيس شرف للجنة تبشيرية<sup>(٤)</sup> .

يقول ( كاهون سيمون ) القس ، مفصلاً عن رغبة التبشير القوية في تفريق المسلمين ، التي عبر عنها ( لورانس براون ) فيما تقدم : ان الوحدة الاسلامية تجمع

---

(١) « اليونسكو » دراسة علمية مستفيضة عن صلاحية اللغة العربية للعلم والسياسة والمحافل الدولية ، وفي البحث مقارنة بين بعض مقررات وجمل اللغة العربية ، والانجليزية والفرنسية تؤكد موضوعية اللفظ العربي ودقته في الدلالة . مطبوعات الجامعة العربية عام ١٣٩١ هـ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي - دكتور - محمد محمد حسين ج ٢ صفحات ٢١٦ - ٢٣٨ .

(٣) مجلة الأزهر مجلد : ٢٤ صفحة ٩٧٦ .

(٤) الصهيونية في التاريخ - صابر طعيمة - مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٦ م ص ١٠٥ .

آمال الشعوب السود ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيون في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها<sup>(١)</sup>.

ان المبشرين ينفسون عن الهزائم الصليبية التي منيت بها المسيحية كما يقول اليسوعيون : ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدن المسيحي ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح<sup>(٢)</sup>.

ومن أخطر المبشرين في القرن العشرين دكتور ( صمويل زويمر ) الذي توفي سنة ١٩٥٢ م . وكان لا يجادل المسلمين بالبرهان، بل يجيء لهم من الناحية العاطفية كبيان أن تأخرهم اساسه الاسلام وقد عقد مؤتمراً في القاهرة سنة ١٩٠٦ م . لتنسيق جهود المبشرين على اختلاف طوائفهم مع أنه بروتستانتى لكنه يحاول توحيد كل جهود المسيحية للغارة على الاسلام .

كما لجأ الاستعمار الى حيلة اخرى بجانب التبشير ، وهي العمل على إضعاف الشخصية الاسلامية او القضاء عليها واذابتها في شخصيات اخرى والحد من التعصب لها ومن الحفاظ على مقدساتها وفسح المجال للأديان الأخرى أن تشق طريقها الى أذهان المسلمين وتتكيف بها أعصابهم وأحاسيسهم وذلك عن طريق المؤتمرات والندوات واللجان والجمعيات والمراكز والمؤسسات التي ينشئونها بعنوانين خداعة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الاسلام والارساليات الاجنبية ص ٥٨ .

(٢) «الخطر المحيط بالاسلام» جنرال جواد رفعت اتيلفان . ترجمة وهبي عز الدين مطبعة الجاحظ بغداد عام ١٩٦٥ م ص ١٥ .

(٣) : النشرة السنوية لعامي ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، لنادي الروتاري المصري وجمعيات البناي برث . واللوبيونز وغيرها كثير في أرجاء العالم الاسلامي فيها بعض مقررات هذه المؤتمرات ، وهي تعطي دلالة على مدى خطورتها امام عمل اسلامي غير منظم وغير ملتزم بالحكمة ومزود بالبصيرة .

وقد كثرت في المجتمع الاسلامي الكتب المترجمة عن الفكر الأوروبي والأدب الأمريكي وفيها امور في غاية الخطورة على العقيدة والسلوك تعرض بوسائل مغرية جذابة ، هذا وقد غزت الأفلام الأجنبية حقل السينما العربية والاسلامية وفيها سموم كثيرة تحقق هذا الهدف .

والمجتمع الاسلامي وان كان في حاجة الى الخبرة العلمية إلا أنه ليس في حاجة الى استيراد عقيدته وقواعد سلوكه وأخلاقه التي تدل الأمارات على انها ستؤدي الى تدمير حضارته في وقت قريب، إننا في حاجة الى مواد بناء لا هدامة ، والاختيار يحتاج الى عقل واع وخبرة واسعة ونظر بعيد بحيث لا تتأثر عقائد المسلمين وأخلاقهم بعمليات الترشيد التي قد ينقلون أثناءها بعض خبرة الغرب .

إن جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية التي كان يعمل ( هوبكنز ) نائباً لرئيسها، عقدت مؤتمراً في ( بلبان سنة ١٩٥٤ م . ، قاطعته شخصيات كثيرة من المسلمين معلنة أنها ليست في حاجة إليه ففي الاسلام مثل عليا لايدانيها ما يقرره المشرفون على المؤتمر من المبشرين، وهوبكنز هذا كان قسيساً ومنتسباً لطائفة (المتيودليت ) وله نشاط سياسي لصالح امريكا وبريطانيا ضد شعوب المنطقة العربية بهدف حرب الاسلام في نهاية المطاف .

إن عناوين هذه المؤسسات وهذه المؤتمرات عناوين براءة خلافة وهي تعطي الفكرة السامة في قالب حلول سائغ او بين مذوقات شهية والناقد البصير يرى فيها هدماً لعقائد المسلمين وأخلاقهم .

والصهيونية العالمية هي التي تديرها وتقف من ورائها ولها أصابعها وعيونها في كل دولة وفي كل وسط ويستطيع رجالها بما لهم من خبرة وما مرونا عليه من اساليب ان يشكّلوا أفكار الناس وأخلاقهم كما يريدون . والمجتمع الاسلامي لا بد أن يتنبه الى هذه المخططات ويعد لها العدة حتى لا يفاجأ فينهار وتنهار معه القيم الاسلامية .<sup>(١)</sup>

---

(١) عن نشاط الحركة الصهيونية في تحريب الاخلاق وهدم القيم الانسانية انظر . «الصهيونية في التاريخ» للمؤلف صادر عام ١٩٦٦ م . القاهرة .

## من ميادين الحرب ضد الاسلام

ذكرنا فيما تقدم بعض مظاهر الحرب السياسية وتوابعها ضد الاسلام في أصوله وفي عالميته وهي حرب عريقة في القدم اتخذت أشكالاً شتى منذ كانت رومية فارسية مروراً بحروب التتر والمغول والصليبية والتبشيرية والاستعمارية وأخيراً المذهبية الاحادية والقومية والحرب التبشيرية والاستشراقية التي اتخذت طابعاً علمياً يخدم الحرب السياسية ويساعد الاستعمار والقوى الاحتكارية ضد أهداف الاسلام<sup>(١)</sup>.

إن حرب العقيدة والأخلاق قديمة أيضاً ، بل هي أقدم من الحروب المياسية المسلحة وقد تولى كبرها الصليبية الطامعة واليهودية المغتصبة اللتان رأتا في جوهر الاسلام قوة منافسة تزحهما في ميدان النفاذ الى الناس البسطاء الشرفاء لتكريمهم وحمایتهم من هيمنة وسلطان العباد الى حماية رب العباد.

كانت أساليب الأعداء في هذه الحرب قيادة حملة إفتراء وتكذيب لدعوة الاسلام وشخص الرسول عليه السلام وأصحابه واشتدت وطأة هذه الحرب عندما ضاع سلطان المسلمين من هذه البقعة الواسعة التي كان يسيطر عليها الاسلام وبلغت أشدها بعد الحروب الصليبية وبعد طرد المسلمين من أسبانيا فقد تبين للمنهزمين في هذه الحروب ان سبب غلبة المسلمين عليهم هو إيمانهم وأخلاقهم التي تعلموها من كتاب الله وسنة نبيهم وحرصهم على التمسك بها والتضحية من أجل الدفاع عنها.

لهذا عمد الأعداء الى عزل هذه الأسلحة المعنوية التي قاتل المسلمون بها أعداءهم وانتصروا عليهم يقول : «إتين دينيه» في كتاب له عن السيرة النبوية :  
ليت شعري ما عسى أن يكون منشأ البغض الذي يضمرة المسيحيون (الغريبيون) للاسلام وهو مع عدم قابليته للتغير يقدم له كثيراً من الأدلة على احترامه لعيسى وهذا

(١) (الله ، او الدمار) : سعد جمعة ، بيروت ١٩٧٩ م . ص ٣٦ .

البغض استمر في عصرنا هذا عصر التسامح الديني إن لم نقل عصر عدم المبالاة بالدين ، لكون نشأته آسيوية ، ولكن ، ألم تكن المسيحية آسيوية في جوهرها قبل تحليصها من اليهودية بواسطة بولس الرسول ؟ فقد قال عيسى نفسه . إني لم ارسل إلا لخراف بني اسرائيل الضالة (انجيل متى ١٥) أم من شريعته ؟ ولكن شريعة الاسلام تكاد تكون مطابقة لمذهب بعض أشياع المذهب البروتستانتى (هذا الزعم غير صحيح على الاطلاق)<sup>(١)</sup> . أم من ذكرى الحروب الصليبية ؟ نعم إن هذه الذكرى رغما من تقادم الزمن لا تزال تفعل فعلها المشئوم في نفوس كثير من الجهلاء ولكنها لا تكفي وحدها في تعليل حكم الإعدام الذي قضى به على الاسلام في أوروبا ، فلا بد إذا من تلمس سبب آخر . انتهى كلام اتين دينيه على علته . . . والرجل ليس خصماً للإسلام . ولكنه غير متفقه به .

يقول (دير منجم ) في كتابه ( حياة محمد )<sup>(٢)</sup> : حينما اشتعلت الحرب بين الاسلام والمسيحية دامت عدة قرون وكانت من جانب الغربيين أكبر مما كانت من جانب الشرقيين - يقصد المسلمين - وفي الواقع أنه على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة التي أرقق بها الجدليون البيزنطيون الاسلام بمساوىء إحتقارات دون أن يتعبوا أنفسهم في دراسته . قام الكتاب والشعراء المرتزقة الغربيون وأخذوا يهاجمون المسلمين العرب فلم تكن مهاجمتهم إياهم الاثما باطلة بل متناقضة .

لقد كان من مفترياتهم ما جاء في قصيدة (رولان ) وهي أهم منتجات العصور الوسطى الغربية على الاطلاق أن فرسان (شارلمان ) قد اسقطوا الأصنام الإسلامية وأن العرب يعبدون ثالوثا مؤلفا من : محمد ، وأبولون وتيرفاجان ؟

كما جاء في رواية ألفت بعد انتهاء الحروب الصليبية : أن الاسلام يبيح زواج المرأة الواحدة من عدة رجال معاً<sup>(٣)</sup> .

---

(١) خطأ وقع فيه (اتين دينيه) وقد اسلم الرجل معلنا اسلامه في بعض ما كتب .

(٢) ص ١٣٥ من الطبعة الفرنسية .

(٣) (دين الشيعة) تأليف د . م . د نالدسون .

وهذه المفتريات الحاقدة والجاهلة لم تروج في العصور الوسطى فقط بل في عصر النهضة كذلك ، حين الثالث بها (باسكال ) و ( مالبرانش ) في القرن السابع عشر (مونتسكيو) (وفولتير) في القرن الثامن عشر (ورينان) في القرن التاسع عشر (وكازانوف) و(ديرمنجم) في القرن العشرين . لقد اتهم رينان في كتابه : « الاسلام والعلم » الاسلام بتهم باطلة ردها عليه جمال الدين الافغاني رداً مفحماً في معظم ما كتبه وخاصة في «العروة الوثقى» . هذا ويطلع الدارس لفكر المبشرين ونشاط المستشرقين الذين عنوانوا بالدراسات الشرقية وبالأخص منها الاسلامية والعربية ان سلاح الكذب والبهتان والتضليل والتشويه لمبادئ الاسلام وحقائقه<sup>(١)</sup> ، هو السمة الغالبة في معظم ما ذهبوا اليه وكان اشد هؤلاء حرباً للاسلام هم اليهود الذين وجدناهم وراء كل حرب ضد الاسلام تقريباً وقد كتب (ساوندرز) في مجلة (التاريخ المعاصر) عن دخول الاسلام في فلسطين فكتب يقول : « إنه كان مصادفة ولم يفكر نبي الاسلام في الدعوة الى دينه خارج الجزيرة العربية . وواضح تماماً الجهل الفادح الذي تنطوي بداخله احقاد (ساوندرز) حيث لم ينتبه لأول مبادئ الدعوة الاسلامية .

### خلاصة الرأي في موضوع المستشرقين

لقد قام الاستشراق اولا لغرض ديني إذ حركت الحروب الصليبية في نفوس الأروبيين الرغبة في إعادة النظر في شرح كتبهم الدينية وفهمها على أساس التطور الحديث الذي تمخضت عنه حركة الاصلاح فاتجهوا الى الدراسات العبرانية ثم العربية ثم الاسلامية وبمرور الزمن اتسع نطاق البحث فشمّل الأديان واللغات والثقافات غير الاسلامية والعربية .

(١) كنموذج من المستشرقين الذين يسميهم البعض بالمعتدلين وامتألت كتبهم بعمليات تزييف وتضليل ضد الاسلام: جولد تسيهر في كتاب العقيدة والشريعة وجوستاف لوبون - في حضارة العرب (وفلهاوزن) في كتابه الدولة العربية .

كما أن المسيحيين رغبوا في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وارسالهم الى العالم الاسلامي والتقت مصلحة المبشرين مع اهداف الإستعمار فمكن لهم واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق .

كما كان للاستشراق أسباباً أخرى تجارية او دبلوماسية سياسية ولكن يلاحظ ان اليهود قاموا بالاستشراق لغرض كان دينيا اكثر منه شيئاً آخر ، وهذا الغرض هو إضعاف الاسلام والتشكيك فيه بكل وسيلة ممكنة .

وتركزت أهداف الاستشراق مع تنوعها ، أخيراً على وجود التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين وحملهم من هذا الطريق على الخضوع للتوجيهات الغربية ويحاول المشتغلون منهم بالأداب أن يشرفوا على أجيال تفضل أدب الغرب على ادب العرب والاسلام .

ومن أخطر المجالات التي ينشر فيها المستشرقون أبحاثهم مجلة ( العالم الاسلامي ) التي أنشأها القس ( صمويل زويمر ) سنة ١٩١١ وكانت تصدر من ( هارفورد ) بأمريكا وطابعها تبشيري سافر ، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة بهذا الاسم أيضاً وبهذا الروح وهذا الاتجاه . وفي العصر الحاضر تقوم بعض المنظمات المعادية للإسلام بتخصيص منح شخصية لذلك والعمل على نشر الكتب والصحف والأفلام والروايات وكل أنواع الثقافة التي يمكن أن تحقق أهداف عزل أمة الإسلام عن مصادر ثقافتها وفكرها وخاصة الكتاب والسنة .

وهذه الثقافة التي تحملها هذه الوسائل في ثناياها سموم هذه الأفكار ضد العقائد والأخلاق الاسلامية قد وجدنا أثرها في الناشئة من أبناء المسلمين وأسائدتهم الذين تربوا على هذه الموائد ووجدنا حرية الفكر والبحث والظعن والنقد تنتشر ويتسع مداها دون أن تجد لها حاجزاً يصددها ، أو مصباحاً قويا يكشف ضلالها من ثقافة دينية أصيلة واعية ومعارف إسلامية واضحة ، اللهم إلا شيئاً قليلاً لا يغني في هذه الحرب الطاحنة التي يجب أن تحشد لها كل الأسلحة وأحدثها وأقواها .

وكان لهذه النباتات أثرها في التحرر من القيود والخروج على التقاليد وإهدار القيم والانحراف الى المذاهب الهدامة والتشجيع للأراء الضالة يقول (أمرسون) في كتابه الذي ترجم أخيرا بمشورة سفارة أجنبية في إحدى بلاد المسلمين : من أراد أن يكون رجلاً ينبغي ألا يعوقه ما يسميه الناس خيراً ، بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيراً حقاً لا شيء في النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك . حرر نفسك بنفسك يؤيدك العالم ، الخير والشر إسمان يمكن في سهولة شديدة أن ينتقلا الى هذا أو ذاك والشيء الوحيد الصحيح هو ما يتبع (تكويني) والشيء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه (ص ١٣٢) . ويقول في ص ١٥٤ أن من ينبذ الدوافع العامة الانسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لا بد أن يتميز ببعض صفات الآلهة .

وفي هذا الكلام الأمريكي دعوة الى التحرر الفكري المطلق وإيمان كل انسان بما يمليه عليه عقله فالحقيقة عنده هي ما يراها هو لا ما يراها غيره وهذا مبدأ كان أحد مبادئ السوفسطائية القدامى المسمى (عندية) ، لا تستقر به حقيقة عامة أبداً وهو أصل الفوضى في الفكر والسلوك وهل من مصلحة المسلمين أن يطلعوا على هذه الثقافة ليتخذوها هادياً لهم في حياتهم ؟ .

يقول الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين معقبا على هذا فيقول رحمه الله : هذا الكاتب وأمثاله يعتمدون على أن الأذكياء سوف يجدون في كلامهم ما يرضي غرورهم أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام اعجوبة، وأما الشباب فسوف يجدون فيما يتضمنه من الثورة التي تحطم ولا تبقى ولا تدر ، مجالا للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه وهذا الكاتب الصهيوني يتعقب شعائر الدين كلها بالتسفيه والسخرية اللاذعة فالتوبة والندم عنده شيء آخر ، وهو نوع من الصلاة الزائفة ، ونقص في الاعتماد على النفس وعجز في الأداة والرحمة والضعف لا تقل عن الندم وضاعة .

كأن أمثال هذه الثقافات من العوامل التي دفعت الى الشك في الأديان فألحد الكثيرون ودفعت أيضا الى الطعن في الإسلام من طرائق شتى بأن القرآن من صنع

محمد لم يوح به إليه ، أو أنه أوحى بمعناه دون لفظه ومرة بأنه لم يجمع كله بل ضاع بعضه ، وبأنه محرف ، لأن فيه مصاحف يوجد فيها ما لا يوجد في الأخرى ، ومرة يقولون : إن السنة التي نسبت إلى النبي لا يصح الاعتماد عليها لعدم الثقة بطريقتها ويجرحون كثيرا من الرواة ليصلوا بذلك إلى هدم الأساس الذي كان منه التشريع وإذا انعدمت الثقة في الحديث الذي يوجهون اليه طعونهم ، سقط حصن منيع من حصون الشريعة فيتجهون إلى الحصن الآخر وهو القرآن ليزعزعوا عقيدة المسلمين فيه فإذا خرجوا منه وهو معتصم كانوا كالغنم المحصنة في حظيرتها ثم انطلقت فانتهشتها الذئب لقمة سائغة .

وكذلك يوجهون الطعون إلى الإسلام كنظام اجتماعي أو سياسي لا يصلح للتطبيق في عصور المدنية والحضارة ويزعمون أنه هو سبب ضعف المسلمين وتأخرهم محاولين اثبات ما يفترونه من واقع المسلمين لا من نصوص الدين ومحاولون أن يلصقوا بالإسلام ما يشوه جماله ويشوب صفاءه وبقائه ، حتى يبدو للناس مسخا لا يصلح للبقاء في عصر العلم والتجربة .

لقد نشرت إحدى الصحف الأوروبية منذ عدة سنوات مقالا تحت عنوان ( الاستعمار والإسلام ) ذكرت فيه خطورة تقدم الإسلام بسرعة في أفريقيا وأنه يثير القلق عند الأوروبيين ويخشون أن يخرق المناطق الاستوائية إلى الجنوب<sup>(١)</sup> .

كما ذكرت أن المفكرين الغربيين اختلفوا في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في أفريقيا فرأى بعضهم ضرورة الحد من تقدمه عن طريق نشر البدع والخرافات فيه حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد .

ولعل هذا هو السر في أن الاستعمار يحتضن رجال الطرق الصوفية في أفريقيا وهم لا يحسنون فهم الإسلام ولا عرضه على الناس ويساعدهم على نشر الأباطيل التي تفرض للناس على أنها هي الإسلام فيأخذون صورة مشوهة عنه تنفرهم منه

---

(١) - ل . شانليه - « الغارة على العالم الإسلامي » ص ١٥ .

فيتملصون أو لا يدخلون فيه إضافة الى ما يمكن أن يؤديه الدور التبشيري الاستشراقي من حجب الثقافة الإسلامية عن طلائع الأجيال المؤمنة ، وهنا تكمن الخطورة التي يجب التنبه لها .

### المبشرون ليسوا كفاءات علمية

انطلى على كثير من المثقفين في العالم الإسلامي وطوال القرن المنصرم على الأقل الخدعة التي روج لها أعداء الإسلام والتي تقول : إن المستشرقين والمبشرين أصحاب نزاهة علمية في التعامل مع التراث الإسلامي ومعالجة قضاياها خدمة للجانب الإنساني في الفكر الإسلامي .

ودراسة الشخصيات الاستشراقية بصفة عامة تكشف كذب هذا الزعم وترفض الإذعان له . فمعظم هذه الشخصيات الاستشراقية كانت في بلادها مغمورة مطمورة ، لم تحقق نجاحا بارزا في خدمة الحياة الفكرية في بلادها . ولكن استعدادها للمغامرة والعمالة جعلها مستعدة لأن تقوم بالدور الذي يمكن أن يوكل إليها ، وكان من اليسير على الكنيسة ومراكز البحوث التابعة لها وبعض الجامعات التي تخصصت في العداة ضد الإسلام أن تصطاد هذه العناصر التي كانت عندها القابليات الخاصة للظهور وللتملق في خدمة الكنيسة أولا وأخيرا .

وإذا كانت هناك فئة قليلة منهم ضغط عليها البحث وأمام أصالة التراث الإسلامي لم يستطيعوا إلا أن يقولوا كلمة حق فلا تمثل هذه القلة الاقطرة في محيط المبشرين والمستشرقين الواسع .

وفي تقرير هذه الحقيقة يقول عمر فروخ ومصطفى الخالدي في كتابهما وهما يرويان واقعة وقعت لأحدهما ذات دلالة صارخة على تعصب المبشرين والمستشرقين لما هم عليه واستخفافهم لما يؤمن به غيرهم .

يقول المؤرخ د. عمر فروخ : من جهل المبشرين وبعدهم عن العلم أنهم اذا

بحثوا في الدين لم ير أحدهم لغير مذهبه هو فضلا ولا حقا في الوجود ، ثم هم يحبون أن نلقى أقوالهم بالإذعان والتسليم . ومما نذكره هنا ما اتفق لأحدنا لما كان في أوروبا ، قال : لقيت نفرا مثقفين كانوا يحبون شيئا من المناقشة في الدين . ولقد اتفق مراراً أن تناول البحث صاحب الرسالة الإسلامية ، فكنت أقول : « محمد رسول الله » . وربما أحب أحدهم أن يتهمكم فيقول لي :

وأنت الرجل المثقف تريد أن تبحث بحثا علميا ثم تدعي أن محمدا « رسول الله » بلا دليل عقلي علمي ! وعلمت أن المنطق لا ينفع مع صاحبي . فكنت أقول له ( وقد اتفق لي ذلك مرارا ) : ولكن يا أخي ، أتتكر عليّ - في باب البحث العلمي - أن أقول : « محمد رسول الله » ، بينما أنت تقول : « أن المسيح هو الله » ؟ فبهت صاحبي ، ثم لم نستمر في نقاشنا .

من أجل ذلك ترى أحدهم اذا تكلم عن المسلمين قال عنهم أنهم « أعداء الصليب وأعداء الديانة الكاثوليكية ، ظانا أنه ألحق بهم سبة . ثم لا يفوته أن يذكر جريدة البشير فيقول عنها أنها زعيمة الصحافة الكاثوليكية في الشرق ، لنشر الأمور الكاثوليكية في الدرجة الأولى ، ثم الأمور المسيحية الأخرى ، ثم الردود ( على الإسلام طبعا ) . وجريدة البشير جريدة صفراء كانت تصدر في بيروت حتى أواخر عهد الانتداب ثم توقفت عن الصدور اختيارا لأنه لم يبق مجال لصدورها في هذا الشكل الاستعماري الكاره لكل تقدم في بلاد العرب والمسلمين ولقد كان توقفها عن الصدور حسنة من حسنات استقلال لبنان .

ومن أشد أعداء العرب والمسلمين رجل أرمني اسمه لطفي ليفونيان ألف بضعة كتب للنبيل من الإسلام . وقد خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهمك عليها . ويبلغ بلطفي ليفونيان الجهل الى أن يقول أن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنزيه في الله تعالى .

ومن الأمور التي تستحق التفكك بها قول مبشر اسمه نلسن يزعم فيه أن الإسلام مقلد ، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو

أو مع شيء من التبديل . ويبلغ التدجيل ذروته بمبشر اسمه «جون تاكلي» ، أنه يقول عن المسلمين : يجب أن نستخدم كتابهم ( أي القرآن الكريم ) ، وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماما . يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا ، وأن الحديد فيه ليس صحيحا .

أما المبشر الأميركي جسب فيقول : أن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن . ولكننا اذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء ، وصار أشبه بصبيرة طومسون .

وطومسون هذا رجل أميركي جاء الى لبنان فقدمت له مرة صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر . فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء .

ويتعرض المبشرون عادة بعقليتهم هذه لتفسير القرآن الكريم ويكثرون من الانتقاد والتهكم . زعم فريدريك بلس ، أن القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران ، أخت موسى وهرون . ويقول بلس : خاطب القرآن مريم على لسان قومها بعد أن ولدت عيسى ، ولم يكن لها زوج ، بقوله : « يا أخت هرون ، ما كان أبوك إمرا سوء وما كانت أمك بغيا »<sup>(١)</sup> . ثم أنه قال : كيف تكون مريم أخت موسى التي عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة سنة هي أم المسيح . ولكن بلس لم يعرف أن هذا من باب الكناية في علم البلاغة ، ومؤداه : مريم التي تشبه ( في العفة ) إبنة عمران أخت هرون ، كما نقول نحن مثلا : « يا أخا العرب » مدحا لرجل لا صلة له بالعرب أحيانا .

وكذلك أساء أدولف فيزمار ، وهو دكتور في الفلسفة ، فهم قوله تعالى يخاطب رسوله الكريم : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »<sup>(٢)</sup> . ولم يفهم المعنى الصحيح البسيط وأن الجملة إستفهام إنكاري لا إستفهام عادي ، كأن نقول لإنسان : ألا تحب أن تكون من الناجحين ! وهذه الأخطاء التي يقع فيها

(١) القرآن الكريم . السورة ١٩ ( مريم ) : ٢٨ .

(٢) القرآن الكريم . السورة ١٠ ( يونس ) : ٩٩ .

المستشرقون وهم يقلبون وجوه الإسلام المختلفة بسبب جهلهم الحاد بعلوم الإسلام .

## الإسلام والسيف

وبعد الأخطاء الدالة على جهل المبشرين تأتي سلسلة طويلة من التحامل والافتراء . وأشهر هذه التهم أن الإسلام قام بالسيف . قال نلسون : وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقية وآسية شعبا بعد شعب . ويزعم لطفي ليفونيان أن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح . وهذا الزعم جهل فادح بتاريخ الدعوة الإسلامية ، وخاصة في مراحل بناء الدعوة الإسلامية وذلك حين اقتضى بناء دولة المسلمين بعد تقرير عقيدة التوحيد أن يقسم الإسلام الناس الى عرب وغير عرب .

وأما الذين يتعرضون لشخص الرسول ﷺ بالافتراء فمبشرون كثيرون جدا ، بل كل المبشرين . فقد قال ف . ج . هاربر : أن محمدا كان في الحقيقة عابد أصنام ، [ برأه الله وطهره مما يقوله الكافر هاربر ] ذلك لأن إدراكه الله في الواقع « كاريكاتور » . وسماه بعضهم « كذاب مكة » . ومنهم من زعم أن محمدا لم يستطع فهم النصرانية ، ولذلك لم يكن في خياله منها الا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به الى العرب .

أما المسلمون فيقول عنهم هؤلاء المبشرون إنهم لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها . ثم ليس الإسلام فيما زعموا إلا مزيج مشوه من الآراء والمدرجات الخاطئة . وكذلك قال آخرون عنهم أنهم لصوص وقتلة ومتأخرون ، وأن التبشير سيعمل على تدميرهم .

وهناك زعم ثالث ، هو أن الإسلام تنقصه الناحية الروحية ، وأنه دين مادي . حتى اليهودية ليست عند هؤلاء دينا ماديا كالإسلام . وكذلك يزعم هؤلاء أن

الإسلام نظام شرعي أكثر منه نظاما أخلاقيا روحيا . أن الواجبات الدينية والخلقية على ما يزعم هؤلاء فرضت على المسلمين فرضا ، وكل ما يستطيع المسلمون أن يفعلوه هو أن يؤدوا هذه الفروض كما فرضت عليهم . ويبدو جهل المبشرين في مزعم آخر ، وهو أن المسلم يتزوج أربع نساء كما يشاء ثم يطلقهن كما يهوى لسبب أو لغير سبب . ويتوسع بعضهم في هذه المزاعم فيقول حسب مثلا ان المسلمين قد حكموا على المرأة بأن تبقى جاهلة ، ثم إنهم يضربونها على هذا الجهل : إنهم أفسدوها ثم أخذوا يضربونها لأنها فاسدة . وكذلك يزعم ( حسب ) نفسه إن القرآن يدعو الى ضرب المرأة . حتى المرأة الفاضلة تحشى مثل هذا العقاب ، ذلك لأن الإسلام نظام ناقص والمرأة فيه مستعبدة .

هكذا يصل الجهل والحقد بالصليبيين درجة يكذبون فيها باسم العلم وهم أعجز الناس في فهم حقائق الإسلام والتعرف على مصادره وجوهر لغته . ويكفي نموذج من ضلالهم هذا الذي يرويه ( حسب ) عن مكانة المرأة في الإسلام . ذلك أن أمثال ( حسب ) لا يمكن أن يفهم قول الله تعالى في شأن النساء في الإسلام ( . . . ) ولهن مثل الذي عليهن ) . ويقدم رب العالمين في هذه الآية حقوقهن على الرجال على واجبهن نحوهم .

### خطط إعداد المبشرين

يدرس الذين يريدون أن يعملوا في التبشير مناهج خاصة مبنية على تفهيمهم روح الشرق . هنالك سياسة تهيمن على ذلك المنهاج ، هي تصوير الشرق بصورة من التأخر والسوء تحمل طالب التبشير على أن يندفع في مهمته إندفاعا أعمى . ولقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد في روما وباريس وفي طليطلة بإسبانية أضافت الى مناهجها تدريبا عسكريا للتبشير بالقوة .

ولم يكن من المستغرب أن تقوم الرهبنيات الأجنبية على إختلاف نزعاتها بالتبشير . إن فرقا مختلفة من الرهبنيات قامت منذ أوائل القرن الثالث عشر بالتبشير ، ثم

استمرت في عملها هذا بعد ذلك . ومنذ القرن الرابع عشر الى القرن الثامن عشر كان الرهبان الدومينكان والفرنسيسكان يعملون جاهدين في مراكز والجزائر وتونس ومصر والشام ثم برزت في أواخر القرن السابع عشر فرق أخرى ، منها اللعازريون والكبوشيون والاعسطينيون . ومع أن هؤلاء قد عملوا في الأكثر بين العبيد والأسرى النصارى ، فانهم كانوا من حين الى حين يتعرضون للمسلمين .

على أن هنالك أفرادا لسوارهبانا ، ولكنهم تعلموا في المعاهد الرهبانية وفي معاهد اليسوعيين خاصة . ان هؤلاء أيضا يقومون بأعمال تبشيرية مختلفة . هذا النوع من الرجال يعرفون باسم اليسوعيين ذوي الثياب القصيرة . حتى الراهبات اللواتي يظن أنهن نذرن أنفسهن لخدمة المرضى وتعليم الجاهلين ومؤاساة المساكين لسن سوى مبشرات . يقول اليسوعيون في كتابهم الذي أصدره في بيروت عام ١٩٣١ م :

« إن الأخوات لسن راهبات معلمات فقط ، ولكنهن أيضا راهبات مبشرات . إنهن في كل مكان يوجدن فيه يعملن الى جانب عملهن التعليمي أعمالا تبشيرية » . وهن لا يكتمن ذلك بل يعلن أنهن يعملن لضم الخراف الضالة أو المهملة الى حظيرة المسيح الملك .

ولقد استخدم المبشرون جميع الطرق في سبيل التبشير واستغلوا جميع المناسبات فصناعة التطبيب والتعليم والوعظ ونقل الكتب من لغة الى لغة ، كلها يجب أن توجه توجيهها يفيد التبشير . ان الطبيب كارنيليوس فانديك أرسل الى سورية على أنه طبيب مبشر .

والمبشرون مجمعون على أن جميع الوسائل - مهما كانت - يجب أن تستغل في سبيل التبشير . حتى أعمال البر يجب أن تستغل استغلالا بحتا ، من ذلك قولهم : « كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ، ويجب أن يبقيا كذلك . أما أعمال الإحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها . يجب أن تعطى الأموال أولا

للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجياً كلما اقترب أولئك من الدخول في الكنيسة (اعتناق مذهبها) ، فإذا دخلوها منع عنهم الإحسان مرة واحدة .

ومن وسائلهم أنهم إذا دخل في خدمتهم رجل لا ينتمي الى مذهبهم حملوه على الدخول فيه . عمل شاب درزي في المطبعة الأميركية فصبأ الى المذهب البروتستانتي . ثم عمل بعد ذلك في المطبعة الكاثوليكية فانتقل الى المذهب الكاثوليكي . ولعل هذا الشاب ظل درزيا ولكنه كان لحاجته الى العمل يتظاهر أمامهم بما يريدونه منه .

وكان المبشرون يتخذون من زيارة المسجونين ومن العمل في المستشفيات وسيلة إلى التبشير . في الحرب العالمية الأولى أخذت الدولة العثمانية عددا من الراهبات للعمل في المستشفيات والمياتم ، فقال الكتاب المثنوي اليسوعي عن هؤلاء : « وفي منصبهن الجديديقيات الأخوات مبشرات يلقن التعليم المسيحي ويعددن للمناولة الأولى ، ويعلمن الصلوات على الرغم من التحذير والتهديد اللذين كان المفتشون الأتراك يوجهونها إليهن . وهكذا كان المبشرون والمبشرات يتقدمون إلى الإنسانية بوجه من فعل الخير والسهر على المتألمين بينما هم ينفذون من خلال هذه الآلام المبرحة الى طرق جديدة للتبشير . ومع أنهم لم ينجحوا الا قليلا ، فإنهم أدخلوا الى نفوس الكثيرين آلاما جديدة كثيرة ووصموا الضمير الإنساني بالنفاق .

وكانت قلة الذوق بالمبشرين تبلغ إلى حد أن أحدهم لم يكن يتأخر عن عرض بضاعته في التبشير بين اهل الميت ، والميت لا يزال بين أهله . ذهب المبشران كلهون وجسب يعزيان بوفاة شاب درزي . فما ان استقر بكلهون المقام حتى قال . « ما رأيت جسداً ميتاً لأخ لي في الإنسانية الا ملئت اشمئزازاً ، بل ملئت بغضاً ، أجل ملئت ببغض الخطيئة التي أتت بالموت الى هذا العالم وكانت سبب أحزاننا واضطرابنا وآلامنا . فلم لا نمتت الخطيئة اذن ثم نحب ذلك الذي لم يعرف

الخطيئة، ولكنه ذاق الموت في سبيل كل انسان آخر؟ ». يقصد (كلهون) انه يكره الميت ، اذا كان غير مسيحي، إذ انه يموت وهو مملوء بالخطيئة. اما الميت المسيحي فان المسيح يكون قد حمل عنه خطاياه لما مات فداء عن البشر، كما يقول النصارى .

نحن لا نعلم مكاناً يسمو فيه الذوق عن مثل هذا العمل كالمآثم . لقد جهل هؤلاء كلهم أن للموت حرمة ورهبة . ثم أنهم طعنوا النفس الانسانية حينما ظنوا أنها تصل الى الله بكلمات تلقن او بإشارات تمثل . وبعد ذلك كله نسوا أن بين قلب كل إنسان وبين الله طريقاً مفتوحاً يسلكه الانسان نفسه بلا قائد ولا وسيط إلا من خلال شرع الله وأمره .

ولما خابت هذه الأساليب كلها عمد المبشرون الى الرشوة يفسدون بها ضمائر الذين يستميلونهم . حينما ظهر اليسوعيون للمرة الأولى في شرق الأردن رشوا نفرا من النصارى الارثوذكس للانضمام الى الكنيسة الرومانية . على ان البروتستانت كانوا أشد إيغالاً في إفساد الضمائر ، فقد اتخذوا سياسة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون ان يبدلوا دينهم ، وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهباً .

على أن إعداد المبشرين يختلف بين زمن وآخر . وكذلك طرق التبشير اختلفت من جيل الى جيل ، ومن قطر الى قطر . فبينما كان التبشير في القرن التاسع عشر خاصاً بأشخاص اتخذوا التبشير عملاً لهم ثم حاولوا نشر النصرانية بجدار المسلمين ومحاوله تبين فضل النصرانية على الاسلام وبإصرار على الجانب الغيبي من حياة المسيح ، وجدنا زعماء التبشير في العالم البروتستانتى خاصة يرون أن هذا المظهر الديني الصارخ يعرقل أعمال المبشر من أجل ذلك يرى المبشر الأميركي المشهور (جون رالاي موط) في كتابه «خمسة عقود ونظرة الى المستقبل» ، الذي أصدره في عام ١٩٣٥ ، صواب الحركة التي بدأت في مطلع القرن العشرين وفي الولايات المتحدة خاصة ، تلك الحركة التي استغلت الطلاب والأساتذة وعوام الناس في التبشير . إن المبشر (جون موط) يعتقد ان المظهر البريء في الطالب والاستاذ

والعامي من الناس لا يصرف المسلم مثلاً عن سماع أقوال هؤلاء ، بينما الثوب الذي يظهر فيه المبشر يعمل على تنفير القلوب .

وكذلك جعل المبشرون في السنين الأخيرة ، يتركون الطرق الايجابية المباشرة في نشر آرائهم الى طرق أكثر التواء وخفاء . ويبدو أن هذه الطرق الملتوية الخفية لم تنجح أيضاً . يقول السير ريدربولارد ، الذي كان وزيراً مفوضاً ثم سفيراً لبريطانيا في ايران من عام ١٩٣٩ م الى عام ١٩٤٦ م أن مسلمين كثاراً يقدرّون أعمال الجمعيات التبشيرية في التعليم والتطبيب ، ولكنهم يصمون آذانهم عن دعوتها الدينية .

### الكتب المدرسية الخاصة والطعن على الإسلام

وأخيراً جاءت العلوم الحديثة ، ولم يبق بالامكان أن تتجاهل المدارس الأجنبية علوماً عظيمة نافعة ، كالرياضيات والكيمياء والحقوق والاجتماع والاقتصاد والرسم وما شابهها . فلجأت تلك المدارس حينئذ الى سياسة جديدة ، الى سياسة الدس على الاسلام والتاريخ الاسلامي . أليست هذه المدارس مدارس تبشيرية؟ أو ليس هدفها الأول مقاومة العرب والاسلام؟ فلماذا لا تضيف اذن الى خطتها العمل على تشويه سمعة خصمها؟ وهكذا انحدر التبشير والمبشرون الى درك في التاريخ والعلم لا يحمّدون على الانحدار إليه . فلنستعرض بعض آراء هؤلاء في الكتب التي يقررونها في مدارسهم .

لنأخذ أولاً الكتاب التالي ففيه اسوأ ما يمكن أن يقال ، في غيره من الكتب .

اسم الكتاب الذي أعنيه<sup>(١)</sup> ( البحث عن الدين الحقيقي ) ، وهو محاضرات في التعليم الديني ، تأليف المنسنيور كولي . وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم

(١) : السياق والتناول في هذه الصفحات : للاستاذين عمر فروخ ، ومصطفى الخالدي في كتابها « التبشير

والاستشراق » .

المسيحي في باريس (طبعة ١٩٢٨) . هذا الكتاب قد نال رضا البابا ليون الثالث عشر في عام ١٨٨٧ ثم وعاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب الى اليوم يطوي الصدور على الأحقاد نحو العرب والمسلمين ، ويستفز شعور المسلمين استفزازاً شديداً .

جاء على الصفحة ٢٢٠ من هذا الكتاب ما يلي :

« الاسلام - في القرن السابع ( للميلاد ) برز في الشرق عدو جديد ، ذلك هو الاسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب . لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات . وبعد قليل أصبحت آسية الصغرى وافريقية وأسبانية فريسة له ، حتى أن ايطالية هددها الأشياع ( المسلمين ) تناول في الأكثر كلاب النصارى . . . ولكن أنظر ، ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الاسلام المنتصر عند بواتيه (٧٥٢ م) . ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً ( ١٠٩٩ - ١٢٥٤ م) في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية . وهكذا تفهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الاخلاق السهلة . . . ) .

هذا نوع من الكتب التي تؤلف في الغرب عن الشرق ، بل أن هذا النوع هو الغالب على أهل الغرب حينما يكتبون عن الشرق العربي أو الشرق المسلم : تعصب ذميم وتشويه للحقائق وايقاد للأحقاد . ثم هم يأتون بهذه الكتب ويدرسونها في الشرق العربي المسلم . ويظهر أن هذا الكتاب الذي نحن بصدهه يدرس ، أو كان يدرس على الأقل ، في مدارس (الأخوة المسيحية) (الفرير ) في بيروت وفي جميع المدارس التابعة لهذه الرهينة في غير بيروت . يعلق عمر فروخ والخالدي على هذا الكتاب وأمثاله فيقولوا :

( . . . هذا النوع من التأليف هو الذي أقلق السلام بين الشرق والغرب منذ

أقدم الأزمنة ، وهو الذي يهدد السلام كل يوم وخصوصاً في الشرق . ان قارىء أمثال هذا الكتاب هو أحد ثلاثة نفر : إما أن يكون من الذين يسرون بمثل هذه الشتائم ليشفي صدره حقوداً ، وهو خطر على الوطن لأنه يجرح عليه أسوأ العواقب ، واما انه رجل من سواد العامة يثار بمثل هذه الأمور فيقابلها حينئذ بمثلها ، فيرد عليه آخرون قوله ثم تنتهي الحال بفتنة عمياء تأتي على كل شيء ، وذلك أيضاً خطر على الوطن ، وأما أنه رجل عاقل يرى في ثنايا ما يقرأ نفساً صغيرة وغاية حقيرة فيحتقر صاحبها ثم يوسع حكمه الى احتقار الذين يرضون عن صاحبها ، فاذا هو ممتلىء شكوكاً وهدراً واشمئزازاً من الذين يعيشون معه .

أضف الى ذلك كله ان هذا تشويه للحقائق وكذب على التاريخ ، وان الامم التي تريد أن تحيا حياة نبيلة عظيمة صحيحة يجب ان تكون أرفع من أن تنحدر الى ذلك .

وقد تكون المصيبة هينة لو أن صاحب هذا القول رجل من عرض الناس ، ولكنه رجل كاهن قانوني مثقف يمثل احسن طبقات قومه . ثم ان البابا نفسه قد استحسنت كتابه : قد استحسنت اتجاهه واستحسن تفاصيل ما فيه من حوادث وأحكام واستحسن أسلوبه .

### التبشير يتعاون مع الصهيونية

واستغل المبشرون الصهيونية لأنهم كانوا يتفوقون معها في العداة والكره للمسلمين . ولم يصبر المبشرون على انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين إلا لأن إنشائه يضعف العرب المسلمين اضعافاً شديداً ويفتح أبواب فلسطين أمام التبشير ، وإلا لأن فلسطين إحدى نقاط الهجوم على العالم العربي الاسلامي .

والقوة اليهودية قوة هدامة عظيمة خافتها الامبراطوريات القديمة فأرادت القضاء عليها . وليس من ضرورة هنا لبسط موقف تلك الامبراطوريات القديمة من

اليهود. إن كل قارئ عام يعرف ما كان شأن المصريين والآشوريين والكلدانيين واليونان والرومان وشأن اليهود. أما اليوم فإن الاتحاد السوفياتي قد اخذ يحاول القضاء على الحركة اليهودية في مناطق نفوذه لارتكابهم أعمالاً هدامة ولقيامهم بالخianات والتجسس<sup>(١)</sup> وأنها بؤرة للفساد<sup>(٢)</sup>.

بعد أن تشرّد اليهود على أيدي الرومان تفرقوا في الأرض فنزل قسم منهم في بلاد العرب ، في اليمن وفي الحجاز حول يثرب . وعند يثرب أنشأوا لهم قرية زراعية اسمها خيبر . فلما جاء الاسلام كان هؤلاء مصدر اطلاق كبير للاسلام والمسلمين : كان منهم المنافقون الذين يدعون أنهم مسلمون ثم يكونون عيوناً وجواسيس للمشركين . وكان منهم المتجسسون الذين كانوا يعقدون الحلف تلو الحلف مع رسول الله ثم يحملون أخباره الى اعدائه ويتنهبون الفرص للوثوب على الاسلام والمسلمين . وكذلك كان منهم المتآمرون الذين يجمعون أعداء الاسلام ويحثونهم على مقاتلة المسلمين ثم يمولونهم بالأموال والسلاح . وهكذا ضاق محمد صلى الله عليه وسلم باليهود ذرعاً ونظم غزوات على الأماكن التي يسكنونها فاستطاع أن يخضعهم ويضعف مقاومتهم . ونظر كثير من المستشرقين بشهواتهم وعصبياتهم وجهلهم الى تلك الغزوات ، فكانوا يقولون بأن محمداً عامل اليهود معاملة خسنة قاسية . على أن هذه المعاملة لم تكن ظالمة ولا كانت مع عدالتها ، شديدة كمعاملة المصريين والآشوريين والرومان مثلاً ، ولا كمعاملة اليهود أنفسهم لسائر الشعوب اذا وجدوا اليها سبيلاً . وما أمر فلسطين منا بعيد ! .

ولا ريب في أن محمداً صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود لأنهم يهود . اذ هذا بين من القرآن الكريم ، فان القرآن الكريم عدّ اليهود والنصارى أهل كتاب . فقاتل الله تعالى : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا

(١) راجع ما نشر في الصحف منذ اواخر عام ١٩٥٢ وما بعده .

(٢) راجع ما نشر في الصحف ٢٥ - ١ - ٦٤ وما بعده .

أشهدوا بأننا مسلمون<sup>(١)</sup> .

فاعتبر ذلك رسول الله ﷺ دعوة كافية يحل بها قتالهم إذا لم يتبعوا الاسلام او يدفعوا الجزية ، فهؤلاء الذين يقولون لا يكتفي بمجرد بلوغ اصل الدعوة قد نبذوا ما كان عليه رسول الله ، ومعنى بلوغ الدعوة ان يسمعوا بأصل دعوة الاسلام اي «أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله» .

ولا يشترط إمهالهم مهلة للنظر والتفكير في صحة الاسلام لأنه لم ينقل عن الرسول أنه أمهل الكفار ساعة أو أكثر ليقتنعوا بصحة الدعوة بل كانت دعوته إما مشافهة بأن ينادي في مجتمعات المشركين . بقوله : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ونحو ذلك مع إعلامهم بأنه رسول الله . واما ان يبعث من يبلغ عنه .

واما الملوك فقد بلغهم الدعوة كتابة . فقد كتب الى هرقل كتاباً مضمونه ما

يأتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتكَ الله اجرِكَ مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الآريسيين (اي الفلاحين)» .

اليس ت كانت غزوة تبوك لقتال الروم ، فهل جدد لهم الدعوة بعد كتابه المذكور؟ واليس ورد في الصحيحين البخاري ومسلم انه غزا بني المصطلق وهم غارون وهم يسقون مواشيهم فقتل مقاتلتهم؟ ثم ماذا يصنعون بالحديث الذي اخرج به البخاري وابن حبان والبيهقي: ان المغيرة بن شعبة قال لعامل كسرى بنهاوند : «أمرنا نبينا رسول ربنا ان نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده او تؤدوا الجزية .

وليت شعري ماذا يصنعون بآيات ظاهرة ، في وجوب قتال من يقاتل ومن لا يقاتل ممن هم قريب الدار من الحرمين ومن كان بعيداً كقوله تعالى :

(١) سورة آل عمران .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهو صاغرون »<sup>(١)</sup>.

وكذلك قاتل محمد ﷺ اليهود لأنهم كانوا يخونونه كلما عاهدوه ، وهذا أيضاً بين من القرآن الكريم : لكن روح التعصب عند المستشرقين تعز لهم عن ان يتدبروا القرآن الكريم . . . ومن ثم فلم تخشع له قلوبهم ولم يعرفوه « اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ( ٢ : ١٠٠ ) .

- الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون<sup>(٢)</sup> .

- واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ( أي المنافقين واليهود) لا تعلمونهم الله يعلمهم ( ٨ : ٦٠ ) .

وتوفي الرسول ( سنة ١١ هـ = عام ٦٣٢ م ) واليهود كلهم لا يزالون في الحجاز . فلما جاء عمر بن الخطاب ( سنة ١٣ هـ = عام ٦٣٤ م ) أدرك أن الدولة الاسلامية لا يمكن ان ترسخ في شبه جزيرة العرب ما دام اليهود فيها يثرون أهلها على الدولة ويفقرونها بالربا الفاحش فأمر باخراجهم . ولكن عمر لم ينتزع أموال اليهود بل ثمنها ثم دفع لهم نصف أثمانها ، فهاجروا إلى سورية .

أما في سورية فكان اليهود يلقون من الدولة البيزنطية اضطهاداً بالغاً . فلما اخذ العرب بفتح الشام ( سورية ) جعل اليهود يرحبون بهم استبشاراً بالنجاة من نير بيزنطية .

لما كثر إعتداء اليهود على العرب والمسلمين سراً وعلانية لم يبق بد من دفع هذا

(١) : سورة الأنفال الآية ٥٦ .

(٢) : يمكن الرجوع الى « بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم » للمؤلف دار الجليل بيروت عام ١٩٧٥ .

الاعتداء، ولقد إستمرت عمليات الهجوم المسلح على بلاد الشرق العربي من عنت وغباء وتعصب أوروبي في المواقع التي تمكن فيها الصليبيون من أن يقيموا لهم فيها امارات لاتينية مثل طرابلس وأنطاكية، والرها، ومع كل موجات الغزو، وعنف الغزو فإن العقيدة الاسلامية كانت سياجاً تحتمي به الجماهير بل كانت حافزاً في الدفاع عن الوجود العربي بالإضافة الى عامل الوحدة الوطنية الذي كان المنطلق القوي بعد ذلك في مواجهة الغزو الأوروبي.

وبعد أن استطاع المسلمون استجماع جهد الأمة الاسلامية وتعبئة امكانياتهم دخلوا مرحلة المقاومة بالاسلام تلك المقاومة التي قاد الجهاد فيها ضد الصليبيين البطل - المسلم ( صلاح الدين الأيوبي ) الذي حقق إنتصارات ضخمة عندما احتل طبرية، وحررها لتصبح عام ١١٨٧ م موقعاً مسلماً خالصاً ساعد على تحقيق الانتصار الشهير في معركة (حطين).

وقد استطاع صلاح الدين بعد معركة حطين، أن يحرر الكثير من المدن الاسلامية العربية من الأسر الصليبي.

ورغم ما حاوله الصليبيون بعد ذلك من محاولات مواصلة الحرب وذلك بإرسال الحملة الصليبية الثالثة التي كان على رأسها إمبراطور ألمانيا وملك فرنسا وانجلترا فإن المقاومة الاسلامية العربية لم تضعف وخاصة في الدفاع عن الأراضي المقدسة في فلسطين المسلمة ولم تستسلم - عكا - حينئذ إلا بعد حروب استمرت عامين كاملين حتى تحقق لقوى التناقض والتعصب الأوروبي ان تحقق بعض اطماعها ضد العرب والمسلمين.

وفي خلال هذه المرحلة من الهجوم المسلح على الاسلام وعلى بلاد الشرق العربي ظهرت مناعة هذا الدين في إعداد الرجال وهيمنته على قلوبهم ومشاعرهم وإستبسالهم في التعلق بمعتقداتهم الدينية وحفاظهم عليها وفي التعبير عن حمايتهم لأرضهم وأعراضهم تحت لواء الاسلام.

## التبشير والاستشراق ضد الاسلام :

ليس من الخفي الآن أن التبشير والاستشراق يدوران في معنى واحد ومقصد واحد في خطة الهدف الأوروبي والأمريكي من التبشير والاستشراق ضد المسلمين فبعد المرحلة التقليدية في الحرب المسلحة ، اصطنع الغرب هذا الاسلوب الذي كان قد صنع أدوات امكانية انتشاره وتأثيره اصطنع الغرب من موقفه العدائي كقوة مضادة للشرق العربي المسلم معركة التحدي العلمي أو الموضوعي لفكر الاسلام وقضاياها وكان قواد هذه الحرب هم الكتاب المبرزون في قضايا التبشير والاستشراق وبدأت المعركة التي أعد لها بارساليات التبشير ومجموعات من العلماء كزوار ورواد للنقل والترجمة وعملت نعمة التعصب للجنس والولاء له ثم ضعف امكانياتهم في النقل السليم أو الترجمة النزيمية عملها في تشويه الحقيقة نفسها، الى أن اصبحت الكلمة الأوروبية في مجالات البحث العلمي - المدعى - تمثل بداية التمهيد للغزو والسيطرة الفكرية كي تهيء الأرض وكل اشكال الحياة لمختلف المناهج التي تشيعها وتعمل لها القوى المضادة اعداداً لكل مبتغاها في التشويه والمسخ ثم السيطرة .

ومهما قيل في شأن المستشرقين والمبشرين من ادائهم لدور تاريخي في تطور المعرفة الانسانية وتوسيع مداها وبأنهم كانوا في البحث يحملون مناهج جامعية لدور علم ومؤسسات معرفة وثقافة إلا أن هذه البعثات العلمية التي حملت طابع العلم المدعى الى العالم العربي والاسلامي لم تكن أبداً تخدم العلم ولم تعلن عن الحقيقة العلمية ، ولم تدع إليها . ولقد كانت نزعة التعصب، ورغبة التشويه قائمة ومتوفرة في نفوس وقلوب أولئك الذين بدأت بهم القوى المضادة للاسلام تعمل كسلاح بديل للصدام المسلح ولا أدل على قصد التشويه والمسخ للعروبة والاسلام من المؤتمر الذي عقد في ١٣١١ م في فيينا والذي دعا إليه وترأسه البابا (كليان الخامس ) وفيه استقر الرأي المتعصب على إنشاء مدارس دينية في برلين وبولون واكسفورد لتدريس اللغة العربية والعبرية والكلدانية لتخرج قوى وأجيالاً تستطيع تنصير المسلمين وتشويه دينهم ومسخ ابعاد الحق والخير فيه حتى لا تكشف أباطيل قوى التناقض الأوروبي .

ولقد تطور الحال العدائي بعد ذلك بهذا النوع من السلاح وتخطت القوى المضادة مرحلة بناء المدارس والمعاهد ورحلات الزوار والمبعوثين الى تعيين اخصائين ومبشرين في السفارات والقنصليات والارساليات على أن يكونوا مصادر توجيه للمعاهد والهيئات التي تقوم مناهجها على صيغ تعاليم الاسلام بالشكوك التاريخية وفلسفة الاتهامات المصنوعة .

ومن عجب أن هذه الحرب رغم عنف خطورتها كانت تلوك دائماً ما يخفي أهدافها وهو أن تعمل بادىء ذي بدء بالأسلوب المدعى الذي يقول : إن رجال هذه البعثات وامكانياتهم ومناهجهم كانوا في خدمة الموقع الاسلامي الذي يحلون فيه ، غير أنهم لا يلبثون واذا بروح الهدم والتخريب الكامنة في اعماق اهدافهم ومخططاتهم تظهر فجأة وصراحة ولا أحد من تلك الهيئات الدينية الكثيرة والمتعددة في العالم العربي والاسلامي ، يتبته في جديده ويقاوم في حزم المخططات المعادية والممارسات التي يقوم بها الغرب الاستعماري ضد الاسلام وبلاد المسلمين، وعلى جبهات متعددة وميادين مختلفة غير أن الأمل في أن يوفق الله الجامعات الاسلامية ورجال الفكر الاسلامي المعاصرين وتبدأ هذه الأجهزة في الاعداد الجاد لتعقب الأساليب الخادعة لقوى الاطماع والاستغلال في الشرق المسلم وفي ديار المسلمين عامة ليقبى دين الله يقود الناس في معركة الحياة ضد اعداء الحق والخير من الذين اعماهم التعصب وسيطر عليهم الحقد خوفاً من نور الاسلام .

### نماذج من الحرب المضادة على المدى الطويل :

قلنا: ان القوى المضادة للاسلام اقتضتها طبيعة المعركة في بعض مراحلها منذ بدأت في العصور المتأخرة بالحرب الصليبية ان تكف قليلاً عن استعمال ضجيج السلاح المادي ، وتبدأ في استعمال سلاح آخر ، ولم يكن بالقطع السلاح العقلي ، فذلك كما أدركت قوى التناقض والتخلف كفيل بسحب الأرض من تحت أرجلهم لأنه لا قبل لهم بمجابهة العقل الاسلامي يوم يلوذ بكتاب الله وسنة نبيه ليواجه بها اعداء الله وانما عمدوا الى التشويه والزيف بل والمسح أحياناً وكانت البداية العنيفة

والمتعصبة، في العصر الحديث بعد مراحل تشويه هزيلة سابقة لم يكن عنف حمقها يشكل أهمية كبيرة في موقف الهجوم الأوروبي على الاسلام هي تلك الفترة التي بدأت بقطب الحرية الفكرية المدعى في الغرب - فولتير - حين كتب عام ١٧٤٢ م من بين الكثير الذي قدمه للحرية المذبوحة على يديه؟؟. والتي استطاع اليهود ان يجعلوها على يديه ثورة دموية حمراء ، واطلقوا عليها اسم : الحرية كتب مسرحيته (النبي محمد) والتي قدمها للبابا - بنوا الرابع - ولا نعلم كيف اغفل - فولتير - أبسط المبادئ الفنية السائدة في عصره، فالمادة الفنية عنده في هذا الكتاب بالذات مفتعلة ومشوهة ، وغير محبوكة القواعد فرغم ان المسرحية تاريخية إلا انه فيما ساقه من نصوص كاذبة ربط الحوادث بأوهام مصدرها الكذب فضلاً عن جهله بحقائق التاريخ الذي يتعرض له الفيلسوف قطب الحرية في زمانه؟؟. فجاءت المسرحية التاريخية الدينية مسخا في بابها .

ورغم الجهل المطبق ، والذي لا يمكن ان يقع فيه بعض أبنائنا في الشرق حتى من أولئك الدارسين منهم في المراحل الأولية من التعليم يقع فولتير في حقائق تاريخية بديهية في الذاكرة فيجعل من الزبير بن العوام سيداً لقريش ، وقائداً للمقاومة في وجه محمد، وهذا خطأ تاريخي شنيع فالحقيقة غير ذلك تماماً كما هو معروف ومتواتر .

ثم بعد ان يفضح فولتير دخيلة نفسه ويكشف عن ضعف امكانياته بعد ان لم يقو على مواصلة هجومه على السيد المسيح وعلى الكنيسة والأديان جميعا يدخل مرحلة من عمره يختمها بالاستخذاء والمهانة ويساير القوى المضادة للإسلام ليجعل من هزال كتاباته خادماً لهم حين يقول في تقديم مسرحيته التي قدمها هدية للبابا بنوا الرابع .

( . . . إلى رئيس الديانة الحقيقية ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية أضع عند موطن قدميك الكتاب ومؤلفه ، إن صاحب القداسة سيغفر ولا شك الجرأة التي يأخذ أسبابها أحد المؤمنين المتواضعين في أن يهدي واحد منهم حبر أجبار الكنيسة

الكاثوليكية الحقة هذه المسرحية ) .

وكان استخذاء فولتير هذا هو المأساة الأخلاقية التي انتهى بها الرجل ممسوخا ومشوهاً بهذه الروح الكاذبة المأجورة ، وقضى فولتير على بعض ما قدم من فكر ، نحسبه غير ذي موضوع على الإطلاق في تاريخ الفكر والمفكرين بالرغم من الضجيج الذي صنعه اليهود حول اسمه ولقد عمق هذا المعنى عندما فوجيء العالم الاسلامي بأن واحدا كفولتير كان ممن يقال عنهم من دعاة الحرية ينزلق في مجازاة خصوم الإسلام ، والشرق الإسلامي الى هذا الحد الذي أفصح فيه عن جهله التاريخي بحقائق الإسلام .

\*\*\*

وفي المعركة الطويلة التي اخترنا من قوادها نماذج كان فولتير من بينهم واحدا أما الثاني : وبالمثال نستشهد على ما لقيه ويلقاه الإسلام من عوائق وحجب تحول دون تأثيره في المجتمعات الانسانية وهدايتها على يد القوى المتعددة والمتنوعة التي تعترض سبيله ، ومن بينها بالقطع جهود المبشرين والمستشرقين .

ذلك هو المستشرق القس ( لامانس ) وهو قسيس أكل الحقد قلبه حينما رأى الاسلام ينتشر في جميع أرجاء بقاع العالم ويسط جناحيه على قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، فيضيق صدر ذلك القسيس فيسخط على القدر ويقول : ( لماذا جاء القرآن فجأة ليقضي على التأثير الطفيف الذي كان الإنجيل قد أخذ يحدثه في ابن البادية ) .

إن القس لامانس ذو هوى جامح عنيف نائر ، ومنهج ( لامانس ) ساذج كل السذاجة إنه منهج العكس ، فيأتي الى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقلبها متعمدا الى عكسها . ومن ذلك أنه ينكر على رسول الإسلام الشجاعة التي هي من أبرز صفاته<sup>(١)</sup> فيقول عن موقف الرسول - ﷺ - يوم أن كان يقود الجيوش في الغزوات

---

(١) أنظر دراسة علمية وموضوعية حول فكر ومنهج المبشرين والمستشرقين ، فيما كتبه المهندس زكريا هاشم في كتابه ( المستشرقون والإسلام ) الصادر عن المجلس الأعلى لجنة التعريف بالإسلام عام ١٩٦٥ م .

ولم تضطرب نفسه في أية واحدة منها ، حتى يوم أحد وقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً ولم يضعف يقينه ﷺ كثرة الجيوش المعادية في غزوة الخندق يوم أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر حتى لقد أوثر عن علي رضي الله عنه قوله : كنا إذا همى البأس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله - ﷺ - فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . كما لم ترعه نبال كالصواعق يوم حنين ومع ذلك فإن ( لامانس ) يصفه بعدم الشجاعة . . ثم يحاول أن يعمم الحكم على العرب قاطبة ، يقول : زعموا أن العربي يتسم بالشجاعة ، بل لقد عللوا النجاح في الفتوح الإسلامية الأولى بما يمتاز به العربي من صفات ومزايا ولكني أتردد كل التردد في قبول هذا الرأي المبالغ فيه كل المبالغة ان شجاعة العرب إنما هي من نوع غير سام .

ويعلق فضيلة ( الشيخ محمد الخضر حسين ) شيخ الأزهر الأسبق على هذا الزعم فيقول : (١) وكذلك الداعي الى الحق . ولا سيما المعهود اليه بإبلاغه وتنفيذه لا بد من أن يكون شجاعاً رابط الجأش على قدر شدة المدعوين وصعوبة مراسهم . وعلى قدر عظم الحق ولمخالفته للملهم وعاداتهم وأهوائهم فإذا أودع الله تعالى قلب رسوله شجاعة وسكينة في مواضع الخطوات فلا جرم أن يكون نصيبه من هذه الميزة أعظم نصيب ، إذ لا أشد من مراس الأمة التي ابتدأ بتبليغها وهي الأمة العربية . وفي دعوة الإسلام قضاء على مللهم ، وذم لمعبوداتهم وإبطال كثير من عاداتهم . وصرف لهم عن أهوائهم .

ولو أطلع القسيس المغالط على الكتاب الذهبي النفيس الذي كتبه قواد الحرب الكبرى يشيدون فيه بشجاعة وجرأة الجنود المسلمين الذين حاربوا مع قيادة جيوش الحلفاء دفاعاً عما اعتقدوه حقاً فكانوا من أكبر عوامل النصر في الحرب الكبرى حتى لقد أثارت فرق الهجوم - منهم إعجاب العالم أجمع فإنه لو قرأ ذلك الكتاب لشاهد فيه آلاف الشهادات من القواد العسكريين بالبطولة لهؤلاء الجنود العرب المسلمين . وهذه البطولة بقية في أبناء المسلمين مما ترك أبائهم . ناهيك عن عصر صدر

(١) أنظر نفس المصدر السابق على ضوء تصرف منا .

الإسلام ، وتأثيره في قلوب الرجال .

ومن المعروف أن النبي كان يتعبد في غار حراء ، ولكن لامانس يؤكد أنه كان يكره الوحدة . . كما يصفه بأنه أكل قد كثفت جسمه اللذات ولا يذكر شيئا عن صوم الرسول لشهر رمضان فضلا عن مواظبته ﷺ لصيام الإثنين والخميس من كل أسبوع . وعدم حاجته ﷺ لطبيب يعالج بطنه . فضلا عن ذمه للشه في الطعام ، وتميز المسلم على غيره بأنه يأكل في معي واحد . كما يقول لامانس : كان محمد نؤ وما . . . والروايات الصحيحة تحدثنا أن الرسول ﷺ - كان يتهجد بالليل على وفق قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتعجد به نافلة لك عسى أن يعثك ربك مقاما محمودا ﴾ .

روى ( الامام البخاري ) في جامعه الصحيح عن المغيرة بن شعبة أنه قال : كان النبي ﷺ - يقوم ليصلي - فيظل يصلي حتى تتورم قدماه ، فيقال له ، فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً . . . وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور ، فيكثر فيه من تلاوة القرآن والصلاة ، والذكر والاعتكاف . وما كان يخرج عنه شهر حتى يصوم منه . وربما صام أياما متتابعة لا يفطر . . . . وكان يواصل الصوم في رمضان . أي يصل الليل بالنهار في الصوم . يومين أو أياما ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة وكان ينهي أصحابه عن الوصال . فيقال له : انك تواصل فيقول : لست كهيتكم ، إني أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني ، المراد من إطعام الله وسقيه ما يغذيه به من المعارف وما يفيضه على قلبه من لذة المناجاة ، وورد في السيرة انه كان يجلس ولا يقوم إلا عند ذكر الله .

وكان جوهر عبادته ﷺ الاخلاص . يصلي في حجرته نافلة كما يصلي في المسجد ويذكر الله خاليا كما يذكره في جماعة . ويعمل له في السر كما يعمل له في العلانية . لكنه الهوى الجامح والحقد الأعمى عند أعداء رسول الله ﷺ . وقد أخذ لامانس ينقص من حقوق أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وعائشة وحفصة وغيرهم من أوائل المسلمين .

أما إذا تحدث عن أعداء الإسلام . كأبي جهل وأبي لهب ألد أعداء النبي أما إذا ما تحدث عن المنافقين خونة الإسلام . فإنه يشيد ما شاء له هواه . ويمدح ما أمكنه المدح . ويطري كلما أتيج الإطراء ويلبسهم من الفضيلة ثوبا لامعا خلافا .

ولقد بلغت به الحماسة في كتابته عن بني أمية قبل إسلامهم حداً أثار نفور (كازانوفا) الأستاذ في - كليج دي فرانس - فقال في الرد على لامانس : كانت نفسية الامويين في مجموعهم مركبة من الطمع في الغنى الى حد الجشع ومن حب الفتح من أجل النهب (ليس ذلك صحيحاً) ومن الحرص على السلطان من أجل التمتع بملذات الدنيا الشيء الكثير لذلك يحق لنا أن نعجب أشد العجب من كاهن كاثوليكي مثل الأب لامانس يتطوع للدفاع عن أولئك الغاصبين الطغاة، ساخراً في سذاجة من الذين مكروا به وخدعوه. وهكذا أوقع جهل « كازانوفا » هو الآخر في رده على رينان في هذا الخطأ التاريخي في حديثه عن بني أمية قبل الإسلام وبعده .

وانها لغريبة حقاً هذه المباحث التي اختارها القسيس ( رينان ) في التشيع لبني أمية قبل الإسلام وبعده ، ورد ( كازانوفا ) عليه بخطأ أشبه بخطأ وجهل رينان .

والباحث حول منهج رينان يطالعه في هجوم الرجل على الإسلام العجب العجاب .

إن المنافقين عند ( لامانس ) أبطال الوطنية عند القسيس ، وإذا أردنا أن نعد أخطاء لامانس فإننا لا نقف عند حد . . أنه مثلاً يعتمد أن يعطي للألفاظ معنى آخر ، غير الذي تعطيه لغوياً أو اصطلاحياً فقد كان مولعاً بقلب الحقائق ، ان الردة في نظره معناها الانفصال . والمرتدون هم الانفصاليون . والمنافقون هم المشككون وهم أبطال الوطنية القومية . وإذا قرأ لامانس في القرآن الآية الكريمة : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ فسرى أنه يشرحها أبعد ما يكون عن السمو وعن المكانة العليا التي هي عليها في الإسلام . . . إنه يفسرها : إن الله مع الساكتين على سياسة محمد .

وهذا القسيس يفسد متعمداً الصور التاريخية والحقائق الدينية أنه يحدثنا عن مكة والمدينة في عهد الرسول، فيعطينا صورة الأوربية حديثة وكأنه يحدثنا عن باريس

ولندن حينما يتحدث عن جزيرة العرب عن الحملة الصحفية ، عن المالىين . بنك مكة<sup>(١)</sup> . مليونير الجزيرة العربية . الضريبة على الدخل ، طبقة العمال (جائزة مونتينيون ) ابلاغ الرسالة الى محل الإقامة . ديوان ذي الجلالة وزارة الله . وإلى آخر هذه التعبيرات اللاهوتية الحديثة التي تفسد الصورة ولا تصور الحقيقة ولا تدل إلا على الجهل المطبق بحكومات العصر الذي يتناوله .

ولدى لامانس جرأة نادرة ، إذ أنه عندما كان لا يعثر على أي خبر واحد يؤيد به أي زعم مما زعم . . . فكان يغالط كما هي عاداته بقوله : إن هذا أمر عنى رجال الحديث والأخبار بكتانه .

وبينما يحترم المسلمون السيد ( المسيح ) ويجلون من اعتقاد أنه عبد الله ورسوله ، نجد لامانس يصف رسول الإسلام بأبشع ما يمكن أن يظهره الحقد والكراهية . ولكأننا نسمع أسلوب ( رهبان القرون الوسطى ) الذين لم يكن في جمعيتهم إلا السباب والشتائم .

ولقد أصاب الدكتور ( سنوك هرغرنبه ) في قوله : أن سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعمق اذا سخرت لأية نظرية أو رأي سابق . هذه حقيقة يجمل في مستشرفي العصر جميعا أن يضعوها نصب أعينهم . فإنها تشفيهم من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة فيصلوا الى نتائج لا شك خاطئة فقد يحتاجون في تأييد رأي من الآراء الى هدم بعض الأخبار

---

(١) سبق أن أوضحنا مثل هذه التهم التي توجه الى الإسلام . هذا ومن الممكن الرجوع الى كتاب ( مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ) للأستاذ أحمد إبراهيم الشريف - الطبعة الثانية الصادرة عن دار الفكر العربي بالقاهرة للوقوف على الصورة التاريخية التي كانت عليها مكة والمدينة في عصر الرسول ﷺ . هذا بالإضافة الى أمهات كتب التاريخ الإسلامي التي نعتقد أنه إن كان لامانس أطلع على بعضها فهو لم يفهم منها شيئا وكان في حاجة الى أن يتلمذ عليها : مثل : تاريخ الأمم والملوك للطبري ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والكمال في التاريخ لابن الأثير ، والمغازي للواقدي ، وابن هشام وغيرهم .

وليس هذا بالأمر الهين ، ثم الى بناء أخبار تقوم مقام ما هدموا ، وهذا أمر لا ريب مستحيل<sup>(١)</sup> .

ولقد شغف أولئك المستشرقون المحدثون بالمذاهب الغربية المغالية التي تعمل على هدم السنة النبوية بما هو مبتدع وغريب .

على أن دراسة المبتدعات التي دخلت عن هذا الطريق في تاريخ النبي قد أتاحت لنا أن نكشف عن أنها كانت ، أحيانا ، وليدة كراهية شديدة ( كما هو الشأن في كل ما كتب القسيس ( لامانس ) أو القس « زويمر » ) عن الإسلام اذ يصعب التوفيق بينها وبين العلم ولا تليق بعصرنا هذا ، كما أنها على العموم مع ما فيها من إحاطة نظرية بحتة تسجل على مؤلفها جهلا عجيبا بعادات العرب ومقومات الإسلام وأنه ليكفي في إظهار زيفها أن تقارن بعضها ببعض لأنها على تناقض بحيث ينسخ بعضها بعضا . وأخيرا فإن استغراقها في الخيال فيما يتعلق بالظواهر النفسية الشرقية . ليظهر بأجلى بيان صدق تلك الآثار المأخوذ بها في العالم الاسلامي .

والمستشرق الألماني ( يوليوس فهلوزن ) وهو عالم مبرز في ميدان الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد ، وباحث محقق في ميدان التاريخ الغربي ، ومؤلف كتاب ( تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الأموية ) قد قارن العالم الألماني ك . ه . بكر ( بين فهلوزن في كتابه عن الدولة العربية ) وبين الراهب اليسوعي ( ه . لامانس ) في كتاباته عن العصر الأموي ولاحظ - أن لامانس - قد فشل فيما نجح فيه فهلوزن .

فكتابات لامانس أشبه بمجموعات من الفيشات ، أما كتاب فهلوزن فهو بناء فكري ولا مانس يكون شخصياته التي تكون عنها جزءا جزءا ، لكنه يقع على اللون غير الصحيح . أما فهلوزن فهو يزهد في جميع القطع الملونة الأخاذة ، كأنه ينحت

---

(١) من الجهود الموفقة التي قدمت بعض المواقف المقبولة من قلة مستشرقة كتاب ( شمس العرب تسطع على الغرب ) للدكتورة ( زيغريد هوتكة ) الألمانية .

شخصياته من الحجر الأصيل .

وأن المؤرخ فلهوزن معترف له بالدقة في الرأي والحكم على الأشياء ، لكنه يسرف أحيانا في تحرره الفكري ، أو في تطبيق حكم أو تصور ينتهي إليه ، ولما كان ليس مسلما فقد انحرفت نظرتة في بعض المسائل شيئا من الانحراف ، نذكر منها على سبيل المثال فقط لا الحصر ما قاله المؤلف فلهوزن في صفحة ٢ من كتابه :

والإسلام ليس استسلاما بالمعنى السائر هذه الكلمة وليس ( الله ) في عقيدة الإسلام إلا عبارة عما يسمى المطلق عند الغربيين أعني أن الإسلام ليس إيمانا بشيء غير مفهوم هو إلى السلب منه أقرب من الإيجاب بل إله الإسلام هو الذات التي لها القدرة على كل شيء ، والخير والعدل في حقها ملازمان للقدرة لا ينفكان عنها . ثم يقول :

ويبرز في القرآن شأن القدرة الإلهية تارة وشأن العدل الإلهي تارة أخرى ، وذلك بحسب ما كان يجيء به النبي عليه السلام دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا يشعر ( محمد ) عليه السلام بما في ذلك من تناقض لأنه لم يكن فيلسوفا ولا واضعا لمذهب نظري في العقائد يقصد المؤلف أن الذات الإلهية في الإسلام ذات حقيقة لها صفات الخلق والتدبير والعناية ، وذلك في مقابل إله الفلاسفة الذي هو أشبه بمعنى مجرد .

والظاهر من كلام المؤلف أن القرآن الكريم عنده من تأليف النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا مخالف للحق الذي يعتقده المسلمون ويعرفه عنهم غيرهم ، وهو أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وأنه وحي أنزله على رسوله ، وكان يجب على المؤلف وفقا لمقتضيات الواقع والبحث العلمي النزيه أن يشير الى ذلك بصراحة ، ثم يبحث عن الحكمة التي يرمي إليها القرآن من إشعار المؤمن بقدرة الله تارة وبعده تارة أخرى وهي كما يمكن أن يقال : أن يشعر بأنه داخل ميدان قدرة الله المطلقة فيخشاه ولا ينساه . ثم يشعر بعده فتطمئن نفسه الى صنع مولاة .

على أن إبراز القرآن لبعض الصفات الإلهية المتقابلة لا يقتصر على القدرة ،  
والعدل بل يشمل صفات أخرى مثل إنه تعالى شديد العقاب وأنه غفور رحيم وأنه  
فعال لما يريد وأنه كتب على نفسه الرحمة أو أنه الجبار وأنه اللطيف إلى آخر الصفات  
التي وصف بها نفسه .

أما ما يزعمه المؤلف من تناقض في ذلك فهو شيء ليس له وجود إلا في ذهنه  
هو، وأين التناقض في إضافة صفتي القدرة والعدل أو الجبروت والرحمة الى الله  
تعالى .

إن زعم المؤلف في هذا تناقضا ليس إلا قصورا عن إدراك أسرار كتاب الله  
الحكيم وحقيقة صفات رب العالمين التي أخبر بها سبحانه عن نفسه في القرآن  
الكريم .

أما ما يقوله المؤلف من أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن فيلسوفاً ولا من  
واضعي المذاهب الاعتقادية فهو صحيح فالحق أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان  
نبياً يتلقى علمه من الله ولا ينطق عن الهوى ، فهو ليس من الفلاسفة الذين  
يعتمدون على عقولهم البشرية القاصرة المعرضة للخطأ ، ولا مفكراً من المفكرين  
الذين ينظرون في النصوص المنزلة أو ما يؤخذ منها ثم يجتهدون في وضع مذاهب  
اعتقادية بحسب ما يمكنهم أن يصلوا اليه بالنظر الانساني غير المعصوم المتناقض .

وقال فلهوزن أيضاً : ولقد كان في وسع محمد عليه الصلاة والسلام من طريق  
عقيدة تتجاوز دائرة معتنيها الدائرة التي ترسمها رابطة الدم . أن يحطم رابطة الدم  
هذه لأنها لم تكن بريئة من العصبية وضيقها ولا كانت ذات صبغة خارجية عارضة .  
وهذا هو الذي جعلها لا تتسع لقبول عنصر غريب عنها . ولكن محمداً - عليه  
الصلاة والسلام - لم يرد ذلك ، ومن الجائز أيضاً أنه لم يكن يستطيع أن يتصور  
إمكان رابطة دينية في حدود غير حدود رابطة الدم ، ولذلك لم ير أن رسالته هي أن  
يضم الى دعوته أتباعاً متفرقين هنا وهناك . نعم . كان لا بد له أن يبدأ بضم أفراد  
ولكنه كان يرى الجماعة كلها ، فكان يطمح إلى أن يجعل أمته العربية كلها جماعة

دينية له ، أما إنشاء جماعة دينية صغيرة مضطهدة في مكة ، فهذا ما لم يكن ليرضي طموحه .

والظاهر في تعبير المؤلف عدم توفيقه ، فلو أنه أمعن النظر في القرآن والحديث لأحس في قلبه وفي عقله مقدار سعة الرابطة التي تربط بين البشر جميعا وهي التوحيد لله الذي خلقهم .

وقد سار النبي عليه الصلاة والسلام في معاملة الخلق طبقا لذلك وحارب العصبية الدموية محاربة شديدة .

والذي ذكره فلهوزن يخالف الواقع أيضا ، لأن الدعوة الإسلامية جاءت للناس كافة ، ولأن القرآن والحديث قد أعلننا أن الناس جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، كلهم أمة واحدة ومنشئوهم من أصل واحد ، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم . وكان غرض الدعوة الخروج بالناس من ضيق العصبية القبلية والجنسية الى أفق الانسانية الموحدة وهذا ما يصرح به القرآن والسنة .

أما الاعتماد على مؤمنين يحملون الدعوة وينشرونها ويمنعونها من أعدائها بفضل ما يكون بينهم من إلتحام بالنسب وبفضل ما ينشأ عن ذلك من قوة لا يتعارض مع الغاية الكبرى التي تحققت فعلا .

وفي عبارة المؤلف ما يعتبره في الاسلام من أشياء تميزه عن اليهودية والنصرانية تعريب له ، وما هو كذلك بل هو تعليم رب العالمين قال : وفي أثناء هذا الصراع الذي كان في الظاهر بين الإسلام وبين الوثنية العربية ثم على نحو يستلقت النظر ثم تعريب داخلي للإسلام نفسه وقد كانت نقطة البداية في دعوة محمد عليه الصلاة والسلام إقتناعه في أول الأمر بأن ما جاء به من دين يتفق مع اليهودية والنصرانية فكان ينتظر طبقا لهذا الإقتناع أن يهود المدينة سيستقبلونه مرحبين ، ولكنهم لم يعترفوا له بأنه نبي ولم يعترفوا بأن الوحي الذي أنزل إليه هو الوحي الذي

عندهم ، وإن كان اليهود دخلوا في أول الأمر من الوجهة السياسية في الأمة التي أسسها محمد عليه الصلاة والسلام وقوله • وكان أبو بكر وعمر يعلمان أنها لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي ، بل من طريق الإغتصاب ، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية فيما بعد طابع الإستقرار .

وهذا كلام لا أساس له ، لأن أبا بكر وعمر توليا الخلافة من طريق شرعي بحسب ظروف الموقف . ولم تكن الخلافة في يد أحد حتى يقال أنها إغتصباها منه . ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام قد نص نصا صريحا على من يخلفه ، لكنه عليه الصلاة والسلام بتكليفه أبا بكر أن يصلي بالناس قد أعرب عن العهد إليه بتولي شئون المسلمين من بعده . هذا إلى أن أبا بكر نظرا لأنه كان أول من آمن بالرسول عليه الصلاة والسلام فإنه قد كان له السبق في الإيمان وما ترتب عليه من الصحبة والكفاح والعلم بالله والأسوة برسوله والأهلية للخلافة ، ثم أن أبا بكر قد عهد الى عمر بالخلافة ، وفي كلتا الحالتين بايعهما المسلمون ، فأين الاغتصاب ؟ !

لكأن المؤلف يعبر عن رأي غلاة الشيعة في الإمامة وفي أن عليا رضي الله عنه كان أولى بها ، لكن المؤلف لا يذكر الشيعة في هذا المقام ويقول المؤلف في صفحة ٤١ : وتنفس المحاربون العرب بعد أن كانت الحروب المتواصلة لا تترك لهم الخيار للراحة سبيلا ، فوجدوا فراغاً للتفكير وطالما كانت الغنيمة ، وكانت في الحقيقة نهباً مستمراً تتدفق من غير إنقطاع الى أيدي الجند من طريق الحملات الحربية المتواصلة . . . . الخ .

إن هذا هو رأي المؤلف فلهوزن ومعناه ، لكن الحق أن قانون الحرب والغنيمة الذي كان معمولاً به في الفتوحات الاسلامية كان يقوم على التسامح من جانب المسلمين الفاتحين واذا كان قد حدث في تاريخ الفتح ان بعض قادة الجيش كانوا يرفضون عروض الصلح ويريدون الفتح عنوة لما فيه من غنيمة أكبر فإن ذلك لم يكن هو القاعدة أبداً ، وهو لا يبرر القول بأن أخذ الغنيمة كان نهبا . . ؟

هذه بعض الأمثلة مما جاء في كتاب ( تاريخ الدولة العربية )<sup>(١)</sup> لفلهوزن وهي كثيرة وليس المجال مجال حصر الأخطاء وكل التباس وقع فيه المؤلف على خطورة ما وقع فيه أخف كثيراً من حقد وجاهلية القسيس (لامانس) ولكننا سردنا تلك الهفوات على سبيل التعريف فقط بناذج من فكر القوى المضادة في حربها للإسلام واخترنا نموذجاً هادئاً في خبثه والتوائه، ولم نتناول واحداً من الذين علا صوتهم بالحق والكراهية .

ومن المستشرقين اشباه فلهوزن المستشرق ( ر . ف . بودلي ) مؤلف كتاب : حياة محمد : ومما قاله عن القرآن الكريم : في كتابه : « . . . ويعرف هذا الكتاب بالقرآن وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف (محمد) وعلى الرغم من أن الأفكار قد دونت في الرقاع وسعف النخل والعظام في لحظات غريبة فان السور والآيات الأصلية قد حفظت ، وما عمل هذا في العهد القديم والعهد الحديث بعد قرون او حتى عشرات السنين بعد موت المؤلف . فان أبا بكر خليفة محمد الأول ، [ ﷺ ] قد جمع الرقاع التي دون القرآن فيها ونسخها حرفياً وحفظت هذه النسخة عند حفصة إحدى زوجات محمد . ( ﷺ ) .

وإن جورج سيل الذي ترجم القرآن في أوائل القرن الثامن عشر والذي كان من الواجب ان يعرف محمداً معرفة حقيقية صدر ترجمته بهذا الإسفاف والتطاول والحقده على رسول الله ﷺ ( . . . اخبرنا المؤرخون ان المدن الشهيرة المميزة على جميع المدن الأخرى في التجارة ، والآداب تنازعت فيما بينها على أنها كان لها الشرف ان تكون مسقط رأس (هوميروس) . . . . وأن هذا النزاع ليستحق الثناء لأنه يدل على رقي في فكر رجال ذلك العصر ولكن لما فحصت شخصية محمد فحصاً دقيقاً

---

(١) نقل الكتاب الى العربية (دكتور محمد عبد الهادي ابو ربه وعلق عليه ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في سلسلة الالف كتاب عام ١٩٦٨ م - القاهرة .

كانت الصورة فظيعة ومعيبة حتى إنه لمن الغريب أن مكان منبته لم تنزل عليه ستائر النسيان . إن أي قطر ليخجل من إنجاب مثل هذا المجرم . ومع ذلك فقد كان توكير العرب لهذا المحتال الكبير دواماً . حتى أنهم لم يدعوا المكان الذي تنفس فيه أول ما تنفس تحيطه أية ريبة او غموض .

واستمر هكذا . . . وان التعليق الوحيد على هذا هو أن نستعير عدة جمل من صفحات قصة محمد التي كتبها راعي كنيسة ( نيوانجلند ) : ليرد اعداء الاسلام بعضهم على بعض يقول : كيف استطاع مثل هذا الرجل ان يخلق ديانة يدين بها اليوم ثلاثمائة مليون مؤمن (عصر كتابه نيوانجلند هذا الكلام ، والا فالمسلمون اليوم قرابة الألف مليون ) وبدلاً من ان تأخذ في الزوال كما هو حادث لكثير من ديانات العالم . فانها اليوم أقوى مما كانت ، ويزداد معتنقوها يوماً بعد يوم ؟ .

وقوله : قد يصادف المرء أحياناً كتاباً من طراز ( جون سلذن ) الذي أجهد نفسه في دراسة دين العرب هذا . فقد قال هذا الكاتب الذي عاش في القرن السابع عشر أنهم يطلقون على الأوثان لفظة محمد وعلى عبادة الأوثان المحمدية فصارت ( محمد ) والمحمدية أسماء بغیضة في حين أن العالم أجمع يعرف أن الترك ( يقصد المسلمين ) . يجرمون الأوثان في ديانتهم .

لكن مثل هذه الحقائق كانت نادرة . وكان الاعتقاد السائد هو أن أية ديانة جاءت عقب موت المسيح ينبغي أن تكون ديانة زائفة .

وهناك أيضاً كتاب ذهبوا الى مذهب آخر ، فجعلوا محمداً قديساً . إذا لم يجعلوه ( إلهاً ) كتاب عزوا اليه معجزات . وظواهر خارقة للطبيعة وقوى سماوية ، وهي ليست أكثر كذباً من اتهامات ( جورج سيل ) والمفكرين من مدرسته .

وأن القليلين هم الذين سردوا قصة الرجل ﷺ دون تحزب أو محاباة ودون ان يبرزوا فضائله ويضغطوا عليها .

وقال بودلي : وما قر رأي محمد على قرار حتى أقر مبدءاً سيصبح عقيدة غير شرعية للمؤمنين . فالجهاد ولو انه ليس فرضاً دينياً فانه سيقوم بما لا يقوم به شيء آخر في سبيل حمل الاسلام الى العالمين .

وفي حقيقة الأمر . فان تاريخ العرب لو أهملنا قصة آدم . يرجع إلى عصور أقدم بكثير من عصور أنبياء التوراة ويثبت ذلك معتقداتهم التي كانوا يدينون بها قبل الاسلام . فقد عبدوا إله الخصب وقدسوا الشمس والقمر والنجوم بجوار اعتناقهم الوثنية واليهودية والمسيحية .

وعلى الرغم من هذه المعتقدات القديمة فلم يهتم العرب بالفجر الذي أشرق على الدنيا في القرن السادس . وفي الحقيقة لم يهتم أحد بذلك كثيراً . فقد كانت فترة قلق دمرت فيها إمبراطورية شرق اوروبا وغرب آسيا بالفعل وأذن سلطانها بالمغيب .

لقد كان العالم ما زال مأخوذاً بفصاحة الإغريق وعظم الفرس وجلال الروم . فما كان ليظن أن يحل مكانها اي شيء آخر ولو كان ديناً جديداً كاليهود المشردين في بقاع الأرض لا قيادة مركزية لهم . مضطهدين او صابرين حسب الظروف والأحوال . وما كان لهم من وطن كما هو حالهم اليوم<sup>(١)</sup> وكان المسيحيون فيما خرج عن نطاق نفوذ الأب (جريجوري) الأكبر قد توصلوا الى إيجاد جميع التفسيرات المعقدة الملتوية لدينهم الواحد البسيط فنشبت المنازعات القاتلة بينهم .

أما في فارس فلا زالت الخفقة الأخيرة تسري في جسم الامبراطورية فكان كسرى الثاني يمد في حكمه . فيحتل (كبادوسيا) و (مصر وسوريا) متحدياً روما واغتصب بيت المقدس وسلب الصليب حوالي سنة ٦٢٠ م .

فلما استطع نجم (محمد) كان كسرى قد استعاد ملك داريوس الأول . . .

---

(١) : قبل ان تتعاون القوى المعادية للاسلام وأهله وتقيم الدولة الصهيونية في ارض فلسطين العربية المسلمة .

ولاح كأن حياة استقرار سترفف على الشرق الأوسط . ولكن لم يكن ذلك صواباً .  
فما زال للبيزنطيين بعض حيوتهم القديمة . فلما هاجم كسرى بجيوشه الحرارة  
القسطنطينية هبوا يحاولون محاولتهم الأخيرة .

مات الامبراطور ( جستيان ) زوج ( تيودورا ) الشهيرة عام ٥٦٥ أي قبل  
مولد ( محمد ) وأعقبه أباطرة لا وزن لهم . حتى إذا ما كان عام ٦١٠ اعتلى ( هرقل )  
وكان من طراز آخر - عرش آباءه . فلم يضيع وقتاً . بل راح يتأهب لملاقاة الفرس  
وهزمهم أخيراً عام ٦٢٧ .

فاستعاد معظم ما اغتصبه كسرى من روما وأعاد الصليب الى بيت  
المقدس ولكن لم يدم نصره طويلاً . فبعد سنين قليلة كتب عليه أن يقابل هجوم  
الإسلام . لقد كان هجوماً قصيراً قاسياً . فما دوت ( الله أكبر ) - صيحة الحرب -<sup>(١)</sup>  
حتى كان النسر الروماني يترنح ثم يتمزق في التراب لآخر مرة . وكان جنود العرب  
يطأونه بالأقدام .

وهناك في الشرق البعيد كان لسير الحوادث أقل الأثر . فكانت الهند لا تزال  
دويلات تافهة متعددة متأخرة متناحرة على السلطة سياسياً وحريراً كان الصليبيون  
على عاداتهم يقاتل بعضهم بعضاً . فجاءت أسرة ( سو ) وأقصت وقتها اسرة ( تانج )  
وبقيت ثلاثة قرون .

أما في اليابان لقد اعتلت عرشها ملكة لأول مرة وابتدأت البوذية تغلغل وتؤثر  
في العقلية اليابانية ومثلها العليا .

وكانت اوروبا تتحول تدريجياً الى امبراطورية الفرنج التي ستحوي على مرور  
الأيام فرنسا وايطاليا الشمالية ومعظم الأراضي الواقعة شرقي الرين حتى الحدود  
البروسية الهولندية الحالية ( ومات كلوفيس ) وكان أمر تنويج ( داخوبرت ) آخر ملوك

---

(١) لم يكن هجوم المسلمين في الحرب قاسياً بالمعنى المألوف ولم تكن ( الله أكبر ) صيحة حرب ، بقدر ما  
كانت شعار تحرير للشعوب المتجهة اليهم .

أسرة (موفنجان) وشيك الوقوع وكانت اسبانيا وانجلترا دولتين صغيرتين .

اما الجزر البريطانية فكانت دويلات مستقلة بعضها عن بعض وكان قد انقضى على خروج الرومان منها مائة وخمسون سنة . وقد اندفع اليها سيل جارف من اهل الشمال، وكانت انجلترا نفسها تتكون من سبع دول منفصلة وكانت اسكتلندا موطن (البيقط) المحاربين .

وان زيارة كولومبس الحديثة لهم حولت ملكهم الى المسيحية وأتاحت لهم فرصة الإتصال بالعالم المتحضر. وكان (الدوريد) يقيمون طقوسهم القديمة في (ويلز) وكان اغلب الأيرلنديين يعيشون كما يعيشون اليوم وكان الآخرون ينتمون الى مجموعة من الأديرة فيبعثون الرسل لتشييد اسس السلية<sup>(١)</sup> في قارة اوروبا.

وكان تاريخ شمال افريقيا مرتبطاً بتاريخ الرومان البيزنطيين . فقد طرد بلساريوس (الوندال) فساد سلام قلق شطآن البحر الأبيض الجنوبية لقد كان الهدوء الذي سبق عاصفة الجيوش الاسلامية .

وعلى الرغم من أن الأوروبية لم يطأ بقدمه الأرض الأمريكية بعد فقد كان هناك أناس لهم مدنيهم الخاصة . فكانت قبائل المايا . في عصر (محمد) متقدمة في هندسة البناء والفلك والحساب . وكانت الهجرة قائمة هناك في أقصى الشمال من آسيا عبر مضيق (بهرنج) فكان القادمون الجدد يحاربون المستوطنين ويدفعونهم أمامهم شطر الشرق . فكان السكان الاصليون يقيمون شعائر الخصب والعلاقات الجنسية الشاذة بحماس اناس صارت أيامهم في الأرض معدودة .

كانت الدنيا على قدر ما يمكننا ان نتصور، لا تختلف كثيراً عما هي عليه اليوم . فكانت آفاق الامبراطوريات وجشع الاستعمار يدفع الناس لقتل بعضهم بعضاً في

---

(١) السلية هم طائفة من البشر شرقية الأصل وينسب اليها سكان الجبال في ايرلندا و اسكتلندا وويلز وشمال فرنسا .

وحشية في القرن السادس كما هو الحال الآن في القرن العشرين وكان القتل والتعذيب واعمال القسوة ترتكب في ايام (محمد) وهرقل باسم مدينة او أخرى كما ترتكب اليوم في ايام (البابا بيوس الثاني عشر وجورج السادس) ولم يتعلم الجنس البشري شيئاً من الدروس التي جرعتها في الألفي عام التي مضت .

وقوله أيضاً : وكان هناك الى جوار سوق بصري دير للرهبان النسطوريين المسيحيين وكانوا يعرفون (ابا طالب) فدعوه الى طعام. وقد لفت (محمد) نظر (بحيرى) الراهب بأسئلته وتفكيره وتطلعه الى المعرفة وقد اثرت فيه أفكاره السديدة فراح الراهب يحدث العربي الصغير وكأنما كان يحدث رفيقاً من رفقاته فأخبره بعقيدة عيسى . وسفه عبادة الأصنام ، وأرهف محمد السمع الى ما ينطق الرجل به . فقد كان غريباً ما نشأ عليه واعتقد فيه<sup>(١)</sup> وان الشخص الآخر الذي حدثه حديث المسيحية كانت الجارية (بركة) التي كانت مسيحتها نقية . فلم يتمكن أنثذ من أن يفهم ما تقول . وان ما يسمعه الآن مجلي كل الجلاء فالوثنية وعبادة الطبيعة تنافيان والمنطق . هذا هو الحق . وليس من المعقول ان يكون لدى محمد أية فكرة عن الديانة أو كيفية تطبيقها على نفسه .

وما كان في شبابه ليشك في عبادة أصنام الكعبة . وأنه قد اختزن في عقله الواعي ما قاله الراهب النسطوري . فاذا ما جد الجذ وجد عنده قدراً من المسيحية استغله خير استغلال .

وما كان الراهب هو المؤثر الجديد الوحيد في محمد في ذلك الوقت فقد كانت العقائد والأديان تتشابك في سوق عكاظ في كل موسم . فكان اليهود والنصارى

---

(١) يهد بودلى بهذا لأن يقول في الفصول الأخيرة ، ان محمداً قد تعلم من بحيرى ، ما جاء في القرآن من نصوص تتفق ونصوص الكتاب المقدس ، على الرغم من ان محمداً لم ير الكتاب المقدس ابداً وان هذا التعليل واه ، فقد كان محمد في العاشرة من العمر ومن غير المعقول ان مقابلة واحدة بين بحيرى ومحمد في سن العاشرة تترك هذا الأثر . ان من حظ بحيرى ان قابل محمداً فلولاً هذه المقابلة لاندثر اسمه كما اندثر اسماء الوف الرهبان .

وعبدة الأصنام وعبدة النار من الفرس يتلاحقون . فكان التسامح الديني يسيطر على الجميع . وكانت الاحقاد تتناسى كما هو الحال في الألعاب الأولمبية . . . وكانت بعض الأعمال تبرم ولكن الملاهي المتوافرة من سباق الى انشاد اصحاب المذاهبات والمعلقات الى شرب إلى رقص كانت أكثر ما يجذب البصر . وكان قس بن ساعده راهب نجران النصراني يخطب الناس من فوق جملة شارحاً عقيدته . وكان يقضي الساعات وهو يتحدث ويحدث الناس عن تفاهة الحياة الدنيا وعظمة الحياة الأخرى .

ولقد استمع (محمد) الى شذرات من هذه الخطب وفي السنين التالية كان محمد يخطب من فوق جملة . وكان حديثه يحوي كثيراً من العظات التي كان يرددها الراهب النصراني . . .

وكان اليهود القوم الوحيدون الذين لم يقدره . وكانوا في الواقع يبذلون ما وسعهم البذل ليعارضوا نجاحه فبدلاً من أن يشيدوا بانتصاره راحوا يقللون من قيمته . وقد فعلوا ذلك في دورهم وفعلوا جهاراً وقد سخروا من الوحي . واستفادوا من سماح (محمد) لأي إنسان بالدخول الى المسجد فراحوا يسخرون من صلاته وقد اعترضوا على أصالة ما جاء به القرآن وجاءوا بالانجيل ليثبتوا كيف أن القليل من أحكامه كان اصيلاً .

وكتبوا هجاء فيه وفي المسلمين وذهب بعض صغار اليهود الى إلقاء الحجارة عليه كما حاولوا اغتياله .

وعلى ذلك فقد احس المسلمون أنهم يصبرون على الضيم في المدينة كان اليهود في تلك الأيام . كما هم الآن . يسيطرون على المصارف المحلية ويقرضون عملاءهم فلما تحسنت أحوال المهاجرين هبط عليهم اليهود وراحوا يبتزون ما عندهم ابتزازاً .

وقد يسأل سائل : لماذا يفعل اليهود ذلك في هذه البقعة التي تبعد مئات

الأميال عن وطنهم<sup>(١)</sup> ولماذا كشفوا عن هذا المقت الخاص لمحمد والمسلمين؟ وإن الجواب بسيط . . . . إن خلقاً ليعتقدون أن طرد اليهود من فلسطين له علاقة ببريطانيا العظمى أو بابن السعود، أو بادولف هتلر . . . وهذا خطأ كله ، فقد كان اليهود منذ أزمان سحيقة عرضة دائماً للطرد من وطنهم الذي استولوا عليه اصلاً بالقوة ولنذكر بعض الذين طردوهم ، فهناك ( سرجون الثاني ) سنة ٧٢٢ ق.م وبختنصر سنة ٥٨٦ ق . م وبومباي سنة ٦٣ ق م وتيطس سنة ٧٠ ميلادية وطردهم هادريان طرداً نهائياً سنة ١٣٠ ميلادية . ولا يوجد بفلسطين اليوم الا ٦٥٠ ألفاً من الخمسة عشر مليوناً المنتشرين في العالم<sup>(٢)</sup> .

فكلما وقع اضطهاد اليهود . رحل المضطهدون إلى ممالك اخرى . وقد تغلغل كثير منهم في جزيرة العرب . فانه بعد أن نهب تيطس بيت المقدس استولت ثلاث قبائل قوية على المدينة أو (يثر) . كما كانت تسمى . هذه القبائل هي بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير ، وحولوها الى معقل زراعي . ومنذ ذلك الوقت شب النزاع واستمر بين اليهود والقبائل العربية المحلية التي صارت فيما بعد بين الأوس وبين الخزرج . واستفحل القتال في خلال السنوات السابقة للهجرة مباشرة . وانتهى في سنة ٦١٨ . . . بموقعة دامية في مكان يعرف بالبواط . ثم قررت الأحزاب المقاتلة بعد ذلك ان من الأحكم تناسي الخلافات في الرأي . وقد تقرر تبعاً لذلك تناسي المنافسات والثأر تحت إمرة زعيم عظيم ، وكان (عبد الله بن أبي) العربي الرجل الذي انتخب لهذه المهمة . وكان صديقاً لليهود . ولكن قبل ان يثبت التعيين ظهر محمد وأصحابه ذوو الثياب الرثة فبدلوا كل شيء .

ومما جاء في الكتاب عن القرآن : فالقرآن كتاب جليل يعكس صورة (محمد)

---

(١) لم يكن في عصر الدعوة الاسلامية لليهود وطن ولا ادنى دليل في الادعاء بان لهم وطناً ، فقد كانوا قد تخلوا عن هذه الدعوة للسيطرة الرومانية عليهم . انظر مناقشة زيف هذه الافتراءات في كتاب (اليهود في موكب التاريخ) للمؤلف - القاهرة عام ١٩٦٩ م .

(٢) ٦٥٠ الف من اليهود الذين ذكرهم (بودلي) هم الذين جاء بهم الانتداب البريطاني في الفترة من عام ١٩٢٣ - ١٩٤٧ م ، اي قبل الاعلان عن دولة اسرائيل من قبل الجماعات اليهودية .

بل إنه محمد في الواقع . . وعلى الرغم من ذلك فهناك قليلون من غير المسلمين ودارسي الاسلام ليس عندهم أية فكرة عن مذهبية القرآن .

فعلى الرغم من وجود تراجم له عديدة جيدة بالفرنسية والإنكليزية والالمانية فمن النادر أن تجد غريباً قد قرأه . فقد سمعت بعضهم يتحدثون عنه باعتبار انه تاريخ (محمد) او على إنه مجموعة قوانين محمد او على انه تأويل للكتاب المقدس، والظاهر أنه حتى مؤرخي محمد قد تجنبوا التحليل او الشرح لهذا العمل الذي عليه قام الاسلام جميعه<sup>(١)</sup> .

ويردف الحديث قائلاً : فكانت النتيجة عملاً مرقعاً مفككاً ولا يحمل اية فكرة عن تكوين اية خطة في رأس محمد او على الظروف التي كانت تحيط به وتؤثر فيه وكان الارتباط عاماً حتى إن فولتير قال بعد أن قرأ القرآن : كتاب لا يمكن إدراكه يخالف عقولنا في كل صفحة . . . . ويقول أيضاً : وفي الواقع أن عدم التسلسل هذا في قطعة ادبية ليس بدعا مسلماً دون ان يلقي كثير اهتمام الى من يقرأه في البداية او النهاية .

ثم يقول :

وإن هذه الصحف المفككة التي كانت عند حفصة هي التي قررت القرآن الكريم ، وعلى الرغم من ذلك فلم يلتفت كثيراً الى هذا . وابتدأت الاختلافات تبدو في طبعات القرآن التي انتشرت في العالم الاسلامي الأخذ في النمو .

وقوله أيضاً : وفي الواقع لا يمكن اقامة البرهان بوضوح على ارتقاء وتطور عقل التاجر الرحالة الى المرسل الى عقل حاكم جزيرة العرب بأكثر من هذه السور المرتبة ترتيباً زمنياً . وإن هذه السور المرتبة لتطيل ملاحظة فولتير عن الموضوع . وتبطل ما قاله (جوته) : كلما اقتربنا من القرآن ، تجدد امتعاضنا ثم يجذبنا بالندريج . ويشير فينا الدهشة ثم يدفعنا الى الاعجاب به في النهاية .

---

(١) : هذا خطأ وقع فيه بودلي بسبب عدم المامه بما كتبه المؤرخون المسلمون ورجال السنة حول كتاب ربههم وسنة نبهم ﷺ .

ويقول : وقد ظل أمراً غامضاً كيفية معرفة محمد بالتوراة والانجيل كما سبق أن اشرنا الى ذلك .

ثم يقول : وهناك هذه الترجمة التي تعزي الى (ورقة) ولكن ليس هناك أقل شاهد على أن محمداً قد اطلع عليها . وكان حديثه مع ورقة يتعلق بعموميات اللاهوت . وأن السبب الذي يؤكد عدم اطلاعه عليها أن ورقة قد مات قبل أن يبدأ محمد في تدوين ما اوحى به جبريل اليه . وقبل أن يبدأ في تنسيق القرآن بكثير وان اول طبعة عربية للعهد القديم قد نشرت بعد المسيح بتسعة قرون . اي بعد موت محمد بما يقرب من ثلاثة قرون . وبينما اول طبعة رسمية عربية للعهد الجديد قد ظهرت بعد ذلك بقرنين ، وللغرب ذاكرة واعية مذهشة . فمن الممكن ان محمداً كان قادراً على ان يخزن في عقله كل ما سمعه خلال رحلاته . وإن هذا ل يبدو عملاً خارقاً<sup>(١)</sup>!

ولكن هذا هو التفسير الممكن الوحيد . الا اذا قبلنا صراحة ان القرآن وحي من السماء .

وقال بودلي : وقلما افكر في محمد رسول الله الذي اصبح اتباعه سبع سكان الأرض وقلما افكر فيه كملهم للجنود الذين امتدت فتوحاتهم امتداداً لم يتجاوزه إلا جيوش الامبراطورية البريطانية . . وقلما افكر فيه كمؤلف للقرآن ذلك الكتاب العجيب من الأحكام والدين والنظم ، ولكنني افكر فيه كصبي فعل الخير لقومه . وأفكر فيه أيضاً كاتباً له مثل اعلى يضطهد ويعذب من أجله . ثم يرغم أسرته ان تعترف بأنه كان على صواب .

وإن ما فعله محمد بالسيف ومن فوق منبره كان أقل خطورة من دحضه القول السائد بأن لا كرامة لنبي في قومه . فإنه قد بدل أفكار أهله ، ومن الواجب أن نذكر

---

(١) : حول مراحل تطور كتابة « العهد القديم باللغة العربية » من الممكن الرجوع الى رسالتنا للدكتوراه (التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه ) صادر عن دار الجليل - بيروت .

ذلك إذا ما شئنا أن نقدر قصة الصحراء الناجحة هذه حق قدرها .

وقوله أيضا : وكان من أسرة طيبة تجري في عروقها دماء قريش ولكنه ما كان من أمراء التجارة . . . وكان فاشلا في تلك الناحية . فعلى الرغم من علاقات أسرته جميعا فإنه ما فعل شيئا يلفت النظر . لقد ظل أميناً ولكنه كان أجيرا .

وقوله : ولم يبد لي محمدا قديسا كما يراه المعجبون به . ولا دجالا كما يزعم محقروه ، وقد قالت عائشة عنه - وكانت تعرفه حق المعرفة وما كانت مخدوعة : كان كيسا ونبيلاً ، كانت تبرق أسارير وجهه غالبا ويتسم كثيرا<sup>(١)</sup> .

ومن أقواله :

فما كان يهمل أمر الله أبدا . وما كان يسمح لمركزه أن يدير رأسه وسواء أقرأ الإنسان لكاتب من مناصري محمد . أو لكاتب من أعدائه فإنه ليجد أنهم جميعا قد اتفقوا على أن البساطة والوقار كانتا تعم حياتهم والبساطة المتناهية إحدى قوى الإسلام الأساسية . وإنما لأحدى أسباب انتشاره الملحوظ.

أكان في مقدور رجل ما لم يكن ملهما ، أن أتى الى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية ، وهلا تنعكس سخرية معادي الإسلام عليهم ؟ وكيف يترك دجال عقيدة ازدهرت ونمت بعد موته ؟ إن عدد معتنقي الإسلام ليزيد اليوم بمقدار ربع مليون في كل عام ؟ وهذا دون ضغط أو إرهاب لنشر رسالة الإسلام .

ولم يكن لمحمد (بولس)<sup>(٢)</sup> وكان جنوده هم ناشروا الإسلام الأصليين وأنهم قد تركوا الإسلام ثابت الدعائم حيثما ذهبوا . وإن هذا ليجعل المرء يتساءل عما كان يحدث لو أنه كان هناك إرساليات عربية عظيمة تبشر بالقرآن كإرساليات المسيحية الأولى . وما كان هناك دعاة عظام للإسلام بالمعنى المعروف . فقد كان الناس الذين يتعاملون وهذا الدين يحبونه ، فكانوا يقبلونه ويدخلون فيه ، ومن

(١) ترجمة لحديث عائشة رضي الله عنها وليس النص .

(٢) يقصد المؤلف أن المسيح لم يتم رسالته وقد عمل بولس على نشر المسيحية أما محمد فقد أتم رسالته .

الناحية الأخرى فإن الإسلام لم يبق في دولة تختلف عن مكان مولده كل الاختلاف .  
فقد حكم المسلمون إسبانيا حكماً رائعاً خمسة قرون .

وزيادة على ذلك فما كانت أوروبا لتعتنق الإسلام لو أن ( شارل مارتل ) قد هزم في ( تور ) . فإن هذا الدين يوائم أناساً غير معقدين . وكان محمد غير معقد . الخ .

وغير خاف ما في معظم أقوال ( بودلي ) من روح استشراقية غير مسلمة فضلاً عما عليه الرجل من الجهل بالتاريخ وعلى تعصبه وعدم نزاهته في البحث والتنقيب وعلى حقه للإسلام ورسوله الكريم .

وغير بودلي ولا مانس من أساطين الأدوات العلمية المصنوعة والمدعاة منهج فكر وأسلوب بحث علمي مدعى ضد الإسلام وتاريخه : المستشرق البريطاني ( مرجليوث ) الذي حاول في خبث رهيب أن يشكك في عراقية وأصالة المنبت الأسري ، للنبي محمد عليه الصلاة والسلام فيقول في كتابه ( تاريخ العالم ) إننا نشك فيما إذا كنا نعرف شيئاً عن والد النبي محمد لأن لفظة ( عبد الله ) تطلق على الشخص المجهول وربما كان لها هذا المعنى عند إطلاقها على والد النبي ؟ ولقد ملأ ( مرجليوث ) بجهله وحقه وعدوانه على نبي الإسلام كتبه بمجموعات من الأفكار المتباينة والتي تفصح عن حقيقة ولا تبين عن رأي علمي أو قريب منه ولا تتسم إلا بالكذب .

ورغم أن الكتاب الذي كتبه ( مرجليوث ) عن النبي يعتبر من الكتب المتأخرة جداً عام ١٩٠٤ م الوقت الذي أحجم فيه الكثير من رجالات القوى المضادة للإسلام عن أن يفصحوا في عدائهم هكذا صراحة بالسب والطعن ضد الإسلام وخاصة النبي ﷺ ، ولا أن يدخلوا إلى مواطن القداسة التي تملأ وجدان المسلمين وضآئيرهم ويشوهوها حتى لا يؤججوا مشاعر المسلمين ضدهم حين يرون قضايا مقدسة تتناول بمثل ذلك العدوان الذي تتسم به أعمال الغالبية العظمى من المستشرقين

خاصة وأن مصادر التوجيه الأوروبي قد استحدثت في الاستعمار، والاستعمار الجديد بالذات كبديل للقواعد المسلحة وضجيج القتال أدوات خفت من أن يلجأ المستشرقون والمبشرون الى التشويه المباشر الذي يكشف عن نياتهم ويخرج مشاعر المسلمين وعواطفهم إلا أنه رغم كل ذلك فإن مرجليوث يكذب ويقول : إن النبي محمد لم يكن إنسانا سويا ولا معافا ، ولا حتى على جانب من الرشد والصواب في حياته العامة بل يدعي أن النبي كثيرا ما كانت تتنابه الأمراض والعلل ، ومن أعجب العجب أن يسوق هذا الغربي المأجور دعواه دون أدنى دليل ، بل يندفع في عدائه للنبي إلى أن يقول - كاذبا - إن النبي عاشر النصارى واستفاد منهم وخبر تجاربهم واستفاد من قصصهم في توجيه أفكاره .

ويظل مرجليوث ، يحاول في إصرار غبي يكيل به الاتهام الأحمق والمسف الى الإسلام في شخص نبيه ، مؤملا أن يخفف من تأثير قداسة الدين الإسلامي في نفوس أتباعه ، أو المتأثرين باتجاهات مفاهيمه في الحياة إلا أن مرجليوث انتهى ، وانتهت معه أفكاره ، وكل دعاويه وسخف اتهاماته وبقي نقاء المعتقدات الأساسية في الإسلام لم يصبها أدنى كدر أو اهتزاز ولم تتغير عواطف المسلمين وقلوبهم نحو التعلق بدينهم وحتى حينما تعمل فيهم مظاهر التعقيد الحضاري عملها فتضعف من قوة التزامهم بتعاليم دينهم فإن إيمانهم المطلق بنقاء دينهم يكلف قوى العداء عبء استمرار المواجهة الحمقاء أمام الإسلام .

وأيضا غير ( مرجليوث ) الإنجليزي نسوق من مجموع أولئك الذين اخترناهم نماذج ( أرنست رينان ) الفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت ، ولقد بدأ الرجل حياته حتى انتهى منها في هجوم على الإسلام وأهله كأشد ما يكون العنف والضراوة أتاح له خياله المريض أن يصور النبي محمدا على أنه رجل مخادع ومنافق وماكر وخبيث ، لم يؤد دورا في تشييد هذا الميراث المنسوب اليه وادعى ( رينان ) وهو كاذب في محاولة منه لإضعاف علاقة المؤمنين بهذا الدين ، وبين محمد عليه السلام بأن الذي أسس قواعد الإسلام وجل أمور التعبد فيه إنما هو عمر بن الخطاب الذي يؤدي في الدين الإسلامي - حسبها يصور العداء والتعصب - للفيلسوف

رينان ؟ دور القديس بولس في المسيحية وعلى هذا النهج المفترى يقضي رينان معظم أيام عمره يهاجم الدعوة الإسلامية والعظمة الإسلامية والرجال الإسلاميين ، إلى أن يقول عن ميراث المسلمين في العلوم والمعرفة : إن هي إلا فلسفة يونانية قد خطها العرب بأيديهم ولغتهم ، ويتهم رينان الإسلام والمسلمين بالجدب العقلي ، وبأنه بعد مئات السنين أعطى الإسلام صوراً مختلفة ومتناقضة عن فكرة التوحيد ، ذلك لأن - الإسلام في دعوى هذا العدو الغربي ، لا يدعم الاعتماد على العقل والنظر العقلي<sup>(١)</sup> .

ولئن كنا نحن هنا نستعرض في إيجاز بعض نماذج من القوى المضادة في وجه الإسلام ، والتي وقفت عائقاً وحائلاً دون أن ينفذ تماماً هذا الدين إلى مختلف شعوب الأمم ليلتقي بجماهيرها وينظم حياتها لتقدم بعد ذلك هذه الشعوب نفسها كل ما عندها من معطيات المعاني الإسلامية للحق والحياة ، دون أن ندخل في مناقشة وتفنييد للدعاءات ، أو رد على بعض من مجموع المفتريات التي وجهت إلى الإسلام على أيدي أولئك الرجال : أدوات القوى المضادة التي صنعت خصيصاً لتقف في وجه الإسلام أو لتشوّه تعاليمه ، فإن يقيننا المطلق بعمق وأصالة مقومات وعقائد هذا الدين وتقدمه في مجالات التشريع وسموه في مجال معرفة الله تعالى والإيمان به ، يجعلنا نثق في أن الله تعالى الذي حفظ مقومات هذا الدين من كيد أعدائه وذنسهم لن يمكنهم بعدوان المبشرين والمستشرقين من طمس معالم الحق فيه ، أو تشويه مقومات معتقداته واليوم في سيرة بعض الرجال الإسلاميين الذي قاموا بالفعل بمناقشة بعض رجال الإستشراق ما يطمئن النفس بعض الشيء إلى أن علماء الإسلام على يقظة مما يحاك ضد دينهم ويكفي مثلاً حين هب فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق في الجامعة المصرية عام ١٩٢٣ م ، وفي يوم ٥ ابريل حين ناقش رينان وفند دعواه ،

---

(١) بالقطع لم يطلع القسيس النصراني « أرنت رينان » على معظم مصادر التراث الإسلامي . وإلا لو فعل لكان قد وقع في يديه واحد من أمهات كتب الإيمان والمعرفة

وبين مدى الهزال الذي تقوم عليه كل أفكاره وأباطيله ولقد تمكن الشيخ من أن يفضح دعوى رينان ويضرب عليه أفكاره ويضيق عليه الخناق في دعواه ويفضح كذبه ويدحض عدوانه ومن قبل موقف الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، كان قد وجه نفس هذا الفيلسوف الفرنسي بالشيخ محمد عبده عندما كتب الشيخ كتابه ( الإسلام دين العلم والمدنية ) إلا أنه رغم ما قد تنبه إليه البعض من الرجال الإسلاميين كالشيخ محمد عبده والشيخ مصطفى عبد الرزاق ظلت موجة الهجوم المضاد للإسلام في خدمة القوى الاستعمارية تستغل هذا النوع من السلاح حتى اليوم رغم بعض الجهود المعاصرة من الكتاب المسلمين الذين قاموا ليصدوا هذا التيار الاستعماري ولكنهم على غير ما اتفقا في جهادهم<sup>(١)</sup> فتن ثمار جهادهم لا يصد العدوان بالمستوى الذي يجب ان يواجه به أعداء الإسلام .

وعلى نفس طريقنا في إلقاء نظرة عامة على مواقف القوى المضادة للإسلام والتي تحاربه خوفا من تأثيره ، كان من النماذج التي اخترناها كمثال لما نذهب إليه من أن القوى المضادة للإسلام هي التي ترى في هذا الدين قدرة المؤمنين به على أن يتخلصوا من كل العقبات والعوائق التي تبقى على التفاوت الظالم والامتياز المستغل مطالبين بحقهم في الحياة ، وحتى تحول القوى الصليبية الظالمة والقوى الأحادية المستغلة دون . انتشار هذا الدين ، فإنها تسخر أولئك الرجال الأدوات العصرية في خدمة الامبريالية والشيوعية وكل مجالات الاستعمار الحديث .

من أولئك الرجال المستشرق المجري ( جولد تسهير ) والرجل كما يقول عنه

---

(١) من هذه الجهود رغم كل ما تعرضت له من معوقات وعراقيل معظم ما كتب الأستاذ الشيخ محمد الغزالي وخاصة كتابه « معركة المصحف » والأستاذ المستشار عبد الحليم الجندي « العالم الإسلامي » الصادر عن القاهرة - ١٣٨٣ هـ ، والأستاذ الدكتور محمد البهي الذي قضى معظم أيامه رحمه الله في الدفاع عن الإسلام ضد مفتريات المبشرين والمستشرقين ، وقد أتاح له علمه الوافر وإطلاعه على لغة العالم المعاصر أن يتعقب مراكز الطعن ضد الإسلام والقيام بفضحها وقد وفق في ذلك والحمد لله . ولئن جانبه الصواب في بعض قضايا العقيدة وخاصة في تفسيره لسورة الجن ، فإن مواقفه ضد أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين في هذا المجال الذي نحن بصدده يجب أن تسجل له .

الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتابه ( دفاع عن العقيدة الشريعة ) وفي مقدمة الطبعة الثانية . إنه يؤلف كتبه عن الإسلام إسهاما منه في النشاط الأمريكي وإجابة لرغبة إحدى اللجان العاملة في هذا الميدان ضد العرب والمسلمين ولقد انبرى له الأستاذ الشيخ الغزالي وفند زيف ما ادعاه المستشرق المجري المغالط المخادع .

وفي كتاب العقيدة والشريعة الذي ألفه ذلك المستشرق ما يفصح عن القصد المتلوي في تشويه الحقيقة والحرص الغبي على عزل مضمون العقيدة الإسلامية عن قلوب الجماهير المسلمة حتى لا تكون سبيلا الى المعنى الاجتماعي أو الأخلاقي الذي يمكن أن يلجأ إليه المسلمون في انتفاضة يواجهون بها خطر الأطماع الاستعمارية وأساليب التوسع الشيوعية .

مثلا يقول أجناس جولد تسهير في كتابه وهو بصدد محاولة عزل تأثير الإسلام عن ربط مشاعر المسلمين وتوحيدهم ، وحتى لا يكون الإيمان بالإسلام عقيدة تعمل سياسيا ودينيا في قلوب العرب المسلمين : إن الإسلام لم يوحد العرب ، ولم يجمع قبائلهم المتفرقة على عبادة واحدة .

وإذا ما ووجه ( أجناس جولد تسهير ) بالحقيقة التاريخية التي تواجه حتى طلاب العلم في مراحلهم الأولى بأن الإسلام قد مكن لأبنائه أن يكونوا عماد دولة متوحدة وقد وجه في الرجال المؤمنين به أن يكونوا رجالا على مستوى الالتزام والمسئولية في كل موقع حلوا به . وإن الدولة الموحدة التي أوجدها الإسلام موحدا بها أقطارا شتى تنفرد في التاريخ الانساني بمميزات الحق والأمن والخير ومساواة جميع أبنائها في الحقوق والواجبات يجيب جولد تسهير ، بأن هذه الوحدة تمت بعد تفوق المسلمين العسكري ، وتوسعاتهم أيام دولة الخلافة ، بل ينطلق جولد تسهير الى ما هو أبعد من هذا التزييف في كل ما كتب وخاصة في الكتاب المذكور الذي يبدأ من صفحة ٢٤ قائلا . . . بأن محمد انتخب تعليم الإسلام من الديانات السائدة في عصره مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية بعد تهذيب وصقل .

ثم يوغل الكاتب المستشرق في إفتراءه ليدعي أن العقيدة الإسلامية في كل ما

أتت به وما قدمته للانسانية من أسلوب حياة إنما هي حركة استجماع صنعها محمد بخبراته ورؤاه ، واسعفته به خيالاته وأوهامه من تخيل وتصور ، فيقول في صفحة ٢٥ من الكتاب المذكور . . . ذلك لأن محمداً قد أخذ بجميع ما وجده في اتصاله السطحي الناشئ عن رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده ، ثم أفاد من هذا دون أي تنظيم .

وتصل الكهانة ( العلمية ) بأولئك الرجال : الأدوات العصرية للقوى المضادة للإسلام أنهم يطلقون العنان لخيالاتهم وأوهام تصوراتهم ، فيمسخون الحق ويزيفون الصدق ويحقون الباطل ويؤصلون للافتراء ، باسم العلم والمنهجية العلمية والتحقيق والبحث العلمي و . . . . . و . . . . . الى آخره من زيف وتضليل . . . وعلى هذا الطريق فإن جيش القوى المضادة كبير ويعمل مسخراً في استبسال تحت ستار البحث العلمي ضد الإسلام ، ولكل كاتب منهم أقوال ولكل قائد منهم موقع هجوم ومركز تصيد وافتراء ، ومن تلك المجموعة من النماذج التي وقع اختيارنا عليها - في التعريف بنماذج من القوى المضادة في حربها للإسلام تلك المجموعة المتأخرة : التي خرجت بعد غياب في مراصد العداء لتطلع على المسلمين بمفريات جديدة ، وعلى رأس هذه المجموعة الأثمة والحاقدة التي ركبها الاستعمار الحديث ، ونفذ بها الى بعض أبناء المسلمين تحت اسم البحث العلمي ( سكوت ) و ( كيمون ) و ( هانوتو ) .

يقول الأستاذ أنور الجندي في كتابه ( الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني )<sup>(١)</sup> وهو يعرض موقف سكوت في بعض ما كتب : أما - سكوت - فقد ذكر في كتابه الذي أصدره عام ١٩١٥ م عن الإسلام . . . . . أن المسلمين يرون أن أول واجب عليهم هو نشر الإسلام ، والطريقة التي يؤدي بها هذا الواجب هو محاربة غير المسلمين حروباً غير منقطعة وذلك لتحويلهم عن دينهم ولا يمكن أن

---

(١) صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف بالإسلام - القاهرة .

توجد للمسلمين إلا سياسة واحدة . ووجهة واحدة : هي الحروب الدائمة مع غير المسلمين ، حتى تتبع الهيئة الاجتماعية شريعة محمد .

وتصل الهمجية والافتراء العلمي الى أقصى اندفاعاتها السوقية حمقا وتعصبا ، بعيدا تماما عن كل ما هو علمي أو موضوعي على يد ( ليمون ) الذي دعا كما نقل عنه ( هانوتو ) الى نسف الكعبة ، وتدميرها ، ونقل قبر محمد ﷺ الى متحف اللوفر بباريس<sup>(١)</sup> .

وكذلك يكون نفس الحال الذي يفصح عنه ( هانوتو ) في كل مواقفه كواحد من كتاب الغرب السياسيين الذين يؤدون فوق الدور التقليدي في تشويه الحقيقة الدينية والتاريخية مهمة ما يحملونه في ثنايا كتاباتهم من محاولات - إخضاع العالم العربي والإسلامي للنفوذ الأجنبي والاستعمار العالمي .

ومن نفس الطراز السياسي وعلى طريق العداة أيضا ( لويس برتران ) وهو في كل ما كتب يوضح مخططا استعماريًا وأبعادا تبشيرية يخدم أهدافها في حرص وفي إصرار إنه من بين صفحات كل ما كتبه يقف الإنسان السوي فضلا عن المسلم على مجموعة الأمراض والعلل النفسية التي تحكم كتاباته ومشاعره من ذلك الإصرار الأحمق على استعمال ألفاظ نابية وقميمة وصور قذرة وممقوتة تملأ صفحات كل ما كتب ، وخاصة في ذلك الكتاب المسمى ( أمام الإسلام ) .

وهذا الكتاب بالذات مملوء بالطعن والسباب والتناول البذيء لكل ما هو مقدس عند المسلمين مما تمتلئ مشاعرهم له احتراما وتقديرا له . فيقول مثلا في هذا الكتاب الذي أسماه ( أمام الإسلام ) :

( . . . أن المسلمين متأخرون وقذرون ، ولا شرف لهم ومتعصبون تعصبا شديدا . وغير قابلين للتمدن إلا بواسطة الغرب الذي يحمل أمانة تمدن العالم ) .

---

(١) أنظر ما كتبه الأستاذ أنور الجندي عن الثلاثية : سكوت وكيون ، وهانوتو في كتابه ( الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني ) .

وعلى نفس المنهج العدائي أيضا ، وكواحد من الذين يحملون مشاعر الحقد على الإسلام والمسلمين في كل ما كتب نرى الدكتور - راطسون - مدير الجامعة الأمريكية في القاهرة سابقا والذي تقال في ( السياسة الأسبوعية ) : في ١٠ يوليو عام ١٩٣٣ م :

نلاحظ أن المعتقدات الدينية والإسلامية والمبادئ الخلقية آخذة في الانحلال وأن تلك المعتقدات والمبادئ غير ملائمة أيّنا وجدت ، فالمعتقدات القديمة آخذة في التفكك لأن الجيل الناشئ الذي نتصل به نراه مهتما كل الاهتمام لا بالمسائل الإسلامية بل بالمسائل المادية وبالإلحاد ، وأن الإسلام آخذ في الانحلال باعتباره قوة لضبط الحياة والأخلاق ، ولكنه حيثما لا يزال يقاوم فأمره غير واف . . . . وهو من الناحية الكلامية المتناقضة مع العلم أشد تناقضا من الناحية الخلقية ، ولم يبحث قط ظروف الحياة المدنية .

وهكذا كان يكتب راطسون وهو بين ديار المسلمين مديرا للجامعة الأمريكية في إحدى بلاد الإسلام إلى أن قال ولم يبال . . . . .

( إننا في سياستنا نهتم بالمحتويات لا بالأسماء فنحن نسر حين نستطيع أن نجعل فتى مسلما يقبل المسيحية ووحى المسيح ودعوة الناس لاتباع الله وطريقه في الحياة فإن هذه المبادئ تنمو بنفسها في حياة ذلك الفتى ، فلا بد من يوم يأتي إليه فيه من يسميه باسم آخر يميز طابع حياته عن ذلك الطابع العادي للعالم الإسلامي . إن الطالب الذي يتركنا يمكنه أن يعتبر نفسه مسلما غير أنه في هذه الحالة يكون شخصا آخر غير الذي جاءنا .

وقال : إن خطيب جبل الزيتون أعلن أن الغرض هو قتل الإسلام لاستعباد المسلمين . كما أعلن أن السياسة الاستعمارية ، لما قبضت من نصف قرن على برامج الدين في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام ، وبذلك أخرجت ناشئة لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا ، فلا للدين كرامة ، ولا للوطن حرمة .

وقال مدير الجامعة : إنهم يراقبون سير القرآن في المدارس الإسلامية ويجدون

فيه الخطر الداهم والقرآن وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير وحركة الاستعمار العالمي التي تحرص على استعباد العالم ليكون سوقا للتصدير وحقلا للخام .

وهكذا تتعاون القوى المعادية للإسلام من صليبية وشيوعية جيلا بعد جيل في محاولة لجعل الأجيال معزولة الفكر والعقيدة عن الإسلام . . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

## زيف المطاردات العلمية لنبي الإسلام

في مراحل الصمت الطويلة والتي تكاد تشبه ثبات الموت على امتداد الساحة الإسلامية في أعقاب ما سمي بعصر النهضة الأوروبية وحين ابتلي المسلمون بالاستسلام لها أدركت القوى الحاكمة أنها فرصة مواتية لكي تضرب وفي هذه المرة تضرب في صميم عقيدة المسلمين ، فتوجهت سهام الكره القديم والحديث مجتمعة بما أتاحه لها تطور العصر من أدوات وأساليب وراحت توجه من نقدها وزيف دعاؤها وباطل تصورهما ضد نبي الإسلام الهجمات إثر الهجمات وفقد العقل الأوروبي الصليبي في الغرب والإلحاد الشيوعي في الشرق كل كرامة للنقد والبحث وما استطاعا رغم إمكانات الزيف العلمي أن يخفيا حقدهما على الإسلام في شخص نبيه وكان من بين بداية المطاردات العلمية ضد نبي الإسلام تلك الحملة التي كانت على يد ( كاش ) في ما كتبه في كتابه : ( اتساع رقعة الإسلام ) .

وهو الكتاب الذي خصص الصفحات النهائية الأربعة فيه لما سماه ( جرائم القتل ) التي وقعت بإيعاز الرسول . والتي استنتج منها كاذبا أنه غليظ القلب ، غادر لا يعرف الرحمة - معاذ الله - كما لقبه من أجلها بالمخادع القاسي القلب . . وقد استقى أكاذيبه جميعها مما كتبه ( وليم موير ) في ( حياة محمد ) ولم يبذل أقل جهد في البحث والتمحيص ، قبل أن يدين نبي الإسلام ، على الرغم من ظهور مؤلفات عديدة بعد كتاب ( وليم موير ) عرفت للنبي قدره - لكنه لم يلتفت

اليها ، ولم يقدر ما جاء بها ، قبل أن يصدر حكمه على رجل يعتبره حوالي ٥٠٠ مليون نسمة - يوم هجومه على رسول الله - المثل الأعلى للفضيلة والرحمة والمثال الكامل للمروءة والكمال . وحالات الأمثلة الكاذبة التي ادعاها ( كاش ) في كتابه ست ، خمس منها خاصة باليهود والأخيرة هي زعمه أن النبي قد أباح السبي ، فإنها لم يرد لها ذكر عند (موير) أسمى نقاد الإسلام . . . . . وها نحن أولاً نفندها جميعاً<sup>(١)</sup> .

وأول ما يسترعي النظر في هذه المفتريات أن خمسا منها خاصة باليهود وهم أهل الكتاب وبعضهم آمن به ، وإذا كان المسلمون لم يقترفوا هذه الجرائم ، كما هو معروف في كتب السيرة ، مع المشركين الذين عبدوا الأصنام من دون الله . واضطهدوا النبي وأنصاره ، وأذوهم أشد الإيذاء ، وفرقوا جماعتهم ، فهاجروا من أوطانهم ، فكيف يتصور إقدام المسلمين على مثلها مع اليهود ، وهم أهل كتاب اللهم إن محمداً ما كان يطلب ملكا ، او يريد مالا ، لكنه النبي المصلح لا يبغي من وراء دعوته إلا إصلاح ما فسد من أمرهم ، وجمع ما تفرق من شملهم ، وهدايتهم الى أقوى الطرق ، بعد أن فسدت عقائدهم وطمست معالم دينهم .

وقد قرر ( كاش ) ومن حذا حذوه ، أن جميع هؤلاء الذين وقعت هذه الجرائم عليهم قد قتلوا بغير حق ، سوى أنهم نظموا الأشعار في هجو المسلمين ولعلمهم نسوا أو تناسوا أن الشعر والهجو لم يكن خاصا باليهود ، بل هو من خصائص العرب جميعا . فقد كان الشعر هو سلاحهم وديوانهم وقد اتخذه كثير منهم أداة للتشهير والازدراء والذود عن حياضهم ، فلم يزد على أن أذن ( لسان ) في الرد عليهم بشعر مثله .

وقد أمر القرآن الكريم المرسلين بالصبر على احتمال الأذى : ﴿ لتبلىون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا

---

(١) من الدراسات الموضوعية والمجادة ذات المنهج المتقيد بكل أصول البحث العلمي كتاب ( المستشرقون والإسلام ) الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية للمهندس المصري ( زكريا هاشم ) .

أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴿١﴾ .

هذه الآية انطوت على إشارة الى موقعة ( أحد ) التي كانت في العام الثالث للهجرة . فلا بد أن يكون نزولها بعد ذلك ، ومن العجب أن يدعي المفترون في ذلك الوقت وقوع ما نسبوه الى النبي عليه الصلاة والسلام زوراً وبهتاناً وهو أول من يأتمر بأمر ربه ويلتزم بنص كتابه ، وهو القدوة لقومه ، ولما كان القرآن لم يكتف بأمر المسلمين بتحمل الأذى والصبر عليه ، بل نهاهم عن مقابلة الشر بمثله . . وإذا كان بعض المؤرخين زل ونسب الى الرسول بعض تلك التي على زعمه جرائم من غير دليل فلن نقيم لكلامه وزناً لأن كتاب الله يأمر بغير ذلك ولا يتصور من الرسول ﷺ الذي كان القرآن الكريم دعوته وحجته أن يستفتح دعوته بمناقضة نفسه ومخالفته ما يدعو إليه .

وأولى الإدعاءات كما رواها الناقد الكافر قتل ( عصماء بنت مروان ) الشاعرة من قبيلة الأوس ، ونلخص ذلك فيما يلي :

كانت هذه اليهودية من بني خطمة ، وكثيراً ما كانت تعيب الإسلام وأهله وتسب النبي لاسيما بعد مقتل أبي غفك اليهودي ومن شعرها :

أطعمتم إتاوى من غيركم      فلا من مراد ولا مذجج  
أترجون بعد قتل الرؤوس      كما يرتجى مرق المنضج

فرد عليها حسان بقوله :

بنو وائل وبنو واقف      وخطمة دون بني الخزرج  
متى عادت سفها ويحها      بعولتها والمنايا تحي  
فهلا فتى ماجدا عرقه      كريم المداخل والمخرج  
فصرجها من جميع الدما      بعيد الهدو فلم يخرج

(١) سورة آل عمران - الآية ١٨٦ .

فقال النبي ، حين بلغه ذلك : ألا رجل يكفيننا هذه ؟ فقال ( عمير بن عدي ) وكان من قومها : أنا أكفيكما يا رسول الله ، وهم بقتلها ، فذهب إليها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم جاء النبي فقال له : أقتلت ابنة مروان : قال : نعم فهل على ذلك من شيء ؟ فقال الرسول : لا ينتطح فيها عنزان ، فإنها أهدرت دمها ، ثم أثنى عليه وسماه البصير وكان كفيفا ، ثم رجع عمير الى قومه ، فوجد بنينا في جماعة يدفنونها فقالوا : أقتلت عصماء ؟ قال : نعم ، أنا قتلتها فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتكم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم ، فلما رأى المستضعفون من قومها ، الذين أحفوا إسلامهم إتقاء شرها ، أن الإسلام عز بعد قتلها أظهروا إسلامهم .

هذا ما قاله كاش في هذه الفرية ، وإن الأسانيد التي ذكرت هذا الحادث هي (ابن هشام ، وابن سعد ) والدليل على أن هذه الرواية تنقصها الدقة ، ان القرآن نهي عن قتل النساء ، وما أصدره الرسول من الأوامر المشددة بعدم قتل النساء ولو اشتركن في القتال اشتراكا فعليا ضد المسلمين . . . . . فهل من المعقول أن النبي الذي يأمر بعدم قتل النساء المشتركات في الحرب ثم يأمر بقتل امرأة ، لا لشيء إلا لأنها قالت شعرا يكرهه المسلمون .

ولقد كان المسلمون يعلمون علم اليقين نهي الرسول عن قتل النساء حتى إنهم عندما هموا بقتل ( ابن الحقيق ) حالت زوجه بينه وبينهم فأمسكوا سيوفهم احتراما لأمر النبي بعدم قتل النساء<sup>(١)</sup> .

ولقد عقد « البخاري » وهو ثقة في روايته بابا أسماه ( كتاب الجهاد ) ( قتل النساء في الحروب ) جاء فيه عن ابن عمر ما يأتي ، أن امرأة وجدت قتيلًا في إحدى الغزوات التي حضرها النبي ﷺ فنهى النبي عن قتل النساء والأطفال . فهل بعد

(١) : فتح الباري - شرح صحيح البخاري . قصة ابن الحقيق .

ذلك يقال : إن النبي أمر بقتل امرأة لأنها هجت المسلمين ؟ أينهي النبي عن قتل امرأة خاضت غمار الحرب وصوبت سهامها الى صدره ، وسلت سيفها في وجهه ، ثم هو يجيز بل يستحسن ، أن يقتل امرأة لم تكن جريرتها سوى السب ، أو نظمت قصائد في الهجاء ؟ قد يقال أن بعض أصحابه فعل ذلك ولكن هذا أيضا افتراء جميعا كانوا عارفين بأوامره منفيدين لأحكامه حتى إن الأئمة حرموا لذلك قتل النساء حتى في الحروب ، فعند مالك والأوزاعي لا يجوز قتل النساء والأطفال مطلقا ، فلا يصح أن تقتل امرأة في حال ما ، حتى لو احتذى المقاتلون بجماعة من النساء والأطفال أو لجأوا الى حصن أو سفينة بهما نساء وأطفال فلا يرمى هذا الحصن أو تحرق السفينة .

كل هذا دليل ساطع على نقض هذه الأكذوبة المختلقة .

والفرية الثانية التي أوردتها (كاش) هي مقتل (أبي غفك) وقصته كما نقلها عن بعض السير ما يلي :

كان أبو غفك مسنا بلغ مائة وعشرين سنة ، ولكنه كان يحرص على إيذاء النبي ويهجو بشعره فقال ﷺ يوما : من لي بهذا الخبيث ؟ فقال ( سالم بن عمير ) علي نذر أن أقتله أو أموت دونه ، وظل ينتظر غرة منه حتى استراح بفناء منزله فذهب اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى نفذ الى ظهره ، فصاح عدو الله ، فحضر قوم ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض ، فقبروه .

وهذه القصة الكاذبة أقل دناءة وحطة وتلفيقا من سابقتها وظاهر ضعفها للملأ ، لأنها دست على رسول الله ﷺ ، الذي أمر بتحريم قتل النساء والطاعنين في السن والأطفال ، ثم يعدو فينقضه بقتل أبي غفك . ومعلوم أن الخلفاء الراشدين اقتدوا بالرسول ( فأبو بكر الصديق ) أوصى ( زيد ) عندما أولاه إمارة الجيش الخارج الى سورية تنفيذ أوامر الرسول بعدم قتل النساء والأطفال والطاعنين في السن ، وهو دليل ناصع واضح على اقتداء أوائل المسلمين بالرسول ﷺ .

أخرج أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا تغلوا وضموا

غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين .

وهذه بعض من وصية أبي بكر لجيش يزيد : ( لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً أو تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ) وهذا خير دليل على كذب وبهتان تلك الفرية أيضاً .

أما الادعاء الثالث فهو القول بأن النبي أصدر أمراً عاماً لإبادة اليهود جميعاً حتى يتمكن من مقتل ( أبي سنية ) . . وهذا الادعاء مكذوب من أساسه أيضاً . . . لأن النبي أمر بتحريم : قتل النساء والأطفال والطاعنين في السن ومن لا يشترك في القتال والأعمى . . وبذلك لا يحل القتل مهما كانت الظروف وأيا كانت الأحوال إلا إذا كان قاتلاً أو مقاتلاً هذا إن كان ذمياً ، وقد حرم النبي قتل النساء والأجيرين لأنهم يقومون بأعمال غير القتال . فإن كل رواية عن قتل إنسان بغير حق ، فهي إما مكذوبة أو مختلقة عن سوء قصد ، وإن كانت شائعة ولا يمكن الأخذ بالروايات الشخصية التي يرويها الرواة عن أنفسهم وعلى ذلك لا يمكن تصديق رواية مقتل أبي سنية فهي مكذوبة من أساسها ، فإن الادعاء بأن النبي أصدر أمراً عاماً لإبادة اليهود ، كان من نتيجة قتل أبي سنية وحده ، ادعاء يناقض نفسه بنفسه . فكيف يكون مقتل رجل واحد نتيجة أمر عام لإبادة اليهود جميعاً .

أما الرابعة ، فهي مقتل ( كعب بن الأشرف ) . وكان والده من قبيلة طيء ، فلما أتى الى المدينة تحالف مع اليهود من قبيلة بني النضير ، وأصبح ذا نفوذ وشأن حتى تمكن من الزواج من ابنة أحد زعماء اليهود . وبذلك أصبح مركز كعب ممتازاً لقرابته من العرب ومصاهرته لليهود ، وعندما وفد الرسول على المدينة تعاهد هو واليهود معه على أن يعيشوا فيها جنباً الى جنب ، لكل منهما عقيدته الدينية ، وإذا ما وقع اعتداء على المدينة من الخارج فعلى كل منهما أن يهب لنصرة حليفه ، وقبل الطرفان أن يكون للنبي الحكم الأخير فيما يختلف عليه من نصوص العهد . . ولما انتصر المسلمون في بدر ازدادت نار الحقد في صدور اليهود وأخذ كعب يستغل مواهبه الشعرية في هجاء حلفائه من المسلمين والنيل من الإسلام ، بل لم يكتف كعب

بذلك ، بل شد الرحال الى مكة واضعا يده في يد أعداء الإسلام محرصا لهم على مهاجمة المسلمين إذا ما هوجمت المدينة ولم يكتف بتأليب أعداء الإسلام عليهم ، بل وضع خطة عقب عودته من مكة لقتل النبي غيلة .

ولكن روح التبشير المسيحي المحض تتغلب على (كاش) فيجعله يهمل كل هذه الاتهامات والخيانات بالوقائع التاريخية الثابتة . ولا يذكر منها شيئا في كتابه وكما فعل وليم موير في كتابه ( حياة محمد ) حين أخذ في شرح مقتل ( كعب ) ذاكرا أتفه التفاصيل متناسيا الدوافع المهمة ، بل إنه ليفضح دخيلة نفسه عندما يتكلم عما ساءه الاغتيالات عندما قال : إن انتشار الإسلام بدأ يأخذ مظهرا لا يدعو الى الاغتياب إذا قورن بالمسيحية ، فإن من دخلوا في دين ( عيسى ) دخلوا فيه لأعجابهم بثبات معتنقيه حتى الموت ، أما من دخلوا في الإسلام ، فإنهم دخلوا فيه لما رأوا استعداد المسلمين لقتل معارضيهم ، فكان المؤمن في الحالة الأولى يدخل دين ( عيسى ) معرضا حياته للموت ، أما في الحالة الثانية فإنه كان يدخل في الإسلام ، لأن الدخول فيه هو الحل الوحيد لإنقاذ حياته . . . فإذا كان ( موير ) هو الآخر تعتمد إخفاء الحقائق التي تثبت أن ( كعبا ) قد نافق ، وقد انقلب من حليف الى عدو فإن ذلك بسبب عدم فهمه لمسار الدعوة الإسلامية ملتزمة في عهد الرسول بتوجيهات القرآن الكريم .

ومما سبق يتبين خيانة وغدر كعب وجهره بالانضمام الى أعداء الإسلام والمسلمين وعزومه اغتيال رسول الله ﷺ وما جاء في صحيح البخاري بشأن مقتل ( كعب ) : أن كعبا انطلق الى قريش وحالفها عند أستار الكعبة على قتال المسلمين ، وأن النبي قد ذكر أنه جهر بالعداء للإسلام ، وأنه تأمر على الفتك بالنبي في وليمة يدعوه إليها .

وقد روى ( ابن سعد ) في طبقاته أن اليهود لما جاءوا الى النبي يشكون إليه مقتل ( كعب ) قال لهم : إنه أذانا ، ولو وفر كما وفر غيره ممن هو على مثل رأيه ما

صابه شر . . . وعرض النبي عليهم أن يكتب لهم كتابا فقبلوا وبقي هذا العهد عند ( علي ) .

إن هذه الإثباتات الصريحة ، كلها تدل على أن كعبا ما قتل إلا لأنه نقض عهد النبي ، وظاهر أعداءه الذين كانوا في حرب معه وقتلوه فهو على هذا يعتبر محاربا ويجوز قتله شرعا ، وقد قتل ( كعب ) على يد نفر من المسلمين غدرا . وإن النبي لا صلة له في وضع خطة قتله ، فقد كان النبي يعتبر كعبا وضع خطة قتله ، وهناك رواية تقول : لما سأل ( محمد بن مسلمة ) النبي في قتل ( كعبا ) ، سكت النبي ولم يجر جوابا . وجاء في رواية أخرى أن النبي قال : إن كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور ( سعد بن معاذ ) . . . فكان الرسول يجهل تفاصيل قتله ولا شك ، . . . وحتى ( موير ) نفسه يبدي شكه فيها أيضاً . ولو فرضنا جدلا أن تلك التفاصيل صحيحة فما كان للنبي علاقة بها . . . ومن الغريب أن هؤلاء النقاد المغرضين يخلطون بين الظروف التي كان يعيش المسلمون فيها في المدينة والظروف التي يعيشون فيها هم في القرن العشرين ، كانوا يريدون قتل عدوهم فاتبعوا معه ما كان مألوفاً في مثل ظروفهم ، لقد دخل كعب في حلف مع أعداء المسلمين المحاربين لهم ، فجميع الشرائع الوضعية والسمائية تعتبره عدوا مقاتلا . . فدبر بعض المسلمين أمر قتله ، وأرسلوا إليه جماعة منهم وكان على رئيسهم أن يختار أفضل الطرق لتسديد ضربته ، فاخترت رئيسهم ( محمد بن مسلمة ) طريقة كانت مألوفة عند العرب ، اعتبرها خير طريقة لنيل الفرصة ، نظرا للظروف والملابسات ، فلو أنه اختار مقاتلة كعب جهارا ، لأريق دم كثير وهبت قبيلة بني النضير اليهودية كلها لمشاركة كعب ، فاخترت طريقة استدراجه وقتله حرصا على دم أبرياء عديدين ، هذه هي تفاصيل مقتل كعب ، فما علاقة الرسول بها ؟ لا شيء البتة . ولكنه العدا الغبي لنبي الإسلام<sup>(١)</sup> .

وخامس فرية هي قتل ( سلام بن الحقيق النضري ) . يقول ( موير ) لقد

(١) : انظر كتابنا ( بنو اسرائيل بين نبي القرآن وخبر العهد القديم ) ( عالم الكتب ) بيروت - الطبعة الأولى .

أقامت جماعة من بني النضير بعد نفيهم مع إخوانهم في خيبر ، ثم اتصل ابن الحقيق زعيمهم بالقوى المتحالفة ، التي حاصرت المدينة وأخذ يشجع بعض القبائل من البدو على السلب والنهب ، فجردت حملة ، بقيادة ( علي ) على يهود خيبر ، ثم صمم محمد على وقف عدوانهم ، فلم يجد بدا من أن يتخلص من محرضهم المزعوم . . . ولكن قتل ابن الحقيق لم يبدد مخاوف ( محمد ) من يهود خيبر ، لأن ( أسير بن رزام ) الذي خلفه في الزعامة أبقى علاقته مع غطفان ، وقيل : أنه أخذ يرسم الخطة للزحف على المدينة .

والمعروف أن ( بني النضير ) قبيلة يهودية سكنت المدينة ، وكانوا في حلف مع المسلمين ، ولما سلكوا سبيلا شائنا باتصالهم بالقبائل المعادية ، وكان من أثر ذلك هجوم إحدى القبائل العربية المحالفة لهم وقتلهم كثيرا من المسلمين غدرا ، طلب إليهم النبي أن يراعوا عهدهم ويكفوا عن مناصرة أعداء المسلمين فلم يستجيبوا الى طلبه . فأخرجوا من المدينة ، فلجأوا الى خيبر وهي حصن اليهود المنيع ، وأصبحوا بذلك مصدر فتنة ومبعث شر للمسلمين لأنهم دأبوا على تحريض القبائل المجاورة وبث روح العداوة والبغضاء للمسلمين ثم اشتركوا في محاربتهم<sup>(١)</sup> .

وكان ( ابن الحقيق ) هذا قائدا في موقعة الأحزاب التي اجتمع فيها كثير من القبائل العربية واليهودية ليستأصلوا شأفة المسلمين ويناوئوا النبي ومن تابعه وأعدوا ما استطاعوا من قوة ، وجمعوا ما وصلت إليه أيديهم من عدد وعدة . لكن الله نصر المسلمين ، وارتد الأحزاب مهزومين مخذولين . . . . .

واستمر ابن الحقيق في مناصرة القبائل العربية التي تناوىء المسلمين واستمر يبث روح العداوة على المسلمين .

ف رأى المسلمون حقنا للدماء وحفاظا للأرواح أن يطفئوا جذوة الشر ، فأرسلوا

---

(١) في دراسة هذه المرحلة من عمر العلاقات العربية اليهودية ، وللوقوف على مزيد من التفاصيل يرجع الى كتابنا ( اليهود في موكب التاريخ ) في المبحث الخاص باليهود في عصر الدعوة الإسلامية صفحات ٣٦١ - ٣٨٩ للمؤلف - صادر عن مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٩ م القاهرة .

جماعة للقضاء على مصدر الفتنة ، وهو ابن الحقيق ، فذهبت تلك الجماعة وقتلت هذا الزعيم المناوىء ولكن ذلك لم يؤد الى الغرض المنشود فكان لا بد من إرسال جيش لفتح خيبر .

هذا رجل قاتل المسلمين وحرص عليهم القبائل وناصر أعداءهم وتزعم محاربيهم ، فهل إذا بعث المسلمون بمن يثار منه لاموهم على ما فعلوا ووصفواهم بالقسوة والغلظة ؟ .

أما ( أسير بن رزام ) فإنه قام وحرص اليهود ، وسار الى غطفان وجمعهم وهم أن يذهب بجمعه الى المدينة ليغزو النبي في عقر داره . فلما بلغ الرسول ﷺ ما هو فيه . . أرسل إليه ( عبد الله بن رواحة ) في سرية تبلغ الثلاثين من الأصحاب ، فقدموا عليه . . . وهموا بالغدر بهم . . ولكن المسلمين تغلبوا عليهم وقتلوه . وعلى الباغي تدور الدوائر ومن نكث فإنما ينكث على نفسه .

وأخر ما شوه به ( كاش ) على النبي ﷺ دعوى كاذبة عن إباحتها سبي نساء بني المصطلق ، وهي فرية وضیعة وتافهة ، وهو إفتراء صارخ ، على الحقيقة ، وهتان عظيم .

وقد غابت هذه الرواية عن أفسى نقاد الإسلام أمثال ( موير ) . . . وكل ما جاء في هذه الرواية ، هي رواية ( أبي سعيد الخدري التي جاء فيها أن نفراً من المقاتلين المسلمين ، شاءوا أن يتزوجوا بعض الأسيرات ، زواج متعة ، على أن يعزلوا حتى لا تحمل الزوجات ، ولكن لم يثبت مطلقاً أن شيئاً من ذلك قد وقع ، والقصد من رواية أبي سعيد هذه الإشارة بجواز العزل ولكنه لم يقل شيئاً عن الإتصال بنساء بني المصطلق .

والمعروف أن زواج المتعة كان لفترة قصيرة جداً ، وكان في الجاهلية شائعاً ومنتشراً ولكن الإسلام نهى عنه فانهى تدريجياً ، وخير الإصلاح ما جاء تدريجياً .

والقرآن يصرح بحل زواج سبايا الحرب ، والآية التالية تكذب تكذيباً قاطعاً

دعوى كاش إذ تقول (ومن لم يستطع منكم طويلاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، ذلك لمن خشى العنت منكم ، وان تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم ﴿١﴾ .

أما نساء بني المصطلق على الخصوص ، فقد أطلق سراحهن جميعاً دون فدية ، عقب أن أطلق النبي سراح جويرية ، وتزوجها وهذه شهادة قاطعة على كذب وهتان دعوى كاش .

هذا هو نبي الإسلام الذي حفظه الله منذ أن كان نطفة طاهرة في رحم طاهرة ، ولقد كان للرسالة الكريمة التي غير بها سيد البشر وخاتم المرسلين تاريخ العالم أثرها في قلوب المشركين والكفار ، فجاولوا النيل من هذه الرسالة ، فلما لم يجدوا مطعناً على الدعوة الإسلامية ، فاتجهوا إلى صاحب الدعوة يجاربونه ، لذلك لم نجد في التاريخ رجلاً قام ضده محاربون متحمسون ( كمحمد ﷺ ) الذي كلما مرت الأعوام ورفرت رسالته لنشر السلام والمحبة والصفح والمساواة . وتدعو إلى محاسن الخلق قام بعض خصوم الدين لتهوي بهم ألفاظهم إلى أعماق الحضيض بما يقولونه من فحش العبارة وقدر السباب وبما يختلقونه من المفتريات والأكاذيب أمثال ( رودلف وهوتنجر بلياندر ) من الذين بعد أن أعماهم الحقد لم يجدوا في حياة النبي الكريم ولا في أخلاقه ، بما يمكنهم من الطعن فيه ، فجندوا أقلامهم وجمعوا صحفهم ليفتروا على الله الكذب فيقولون كان محمد قساً رومانيا غضب لأنه لم ينتخب لكرسي البابوية . . . وأنه وهو الفيلسوف الحكيم عز عليه ذلك ، فلم يشأ أن يصبح شيخاً لقبيلته أو رئيساً لأمة وإنما أراد أن يكون إلهاً أو في مصاف الآلهة ، وبما ثبت كذب هذا الافتراء وجهل وحق وتفاهة المفترين أن الرسول جاء برسالته في

(١) : سورة النساء . الآية ٢٥

وقت تناحرت فيه الفرق الدينية وتشعبت المعتقدات ، وتناول البعض الرسائل الدينية السابقة بالتحريف والتغيير . وبلغ الأمر أشده في الفساد والبهتان والطغيان والضلال ، فلو كان الرسول يرجو مجداً دنيوياً لقبول الملك الذي عرضته عليه قريش ، ولكان ترك لأنصاره أن يتخذوه إلهاً . . أو نصف إله ولكنه يتلو عليهم القرآن الكريم الذي يقول فيه عن محمد أمراً له أن يقوله على الناس : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحد ﴾ ( الكهف ) . . . كما يتلوا قول الله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للمشركين ﴾ . ( فصلت ) .

ويحسم رسول الله تلك الافتراءات حسماً باتاً فيقول في حديثه ( لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، وإنما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله ) . فهل بعد ذلك يستقيم قول قائل أنه كان يريد مجداً دنيوياً أو كان يريد أن ينصب نفسه إلهاً . نستغفر الله العظيم مما يقولون .

### صورة من المطاردات العصرية ضد نبي الاسلام

كما أشاع أعداء الإسلام أن نبي الاسلام ﷺ كان مريضاً بالصرع ، وان ما يعتره في ساعات الوحي ، إنما هي نوبات الصرع التي كان يسمع أثناءها كلاماً رده فأصبح قرآناً، ولقد رد على ذلك كثير من الإخصائيين في الأمراض العصبية وشرحوا أن النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر إلى أذهان المتقولين . ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ . . ولقد أثبتوا علمياً في حالات عديدة من الصرع ان المريض بها يفقد شعوره تماماً ويكون التغير العقلي هو المظهر الأساسي للنوبة ويمكنه إلى حد ما تذكر التجارب النفسية التي حدثت له اثناء النوبة بعد إنتهائها. وهذه التجارب تكون على شكل إنفعالات مثل الخوف أو على شكل تفكير في اتجاه معين كأن يردد المريض في ذهنه سؤالاً ، أو على شكل خيالات أو هلاوس أو الاثنين معاً .

وفي ذلك أمثلة كثيرة ، وعديدة ، لتنوع الهلاوس المرئية كأن يرى المريض أثناء النوبة شبحاً أسود يهدده ولا يمكنه ان يتبين ملامحه وصورته ويتكرر هذا في جميع النوبات ، ومريض يسمع أصواتاً أو قطعة موسيقية من الراديو القريب منه ولكنه لا يتبين الكلمات او النغمات مما يسمع . . . وأحياناً نسمع من مريضة أثناء النوبة اغنية كانت تغنيها لها أمها في صغرها وتكرر هذه الأغنية في جميع النوبات .

ومن ذلك نرى ان الاحلام والهلاوس التي تمر بذهن المريض أثناء النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لذكريات قديمة مرت بالإنسان أو فكر فيها ثم حفظت في ثنايا المخ . . . وقد ثبت ذلك علمياً بأن نبهت مراكز المخ المصابة بتيار كهربائي من الخارج فشعر المريض بنفس الهلاوس التي تنتابه أثناء النوبة الصرعية .

ومما تقدم نرى أن الهلاوس تكرر بتكرار النوبات ، وقد يكون هناك أكثر من نوع واحد من الهلاوس في المريض الواحد، ولكنها تتكرر كلها او بعضها بالشكل نفسه وأن المريض يتذكر التجارب النفسية التي مرت به أثناء النوبة .

وبتطبيق ما وصلنا إليه من هذا العرض السريع المختصر للصرع على الإفتاء الذي يفتره خصوم الإسلام على الوحي الذي نزل على رسول الله نجد ان الهلاوس والاحلام التي تمر بذهن المريض بالصرع ما هي إلا أجزاء من ذكريات قديمة نبهتها النوبة ، ولا يمكن للمريض بالصرع أن يؤلف أثناء النوبة شيئاً ، فكيف بالقوانين والآداب والقصص والعلوم وغير ذلك مما إشتمل عليه القرآن الكريم . . . . . ؟ .

كذلك لا يمكن أن تتجسّن لغة المريض بالصرع أثناء النوبة او بعدها لأن هذا التحسن يحتاج الى تعليم . . أما الصرع فهو إرتباك مفاجيء في كهرباء المخ ووظيفته . وقد نزل القرآن بلغة عربية فصحة لم يتعلمها النبي قبل الرسالة .

كما أن الاحلام والهلاوس التي يشعر بها المريض في أثناء النوبات الصرعية تتكرر بعضها أو كلها بنفس الشكل بتكرار النوبات ، كما أن المريض لا يمكنه أن يصفها وصفاً دقيقاً . أما القرآن فأنزلت آياته واضحة محددة متممة بعضها بعضاً . شاملة كل ما يهم الناس في شئون دينهم ودنياهم .

فهل يمكن ان يقال بعد هذا العرض العلمي البحت ان القرآن ما هو إلا هلاوس رجل مصروع . . . ؟ . . .

والرد المتقدم هو رد الدكتور (يحيى طاهر) أخصائي وأستاذ الأمراض العصبية بكلية طب جامعة القاهرة مختصراً، كما ورد في كتاب (الإسلام والعلم الحديث) للأستاذ (عبد الرازق نوفل).

وحتى نعطي هذه الأكذوبة حقها من إثباتات كثيرة للمتخصصين في هذا المرض ندحضها نذكر ما قاله الدكتور (عبد العزيز الشريف) أخصائي وأستاذ الامراض الباطنية وعضو كلية الأطباء بأذنبه . يقول : المرض علة تصيب أي عضو من أعضاء الجسم ، فتسبب خللاً فيصبح الانسان لذلك معتلاً . والشخص المريض هو الذي تغيرت حالته بسبب المرض فأصبح غير عادي ، إذ يقل في قوته وصحته . . . وبالتالي في إنتاجه وتفكيره . ولم يعرف الطب . . . ولم يحدثنا التاريخ العلمي ، إن شخصاً أصيب بمرض فوهبه المرض علماً او مقدرة إذ أنه من المسلم به أن العقل السليم في الجسم السليم .

فكيف يقولون عن الرسول إنه أصيب بالصرع ، فتحسن لغته تحسناً بحيث لا يمكن أن نقارن بين حديثه العادي وبين القرآن الكريم الذي يقولون أنه حديثه وهو في نوبة الصرع ؟ .

وهل يستقيم ذلك والصرع حالة تتميز بالإختلال المفاجيء في وظيفة المخ ؟ .

وكيف يشرع مريض هذه التشريعات التي تعتبر الأسس القويمية لكل القوانين التي تهدف إلى العدالة والرحمة والتقدم .

وكيف يكون ما عند الرسول نوبات صرع ، وهذه النوبات تسبب للمريض ألماً شديدة في عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان وتبقى مدة بعد النوبة هي عبارة عن تشنج وتصلب في العضلات . . . فهل إذا غابت عنه حزن ووجل . . ؟ فقد فتر الوحي عند النبي فترة فتولاه الخوف والوجل وحزن ، حتى نزل قول

الله سبحانه وتعالى له : ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ .

ويقول الأستاذ الدكتور (عز الدين عبد القادر) الأستاذ بجامعة القاهرة :  
تخبط الناس منذ بدء الخليقة في تعريف مرض الصرع فمن قائل انه يرجع إلى ارواح شريرة تسكن مع المريض ، إلى غيره يقول : أنه من آثار الآلهة ، وان كل حركة يحدثها المريض ، إنما هي فعل إله من الآلهة ولهذا سموه بالمرض المقدس ، حتى جاء (ابقراط) في القرن : الخامس قبل الميلاد وأظهر كذب هذه الأقوال ونادى بأن هذه الأعراض إنما هي أعراض مرض لا يختلف عن باقي الأمراض الأخرى من أنه له سبب ينشأ عنه . . . ووصف نوبات الصرع بدقة متناهية لا تختلف في شيء ، عما تصفه به أحدث المراجع الطبية . . . فالمرضى يفقد النطق ، ويخرج الزبد من فمه وتصطك أسنانه ، وتنقبض يده ، وتزوغ عيناه ، ويفقد الوعي تماماً كما يفقد القدرة على ضبط البول او البراز .

ومن هذا نرى أن مريض الصرع يفقد حواسه ويفقد السيطرة على نفسه ، فيصبح لا عقل له ولا وعي عنده ، ولا سيطرة على حواسه جميعاً .

فلينظر إلى ذلك من يقولون : أن القرآن الكريم إنما هو هلوسة مصروع وحديث الرسول هو نوبات الصرع . . . فكيف يمكن لمريض هذه حالته أن يأتي بجوامع الكلم والآيات البينات بالبلاغة التي اعيت جهابذة العرب وأرباب البيان ؟ ..

ويذكر (ر. ف. بودلي) في كتابه (حياة محمد) في هذا الشأن يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع لا يفتيق منه ، وقد ذخر عقله بأفكار لامعة وهل يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها (محمد) حتى قبل مئاته بأسبوع واحد . وما كان الصرع ليجعل من أحد نبيا . وكل من تتسابه مثل هذه الحالات في الأزمنة الغابرة مجنوناً أو به مس من الجن ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو (محمد) ولا شك . وينتهي عن الرسول تلك الفرية الظالمة التي أراد الحاقدون على الاسلام أن يستغلوا مغالطات واهية باسم العلم والبحث ويلصقوها بنبي الاسلام عليها تخفف

من عظمة قداسته في قلوب المسلمين وتقديرهم للعبء العظيم الذي يحمله في سبيل  
أن يبلغ للدنيا كلها رسالة الله كي يحيا الإنسان على هدى وبصيرة في معارك جهاده من  
أجل الحرية والكرامة الإنسانية رافعاً بعقيدة التوحيد الخالص كلمة الله الحقمة عالياً  
ضد أعداء الإنسان من الطغاة والمستغلين .



## الباب الرابع

- عمليات التنصير في العالم الاسلامي .
- مخطط التنصير وأهدافه السرية .
- الدعوة الى الشعوبية والقومية .
- تمزيق الوحدة الاسلامية .
- الارساليات النصرانية تقاوم تقدم الاسلام .
- التنصير بين مد وجزر .



## عَمَلِيَّاتُ النَّصِيرِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

سبق لنا القول : إن الحروب الصليبية كانت منعطفاً خطيراً في مسار التاريخ الأوروبي، إذ أثرت نتائجها السلبية والإيجابية على دفع حركة الحياة عند الأوروبيين والمساهمة في دخول عصور النهضة في العصر الحديث. لكن الذي يثير الحيرة هو كيف بدأت وأوروبا مبكرة في قطع علاقتها بالعالم الإسلامي وذلك بالاعداد والعمل ضده. وهذا هو ما تشير اليه حوادث التاريخ. يروي المؤرخ الشهير «جان دي عن الملك لويس التاسع الذي اعتقل في المنصورة أثناء هزيمته في الحملة الصليبية السابقة: أن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان اجبر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد إنتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التي أفضى بها إلى إخوانه المخلصين، أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها من دمياط .

وعلى ضوء ما يقول (جان دي جوانفيل) فإن الأمر هو كما يقول (رينيه جروسيه) وهو أن (لويس التاسع) كان في مقدمة أولئك الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية للسياسة الصليبية التي قام بها الغرب في آسيا وافريقيا .

ومخطط تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية ، بتجنيد المبشرين الغربيين لمحاربة الاسلام لم يفتن له المسلمون إلا مؤخراً ومن هنا

فإن المنافذ التي إخترقوا من خلالها الحياة الاسلامية كثيرة ومتعددة ومختلفة ، ولا يزال بعضها قائماً لليوم .

يقول القس اليسوعى (مينر) في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينية في الشرق : (إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر ، لا تزال مستمرة الى أيامنا هذه . . . ولقد إحتفظت فرنسا طويلاً بروح الحروب الصليبية ، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها . . . وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائماً أن تحتفظ (فرنسا) بالدور الذي يلعبه رهبانها . وقد إعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى . . . (وكثيراً ما إختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين) .

ويقول اليسوعيون في عرض نشاطهم التبشيري في الشام . :

(الم نكن نحن ورثة الصليبيين . أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي ، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح) .

(وفي خريف عام ١٨١٨ تأسست في الولايات المتحدة جمعية تبشيرية للعمل في فلسطين تستند الى الجهود الأمريكية . . . لقد كان في المركز الجغرافي العسكري للشرق الأدنى ولمنطقة البحر المتوسط عنصر إغراء كبير حمل الأمريكيين على إقامة جمعية للتبشير هناك . إن البحر المتوسط كان الطريق المؤدي الى مغانم واسعة من العالم لم يكن التبشير قد بدأ فيها بعد ، كما كان بابا الى آسيا وإفريقيا .

وكان الهدف الرئيسي للتبشير في فلسطين هو تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى وتبديل أعماد حياتهم ، وقد وضعت خطط مختلفة للوصول الى نفوس النصارى ونفوس المسلمين ونفوس اليهود في هذه البقعة من الأرض . . . ثم ان القاهرة والاسكندرية مكانان مهمان ، فإن المبشرين يستطيعون ان يستقروا في أي منهما شاءوا بأمان ، فيصنعوا ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدس .

وبالإمكان أن تكون الكنيسة الأرمنية وسيلة مهمة لتنصير غربي آسيا . . .  
وبالتقدم منها إلى إيران والعراق وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى .

وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية : بلا حرب صليبية ، أن تسترد تلك المناطق  
التي خسرتها منذ أزمان طوال .

ويقول ستيفن نيل : (بدأت الإرسالية الأنجليكانية للعمل بين اليهود  
بالإستقرار في القدس في عام ١٨٢٠ ، ثم جعلت تقوم منذ عام ١٨٢٤ بشيء يسير من  
العناية الطبية . .

وفي عام ١٨٥١ شاركت جمعية الإرسالية التبشيرية في هذا العمل الذي أدى  
الى أغرب الأحداث في تاريخ الكنيسة الحديث . لقد إتفقت السلطات البريطانية  
والبروسية على تأسيس أسقفية مشتركة في مدينة القدس ، يشرف عليها اسقف  
مرسوم على المذهب الانجليكاني ، ولكن تعيينه يجري بالتناوب بين ملك انجلترا  
وملك بروسيا .

لقد كان وراء هذا العمل عوامل سياسية ، كما كانت فيه عوامل دينية أيضاً .

وفي عام ١٩٢٠ أصدرت لجنة التبشير الأمريكي - التي تهتم بالإستفادة من  
الحروب في أعمال التبشير - كتاباً جاء في مقدمته : ( من أبرز الأمور المتعلقة بدخول  
الولايات المتحدة في الحرب العالمية (الأولى) . إن الآراء والمبادئ التي كانت تهدف  
إليها الإرساليات التبشيرية ، قد تبنتها الآن الأمة (الأمريكية) ، ثم أعلنت انها هي  
اهدافها الأخلاقية وغاياتها من خوض تلك الحرب . إن هذه المبادئ التبشيرية قد  
سميت الآن اساء سياسية فقط .

من الواضح - إذن - أن التبشير المسيحي في العالم الاسلامي هو في حقيقته  
حرب صليبية ، وهو إمتداد لتلك الحروب الصليبية الصاخبة التي بدأها الغرب  
المسيحي منذ تسعة قرون ، والتي فشلت في تحقيق أهدافها ثم تعرضت للإدانة

الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين، من مؤرخين ومبشرين وفلاسفة ومفكرين  
إن الحرب في احد تعاريفها التقليدية - تعني صراعاً مسلحاً بين قوتين او  
أكثر ، يقاتل فيها كل طرف من أجل كسر شوكة عدوه وتحطيمه ، وبالتالي تحقيق  
السيطرة والسيادة للطرف المنتصر ، بغية التحكم في مقدرات الطرف المهزوم  
وإمكاناته .

ونتيجة لفشل تلك الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها - التي تتلخص في  
السيطرة على العالم الاسلامي وإستنزاف ثرواته - فقد إستدار الإستعمار الغربي  
لتحقيق تلك الأغراض ، بعد تطويرها بما يتناسب وظروف العصر، وذلك باستحداث  
وسائل أخرى يأتي التبشير في مقدمتها ، باعتباره غزواً صامتاً يستطيع التسلسل في  
الظلام ، خلف الأتعة والشعارات الزائفة .

ولما كانت خبرات الحياة - وخاصة في مجال الحرب - تبين أن بعض الوسائل  
اللازمة لتحقيق الهدف النهائي لصراع ما ، قد تعتبر اهدافاً مبدئية يلزم تحقيقها في  
المراحل الأولى من ذلك الصراع ، فقد عمد الاستعمار الى جعل هدفه المبدئي  
والعاجل هو : هدم الاسلام في قلوب المسلمين، وإضعاف تلك الصلة القوية  
المعروفة التي تربط المسلم بدينه . إن هذا هو ما أعلنه المبشرون جهاراً نهاراً ، في تحد  
صارخ ومواجهة مستكبرة .

فمنذ نحو سبعين عاماً ، نشرت مجلة (العالم الاسلامي) الفرنسية عدداً خاصاً  
عن إرساليات التبشير البروتستانتية ونشاطاتها في العالم الاسلامي، وذلك تحت  
عنوان : الغارة على العالم الاسلامي . وفي تقديم لبحوث ذلك العدد، كتب رئيس  
تحريرها المستشرق الفرنسي لوشاتليه يقول :

(كنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفاصيل اعمال هذه الإرساليات  
(البروتستانتية) التي إشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها  
لمقاومة دين الاسلام . . إن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة، وتدار  
اعمالها بتدبير وحكمة ، وتأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية من حيث أنها تبث

الأفكار الأوروبية .. إلا ان لإرساليات التبشير مطامع أخرى ، كما يتبين من الفقرة الآتية التي استخرجها من رسالة ارسلها إليّ من جزيرة البحرين في ٢ اغسطس سنة ١٩١١ حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر ، منشيء مجلة (العالم الاسلامي) الإنجليزية ، وهو يبني فيها صروح آمال شائخة على اعمال التبشير والمبشرين البروتستانت ، قال :

(إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الاسلامية مزيتين : مزية تشييد ، ومزие هدم . أو بالحري مزيتي : تحليل وتركيب . والأمر الذي لا مزية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير - الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهات اخرى - هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين ، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس إنتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي .

ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزرح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية .. . فيتحكك الإسلام بصحف أوروبا . وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي ، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وإنفرادها .

أما ما يقوله حضرة مكاتبنا (زويمر) عن وجود مئات من المسلمين إعتنقوا النصرانية سرّاً وينتظرون فرصة للجهر بها ، فذلك أمر لا يمكننا البت فيه .

فلنعتمد إذن على القول بأن سير العالم الاسلامي تدرج نحو إنحلال أفكاره الدينية وزوالها ، وذلك أمر طبيعي ممكن التحقيق . انتهى

ولكننا نعود فنقول : انه مهما إختلفت الآراء في نتائج اعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم (وهو الهدم) فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . وان التقسيم السياسي الذي طرأ

على الإسلام. سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية ، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية. وسوف لا يمضي غير زمن قصير، حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية . .

ان إرساليات التبشير البروتستانية الأنجلوسكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التي ظهر بها العالم الإسلامي. وقد رأينا ان نذكر معها إرساليات التبشير الألمانية لما عقد بينهما من الأواصر في مؤتمر سنة ١٩٠٦ سنة ١٩١١، ولم يبق إرتباطهما مقتصرأ ، كسابق عهده، على تناوب كرسي الأسقفية البروتستانية في القدس . وليس من المستغرب - ونحن (الكاثوليك) نبدي إعجابنا بأعمالها - ان نلح بمزاحمتها ومسابقتها ، خصوصأ وأن السيطرة على أهم الأسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة»<sup>(١)</sup>.

ولقد تزعم المبشر الأمريكي صموئيل زويمر الدعوة لعقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية ، للتفكير في أفضل الوسائل اللازمة لتنصير المسلمين. وقد إستجابت الهيئات التبشيرية لدعوته ، فعقد مؤتمر القاهرة التبشيري سنة ١٩٠٦ ، الذي افتتح يوم ٤ إبريل في منزل عرابي باشا في باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء . وكان عدد مندوبي إرساليات التبشير الأمريكية وحدها ٢١ مندوبأ .

وكانت موضوعات المؤتمر هي : ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم - الإسلام في إفريقيا - الإسلام في السلطنة العثمانية - الإسلام في الهند - الإسلام في فارس - الإسلام في الملايو - الإسلام في الصين - النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين العوام - التنصر - الارتداد - وسائل إسعاف المنتصرين المضطهدين - شئون نسائية إسلامية - تربية المبشرين والعلاقات بينهم - كيفية التعليم في الإسلام.

---

(١) (احمد عبد الوهاب) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر - مكتبة وهبة القاهرة صفحات ١٥٩ - ١٦٣ .

ولقد جمعت هذه الموضوعات في كتاب كبير ، أصدره القس الامريكي فلمنج ، تحت عنوان : «وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين» ، بعد ان كتب عليه عبارة : (نشرة خاصة ، ليتداول بين فئة خاصة من رجال التبشير. ثم صنف زويمر كتاباً آخر، جمع فيه بعض التقارير عن التبشير، وسماه : (العالم الاسلامي اليوم).

وقد إستمرت إرساليات التبشير- ولا تزال تنخر في جسم العالم الإسلامي سنوات طوال، إلى أن دعا زويمر إلى مؤتمر تبشيري آخر شهير عقد بالقدس عام ١٩٢٨ . وفي هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة اعمال المبشرين في العالم الاسلامي ، فقال مخاطباً الحاضرين : «أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية وإستعمارها لبلاد الإسلام... فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ...

لقد أديتم الرسالة التي نيظت بكم احسن اداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفتن بعضكم الى الغاية الأساسية فيه .

إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا أحد ثلاثة .

- ١ - إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام .
- ٢ - أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوت يومه ، وقد إشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .
- ٣ - وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي نديتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه

بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها . وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية . وهذا ما قمتم به خلال هذه الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنتكم عليه ، وتهنتكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعا .

لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا فيها مكائن التبشير ، والكنائس ، والجمعيات ، والمدارس المسيحية الكثيرة ، التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية .

ولقد أعددتهم في ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أرادته الإستعمار . . . لا يهتم للعظام ، ويجب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا للشهوات . . .

إن مهمتكم قد تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الإستعمار . . . فاستمروا ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب<sup>(١)</sup> .

أي بركات هذه الذي يتكلم عنها ذلك المخرب - زويمر - وأشياعه من المبشرين ، الذين جعلوا كل همهم قطع صلة المسلمين بالله ، وإفساد أخلاقهم ، وقتل شخصياتهم ، وهو أشد وأنكى من قتل شخصهم؟! .

إن المسيح بريء من كل هذا التخريب الذي يحدث باسمه ، والذي يذكر له الإنجيل كما يزعمون قوله : « ليس كل من يقول لي يا رب يدخل ملكوت السموات . . . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم : يا رب ، أليس باسمك تنبأنا

---

(١) المرجع ١٢ : ص ٣٣ .

وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم إنني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم - متى ٧ : ٢١ - ٢٣» .

أما الآن . . . فقد إستباننا الأهداف التي يعمل من أجلها التبشير في العالم الإسلامي ، والتي يمكن تجميعها في عنصرين رئيسيين :

- ١ - هدم الإسلام في قلوب المسلمين ، وقطع صلتهم بالله ، وجعلهم مسخلاً تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة .
  - ٢ - إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الإستعمار والتحكم في مقدراته وإمكاناته .
- ومن أجل تحقيق هذين الهدفين المتكاملين ، يستخدم التبشير وسائل كثيرة ، يطورها بين الحين والحين لتناسب وروح العصر .

\*\*\*

### مخطط التنصير وأهدافه السرية

يخضع نفسه من يتصور أن عمليات التبشير والتنصير في العالم الإسلامي تقوم بها قوى متعددة كل منها يعمل وفق ما يتيسر له العمل . وإنما الذي أكدته تجربة المسلمين المرة مع الصليبية الحاقدة ، ومن بعدها الشيوعية الملحدة ، إن هذه القوى المتعددة التي تجمعها وحدة الهدف تنطلق وفق خطط موحدة وغايات مرسومة من منطلق أطماع دولية تستهدف في خاتمة المطاف أمة الإسلام .

وعبر الثلاثة القرون الماضية استهدف الغرب الصليبي الإسلام والمسلمين من محاور ثلاثة .

إستهدفوا الجانب الفكري عند المسلمين بهدف السيطرة عليه وذلك بزرع القيم السلبية وتجريده من القيم الإيجابية التي تشكل خطراً عليهم .

واستهدفوا الجانب الطبي العلاجي والتعليمي والإنشائي لحاجة المسلمين إليه

وبوأوالعناصر التي أعدوها في هذه المجالات مراكز الصدارة في المجتمع متميزين على من عداهم .

واستهدفوا الجانب الاجتماعي في مجالات شتى والمسلمون حديثو عهد به على ضوء المتغيرات التي حدثت في بعض بلاد المسلمين ، وعملت القوى الصليبية على كل المجالات والمحاور مركزة على الميادين الثلاثة التي أشرنا إليها بعنف وضراوة حين جندت جيشا من العاملين في هذه المجالات يعمل لصالح مخطط التنصير ولتحقيق أهدافه يقول (جون تكلي) . فيما نقل عنه الكاتب المفكر الإسلامي المعاصر أحمد عبد الوهاب : « يجب أن نستخدم كتابهم ( القرآن ) وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماما . يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا ، وأن الجديد ليس صحيحا ) .

ويستخدم المبشرون تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه في إدخال المفاهيم المسيحية في عقول المسلمين . فإذا ما اصطدم المسلم بتعبير مسيحي مثل قولهم ( ابن الله ) فان تطور وسائل التبشير يطلب من المبشر أن يتناول ذلك التعبير تأويلاً روحياً ( حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الإيمان ، فيستطيع أن يقاربه حينئذ بما يرون أن يدعوهم إليه) . فالمبشرون - كما يقول تشارلز واطسون - ( يجب أن يكونوا براء كالحمام ، ولكن هذا لا يمنعهم أيضا من أن يكونوا حكما كالحيات ) .

ويركز المبشرون على الطلبة المبعوثين في البلاد المسيحية الغربية ، فهم يرون أن أولئك المبعوثين ( يمثلون طائفة منغلقة ومعزولة ، لكنها في النهاية سوف تتشتت وتؤثر تقريبا في كل المهن . . فإذا أمكن الوصول إليهم فإنهم يستطيعون حمل الإنجيل الى أعماق حياة بلادهم . . ان الاجتماعات الطلابية التي ينظمها الطلبة ذاتيا في مباني الجامعة ، والتي ينصح لها أو يساعدها ، بطرق مختلفة ، هيئة متخصصة طول الوقت ، لتبدو أكثر فاعلية من إرسال القسس إليهم ، أو تهيئة أماكن لضيافتهم بعيدا عن مباني الجامعة .

ان مباني الجامعة هي موطن الاقتراب الطبيعي للتجمعات البشرية ، حيث

يتبنى الاتحاد العالمي للطلبة المسيحيين (S.C.M) ، والزمالة الدولية للطلبة الانجليكانيين (I.V.F) هذه الفكرة .

إن واحداً من أهم القطاعات الاستراتيجية للطلاب هم أولئك الذين يقفون على عتباتنا ، ذلك أن أعداداً كبيرة من كل بلاد العالم تدرّس الآن في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا . وأن الانطباع الذي يأخذه معهم هؤلاء الرجال والنساء الى أوطانهم - وكثيرون منهم سوف يتولون وظائف هامة - ليتوقف الى حد كبير على الترحيب والحب والصدقة التي يظهرها المسيحيون الذين يقابلونهم . . ويجب أن نتذكر جيداً أن الطالب الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه ، من المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر ) .

### الدعوة إلى الشعوبية والقومية :

من أجل تخريب العالم الاسلامي وتقطيع أوصاله ، فقد لفق المبشرون وأشياعهم لكل بلد اسلامي قومية محلية . فقد عملوا لبعث الفرعونية في مصر ، والفينيقية في ساحل الشام ، والآشورية في العراق ، والبربرية في المغرب . لقد أراد المبشر جسب ( أن تولد فينيقية جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً . ولقد أكد على أن المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسة ستتضافر كلها على تحقيق هذا الهدف ) .

ولما اخفقت هذه الدعوات الإقليمية الضيقة ، كان البديل هو التمسح بشعار العروبة ورفع لوائها ، باعتبارها انسلاخاً عن الإسلام ، رغم ما في ذلك من مجافاة للحقائق المعروفة . فالإسلام هو الأعم والأشمل ، وهو القوة الكبرى التي تظلل العروبة وتستطيع أن تحميها وتدرأ عنها الأخطار .

( لقد قال جي موليه - رئيس وزراء فرنسا السابق - : أن الحركة الإسلامية التي تتسع في أفريقيا هي التي تهدد الامبراطورية الفرنسية في المغرب .

وقال الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون : أن الحرب الحاضرة -

آنذاك - في الجزائر ليست حربا دينية أو جنسية أو حضارية ، ولكنها حرب مجموع مظلوم يريد أن يتحرر من ربة مجموع ظالم ، إلا أن الإسلام عنصر فعال في دفع الجزائريين الى طلب هذا التحرر . لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال ان هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام ، من أجل ذلك أدركوا جميعا أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر . والواقع أن الاحتلال الفرنسي ( للجزائر ) كان منذ البدء ، يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية ) .

لقد انتصر شعب الجزائر لأنه جاهد باسم الإسلام ، ومن قبل انتصرت شعوب باكستان وأندونيسيا لأن الإسلام كان القوة المحركة لجهادها . لكن شعوبا إسلامية أخرى انتكست في نضالها ضد الاستعمار لأنها اغفلت الإسلام وتمسحت بأشياء أخرى ، هيهات أن تفعل من أجلها شيئا ذا قيمة ، فمثلها ﴿ كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه. وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾<sup>(١)</sup> .

### تمزيق الوحدة الإسلامية :

إن المبشرين حرب على كل تجمع إسلامي ، صغر أو كبر ، ولقد كانت لهم اليد النشطة في العمل على انهيار الخلافة العثمانية ، بعد أن عرفوا كيف يستفيدون من حالة الفساد التي تردى إليها الحكم العثماني . فقد كانت تركيا ترتاب في حركات التبشير في امبراطوريتها ومن ثم وقفت من المبشرين موقفا حازما ، فأصبح التبشير بين المسلمين شبه مستحيل . وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضع مدارس في لبنان لأطفال الدروز حوالي عام ١٨٧٥ اضطرت للتخلي عنها أمام حزم الحكومة العثمانية .

لقد صمم المبشرون على القضاء على الخلافة العثمانية ، فخططوا لذلك مبكرا ، وتجمعت كل القوى المعادية للإسلام لتعمل معا من أجل تحقيق ذلك الهدف الذي تمكنت منه فعلا . ففي عام ١٩٠٠ قال رئيس إرساليات التبشير الألمانية في

(١) سورة الرعد : ١٤ .

تقرير له عن أعمالها : (إن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا وأفريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الإسلام منها قوته وينتشر ، سواء كان في أفريقيا أم في آسيا . وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجهها نحو الآستانة عاصمة الخلافة ، فإن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم نتوصل الى قضاء لبانتنا فيها . ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهوداتنا نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الإسلامي ) .

ولقد كان إعلان الحرية العثمانية عام ١٩٠٨ ، وإعلان الدستور في الأمبراطورية حدثا كبيرا ، رأى فيه المبشرون فرصتهم السانحة لنجاح حركة التبشير . قال جسب : ( ان القضية التي تواجهنا بطبيعة الحال هي : ماذا يكون من أمر هذا الانقلاب العظيم على دين الامبراطورية ؟ .. إن هذا سيساعد على طبع الكتب البروتستانتية ، وسيصبح المرء حرا في أن يغير دينه ) .

### الارساليات النصرانية تقاوم تقدم الإسلام

منذ القرن الخامس عشر الميلادي والمنظمات النصرانية مثل : الآباء الكبوتشين والفرانسيسكان والدومينكان يسعون بكافة الوسائل للتوغل داخل القارة الأفريقية بالرغم من كل المخاطر التي يمكن أن تعترضهم مثل طبيعة القارة وانتشار الأوبئة بكثرة فيها ، لكن اختراق عقبة السدود النباتية بقيادة القبطان سليم في الفترة من عام ١٨٣٩ - ١٨٤٢ كان حدثا هائلا أمام مخطط التنصير الغربي وأحلامه داخل القارة الأفريقية ، وعندما وصل الخبر الى الفاتيكان في عام ١٨٤٣ عن طريق الأب ( لونجي مونتوري ) بادر البابا جريجوري السادس ، فأنشأ ( نيابة أفريقية الوسطى الرسولية ) والتي كان عليها أن تمتد نشاطها من مصر شمالا ، حتى أوغندا جنوبا ، فإذا ما أضفنا الى عامل اكتساب عقبة السدود النباتية الذي عاون البابوية في وضع مخطتها ضد افريقيا والإسلام موضع التنفيذ تسوية ما سمي بالمسألة المصرية عام ١٨٤٠ م والتي ترتب عليها خضوع مصر لوصاية الدول الأوروبية النصرانية ، وانتقلت عدوى تغلغل النفوذ الأوروبي من القاهرة الى الخرطوم ، لأدركنا كم أصبح

المجال مهيباً أمام عمليات التنصير والغزو لصنع العوائق والعراقيل أمام المسلمين .  
وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور « ابراهيم عكاشه علي »<sup>(١)</sup> .

أن مخطط الارساليات الرامي لمحاربة الإسلام في المناطق الوثنية بوادي النيل  
ارتبط بالمشروع العام للإرساليات التبشيرية والقاضي بتجديد نشاط النصرانية في  
البلاد العربية الذي توقف منذ الحروب الصليبية .

ففي مطلع القرن التاسع عشر وضعت جمعية تبشير الكنيسة الانجليكانية  
البريطانية مشروعاً خاصاً ببلاد البحر الأبيض المتوسط بدأ العمل فيه من مالطة عام  
١٨١٥ وامتد المشروع الى مصر عام ١٨٢٥ ، ولكن توقف العمل به عام ١٨٦٥ ،  
ثم بدأ المشروع فيه مرة أخرى مع الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ م وفي عام  
١٨٨٧ كونت ( اسقفية القدس ) من مصر وبعض الدول العربية<sup>(٢)</sup> ، وبعد إعادة  
فتح السودان الحق بهذه الأسقفية وعين ( جويتي ) عام ١٩٠٨ اسقفاً مساعداً  
لأسقف القدس ومقيماً في الخرطوم ..

وقد شهد العقد الأول من القرن العشرين حركة نشطة لدراسة التبشير في  
البلاد العربية ومواجهة تقدم الإسلام داخل القارة الأفريقية ، وتم عقد عدة  
مؤتمرات عالمية لذلك الغرض منها مؤتمر التبشير الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦  
ومؤتمر ( ادنبرة ) عام ١٩١٠ ومؤتمر القسطنطينية عام ١٩١١<sup>(٣)</sup> .

كانت محاصرة الإسلام في البلاد العربية وإعاقة تقدمه الى وسط أفريقيا من

---

(١) د . ابراهيم عكاشه على من بحثه الموسوعي ( تصدي الإرساليات النصرانية لتقدم الإسلام بين  
الشعوب الوثنية في وادي النيل ١٨٤٨ - ١٩٤٨ م ) . صفحات ٩٣ - ١٠٢ من حولية « كلية العلوم  
الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٩٨٠ م والنص لسعادته . .

(٢) CMS Annual Re port , 1904 - 5 , p . 143 ., CMO , Vol . LXII , Feb ., 1935 , p . 26 ., CMR .  
Vol . LXXVII , 1923 , pp . 134 - 46 .

(٣) Stock , O ., The History of the Church Missionary Society , Its Inveronment , Its Men , Its  
work , London , 1899 , Vol . 4 , p . 116 .

الموضوعات المدرجة في قائمة أعمال مؤتمر التبشير العالمي الذي عقد (بأدنبرة) ، وكان من بين أعضائه البارزين دكتور (واطسن) المشرف عن الإرسالية الأمريكية في مصر والسودان ، كما كان عضوا في اللجنة التي شكلها المؤتمر لدراسة الوسائل الصالحة للتبشير في المناطق الوثنية بوادي النيل .

وقد جاء في تقرير اللجنة ؛ ( أن التسابق بين الإسلام والنصرانية في أفريقيا هو الأمر الذي ينبغي أن تكون له الأولوية على كل ما عداه بين القضايا التي تواجه المبشرين )<sup>(١)</sup> .

دفع ذلك التقرير دكتور (رويس) أستاذ علم اللاهوت بأن يقرر : ( من الخطوات الهامة والعاجلة التي ينبغي اتخاذها لصالح النصرانية في أفريقيا ، هو تكوين أكبر عدد من البعثات التبشيرية ودفعها على الفور داخل أفريقيا لإعاقه تقدم الإسلام )<sup>(٢)</sup> .

ووفقا لهذه الاستراتيجية ، بدأ الاهتمام والتركيز على السودان الإقليمي بوجه عام والسودان الانجليزي المصري بوجه خاص ، وقد ظهر ذلك الاهتمام في تكوين الإرساليات التبشيرية الحديثة التي تحمل إسم السودان ( كإرسالية شرق السودان التبشيرية ) ، ( إرسالية السودان المتحدة ) ، ( ورابطة السودان )<sup>(٣)</sup> .

وقد أكد دكتور (كارل كم) أحد المؤسسين البارزين لتلك الإرساليات ، وبعد زيارته لجنوب وادي النيل : ( أن من أقوى الدوافع التي تحركنا من أوطاننا للعمل في السودان هو الخوف من وقوع الوثنيين في شبكة الإسلام )<sup>(٤)</sup> .

---

(١) W.H.T. Gairdner , An Account and Interpretation of the world Missionary Conference .

Edinburg , 1910 .

(٢) Oliver , R ., The Missionary Factor in East Africa , London , 1950 , p . 205 .

(٣) - Sudan Band G 3 - S - 0 - 51 ., Prospects of Eastern Sudan Evangelical Misson , 8 May .

1912 , G 3 - s - 0 - 25 ., The Encyclopedia of Modern Christian Misson . pp , 618 - 616.

(٤) - Memo . of Interview B tetween Karl Kumm and Wingate . 12 Nov ., 1912 , G3 - s - 0 - 68 .

إن مصدر خوف الإرساليات من الإسلام في أفريقيا قد عبر عنه أستاذ اللاهوت ( ج . وليز ) بقوله : ( . . أن الإسلام يدعو الى ديانة واضحة المعالم سهلة الفهم ، ويدعو الى حياة دنيئة متساوية في الوضوح والبساطة وسهولة الفهم ، وتمشى كعقيدة أفريقية مع دعوة للأفريقيين . أما بالنسبة للنصرانية فإنها تبدو كعقيدة أجنبية للقارة ومثلوها أجنب لديهم معرفة قليلة بها ونادرا ما يعطفون على وجهة نظر الأفارقة والعقيدة التي ينادون بها في غاية الغموض والمبادئ التي يصرون عليها ضئيلة في قيمتها العملية والشروط التي يضعونها متصلبة ، الأمر الذي لا يجعل من النصرانية بديلا حيويا للإسلام )<sup>(١)</sup> .

سيطرت هذه النظرة على الإرساليات التبشيرية بعد أن خلص وادي النيل للنفوذ البريطاني ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالتخلص من المكاسب التي يتمتع بها الإسلام في المناطق الوثنية من جنود وموظفين وتجار ومسلمين ولغة عربية ، وأهم ما في ذلك هو فصل تلك المناطق عن الكيان الإسلامي والعربي وربطه بإحدى الدول الأفريقية الزنجية على أمل أن يكون تحرك المد النصراني للكنيسة الوطنية الأفريقية في وادي النيل من الجنوب نحو الشمال الذي أصيبت فيه النصرانية والعمل التبشيري . بخيبة أمل كبرى .

ومما تجد الإشارة إليه أنه ليس هناك ما يثبت أن الإدارة البريطانية كانت تخطط لمؤامرة تقضي بفصل جنوب الوادي الوثني عن شماله المسلم ، ولكن الوثائق تؤكد بصفة قاطعة بأن السلطة الأكليروسية في ( كانتربيري ) والفاتيكان كانتا وراء ذلك المخطط بل والمنفذة له رغم اعتراضات الإدارة البريطانية .

فقد بدأ تخطيط فصل المناطق الوثنية الجنوبية عن المناطق الشمالية المسلمة بعد انعقاد مؤتمر ( ادنبرة ) ، حيث جرى بحث هذه المسألة في إدارة جمعية تبشير الكنيسة البريطانية ( بسالسبري ) عام ١٩١١<sup>(٢)</sup> . وفي عام ١٩١٥ قدم الى السودان اسقف

(١) . 75 . p . The Missionary Valur of Uganda , by J . Willis . Apr . , 1920 . - CMR .

(٢) CMS . -s-0177 . G3 -s . 6 Nov . , 1912 . - Extracts From Minutes of Egypt Missiomary Conference .

Annual Report, 1911 - 12, p. 206.

القدس العربية<sup>(١)</sup>، ولكن تأجيل ذلك للاجراء الى حين عودة (جويني) اسقف السودان بالادانة من ميدان الحرب بفرنسا.

وبعد عام من ثورة ١٩١٩ المصرية، وبعد عودة جويني مباشرة الى السودان اجرت كنيسة (كانترييري) فصل مصر والسودان عن اسقفية القدس تمهيداً لفصل المديرية الجنوبية. وفي عام ١٩٢٤ الذي شهد اندلاع الثورة السودانية ضد الحكم البريطاني، تقرر تقسيم اسقفية مصر والسودان الى قسمين - القسم الشمالي (مصر وشمال السودان المسلم) والقسم الجنوبي (المديرية الجنوبية الوثنية) واوكلت مهمة الاشراف الاسقفي للقسم الجنوبي الى دكتور (وليز) اسقف اوغندا<sup>(٢)</sup>.

وفي ٢٩ يونية ١٩٢٦ اجرت الكنيسة البريطانية في (كانترييري) مراسم فصل جنوب السودان نهائياً عن اسقفية مصر والسودان (الشمال) رغم معارضة (ليود) المندوب السامي البريطاني في مصر على الفصل. والحقت الكنيسة المنطقة التابعة لها

---

(١) - Shaw to Manley, 30 Dec., 1915, G3 - S-0 - 30, Gwynne to Manley, 18 Nov., 1922, G3 - S-0 - (1)

(٢) تحتل اوغندا مكانة خاصة لدى المبشرين الانجليكانيين والكاثوليك لانها من المناطق التبشيرية التي كانت اقل تكلفة في الارواح والاموال. ويرجع الى المكتشف والصحفي (ستاني) الفضل في حث الارساليات للعمل فيها عندما كان في استضافة ملكها (امتسا) عام ١٨٧٥. وقد احتلت الارسالية البريطانية موقعها في البلاد في يونية ١٨٧٧. وبعد عامين وصلت المجموعة الكاثوليكية الفرنسية (الآباء البيض) وبالإضافة الى هاتين المجموعتين كان المسلمون من العرب وانصارهم السودانيون (العائدون مع امين باشا) يمثلون القوة الثالثة وانتهى الصراع بين هذه الطوائف الى صالح المسلمين وخلع الملك (موانجا) وتم طرد المبشرين الانجليز والفرنسيين.

وفي اكتوبر ١٨٨٩ وبعد عام من طرد المبشرين عاد (موانجا) الى العرش بمساعدتهم وفي ابريل ١٨٩٤ اعلنت الحكومة البريطانية ضم البلاد الى التاج البريطاني، وتم تعيين حفيد (موانجا) الذي تم تنصيره ملكاً على البلاد، وبذلك صار التعاون وثيقاً بين الاطراف الثلاثة في نشر الانجيل بين المواطنين، وانشأت عام ١٨٩٧ اسقفية اوغندا، وفي عام ١٩٢٦ الحق القسم الشرقي والشالي مع مديرتي الاستوائية واعالي النيل السودانيون في اسقفية قائمة بذاتها باسم اسقفية (اعالي النيل).

بجنوب السودان<sup>(١)</sup> مع القسم الشمالي الشرقي لاوغندا في اسقفية منفصلة باسم (اسقفية اعالي النيل) ومركز ادارتها (جولو) بأوغندا .

وبالطريقة نفسها التي قامت بها كنيسة (كانتيري) بفصل المناطق الوثنية في وادي النيل عن الكيان العربي في الشمال ، اجرت ( البروجاندا فيد ) الهيئة المشرفة على العمل التبشيري في الفاتيكان فصل المناطق الخاصة بها في الجنوب عن الشمال وتم الحاقها مع الجزء الشمالي الغربي لاوغندا في ادارة اكليروسية منفصلة اطلق عليها (نيابة بحر الغزال الرسولية ) وعاصمتها (واو) .

وبعد فصل جنوب الوادي الوثني عن الشمال المسلم ، ركزت الارساليات على تشكيله ثقافيا ودينياً على نمط نصراني وانتشرت مراكزهم التبشيرية في المدن والقرى والأحراش .

وبما أن مشكلة المبشر الرئيسية هي ضمان استمرار نشاطه وسيطرته الكاملة على الاماكن التي استحوذ عليها متخذاً منها نقطة انطلاقه لاعمال اخرى ، فقد تحتم عليه ان يقوم بتدعيم مراكز التبشير - كمقدرات له - بمختلف المتطلبات الاساسية التي تساعد على الاستمرار والنمو والاعتماد على النفس بطريقة طبيعية وتدرجية حتى يستطيع أن يحافظ على موقفه وسط مجتمع غير ودود وغالباً ما يكون معادياً له . وعليه كانت المزرعة والكنيسة والمستوصف والمدرسة من العناصر الاساسية المكونة لتلك المراكز وعليها ارتكز نشاطه التبشيري في تنصير السكان الوثنيين .

لم يكن اهتمام الارساليات بشمال الوادي المسلم يقل عن اهتمامهم بجنوبه الوثني ، وقد وجهوا نشاطهم نحو مصر بصفة خاصة لاعتبارات متعددة في مقدمتها : إدراك ساسة أوروبا وأحبارها بأهمية دور مصر كمصدر للاشعاع الديني سواء للاسلام او الكنيسة القبطية الارثوذكسية التي يمتد نفوذها الى داخل افريقيا ،

---

(١) خوفا من الاضطرابات المذهبية بين الارساليات الثلاثة الكبرى الايطالية والبريطانية والامريكية قسمت الادارة البريطانية - بعد اعادة فتح السودان مباشرة - المديرية الجنوبية الى مناطق نفوذ احتلت كل ارسالية منطقة معينة دون ان تتخطاها ، ودام ذلك التقسيم نحو نصف قرن .

فركزوا عليها لينشئوا على انقاض هاتين العقيدتين كنائسهم الوطنية الانجيلية والكاثوليكية، واتبعوا في تحقيق ذلك وسائل متعددة اهمها :

- غزو الكنيسة القبطية والاستعانة بمن تم تحويلهم الى البروتستانتية او الكاثوليكية في تنصير المسلمين المصريين .

- السعي لاقرار الحرية الدينية على المفهوم الغربي في الدستور المصري باسم حماية الاقلية القبطية .

- التركيز لاضعاف التقاليد الاجتماعية الاسلامية الموروثة .

-التنصير عن طريق التعليم والعلاج بين القصر من المعوزين واليتامى والمرضى المسلمين .

كانت العقبة الرئيسية التي واجهت العمل التبشيري في مصر والبلاد العربية عموماً هو اعتزاز المسلم بعقيدته وفقدانه التصور والقابلية لاستبدالها بأية عقيدة اخرى ، لذلك ولسهولة الوصول النسبي للاقباط المصريين اتجهت سياسة الارساليات وعلى مختلف طوائفها الى غزو الكنيسة القبطية للوصول للمسلمين في مصر. وتصدت الكنيسة القبطية لهذا المخطط وشنّت حرباً صليبية ضد هرطقة الانجيليين وقامت بتأديب الخارجين عن الكنيسة خاصة في عهد البطريق (ديمتريس) الثاني ١٨٦١ - ١٨٧٣<sup>(١)</sup>، ورغم ذلك فان الارساليات الانجيلية بامكانياتها المالية الهائلة استطاعت كسب الكثيرين من الاقباط الارثوذكس في مصر والسودان<sup>(٢)</sup>.

وقد ارتبط نشاط الارساليات في مصر بمخطط آخر يقضي بالسعي لاقرار الحرية الدينية المطلقة في الدستور باسم الاقليات النصرانية فيها . واستطاعت الدول الغربية عن طريق ضغطها على تركيا الحصول على مرسوم (همايوني) لممارسة الحرية

---

(١) - Richter, J., The History of the Protestant Mission in the Near EAST. Edunburch, 1910, p(1)

78.

(٢) قدر عدد الاقباط الذين انتقلوا الى الكنائس البروتستانتية والكاثوليك عام ١٩٣٣ نحو تسعين الفا . راجع : جريدة السياسة المصرية ، العدد ٥٤ - ٣١ - ٣٠ يونيه ١٩٣٣ . عن « تصدي الارساليات النصرانية لتقدم الاسلام بين الشعوب الوثنية » بحث الدكتور ابراهيم عكاشه .

الدينية في البلاد العربية التي تخضع لنفوذها. ومع أن ذلك المرسوم قد صدر بالفعل في ٢٤ يوليو ١٩٠٨. إلا أن ضمان تلك الحرية عادة ما كان يحدث عن طريق الضغوط الدبلوماسية للدول الأوروبية وليس عن طريق ما نص عليه المرسوم الشريفى، وكان هذا الضغط دائماً يتم عن طريق إنجلترا وأمريكا، واستمر هذا الوضع الى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى.

ادركت الارساليات بعد انتهاء هذه الحرب. انها مقبلة على ابواب تغييرات واسعة في الاوضاع السياسية في مصر فاخذت تسعى بجدية للحصول على ضمانات كاملة لتنصير المسلمين في الدستور المصري. وتبنى هذه المسألة مجلس الارساليات البروتستانتية في مصر. وحاول المجلس في مناسبات متعددة، وبمساعدة المجلس العالمي للارساليات التأثير على الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة المصرية لاقرار الحرية الدينية المطلقة في الدستور المصري، وابعاد الشريعة الاسلامية من التدخل في مسألة تنصير المسلمين المرتدين، وكفالة حق الارث لهم. وقد رفع دكتور (وطنسن) مدير الجامعة الامريكية بمصر مذكرة الى اللورد (النبى) في اغسطس ١٩٢٠ بهذا المعنى<sup>(١)</sup>. ومع أن، المادة الثانية عشر والثالثة عشر في الدستور المصري قد كفلتا الحرية المطلقة للعبادات<sup>(٢)</sup>. الا ان مجلس الارساليات في مصر استمر في سعيه للحصول على الضمانات الدستورية لتنصير المسلمين.

كانت وجهة نظر المسؤولين البريطانيين منذ أيام اللورد (كرومر) انه من الصعوبة فرض حكومة نصرانية على دولة اسلامية لانه إجراء يتعارض مع عقيدتها ولكنهم كانوا يؤكدون بأن الحرية الدينية التي يتطلع اليها المشرون لا يمكن ان تتأتى الا عن طريق تأثير الحضارة الغربية على الشرق، وكان هذا هو التعليل الذي دائماً ما تردده الخارجية البريطانية للالتماسات المتكررة لمجلس الارساليات في مصر عن

---

- Loraine to Lindsay, 4 Dec., 1929 P.R.O., Fo., 371, 34162, 50., Mis's M.J. Hunter to F.O., 10(1)

Feb., 1922, P.R.O., Fo., 371, 7757, 148.

- P.R.O., Fo., 371, 34162, 50, op. Cit. (٢)

الضمانات الدستورية للحرية الدينية المطلقة. فقد أكد (بوث) بوزارة الخارجية البريطانية في التماس مماثل عام ١٩٣٠، (بأن العلاج العملي الوحيد هو التدرج نحو التخلص من النصوص الاسلامية في الدستور المصري، وهو تقدم قد بدأ بالفعل وسوف يستمر عن طريق مؤثرات الحياة الغربية، وتأثيرات الغرب على الشرق، وانه يشك في ان التدخل الاوروبي سوف يزيد من سرعة هذا التقدم<sup>(١)</sup>).

وفي الوقت الذي كان يرى فيه ساسة أوروبا أن تأثير حضارة الغرب على الشرق هو الوسيلة المثلى لتمهيد الطريق لتنصير المسلمين، كان جمهرة رجال اللاهوت يرون ان المهمة الاساسية والهامة للمبشرين في الشرق هي : كسب ثقة المسلمين وازالة حواجز التحامل والريبة والتعصب واضعاف التقاليد الاسلامية الموروثة مما سيرتب عليه بطبيعة الحال تمهيد الطريق للانجيل بين المسلمين .

وقد جاء على لسان أحد اقطاب المؤتمر التبشيري الذي عقد عام ١٩٢٧ بجبل الزيتون من اعمال فلسطين وحضرته اربعون دولة من دول الصليبيين . قوله :  
( انظنون ان غرض التبشير النصراني وسياسته إزاء الاسلام هو اخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى ؟ ان كنتم تظنون ذلك فقد جهلتم التبشير ومراميه لقد برهن التاريخ من أبعد أزمنته على أن المسلم لا يمكن ان يكون نصرانياً مطلقاً والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة النصرانية على استحالة ذلك ولكن الغاية التي ترمي اليها هي اخراج المسلم من الاسلام فقط ليكون مضطرباً في دينه وعندما لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد ضميره بهديها وعندما يكون المسلم ليس له من الاسلام الا اسم أحمد أو مصطفى ، أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر<sup>(٢)</sup> . تكون الصليبية قد حققت بعض أهدافها .

(١) - Hereson to Henderson, 20 Mar., 1930, Guarantees For Religious Liberty in Egypt, P.R.O..

Fo, 371, 14639, 231.

(٢) جريدة السياسة، العدد ٣١٤٥ ، ٢٠ يونية ١٩٣٣ .

وفي المحاضرات التي القاها دكتور (واطسن) مدير الجامعة الامريكية في مصر ، بعنوان (الفكرة العظيمة) التي شرح فيها غاية الجامعة ومهمتها ومقاصدها كرر نفس ما جاء في مؤتمر الزيتون<sup>(١)</sup> .

وايا كان الأمر ، فان الاسلام في مصر في الفترة التي سبقت نهاية الحرب العالمية الأولى كان يواجه مخططاً من قبل الارساليات التبشيرية والادارة البريطانية اخطر مما كان يتعرض له جنوب الوادي الذي كان من الناحية الشرعية تحت ادارتها . واستطاع المبشرون في هذه الفترة وعن طريق الامتيازات الأجنبية ، وتجنيد الامكانيات المالية الهائلة ان يوسعوا من نشاطهم التبشيري على مختلف انواعه في المدن والريف .

وقد بلغ عدد الارساليات البروتستانتية وحدها عام ١٩٢٠ خمس عشرة ارسالية تضم ما ينوف عن اربعمائة وخمسين مبشراً من ست جنسيات اجنبية يعاونهم نحو ١٥٠٠ مواطن ، وتضم المدارس التي تحت ادارتهم ١٦,٠٠٠ تلميذاً ، وبلغت المصروفات السنوية على تلك المدارس نحو ١٤٠,٠٠٠ جنيهاً مصرياً سنوياً ، وقد وصل عدد اتباع الكنائس الوطنية التابعة لتلك الارساليات نحو ٥٠,٠٠٠ مواطناً مصرياً<sup>(٢)</sup> .

ارتبطت حركة التصدي لنشاط الارساليات في العقدين الأولين بكفاح الشعب الطويل بنيل الاستقلال ، واشتدت موجة التصدي ببداية العقد الثالث ، وقام الشعب بعدة انتفاضات اهمها احداث عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٦ .

برزت على مسرح احداث عام ١٩٣٢ في مصر بعض الحالات التي تم فيها تنصير بعض اليتامى والقصر من التلاميذ والتلميذات بالاكراه ، فانفجر الشعب على مختلف قطاعاته وعبر رجل الشارع عن غضبه بالاعتداء في بعض الاحيان على المبشرين وممتلكاتهم ، وبالتظاهر امام مراكز التبشير وهم يردون (لا اله الا الله محمد رسول الله) كما حدث مثلاً في شبرا والازبكية وميدان الأوبرا وفي الارياف كما

(١) جريدة السياسة، العدد ٣١٦٢ ، ٣٠ يوليو ١٩٣٣ .

(٢) - The Egypt inter Mission Council to High Commissioner, P.R.O.37114639, 218 Not Dated.

حدث في دمنهور وكفر الزيات والزقازيق وغيرها<sup>(١)</sup> .

اما على مستوى اهل الفكر ورجال الدين في البلاد، فقد كونوا هيئة اطلقوا عليها (جماعة الدفاع عن الاسلام) برئاسة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر سابقاً، وعضوية بعض الصحفيين والبرلمانيين ، وهدف الهيئة كما جاء في المادة الثانية من قانونها : (مقاومة التبشير بجميع الوسائل السلمية المشروعة التي يهدى اليها الاسلام، ومساعدة الفقراء واليتامى من المسلمين وتنشئتهم تنشئة اسلامية صحيحة<sup>(٢)</sup> .

وفي فترة وجيزة اكتسبت الجماعة شعبية واسعة وتكونت لها فروع متعددة بالاقاليم واتخذت تجمع الاكثبات لانشاء المدارس والملاجىء لليتامى والفقراء واصدرت الجماعة نداءات متعددة بمقاطعة مدارس الارساليات، وقدمت التماساً للملك والحكومة لدرء خطر المبشرين في البلاد .

وأيا كان الأمر ، فان بعض الصحف المصرية استطاعت ان تلعب دورها الوطني رغم الضغوط التي كانت تتعرض لها من الحكومة وبايعاز من السلطات البريطانية . واستطاعت تلك الصحف ان توعظ الأمة باكملها بمخاطر الارساليات وخاصة الازهر الشريف الذي حاولت الحكومة إبعاد علمائه من التدخل في المسألة، حيث فصل بضعة وسبعين عالماً عن وظائفهم .

وبعد سكوت دام فترة ، اصدرت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر بياناً في اكتوبر ١٩٣٣ حذرت فيه الأمة والحكومة من اعمال المبشرين وطالبت باتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك ، وتم تشكيل لجنة في ١٧ يوليو من علماء الأزهر لتنظيم العمل لحماية الاسلام والمسلمين من خطر التبشير . ومنذ ذلك التاريخ اخذ الازهر

---

(١). Loraineto Simon. Anti Missionary Movement in Egypt, 14 Mar., 1932. P.R.O.. Fo., 371.

16124, 249

(٢) جريدة السياسة العدد ٣١٥٧ ، ٤ يوليو ١٩٣٣ .

يلعب دوره السياسي في صدع كل سياسة استعمارية معادية للمسلمين والعرب في وادي النيل وخاصة بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ .

### التنصير بين مد وجزر

تجربة غزو افريقيا عن طريق التنصير لا تزال وحتى اليوم بين مد وجزر، ومن الممكن ان تفشل مخططات الاستعمار فيها ضد الاسلام، لو صدقت نيات بعض القادرين من أمة الاسلام وعملت على تزويد بعض العناصر التي تقاوم صامدة عمليات تنصير افريقيا .

إن (فيليب فونداس) رئيس المكتب الخامس الفرنسي يقول في مقدمة كتابه (الاستعمار الفرنسي في افريقية السوداء) : «إن هذا الاسلام يؤلف حاجزاً امام مدنيتنا المبنية كلها من مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكرتية . . فان الاسلام يهدد ثقافتنا الفرنسية في افريقية السوداء بالقضاء عليها . . ولئن كان بيننا وبين السود هوة ، ظهر من المعقول استناداً الى الدراسات الحديثة للنفسية السوداء وللحضارات السوداء ، أنه بالامكان ردمها ، الا ان الاسلام يجعل الهوة قائمة لا تردم ابداً ، اذ انه بعد انقضاء اكثر من خمسين سنة من الجهود التنصيرية فان الآباء البيض في السودان (غربي افريقية الفرنسية) لم ينجحوا الا في تنصير ثلاثة وسبعين الف افريقي وفي تلقين المبادئ الأولية للمسيحية لتسعة وعشرين الف افريقي آخر ، لم يعمدوا بعد ، مع انه في فترة خمس سنوات وفي منطقة واحدة فقط من وادي الفولتا العليا فان ثلاثين الفا من شعب الموسي قد دخلوا في الاسلام . . وعلى الرغم من ان بعض النفوس المتسامحة تميل بطبيعتها وعن رضى منها الى عدم تقدير هذا الخطر (الاسلام) حق قدره فانه يبدو في الظروف الحالية للتطور الاجتماعي والسياسي لعالم البشر الاسود انه من الضروري (لفرنسا) ان تقاوم الاسلام في هذا العالم وأن تنهج سياسة

---

(١) . د . مهدي رزق الله احمد من بحثه (التنصير) في مجلة : المعهد العالي للدعوة الاسلامية ) عام ١٩٧٩ صفحات ٢٨٣ - ٢٩٣ .

عدائية للإسلام . . او ان تحاول على الاقل حصر انتشاره وان يعامل وفقه اضيق مبادئ الحياد الديني .

ثم بعد ذلك يرسم الكاتب رسماً بيانياً يوضح فيه تزايد المسلمين من سنة ١٩٢٦ الى سنة ١٩٥٠ م ويتساءل عن سبب الزيادة . . ويحذر من هذا الخطر في كل مرة . . وهذا التحذير بالخطر نلحظه في كل تقرير قدم عن افريقية في مؤتمرات التنصير . وفي مكان آخر من كتابه يقول عن المدرسة الاسلامية التي انشئت في باماكو عاصمة مالي ، يقول : ( . . . ) وان روح التعليم الذي يديره اربعة افريقيين من حملة شهادة الأزهر لترتبط بشكل اساسي بالتجديد الشرقي والعقيدة الوهابية (هكذا ) وان النجاح الذي لاقته هذه المدرسة هو ذو مغزى كبير . ومن الواجب تأمين مراقبة شديدة على هذه المدرسة من قبل الادارة الفرنسية ) .

هكذا يخافون من يقظة المارد الاسلامي في افريقية اذا تسلح بالعلم الاسلامي ، فاحذوا في بث التعليم النصراني وتجميد واعاقة التعليم الاسلامي ، لمعرفةهم بأثر هذا الميدان في التغيير السياسي والاجتماعي والديني ، ولهذا لا نعجب ايضاً من قول لوشاتليه في مقدمته عن ارساليات التنصير البروتستانتية ، وهو : « ينبغي لفرنسا ان يكون عملها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية » وقوله بعد ان ركز على ان السبيل الوحيد الى هذا هو التعليم ، قال : « وانا ارجو ان يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليثبت في دين الاسلام التعليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية » . ويقول في مناسبة اخرى : « يوم لا يبقى اللسان العربي هو لغة التجارة في افريقية ، ولا يبقى خطر من جهة الاسلام لان مدارسه تصير قفرة » وهو ايضاً رأي الرحالة - قاتل امور افريقية بحثا - بينغر . وهو كذلك مشرب الكاردينال لافيغري مؤسس جمعيات التنصير الذي قال : ( لا حاجة بنا الى الدعوة لنفس الدين ، بل الحاجة هي الى التعليم والتمريض » . وقد سجل دعاء التنصير هذه الحقيقة في كثير من تصريحاتهم ومؤلفاتهم . ففي المؤتمر التنصيري لسنة ١٩٢٤ م يوجه العمل الى الاطفال : « في كل حقل من حقول العمل يجب ان يكون

العمل موجهاً نحو النشء الصغير من المسلمين ( انظر : الجندي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٨). وتقول المنصرة انا مليجان : « ليس ثمة طريق الى حصن الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة . . . » ( الاسلام في وجه التقريب للجندي - نفس المكان ) .

لقد ادركوا تماماً ان القرآن في الشعوب الافريقية وتحدي الاسلام لغيره من العقائد، ويتضح ذلك من الاستطلاع الذي اجراه المستر هيور وبرتون في الصندي اكسبريس الصادرة في ٣ نوفمبر ١٩٦٣ مع المستر واطسون - السكرتير العام لجمعية الانجيل البريطاني والأجنبي - يقول واطسون في هذا الاستطلاع : «لقد وضعنا الخطط لمواجهة الشعوب مواجهة امينة ، وذلك بان تعرض عليهم تعاليم المسيح في صورة كتب دينية مترجمة الى لغاتهم الاصلية، واننا نامل ان نتغلب على انتشار تأثير القرآن والناس احرار في ان يختاروا . . . الصليب او الهلال . . . ويقرر واطسون ان ١٥٠ مليون افريقي يبحثون عن دين وان الشيوعية قد دخلت حلبة المنافسة ولكن كما يقول : « ان تحدي الشيوعية من جانب المسيحية لا يعادل تحدي الاسلام الكبير لها . . . ثم يقول : « لا ريب ان الاسلام قد احرز تقدماً في افريقيا غير ان ما نفعله ونخطط له ليس هو التنافس مع الاسلام (كذا) . . . اننا ننظم حملة صليبية سليمة ، الهدف منها تقديم عقيدة بديلة للافريقيين الذين لا يعتقدون أي دين !! » .

ونحن نعلم تماماً من واقع الحال في أفريقية وغيرها أن هذا القول الأخير ذر للرماد في العيون .

ويقول هيور وبرتون الذي أجرى الحديث مع واطسون ، يقول : « . . . من المتوقع أن تبسح خطى المعركة للمسيحية ضد الإسلام في أفريقية في السنة القادمة ( ١٩٦٤ ) وستصحبها حملة واسعة النطاق تمتد من كيب تاون الى القاهرة ، لايقاف زحف الدعوة الإسلامية » ويكفيها هذا القول في الرد على واطسون في زعمه المذكور آنفا .

وقال واطسون : « إن مجلس الكنائس العالمي قد كون هيئة خاصة لبحث :

(١) مضمون الإسلام .

(٢) وطرقه التبشيرية .

(٣) وأفضل الطرق التي يمكن نشر المسيحية بها لتكون بديلا للإسلام !!  
وواطسون هذا هو الذي اقترح أن تتعاون الحكومات الغربية في سبيل منع انتشار  
الإسلام بين القبائل الوثنية في أفريقية ( التبشير والاستعمار ، ص ١٤٥ ) .

وتتضح أهداف التنصير في أفريقية أكثر من ذلك من كتابات الكثير من  
المنصرين ، ومثال ذلك قول القس ترومنجهام في كتابه « الكنيسة المسيحية بالسودان »  
يقول : « أن الهدف الرئيسي للكنيسة هو إيجاد كتلة مسيحية تقف في وجه الكتل  
الإسلامية المتواجدة في الدول الأفريقية ، إذا ما ادعت لنفسها حق السيطرة أو النفوذ  
في تلك الدول » .

وهكذا لا يريدون للإسلام أن يسيطر حتى على مراكز نفوذه ، ونراهم مرارا  
وتكراراً يحذرون من ذلك . ومثال آخر لذلك هو قول النصراني البريطاني  
( مونجمري وات ) في جريدة التايمز اللندنية ، في مارس ١٩٦٨ ، قال : « إذا وجد  
القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام فإن من الممكن لهذا الدين  
ان يظهر كأحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى » .

ولنتبين أكثر خوف هؤلاء من الإسلام نقرأ ما كتبه « سايلر » عميد الدراسات  
التنصيرية في الولايات المتحدة في كتابه « المسلم يواجه المستقبل » وتحت الفقرة « لماذا  
يجذب الإسلام الزنوج ؟ » كتب يقول : « . . . والوضع الثالث الذي أثار الاهتمام  
الكبير هو انتصار الإسلام في أفريقية . . لقد كتبت الكثير عما يسمى بالجاذبية  
الطبيعية من قبل الأفريقيين نحو الإسلام وقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوبا  
وحتميا لأن الإسلام يلائم الزنوج جدا وهو يحسن من أوضاعهم ولا أمل للمسيحيين  
في منافسة الإسلام ، أما الآخرون فقد اعتبروا التحول الى الإسلام مكسبا كبيرا  
للرجل الأسود ، لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية ، وكذلك فهم ينادون  
الكنيسة لتشديد الجهود على نطاق كبير لوقف المد الإسلامي » . وبعد أن يعدد  
العوامل التي أدت الى سرعة انتشار الإسلام في أفريقية ، يقول بوجوب عمل

الكنيسة بسرعة أكبر وفي مجالات أوسع نطاقا مما كانت عليه أعمالها .

ولماذا لا تلبى الكنيسة النداء لرجل هذا مكانه في أكبر دولة في العالم .  
والأحداث التي دارت على الساحة الأفريقية أصدق دليل على تلبية النداء .

ولقد التقى رجال السياسة النصارى واليهود في هدف محاربة الإسلام ،  
وجعل هؤلاء الساسة من التنصير أداة لخدمة أغراضهم ولذا نراهم يتولون الإشراف  
على مؤتمرات التنصير ، أمثال لورد بلفور الذي أعلن أهمية مؤسسات التنصير في  
خدمة أهداف السياسة . ويتجلى ذلك التعاون حين نرى أن مؤتمر التنصير في أدنبره  
سنة ١٩١٠ يعنى بدراسة قرار محول إليه من المؤتمر الاستعماري المنعقد في برلين في  
نفس العام يقول القرار : « أن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم لذلك  
فإن المؤتمر الاستعماري ينصح للحكومة بزيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه  
الحركة ، ويشير المؤتمر الاستعماري على من في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل  
عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام وأن يزيلوا العراقيل عن طريق انتشار  
التبشير » .

ومن الواضح أن المنصرين قاموا بهذا الدور ، لم لا ؟ والمنصر « بلس »  
يرى أن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق التنصير في أفريقية ، والمسلم  
فقط هو العدو اللدود ، وليس خصمنا إلا ذلك العربي الذي يرتاد البلاد للتجارة ،  
بل أن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية » .

إن هدفهم ليس فقط إيقاف المد الإسلامي في أفريقية ، بل هو تنصير أفريقية  
جميعها وهم لا يخفون ذلك ، بل يصرحون به ليسمعه العالم مما يدل على خطورة  
مساعيهم ، وخير مثال لذلك التكهات التي تقدم القس « ببلي جراهام بإدلائها  
أثناء زيارته للهند ونشر ذلك في جريدة واشنجتون ستار الصادرة في ٧٧/١٢/٢ م  
بالكلمات المترجمة التالية : « وقد ذكر للصحفيين أمس في كلكتا أنه سيكون ثمانون في  
المائة من سكان أفريقية نصارى عند نهاية هذا القرن . . » والفكرة ليست جديدة  
ولكنها تلقي ضوءا على الاصرار ، وقد سمعناها من غوردن باشا ، وذلك عندما

أرسل رسالة الى يوحنا الحبشي النصراني ، الذي أمر بتعبئة عامة ثم أعلن حربا صليبية على المسلمين ، فوصف غوردون هذا اليوحنا ، فقال : « أنه مثلي متعصب في الدين . أنه يشعر أنه يحمل رسالة وأنه سوف يحققها ، تلك الرسالة هي أن ينصر جميع المسلمين ولأن غوردون هكذا فقد وقع الاختيار عليه ليكون حاكما عاما على السودان والوقوف أمام حركة المهدي في السودان في نهاية القرن الماضي . وعندما فشلوا في الشمال اتجهوا نحو الجنوب وعندما فشلوا في الجنوب ركزوا على منع انتشار الإسلام فيه .

وهذا هيلاسيلاسي الذي ابتلع ربوع ارتريا المسلمة وقسا غير يسير من الصومال الإسلامي يعلن في الكونجرس الأمريكي أنه قد وضع الترتيب اللازم لإعادة المسلمين في الحبشة الى دين أجدادهم خلال اثني عشر عاما وقد أزاله الله قبل أن ينفذ مخططه ، ولم يختلف عنه باقي السائرين طريق العداء للإسلام ، فساروا في طريقه ، والله لهم بالمرصاد .

وإذا كان هذا هو رأي أقطاب النصرانية في أفريقية ، فعلينا أن نأخذ بهجد أكثر عندما نسمع الطبيب الأمريكي بول هاريسون في كتابه « الطبيب في بلاد العرب » يقول : « لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى » . فإذا كان هذا هو رأيهم في مهد الإسلام ، فماذا عساه يكون حظ أفريقية .

تلك أهدافهم واضحة : أما الوسائل المختلفة لتطبيق هذه الأهداف فهي واضحة من الأحداث التي وقعت على الساحة الأفريقية ، ونمثل لها بالآتي :

أولا : قاموا بإنشاء المراكز التنصيرية في كل أفريقية كما رأينا من قبل .

ثانيا : أبعاد المسلمين الحقيقيين عن القيادة السياسية . . ومثال ذلك : أن في سيراليون ٨٠٪ من السكان مسلمون ويشكل النصارى ٥٪ ومع ذلك يسيطرون على ١٧ مقعدا من أصل ٢٢ مقعدا وزاريا ومن مقاعد النصارى منصب رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزراء الخارجية والمالية والإعلام . ويتكرر المثال في السنغال حيث

المسلمون ٩٠٪ وأفريقية الوسطى ٧٠٪ قبل إسلام بوكاسا وغامبيا ٩٠٪ قبل إسلام جاوارا ، وتنزانيا ٤٥٪ والحبشة ٦٠٪ وتشاد وفولتا العليا وليبيريا ، كلها أغليات إسلامية تحكمها أقلية نصرانية .

وفي نيجريا دبروا الاغتيالات في مسرحية مكشوفة ، عندما وجدوا المسلمين في مركز القيادة ، ومثال ذلك ما حدث للزعيم النيجيري أحمد وبللو ورئيس الوزراء أبي بكر تفاوا بليوه ، عندما حركت الصليبية والصهيونية عملاءها برئاسة أيرونسي ( قاده هذه المؤامرة الانقلابية « شوكور مانريجو من قبيلة أيبو النصرانية ، وأصدر أوامره بإلغاء توحيد نيجريا والحكم الفدرالي وحل الاحزاب وفرض سيطرة أيبو على نيجريا ، ثم ظهر إيرونسي ليكمل باقي المسرحية ) ليطيحوا بالرؤوس التي وقفت في طريقهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل حاولوا تقطيع أوصال الوطن النيجيري عندما حركوا عميلهم الجنرال أوجوكو ليقوم بمحاولته الانفصالية في إقليم بيافرا . وبدأت الأسلحة تتدفق على أوجوكو بالمجان لقتل المسلمين ، من هولندا وفرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا وإسرائيل ، واشترك البابا والفاثيكان في تهريب الأسلحة الى بيافرا على بواخر حكومية . وهكذا قامت مؤسسات التنصير بمهمتها فكانت الساعد الأيمن لأوجوكو بالتجسس وتقديم المساعدات والمعلومات والأسلحة وبث الفتنة بين الشعب الواحد وتآليب المسيحيين ضد المسلمين في الإقليم الغربي المحتل فاستحقوا شكر أوجوكو على ما قدموا من خدمات ( أنظر : البلاغ ، العدد ٥٨ ، الأربعاء ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٧٠ ) .

ولقد عبر عن أهداف أوجوكو أحد أقطاب التنصير في العصر الحديث وهو البروفسير « جيريام أم ريك » وذلك بقوله : « أن الثورة البيافرية سوف تنشئ حكومة مسيحية في نظراتها وذلك تبعاً لما صرح به اللواء أود اميجو أن الخط السياسي لدولة بيافرا « سيكون في وضع حد للتوسع الإسلامي في كل أرجاء أفريقية ! » ولكن هذا الخط قد تحطم بفضل الله ثم بفضل صلابة المسلمين في نيجيريا . . . وعليك أن تقدر ماذا كان سيحدث لو انتصر ذلك الحاقد المدفوع !! وهل انتهى الأمر يا ترى الى هذا الحد ؟ .. كلا :

فإنه قد : ينال بالفكر ما تعباً الجيوش به كالموت مستعجلاً يأتي على مهل .  
وعليه ، فما زالت معركة التشويه والظعن في الإسلام قائمة كما هو الحال في  
كل زمان ومكان .

أما في الكونغو فقد رفضت الدولة الاعتراف بالإسلام ورفضت أن تكون  
السواحيلية لغة رسمية للبلاد لأن بها ٦٠٪ من الكلمات العربية . وقد جمع المسلمون  
أنفسهم بعد الاستقلال وطالبوا بالشخصية المدنية ليكون لهم نوابهم ومدارسهم  
ومؤسساتهم ، ووعدهم رئيس الوزراء السابق « أدولا » بكل خير ، ولكنه أبعد عن  
الحكم قبل أن ينفذ شيئاً . وقد اتهمه البلجيكيون والمنصرون بأنه مسلم واسمه  
أبدوللا ( عبد الله ) وأنه حذف الباء للتمويه !! وأن أباه سنغالي مسلم ..

لا عجب في ذلك ففي الكونغو ما يزيد عن ١٥ ألف بعثة تنصيرية من الدول  
الأوروبية ويعملون وفق خطة مرسومة ) ..

أما في زنجبار فقد تعاونت الصهيونية والاستعمار مع المنصرين ودبروا مذبحة  
جماعية عام ١٩٦٣ والتي راح ضحيتها ثلاث وعشرون ألف مسلم من مجموع ست  
وعشرين ألفاً !! نفس المذبحة التي كان المدفوع إليها جوليوس نيريري يهدف نقل  
ميدانها الى أوغندا ليضعوا حداً للمجتمع الأمة الإسلامية النامي تحت قيادة الجنرال  
عيدي أمين ، وقد أفلحوا في بغيتهم .. ولكن الله لهم بالمرصاد ..

وعندما كان عيدي أمين في صفهم عند بداية حكمه تغاضوا عن كل شيء  
عنه ، وعن ما سار في الخط الإسلامي شوهوا صورته أمام العالم وأخيراً أطاحوا به ،  
وأيضاً ليس هذا بغريب عنهم ، إذ أنه من المعلوم أن الانجليز عندما دخلوا أوغندا ،  
عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانوناً بالآ يتولى الحكيم إلا مسيحي .. فلعلهم أرادوا  
تنفيذ قانونهم حتى بعد أن خرجوا من البلاد .

أما في السودان فتكفينا دلالة على الهدف والسعي الى تحقيقه إشارة المؤرخ  
الانجليزي ب . م . هولت في كتابه « تاريخ السودان الحديث » ( ص ١٤٩ )

اشار البروفسور لبيون اليهودي وعميد كلية الآداب بجامعة الخرطوم سابقا ، في محاضرة القاها في أروقة الجامعة حيث قال ؛ « إن السودان سيتطور تطوراً ملحوظاً سنة ٢٠٠٠ ، هذا في الجزء الشمالي ، أما الجزء الجنوبي فانه سينفصل وينضم الى دولة ستشأ يومئذ واسمها ( دولة أواسط أفريقية ) .

وهكذا لم يكتف المنصرون بما أعطي لهم من حرية كاملة للتصير في جنوب السودان بموجب قانون المناطق المقفولة ، ولم يكتفوا بما يقومون به من تصير حتى في شمالي السودان وإنشاء المراكز والمدارس والمستشفيات في كل مكان للوصول الى الهدف بطرق غير مباشرة ، لم يكتفوا بهذا كله بل أرادوها حربا ضروسا على الشمال لفصل الشمال عن الجنوب . . تماما كما فعلوا في نيجيريا . . وعندما انكشف دورهم في هذه القضية طردوا من البلاد كما طرد رفقاء لهم من بعد من نيجيريا . ولكن الأحقاد لم تنته بعد .

وفي الصومال كان مخرجهم الوحيد بعد خروج الاستعمار أن يسعوا في تمزيق الأرض ، عندما لم يجدوا فرصة في تنصيب عميل لهم . .

وفي موزمبيق تمكنت العناصر المسيحية الضئيلة الممثلة في منظمة تحرير موزمبيق ( فريليمو ) من أن تعزل المسلمين عن القيادة بعد أن حققوا الاستقلال على الرغم من أن المسلمين ثلث السكان، بينما المسيحيين ما بين ١٠ - ١٢٪ والباقي من الوثنيين . وسار الرئيس سامورا ماشيل الشيوعي النصراني في الخط الذي رسمه له الدكتور الدواردو من اضطهاد للمسلمين .

أما مأساة المسلمين في تشاد ، فهي نفس سياسة النصرانية في إبعاد الأغلبية الإسلامية عن مراكز القيادة . . فكان تومبال باي تلك العصا التي يضرب بها النصارى المسلمين ، الذي يبلغ تعدادهم أكثر من نصف الشعب ودون النصف بقليل من الوثنية . . ولهذا الوضع الشاذ كان لا بد لمنظمة « فرولينا » أن تعمل لتغيير هذا الوضع الذي استمر حتى بعد زوال تومبال باي .

وفي أرتريا ما زال الشعب معزولا عن سيادة نفسه ، بل أجبروه على أن يظل

في فلك الحبشة النصرانية الصليبية . . ومن داخل الحبشة ليس للمسلمين إلا السيف والنار .

وأمام هذا النشاط المحموم والوسائل المتعددة والمؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، ما الذي ينبغي أن يفعله المسلمون ؟ .

يقول الدكتور حسين مؤنس ( في مقال نشرته مجلة الهلال ، أكتوبر ٧٧م ) أنه في نهاية عصر الاستعمار كان سكان أفريقيا في مجموعهم يقدرون بحوالي ٣٠٠ مليون وفي أوائل السبعينات ٣٣٥ مليوناً ، ومن هذا العدد الأخير كان المسلمون حوالي ١٦٠ مليوناً في أفريقيا ، وكانت المؤشرات تدل على أن الإسلام في تقدم مستمر وأنه في نهاية القرن سيكون ثلثا القارة مسلمين وبهذا تنحسم معركة الصراع الديني والفكري الخطيرة في أفريقيا لصالح الإسلام ، كما قرر ذلك واحد من أعظم الباحثين الفرنسيين في شؤون الإسلام في أفريقيا وهو « فستان مونتاي » . ولكن السياسة المرسومة التي استعرضناها حالت دون تحقيق ذلك . ويقول مؤنس تحت عنوان « الإسلام الإفريقي في خطر » يقول : « وفي أيامنا هذه توقف تقريباً توسع الإسلام في أفريقية جنوبي الصحراء . . الزيادة التي تأتي هي من مواليد المسلمين . . في أفريقية المدارية والاستوائية باستثناء زائيري كان المسلمون عشرة أضعاف المسيحيين ، واليوم أصبح المسيحيون أضعاف المسلمين . المعركة اليوم تدور حول كسب ٧٠٪ من سكان أفريقية وهم وثنيون الى الإسلام أو النصرانية . . إذا سارت الأمور على هذا المنوال سنجد أنفسنا في أفريقية ١٥٠ مليوناً في مواجهة ( ٣٠٠ ) مليوناً غير مسلم على الأقل » . . والعمل ؟ . . العمل هو أن نضع أمام أعيننا هذه الحقيقة : أما أن يكسب الإسلام معركة أفريقية أو أن مستقبلنا في هذه القارة سيكون حرجاً من أوائل القرن الحادي والعشرين . .

وإذا أصغينا الى هذا التحذير وأدركنا أن لنا مأساة في أفريقية كما كتب عن ذلك الدكتور عماد الدين خليل ( في كتابه : « مأساتنا في أفريقية » ) فلا بد لنا أن نقوم بالتجهيز والاعداد للتبشير بالإسلام حتى لا نخسر المعركة في المستقبل .

- ١ - أن يعمل كل مسلم على إقامة الدين في نفسه وعشيرته .
- ٢ - أن تعمل الحكومات في البلاد الإسلامية على تحكيم الشريعة الإسلامية ونشر المعرفة الدينية ومحاربة المذاهب الهدامة حتى يوجد الوعي السياسي الذي يدرك مخططات الأعداء ليقوم بإحباطها .
- ٣ - إنشاء مراكز رئيسة للدعوة الإسلامية وانشاء فروع لها في كافة أنحاء العالم الإسلامي والسعي لتوحيد الجهود والأهداف .
- ٤ - إيجاد إذاعة قوية تصل الى كل أفريقية وبجميع اللغات .
- ٥ - إنشاء مجلة كبرى لتتبع أخبار أفريقية وتزويد أفريقية بمعلومات كافية عن الإسلام ومخططات الأعداء .
- ٦ - تأليف ونشر الكتب الهادفة بكل اللغات الإسلامية لمحاربة الآراء المناوئة .
- ٧ - نشر اللغة العربية في أفريقية وتدريب المعلمين الأفارقة للقيام بواجبهم مثلما يقوم به الاتحاد العالمي للمدارس الإسلامية الدولية الذي يجد تشجيعا من المملكة العربية السعودية .
- ٨ - إرسال العلماء ذوي الخبرات والتأثير الى مناطق أفريقية المختلفة لاسيما التي يحتدم فيها الصراع بين الهلال والصليب .
- ٩ - إنشاء معاهد لتدريس لغات أفريقية الكبرى وتدريب الدعاة المسلمين ومعاهد لتأهيل الكوادر الإسلامية للقيام بالدعوى الإسلامية مثلما يقوم به المعهد العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ١٠ - إنشاء مراكز أبحاث خاصة بالشئون الأفريقية لرصد أنشطة التنصير وتقديم الحلول وأنجح الوسائل في الدعوة الى الإسلام .
- ١١ - إنشاء المساجد الجيدة والمزودة بالمكتبات والدعاة المؤهلين من ذوي الإخلاص للدعوة .
- ١٢ - تطوير التعليم الإسلامي والمساهمة في إنشاء المدارس المزودة بكل الوسائل التي تساهم على تربية جيل يستطيع أن يتخلص من مشكلات العصر والعراقيل التي توضع أمامه . . أنتهى كلام الدكتور ابراهيم عكاشه .

## الباب الخامس

- العلمانية في العالم الاسلامي .
- موقف الدين من العلم .
- براهين للعلم في الدين .



## العلمانية في العالم الإسلامي

من اخطر ما ابتلت به امة الاسلام وخاصة بين قطاعات المهن التي اقتضت نوعاً من الاحتكاك بالفكر الغربي هذا الاتجاه المجافي للدين والمسمى عندهم (بالعلمانية) ومعنى العلمانية كما قد تشعر «الكلمة» في دلالتها هو رفع شعار العلم ، ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الاسلام ، بل ان العلم بعض اهم القضايا التي كرمها الاسلام واعتنى بها ودعا اليها .

اقول : إن الكلمة : العلمانية « قد تعني رفع شعار العلم ، وهي في المصطلح الذي وضعت له ليست كذلك ، ونعتقد ان من ترجموا دلالتها اعلاماً وفكراً ، استهدفوا هذا الخداع ، حتى يحققوا الهدف من العلمانية ، وهو ان يكون بين المسلمين اتجاهات : تحمل مجموعات من الافكار والتطبيقات في الحياة لا تحارب الدين ، ولكنها لا تخضع ولا تتأثر به مرحلياً ، فتدع الدين للفرد جانباً وتيسر الحياة في جانب آخر.

ان العلمانية ترجمة للكلمة الانجليزية Secularity وهذه اشتقاق من Secular وهي مرادفة للكلمة الانجليزية Unreligious أي لا ديني او غير ديني ، ومن ثم كانت العلمانية تعني اللادينية !!!

ومن هنا نفهم اعلان البعض عن قيام دولة علمانية ، او عن رغبة البعض الآخر في ذلك !

ونفهم سر اختيار الكلمة . . . إنها تعبر عن المقصود، دون أن تصدم المشاعر  
والاحاسيس !

ولنا ان نتصور الفارق بين الاعلام عن دولة علمانية او الاعلان عن دولة لا  
دينية !

من هنا نحس خبث ترجمة الكلمة الى لفظ العلمانية، ونحس خبث الذين  
يستعملون هذا اللفظ دون اللفظ الكاشف عن المعنى المقصود . . ونحس - مع ذلك  
كله - بواجبنا لتعريف هذا اللفظ الخبيث واظهاره على حقيقته<sup>(١)</sup> وهو وليد جملة العوامل  
التي عاشتها اوروبا بعد العصر الوسيط، وتطورات ما سمي بعصر النهضة، ولذلك  
لم يكن غريباً في الغرب ان تجد العلمانية مكانها، فقد فرضت ذلك ظروف الغرب،  
نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة، ووقوعها في  
وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي . وتجاوزها ذلك الحجر على العقول الى حجر  
أخطر على القلوب . . حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان، وراحت  
تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام !!! وغرقت اوروبا في دماء ضحايا  
الكنيسة . . حيث سقط المئات بل الآلاف . . . تحت مقاصل محاكم التفتيش  
ومشائنها . . غير من غيبوا في غياهب السجون !!!

. . واذا كانت سنة الله في الكون أن لكل فعل رد فعل مساوياً له في القوة  
ومضاداً له في الاتجاه، فلقد وقع الصراع صراع العلم مع الكنيسة وانتهى باعلان  
العلمانية التي تعنى فصل الدين عن الدولة، وتقلص سلطان الكنيسة داخل  
جدرانها . . . !!

---

(١) : (المستشار الدكتور علي جريشة ) في بحثه الاكاديمي الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ،  
المنشور بالعدد رقم ١٨ من مطبوعات المجلس العلمي : بجامعة الامام محمد بن سعود عام ١٤٠١ -  
.١٩٨١

وفضلاً عن ان ظروف اوروبا التاريخية كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية - بعدما ادخل عليها من تحريف كان اليهود وراء اكثره - كانت ظروف الديانة المسيحية تسمح كذلك بوجود علمانية الى جانب الدين .

وليس غريباً بعد ذلك ان يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة - كما صرح بذلك كاتب امريكي بغية القضاء على بقايا الدين الذي حرفوه . . بتعطيله وحبسه عن المجتمع داخل جدران الكنيسة . . . !

وليس غريباً بعد ذلك ان نسمع عن أن الدين الذي حبس داخل جدران الكنيسة قد جرى فيه التطوير ، حتى صارت الصلاة تؤدي على انغام الموسيقى ، ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة الحاملة ، وبين الالحن الدافئة والساخنة . . . تحكّ سمع وبصر رجال الدين ، بل تحت «رعايتهم» و «توجيههم» السديد !!

وكانت اوروبا قد بلغت في التقدم العلمي «التكنولوجي» درجة جعلتها - ولو الى حين - تستطيع ان تقيم نهضة مادية بهرت الناس في اكثر الاحيان .

وحين اريد . . نقل العلمانية الى الشرق الاسلامي غفل المسخرون . عن علم او عن جهل - غفلوا عن هذه الظروف جميعاً ، غفلوا عن أنه ليس في ظروف الشرق الاسلامي التاريخي ما يبرر فصل الدين عن الدولة ، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الاسلامي - اذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة - لم يقع اضطهاد من علماء المسلمين . . . للعلم او للعلماء . . .

ولم يكن في تاريخنا الاسلامي محاكم تفتيش ، ولا صكوك غفران وقرارات حرمان . والذين انحرفوا من العلماء عن جادة السبيل الى مملأة الحكام لفظتهم الأمة وجعلتهم وراء ظهورها . . والذين كانوا لسان صدق حملتهم في حنايا صدورها ، وقدمتهم في اول صفوفها . . . !!

كذلك لم تكن الديانة الاسلامية لتسمح بالفصل بين الدين والدولة ، لان الدولة - في فقه الاسلام - قسم للدين لا قسيم ، فلا دين بغير دولة ، ولا دولة بغير دين !

كذلك لم تكن لتسمح الديانة الاسلامية بقيام العلمانية الى جوار الاسلام . . بمقولة ان الاسلام يبقى داخل دائرة العقيدة والشريعة ، وتعمل العلمانية في دائرة الشريعة لان الاسلام عقيدة وشريعة . . وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة . . . ، ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون ، أو حتى قياصرة يدين لهم الناس في مجال الشريعة كما يدينون لله في مجال العقيدة والشريعة !!!

كذلك مع التسليم جدلاً بصحة نظرة الغرب التي اعتنقها الحاقدون او الجاهلون في الشرق الاسلامي - فلم يكن الشرق الاسلامي قد وقف على قدميه وبلغ التطور العلمي والتكنولوجي الذي بلغه الغرب ، لي طرح الدين جانباً ويرفع شعار العلمانية .

وفي هذا يقول دكتور محمد أديب الصالح إذا نظرنا الى تطبيق العلمانية هناك نجد أنها اللادينية بعينها - وما حصل في معاهدة سيفر سنة ١٩١٧ - ما حصل من النص أن على تركيا الحديثة ان تحكم علمانية ، انما كان المقصود بها اعلان الحرب على الاسلام وعلى العربية - على كل قيم الاسلام ، ولا تستثني قضية ، فاذا نظرنا الى العلمانية في تطبيقها في تركيا - ونظرنا اليها من بعد فيما نسميه بالكتلة الشرقية من خلال المادية التاريخية - نرى ان العلمانية فعلاً تساوي اللادينية وتطابقها مطابقة تامة .

أما اذا نظرنا الى تطبيق العلمانية في الأرض التي نشأت عليها في اوروبا الغربية مثلاً . . . فاننا نجد ان العلمانية فعلاً شيء ، وان اللادينية بهذا المعنى المحدد عندهم شيء آخر .

---

(١) دكتور (محمد اديب الصالح) (العلمانية في التيارات الفكرية ، الغازية) محاضرة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

نجد ان هناك فرقا بين العلمانية وبين اللاذينية ، ففي اوربا الغربية وأمريكا يعيشون نوعاً من الأزواجية . . فالكنيسة لها اتجاهها في بعض قضايا الاحوال الشخصية وما الى ذلك ، والدولة لها اتجاهها الواضح ، ولا تعدو الدولة على عقيدة الافراد، فلهم ان يعتقدوا ما يشاؤون، اما في ظلال الاتجاه المادي وفي ظلال ما حصل في الماضي في تركيا - وقد بدأت تبعد عنه والحمد لله في هذه الفترة الاخيرة - فكان هناك تطابق - كما قلت - بين العلمانية واللاذينية .

أما بالنسبة الينا . فكل واحدة منهما : العلمانية واللاذينية شر من الاخرى لست الآن بسبيل أن اقف مع النقطة الاولى ، وهي أن يكون مسلماً بالمعنى الحقيقي في فكره وتصوره وممارسته للحياة ولكني ارجو الله ان نكون ممن لا يقعون في الانقسام بين الفكر والعمل - بين العقيدة والسلوك - ان يتوحد سلوكنا ومعتقدنا - ان يتوحد ممارستنا للحياة وفكرنا .

أما عن النقطة الثانية . فالمناخ والظروف والملابسات التي حصلت في اوربا كانت تدعو بشكل طبيعي فعلاً الى ان تنتج ما اسميناه بالعلمانية سواء اكانت كما بدأت في القرن السابع عشر ، واستمرت الى الثامن عشر - او كما اصبحت تحكم الفكر المادي التاريخي . . وبدأت في القرن العشرين في كابوسها الظالم في تركيا .

كانت الكنيسة وهي تلك المؤسسات الدينية التي تتمثل في الواقع في طبقة رجال الدين وما يحدثونه من اعمال ، ومن محاولات للتطبيق تؤدي دوراً خطيراً . . يدل في كل نزعاته على ان شيئاً ما . . لا بد ان يحدث على النقيض من اتجاهها - فمن حيث موقفها من العلم - ولا احسب احداً منا يجهله - كانت تشن حرباً شعواء ، غايتها ان تظل الشعوب ترسف في اغلال الجهالة والظلمات . . لان بقاء هؤلاء الذين نسميهم رجال الدين كان مرهوناً ببقاء الشعوب في هذه الظلمات فكانت محاكم التفتيش ، وكان الاحراق والتقطيع والدماء ، وكان ما كان - وتجاوز الحجر على العقول ، الى الحجر على القلوب في الواقع ؛ فأرأينا صكوك الغفران - ورأينا الحرمان من المغفرة الى غير ما هناك .

هذه الاشارة كافية لان نتصور ان موقف الكنيسة من العلم احدث من آثار في الحكم الذي يقول : إن الدين يتناقض مع العلم . . والذي تناقض طبعاهم من يسمون رجال الدين ، تناقضوا مع العلم ولما كانوا هم رجال الدين وعنوان الكنيسة فقد اعطى تصرفهم هذه النتيجة الصارخة التي عملت عملها في العالم كله - من أن الدين حرب على العلم ، وان العلم لا يمكن ان يتفق مع الدين بحال من الأحوال فاذا اردت الحياة فإليك العلم ، واذا اردت الاختراع والاكتشافات فأليك العلم ، واذا اردت ايماناً بالخرافات - ومكثاً في كهوف الجهل ، فأليك الدين وما الى ذلك .

هذا عن امر العلم - اما موقعها من الدين فحدث ولا حرج - قضايا تتنافى مع ابسط النظرات العقلية - خذو مثلاً قضية التثليث ، ثلاثة في واحد ، وواحد في ثلاثة كيف يستطيع العقل المستنير ان يفهم ثلاثة في واحد - او واحد في ثلاثة - وإذا قلتم كيف يرضون بهذا في القرن العشرين - وقد انتهوا من عصر التنوير الى عصر البخار والكهرباء والذرة - واصبحوا يتبخترون على سطح القمر اقول ما دام هذا الاتجاه يسير في طريق - وهم يسرون في طريق فلا يجدون بأساً في ان يسلموا به - ليس ضرورياً عندهم ان يقتنع الأوروبي بهذه النظرة او تلك ما دامت لا تعاركه في حياته . . بل انه في بعض الاحيان يستمع اليها وكأنه يتناول شيئاً من المخدر .

ولنترك قضية التثليث الى قضية عصمة البابا . . وإن كان لا أحديرى ان البابا رجل مثله - يلعب ويمكر ويتآمر ، ويحتال ويكسب من الدنيا عن طريق الاحتيال والتآمر - ومن بعد هذا فان عليه ان يؤمن انه معصوم وهو لا يدري من اين جاءت هذه العصمة . . فكيف يتحمل العقل هذا .

والامثلة على هذا كثيرة من تدخل البابا حتى في اكبر مناصب الدولة فهو يهدد بالحرمان من المغفرة من يصادمه ، وكان الرد على الحرمان من المغفرة أحياناً هو اعتقال البابا نفسه . . . واذا كانت له عصمة فليفعل ما يشاء ،

وهناك قضية الخطيئة الموروثة آدم . . عليه السلام - اكل من الشجرة - فما معنى أن أظل أنا اتحمل هذه الخطيئة ثم يأتي من بعدي رجل - يأكل كما أكل -

ويشرب كما اشرب - وربما كان يرتكب من المعاصي اكثر مما يرتكب الانسان النصراني العادي يأتي ليغفر له - فيجلس النصراني اليه - ويعترف له بالذنب من اجل تلك الخطيئة الموروثة - وتنتقل هذه الخطيئة من جيل الى جيل - ولا بد أن يكون معها مغفرة من رجل الدين متى لبس مسوح الرهبان ، واصبح معصوماً - يستطيع ان يتقدم لهذه المغفرة .

واتصلت اوروبا بالفكر الاسلامي والعالم الاسلامي ، وبدأ العقل الاوروبي يتحرك وينظر في قضايا التثليث وينظر في قضية العصمة والمغفرة والخطيئة الموروثة ، وما الى ذلك - وقضايا كثيرة في اعقاب الحروب الصليبية وعن طريق الاندلس والبنديقية . . وبدأ هذا العقل يتغلغل - ويعلن اعلانات جديدة في هذا الموضوع . . وهنا كانت العلمانية بمعناها الاصيل آنذاك . . وهو أن أمر الدين يقتصر على الفرد فهو علاقة بين الانسان وربه - اما صلتها بالحياة فهي منقطعة . . فلا صلة بين الدين والحياة اطلاقاً - ونشأ عن ذلك ان الفرد بدا يعتقد ما يريد بشكل عام ثم يظل للكنيسة شيء من السلطان على بعض ما يسمونه بالاخوال الشخصية .

ففي فرنسا مثلاً - من اراد ان يعقد زواجه في الكنيسة فله ذلك - ومن اراد ان يعقده عند قاضٍ او رئيس بلدية او امين عاصمة فله ذلك .

ومن وراء هذا . . كانت هناك مهادنة واضحة او انفصام بارز في الواقع . فلا سلطان للدين على العلم . . فللفرد ان يعتقد ما يريد . . والكنيسة تأخذ جانب الاحوال الشخصية فحسب . . ولكن الاطار العام ظل لا يحارب الكنيسة خصوصاً بالنسبة للارض التي ثبت عليها العلمانية - فلا تزال بريطانيا او التاج البريطاني هو حامي البروتستانتية . . وفرنسا حامية الكاثوليكية - ولا زال التبشير بشتى صورته والوانه يستمد موارده من تلك الدول وشعاراتهم في كل بلد من بلاد الإسلام الا من رحم ربك - تعمل عملها في معاونة التبشير فالكنيسة هي عنوان ، اما التبشير الفعلي بوسائله الكثيرة . . فتارسه الدول بما تقدم من دعم سياسي ومالي ، وخبرة تفي هذا المجال . . فهذا (كراوس) عندما انتقده المبشرون وشكوه لوزارة الخارجية البريطانية

.. لانه يقف في طريقهم .. يقول للمبشرين : انتم لا تفهمون العمل التبشيري ،  
لقد تعاقدت مع شاب ناضج - هو دنلوب - خريج الكلية اللاهوتية بلندن ..  
وسياتي الى مصر - وسترون كيف يكون التبشير - وجاء دنلوب طبعاً فأقام التعليم في  
مصر على اتجاهين - اتجاه ديني ، واتجاه علمي .. فمن اراد العلم والحياة اخذ هذا  
الاتجاه الجديد .. ومن اراد ان يكون فيما بعد واعظاً فليذهب الى الأزهر - ونشأ من  
بعد من يسمى رجل دين او ما يسمى علماً دينياً وعلماً مدنياً - وكان من وراء ذلك ما  
نشأ من المعادلات الظالمه - ونشأ مثل هذا طبعاً في بلاد الشام والهند وما الى ذلك ..  
وكان يمد هذه الاتجاهات كلها ويحرص عليها في مناهج العلم والمدرسة والجامعة ،  
وفي الاعلام والتشريع ايضاً هؤلاء الذين يزعم بعض ابناء جلدتنا انهم عندما اعلنوا  
العلمانية - استطاعوا ان يقفوا وقفتهم فكل مرحلة من مراحل العلم في نظرهم - من  
مراحل العلم التقني مكتوب عليها علمانية - وكل صاروخ مكتوب عليه علمانية -  
وكل قبلة مكتوب عليها علمانية - وكل أداة من ادوات تنظيف المطبخ مكتوب عليها  
علمانية .

ولقد كذبوا والله بهذا - لان العلمانية كما طبقوها - وكما هي نتائجها عندهم  
ليست على هذا المعنى الذي يريده المنهزمون من ابناء جلدتنا - هؤلاء المستغربون  
الذين يتصفون بكثير من البله ، وبكثير من الاعراض .. بل والزريع احياناً عن  
طريق الاسلام ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

من هذا التطبيق فان رجال الدين في العصر الحاضر يعتقدون ان الدين يمكن  
ان يتطور وكأن من اركان العلمانية ان الدين يجب ان يتطور ، وان الكنيسة لا تواجه  
الانسان كما ينبغي . فصرنا نقرأ او نسمع عن ان رجلاً من رجال الدين يعلن عن  
حفلة صلاة في امريكا او اوروبا يتضمن برنامجها نوعاً من الرقص وبعض ...  
الاسطوانات والاشربة المسجلة لسن معين من المراهقين والمراهقات لان الدين لا بد  
ان يتطور وما الى ذلك .

والآن ما الذي صنعه العلمانية عملياً - وما هو الجسر بيننا وبينها ؟

اهم موضوع في الحقيقة يتركز في فصل الدين عن الدولة - هل كان هناك تشريع انحسر عندما اعلنت العلمانية في اوروبا - الواقع انه لم يكن هناك تشريع - وأود ان يكون لهذه النقطة وجود في ذهننا - ومن اجل ان نرى كيف كان تطبيق العلمانية بالنسبة لنا ، يقول القاضي عبد الجبار الهمداني - رحمه الله - في كتابه ( تثبيت دلائل النبوة ) عندما دخلت المسيحية بلاد الروم - لم ينتصر الروم ولكن ترومت النصرانية .

اذن عندما اعلنت العلمانية في اوروبا - لم يحصل هنالك عدوان على تشريع سماوي تؤمن به النصرانية - لم يحدث شيء من هذا - ولم يكن لذلك اي اثر - ذلك لان الحرب لم تكن بين دولة ودين نصراني او تشريع نصراني بالمعنى الحقيقي . وانما كانت حرباً بين دولة واشخاص هم طبقة رجال الدين - فعندما حلت المشكلة في قضية العلم والدين - وقبل فصل الدين عن العلم - انما فصل في الواقع عدوان رجال الدين على العلم والعلماء وكذلك في قضية الدين والدولة لم ينحسر تشريع كان للنصرانية ، وانما انحسر نفوذ رجال الدين تلك الطبقة التي كانت تدعى بأنها تتمتع بسلطة آلهية تتمتع بحق مقدس وهو ما يسمونه في عرفهم (التيوقراطية) .

إن فصل الدين عن الدولة في اوروبا يساوي انحسار رجال الدين في سلطانهم على الدولة - ولا يساوي أن هناك قوانين نصرانية ، وجاءت العلمانية فازاحت هذه القوانين ووضعت قوانين وضعية بدلا عنها .

وما دام قد انحسر ظل من يسمون برجال الدين - ولم يعد هناك صكوك غفران ولا محاكم تفتيش ولا حرمان من المغفرة - بل انحسر نفوذهم في اوضاع مبنية منها موقفهم من الطغاة ، وموقفهم ممن يسمون امراء الاقطاع وما الى ذلك .

يقول (ميرابو) خطيب الثورة الفرنسية : - (اشنقوا كل طاغية بامعاء قسيس) . . وهذا يؤيد ما قلنا من ان هذا الانحسار لم يكن انحسار دين . . . بل انحسار هذه الطبقة فميرابو يرى أن يبدأوا بالقسيس ، ثم يأخذوا امعاءه ويصنعوا حبلا لشنق الطاغية لان طبقة رجال الدين كانت مهمتها المحافظة على الجهل والظلم

والطغيان . . . لانها طبقة تقف بجانب طبقة هؤلاء الطغاة<sup>(١)</sup> .

وعلى الصعيد السيامي بشكل عام هناك مصالحة واضحة غاية الوضوح - حتى في الكتلة الشرقية صاحبة التفكير المادي - نرى العلاقة مع الفاتيكان واضحة . . . فكان الفكر المادي بالنسبة لهم اصبح شيئاً - والممارسات السياسية والعلمية اصبحت شيئاً آخر - وكان كل هذا اصبح بضاعة للتصدير بالنسبة الينا . وماذا بعد . علاقتنا بهذا الموضوع ؟

## موقف الدين من العلم

عندما جاءوا الى هذه القضية قالوا :

موقف الدين من العلم . ولم يقولوا موقف الكنيسة من العلم ، ولم يقولوا موقف الديانة النصرانية من العلم ، ولكن صدروا القضية الينا بهذا العنوان موقف الدين من العلم وما دام الاسلام ديناً . . . فهو اذن يتناقض مع العلم - ونشأت عن ذلك تلك المعادلة الظالمة - اما الدين واما العلم . . . فاذا انجّمت وجهة الاسلام اذن فانت لا تريد العلم اظن ان ذلك اصبح الآن اشبه بالخرافة . . فالنصوص والواقع التاريخي والمد الحضاري بالنسبة الينا لا تحتاج الى كثير من الكشف والبحث عن موقف الاسلام من العلم - وانا لا اعتبر اننا متهمون في هذا الموضوع . . ولكن لا بد من ان نذكرها ولو بايجاز - نذكر ما قالوا ونذكر الحقيقة . . فموقف الاسلام من العلم لا يحتاج الى شيء من الدفاع ، حسبنا ان نرجع الى كتبنا وسنة نبينا - الى طرائق الايمان بالله - عز وجل - الى تاريخنا - فما انطبق عليهم لا يمكن ان ينطبق علينا بحال ، وعلى هامش هذا الموضوع عندما نقول لبعض المستشرقين - ان الاسلام عقيدة وشريعة - يقدم نظاماً متكاملًا للحياة - يقول لك - اذن فهو ليس بدين - هذا من صنع محمد بن عبد الله ﷺ - فاذا قلت ان اليهودية في اصولها الاولى - فيها عقيدة

---

(١) الدكتور / محمد اديب الصالح ، والنص في محاضرة له مطبوعة في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

وتشريع - قال لك هذه ثبت انها دين . . . وعلى هذا فان الاسلام اما ان يكون على تعريفهم للدين ، وهنا فليس ثمة ما يمنع ان يكون ديننا اما اذا قلنا ان الاسلام دين وتشريع ومنهاج للحياة فانهم يقولون انه نظام صنعه محمد .

وبالنسبة لفصل الدين عن الدولة . . . فنحن عندنا دين واحد ودولة واحدة فاذا كانت القضية عندكم - لم يحصل فيها انفصال دولة عن تشريع ديني معين فهل تطبقون هذا بالنسبة الينا ؟ .

إذا نظرنا الى الاسلام نجد هنالك عقيدة ينبثق عنها تشريع - ينبثق عنها نظام في السلوك - وحدة متكاملة - تنظر الى الانسان الى الكون الى الحياة نظرات متعادلة متوازية متكاملة - فما صلح لكم وعلى دعواكم لا يصلح لنا - نحن لا نقول لهم ذلك ليقنعوا بما نقول - ولكن نقولها لنخاطب بها الرواد - نخاطب بها الذين اقامهم الله تعالى عن طريق الريادة لكي يعلنوها ويتابعوا رحمة الذاتية والاصالة الاسلامية - ان شاء الله - عقيدة وشريعة ، عملاً وسلوكاً دون ما انفصام بين العقيدة والسلوك او بين العلم والعمل - لا نخاطبهم نحن ليقنعوا . . . . ولكن نريد ان نكشف عن هذا البلاء الذي اصابنا . . . . ولهذا نصوا على العلمانية في معاهدتهم مع من اسموهم باصحاب تركيا الحديثة - حزب تركيا الفتاة - وجمعية الاتحاد والترقي وخلعوا في صنعهم وهم من يهود الدوغما - خلعوا الخلافة واصابونا بما اصابونا .

أما عن طبيعة رجال الدين وصكوك الغفران - فليس عندنا رجال دين ، ولكن عندنا علماء . . . . والحاكم ينفذ شريعة الله تبارك وتعالى ، والحاكم تقاس عظمته بمقدار صدقه بالحق ، وبمقدار علمه ، والحاكم تقاس عظمته بمقياس هذا الإسلام فأبو بكر - رضي الله عنه - يقول : - « إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن استقمتم فأعينوني ، وإذا اعوججت فقوموني » يقول رجل من المسلمين لعمر بن الخطاب : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

ليس عندنا كل هذه القضايا التي كانت عندهم - والتي يرغبون أن يفرضوا العلمانية علينا من خلالها وما إلى ذلك .

ليس عندنا تثليث ، وإنما عندنا وحدانية والحمد لله ، ليس عندنا عصمة إلا للرسول وخاتمهم وسيدهم محمد بن عبد الله ﷺ . . . . . وليس عندنا خطيئة موروثة - . . . لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ويقول : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ﴾ .

وعلى هذا . . . فعندما تطرح علينا هذه العلمانية إنما تطرح لتكون سلاحا من أسلحة الفتك ، أعطوها هذا العنوان ، ثم أخذت تتسلل من بعد إلينا من طرائق ومنافذ لها عناوينها ، ولها دلالتها . وما إلى ذلك مما فرضته هذه الدول على تركيا الحديثة بالنسبة للعلمانية لتقطع كل الأواصر بينها وبين الإسلام والعربية ، حيث ردها أتاتورك الى الطورانية الأولى قبل أن تسلم تلك القبائل ، ونذكر أيضا أن فرنسا عندما اعلنت علمانيتها سنة ١٨٣٠ بعثت فيما بعد بجيش من الرهبان الى الشمال الأفريقي - وخصوصا الجزائر من أجل أن يشتركوا في فرض النفوذ على الجزائر ليفرضوا عليها بالفكر والتبشير ما أرادوا فرضه أيضا بالحديد والنار .

لم تدخل الى بلادنا بعنوانها الواضح ، وإنما دخلت خبيثة مكرة ، دخلت عن طريق التعليم ، دخلت عن طريق المدرسة والجامعة حتى صنعت لها اليوم في ديار المسلمين بعض الأتباع الذين تعلقوا بها حين طرحت أمامهم كعلم ومنهج بديل عن الدين وعن الإيمان بالله . وما علموا أنهم أمام مأزق فكري وعلمي فضلا عن محتهم في التجرد عن الدين ما كان أعناهم عنه .

إن المبادئ الإسلامية تقف بوجه العلمانية من ناحية أنها تصور خاطيء لمدارك الإنسان وتحديد قاصر لعلاقته بالكون والعالم . والمبادئ الإسلامية ترد الأمور الى نصابها بإيجاد تصور صحيح لمدارك الإنسان ، وتحديد واسع لعلاقته بالكون والعالم ، تصور وتحديد يقومان على الفطرة التي فطر الله الناس والأشياء عليها .

إن القول بأن الدين يلغي العلم أو أن العلم يلغي الدين إنما هي سخرية نضحك بها على أنفسنا ، أو يضحك بها غيرنا علينا ، كي نتخلى عن أحدهما فنضيع أن كثيرا من بلاد الشرق قد وقعت - في التاريخ المعاصر - في هذا الشرك . ورضيت

أن ترمى بنفسها في هذه المصيدة ، وعن هذا الطريق راح القصاب الغربي يعمل بالفريسة سلخا وذبحا وتقطيعا . إن الخطر هو نفس الخطر سواء في قبول دين يرفض العلم ، أم قبول علم يرفض الدين ، والأمران كلاهما لا يمكن أن نجد لهما أي سند من القرآن والسنة ، أو من سير الأنبياء عليهم السلام<sup>(١)</sup> .

ولكن الذي حدث أن الشرقيين فتحوا أعينهم يوما على بهرج حضارة يعمي وهجها العيون ، فمنهم من أغمض عينيه وعاد الى نومه الحالم اللذيذ باسم الدين ومنهم من راح يركض كالمجنون لكي يرتقي في أحضان هذه الغانية المبهرجة ، باسم العلم ، متخليا بهذا عن كل قيمه الدينية . هذا الواقع التاريخي المحزن لأمم الشرق وهي تلقي السلاح أمام جيوش الغربيين المدججين بكل سلاح ، وهذه السلبيّة في الصمود إزاء هذا الزحف ، سواء في الانغلاق الكلي أو الانفتاح الكلي على قيم هذه الحضارة ، هذا الواقع هو الذي أوحى - زيفا - بهذا الافتراض المضحك أما العلم أو الدين . وقد عرفنا قبل قليل شيئا عن مصير العلم الذي يرفض الدين . لكن ما هو مصير الدين الذي يرفض العلم ؟ إن مجرد الجواب عن سؤال كهذا سيوقعنا - نحن الآخرين - في الشرك . ذلك أنه ليس ثمة شرع سماوي على الإطلاق يرفض العلم . وهذا كتاب الله بين أيدينا جميعا . .

### براهين للعلم في الدين

لقد غفل الكثيرون عن حقيقة واضحة لا تقبل نقاشا هي أن الله سبحانه ما دام قد خلق الإنسان بهذا العقل المدرك وهذه القدرات الخلاقة فهل يعقل أن يبعث أنبياء بشرائع ومناهج ترفض استخدام العقل وتجمد القدرات الخلاقة ؟ ألم يكن من الأجدر أن يخلق الإنسان - أساساً - بلا عقل ولا قدرات ؟ .

إننا عندما نضع الدين - هكذا - جنبا الى جنب إزاء العلم لا يعني هذا أبداً أنها كفتنا ميزان ، وأن لكل منهما قيمة مساوية لقيمة الآخر . . أبداً والذي تخطر

---

(١) دكتور/ عماد الدين خليل : (تهافت العلمانية) ص ٣٢٠ وما بعدها .

بفكره هذه الصورة فهو كمن يريد أن يجد حاصل جمع خمس تفاحات وخمس  
مناضد . . أيمن لعامل أن يقول : عشرة ؟ .

إن العلم ليس سوى طاقة من طاقات الإنسان ، أو بشكل أدق هو حصيلة  
تعامل قدرات عقلية وحسية ، يمتلكها الإنسان ، مع الطبيعة والأشياء . . أما الدين  
فهو منهج كامل للحياة البشرية ، يسعى الى تنظيم علاقات الإنسان ليس بالطبيعة  
فحسب ، بل بكل ما له علاقة به : بنفسه ، بأخيه الإنسان ، بأسرته ، بمجتمعه ،  
بسلطاته المسئولة ، بالأمم والشعوب الأخرى ، وبالطبيعة والعالم والكون . هذه  
العلاقات التي تنبثق جميعها عن إيمان وإدراك عميقين بالله سبحانه ، والتزام مسؤول  
لمنهجه : أي لدينه .

ماذا يبقى للعلم إذن إزاء هذا الشمول الذي يعنيه الدين ؟ أن العلم إزاء هذا  
الوضع الطبيعي للصورة ليس سوى علاقة واحدة من مجموع علاقات جاء الإسلام  
لكي ينظمها على أساس صالح ، ويسعى الى تحديد أهداف إيجابية لها ، ويسلكها  
جميعا في نظام معجز ينبثق عن تصور كامل لوضع الإنسان في الكون ، وللفطرة - أو  
الناموس - التي فطر الله الكون والناس والأشياء عليها .

ومن ثم فليس للعلم أن يكون منهجا أو دينا للإنسان . . وإن ادعى  
العلمانيون ذلك . أيمن للجزء أن يستشرف الكل ؟ أيمن للذرة أن تحيط بالجزء ؟  
وهذا أن يحيط بالشكل الخارجي للأجسام ؟ أيمن لعلاقة واحدة أن تحدد شكل  
ومصير وعلائق أخرى تند عن حدود اختصاصها وتنتأ عن مجاها ؟ ترى . ليس من  
المضحك الدعوة الى أن يحكم الجهاز الهضمي وحده بيولوجية الإنسان ، ويسلم إليه  
القياد ، أو أن تعطي للقلب فرصة توجيه الجهاز العصبي ؟ .

إن العلمانية - بهذا المعنى - ليست سوى محاولات سوء فهم الكثيرين التي لا  
بد وأن يقع فيها الإنسان الذي يختار بنفسه أن يند عن طريق الله منهجه في الحياة .  
ومن يجد نفسه - وقد تخلى عن منهج الله - مضطرا الى إبتكار منهج من عند نفسه . .  
وهكذا ، تطلع علينا كل يوم مناهج وضعية ما أنزل الله بها من سلطان ، فمنهم من

يعطي القلب حق وضع المنهج . ومنهم من يعطي هذا الحق للروح والتجربة الباطنية ، وآخرون يعطون هذا للحدس والتخمين والرياضة والممارسة . ثم يأتي العلماء لكي يرفعوا أصواتهم قائلين : إن العلم الذي هو حصيله العقل والتجريب هو المنهج الذي يجب أن تخضع له أعناق الناس ومصائرهم .

ولكن ، إذا كان للعلم أن يضع منهجا في التعامل مع الطبيعة والأشياء فهل له أن يعمم هذا المنهج على التعامل مع الناس والحياة والغيب والأمم والشعوب . فإذا ما أدركنا أن العلم فشل حتى في وضع منهج للتعامل مع الطبيعة نفسها وأنه لم يستطع السيطرة على معطاته وإلزامها بإسعاد الناس فحسب ، إذا ما أدركنا هذا عرفنا - ولا ريب - مدى عجز العلم عن تحقيق النبوءة المزيفة التي طالما تغنى بها العلماء .

إن الاندفاع الأعشى وراء إغراء العلم وسعياً لفتح مزيد من طلاسمه وأسراره ، سيقود البشرية الى الدمار حتماً ، أنه كالسعي الأسطوري لفتح ( قمقم سليمان ) وإطلاق قواه الخارقة التي يعجز الإنسان عن السيطرة عليها يوماً ، فتطوقه وتفنيه ، دون أن يجد الحيلة لوقف مأساة نهايته . أنه كالإتصال المحظور بعالم الأرواح وإعطائها المجال للتحكم بمقدرات الإنسان : بعقله وأعصابه ووجوده ، ومن ثم تعريضه للجنون أو الانتحار .

إن العلم إذا لم تمده أخلاقيات ومثل ومعالم توجه العاملين في حقله والساعين الى اكتشاف عوالمه ، سيغدو طريقاً الى بربرية عاتية تفوق في وصفها بربرية العصور الأولى . هل يعني هذا حجب على العقول وإيقاف خطى السائرين في طريق الإبداع ؟ أبداً . . إن القرآن الكريم نفسه يعلمنا كيف أن الإنسان دعي منذ البدء الى السير على هذا الطريق ، لأنه وطريق الإيمان سواء . بل لأنه الطريق الهادي الى الله .

منذ البدء والشرائع تدعو الإنسان أن يكون حركياً أبداً صوب أهداف العلم واكتناؤه خلق الله . لكن الأهم من هذا ما يعلمنا إياه القرآن الكريم نفسه من أن هذا

السير . وهذه الحركة صوب أهداف العلم ، يجب أن تتحدد بقوانين وأهداف . وإلا أدت بالسائرين الى صنع دمار كامل للبشرية والحضارة على السواء . دمار كهذا الذي نشهده اليوم في الأسلحة الذرية والكماوية والجرثومية .

وإذا كان العلماء أنفسهم - وهم الصفوة الممتازة - لا يأبهون للقيم في اكتشافاتهم ، فهل نتوقع من الساسة والقادة العسكريين - الذين تحكمهم الماكيافيلية - عدم استخدام أسلحة التحطيم هذه ؟ اننا نخدع أنفسنا ، وها هي مؤتمرات حظر الأسلحة الفتاكة ، وها هي إسرائيل تعطينا الأمثلة العملية على هذا ، وتعلمنا أن نفتح أعيننا جيداً .

إن التقدم العلمي التكنولوجي الذي أحرزته البشرية ليس سوى تقدم خارجي فحسب ولا علاقة له البتة بأي نوع كان من قصور بيولوجي يمس عقل الإنسان ، إن هذا التقدم هو حصيلة إمكانيات تكنولوجية أخذت تزداد كما وتنعقد نوعاً بمرور الزمن ، وبإسهام شتى الأمم والشعوب المتحضرة كل أمة تستلم زمام الإبداع والحضارة ، تسعى جاهدة لتنمية خيرات الأمم التي سبقتها - كما ونوعاً - ولا يستطيع أحد أن يقول : أن هذه التنمية تنبثق عن تطور بيولوجي في العقل البشري لأن أحداً لا يستطيع أن يقول بأن استلام الزمام الحضاري من قبل أية أمة ينبثق عن قفزة في تكوينها العقلي البيولوجي . وكما أن استلام الزمام الحضاري أمر يتعلق بالقيم الخلقية والاجتماعية والثقافية للأمة ، وبالدين أو العقيدة التي تبعثها وتحضرها . فكذلك الحال بالنسبة للتقدم التكنولوجي الذي يرتبط بهذه المرحلة .

هل لأحد أن يقول بأن عقلية (ماركوني) أو (جيمس واط) أو (اينشتاين) تفوق في تركيبها البيولوجي عقلية (أفلاطون) و (أبيقور) و (ابن الهيثم) و (البيروني) و (الخوارزمي) من ناحية بيولوجية ؟ أبداً . . أن القضية قضية زمن ، فلو وجد (الخوارزمي) في زمن (نيوتن) ولو وجد هذا في زمن (الخوارزمي) ، فإن ذلك لن يؤثر في سير الانجاز العلمي شيئاً . . وهذا لا يعني أبداً إنكاراً للفروق الفردية ، فهذه الفروق موجودة في الحضارة الواحدة والزمن الواحد ، ولا علاقة لها بالتطور العلمي العام . إن هذه الحقيقة تطرح رفضنا - مبدئياً - لكل التقاليد العلمية

والافكار التي انبثقت عن نظرية (داروين)، تلك النظرية التي لم تجد إلى الآن السند الأكيد الذي يجعلها الى قضية مسلمة ، خصوصاً بعد ردود الفعل التي أثارها تطرفها وافتراضيتها لدى تلاميذ داروين أنفسهم ، وبعد الشكوك التي طرحتها الحريات الحديثة حول هذه النظرية .

لقد دعا القرآن الناس الى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق ( النظر الحسي ) الى ما حولهم ، ابتداء من مواضع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون . . . وأعطى (للحواس) مسؤوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب قال له : ﴿ . . . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً : الإِسْرَاءُ ٣٦ ﴾ . وناداه أن يعن ( النظر ) الى ما حوله الى طعامه ﴿ فليُنظِرِ الْإِنسَانَ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْتِنَا فِيهَا جَبًّا . وَعَبَا وَقَضْبًا . وزيتونا ونخلًا . وحدائقًا غلبًا . وفاكهة وأبا : سورة عبس ، آية ٢٤ فما بعدها ﴾ . الى خلقه ﴿ فليُنظِرِ الْإِنسَانَ مِم مَخْلَقٍ؟ الطَّارِقُ ٥ ﴾ الى الملكوت ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ؟ الأعراف ١٨٥ ﴾ ﴿ أنظروا ماذا في السماوات والأرض ؟ يونس ١٠١ ﴾ ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ؟ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أكثر منهم . غافر ٨٢ ﴾ ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها: محمد ١٠ ﴾ الى ( خلائق الله ) ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الغاشية ١٧ ﴿ . . . إلى آياته المنبثة في كل مكان ﴾ أنظر كيف نبين لهم الآيات : المائدة ٧٥ . . . ﴿ أنظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدقون ﴾ : الأنعام ٤٦ ﴿ ﴿ أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ : الأنعام ٦٥ ﴿ . . . إلى النواميس الاجتماعية ﴾ أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ؟ : الإِسْرَاءُ ٢١ ﴿ . . . الى الطبيعة وهي تنبعث من قلب الغناء برحمة من الله ومقدرة ﴾ فأنظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾ : الروم ٥٠ ﴿ . . . إلى الأثمار وهي تتدلى من غصون الأشجار ﴾ أنظروا الى ثمرة إذا أثمر وينعه ﴾ الأنعام ٩٩ . . . الى الحياة الأولى ،

كيف بدأت ، وكيف نمت وارتفعت ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ العنكبوت ٢٠ . .

ودعاه أن يحرك سمعه باتجاه الأصوات لكي يعرف ويميز ، فيأخذ أو يرفض ، فمن الاختيار البصير ينبعث الإيمان ﴿ لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون : الأنفال ٢١ ﴾ ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي الى الرشدا فآمنا به : الجن ١ فما بعد ﴾ ﴿ وإنا لما سمعنا الهدى آمنا به : الجن ١٣ ﴾ ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه : البقرة ١٨١ ﴾ ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق : المائدة ٨٣ ﴾ ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه : القصص ٥٥ ﴾ ﴿ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم : فاطر ١٤ ﴾ ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه : فصلت ٢٦ ﴾ ﴿ من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ؟ : القصص ٧١ ﴾ ﴿ وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير : الملك ١٠ ﴾ ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء : البقرة ١٧١ ﴾ ﴿ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ؟ : مريم ٤٢ ﴾ ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون . الأنبياء ٤٥ ﴾ ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصير مستكبرا كأن لم يسمعها : الجاثية ٨ ﴾ ﴿ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم : فاطر ١٤ ﴾ ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله : الأنعام ٣٦ ﴾ ﴿ ونطع على قلوبهم فهم لا يسمعون : الأعراف ١٠٠ ﴾ ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون : يونس ٦٧ ﴾ ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون : الفرقان ٤٤ ﴾ ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا : البقرة ٩٣ ﴾ ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم : الأنفال ٢٣ ﴾ ﴿ أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ يونس ٤٢ ﴾ ﴿ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم والدعاء إذا ولوا مدبرين : النمل ٨٢ ﴾ ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه : الزمر ١٨ ﴾ ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعا : الكهف ١٠١ ﴾ .

وانتقل القرآن خطوة أخرى ، وسألهم أن يحركوا بصائرهم ، تلك التي تستقبل

في كل لحظة مدركات حسية ، سمعية وبصرية لمسية ، لا حصر لها . . ومن ثم تتحمل البصيرة مسؤوليتها العظمى في تنسيق هذه المدركات وتمحيصها وموازنتها وفرزها من أجل الوصول الى الحق الذي تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخلقية . . . . ﴿ فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها : الأنعام ١٠٤ ﴾ ﴿ من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ : القصص ٧٢ ﴾ ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ الذاريات ٢١ ﴾ ﴿ أفسح هذا أم أتم لا تبصرون ؟ : الطور ١٥ ﴾ ﴿ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون : البقرة ١٧ ﴾ ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون : الأعراف ١٩٨ ﴾ ﴿ أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون؟ يونس : ٤٣ ﴾ ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون : ياسين ٩ ﴾ ﴿ وأبصرهم فسوف يبصرون : الصافات ١٧٥ ﴾ ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ؟ : الأنعام ٥٠ ﴾ ﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله أنا ومن اتبعني : يوسف ١٠٨ ﴾ ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره : القيامة ١٤ - ١٥ ﴾ ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه : الأنعام ١٠٤ ﴾ ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون : الأعراف ٢٠٣ ﴾ ﴿ تبصرة لكل عبد منيب : ق ٨ ﴾ ﴿ جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين : النمل ١٣ ﴾ ﴿ فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين : العنكبوت ٣٨ ﴾ ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور؟ ثم أرجع البصر كرتين : الملك ٣ - ٤٤ ﴾ ﴿ وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ : الجاثية ٢٣ ﴾ ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار : آل عمران ١٣ ﴾ ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور : الحج ٤٦ ﴾ ﴿ يقلب الله الليل والنهار أن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار : النور ٤٤ ﴾ ﴿ . . . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون : الحجر ١٥ ﴾ .

إن العقل والحواس جميعا مسؤولة ، لا تنفرد إحداها عن الأخريات في تحمل تبعه البحث والتمحيص والاستقراء والاختيار . . . والإنسان مبتلي بهذه المسؤولية لأنه من طينة أخرى غير طينة الأنعام ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبليه

فجعلناه سميعاً بصيراً : الإنسان ٢ ﴿ ومن ثم تتوالى الآيات ، تؤكد مرة تلو المرة على أن السمع والبصر والفؤاد جميعاً هي التي تعطي للحياة الإنسانية قيمتها وتفرداً ، وإن الإنسان ( بتحريكه ) هذه القوى والطاقات . . بفتح هذه النوافذ على مصاريحها . . . باستغلال قدراتها الفذة العجيبة حتى النهاية ، سيصل الى قمة انتصاره العلمي والديني على السواء ، لأن هذه الانتصارات ستبوؤه مركزه المسؤول سيداً على العالمين وخليفة لله في الأرض . وأنه بتجميده هذه الطاقات ، وقفل نوافذها ، وسحب الستائر والأغشية عليها ، يكون قد اختار بنفسه المنزلة الدنيا التي ما أَرادها الله يوم منحه السمع والبصر والفؤاد .

وأخيراً يبقى السؤال الذي يجب على ضوئه أن تتحدد المعالم الواضحة للسلوك وللتطبيقات الغير الإسلامية والتي سماها البعض « بالعلمانية » ما هي العلمانية ، وهل حقاً يمكن أن تكون دلالتها رفع شعار العلم ؟؟ . وعند هذه النقطة الدقيقة يجيبنا دكتور محمد البهي فيقول : العلمانية هي فصل بين مجالين في حياة الإنسان : مجال الدنيا ، وزينتها ومتعها ، ومجال الصلة الخاصة بين الإنسان وخالقه . هي فصل بين سلطتين غير متجانستين : بين دين أو كنيسة . . وسلطة زمنية أو دولة .

هي تفرقة بين « ظاهر » وهو سر الله في الإنسان . . « ونجس » وهو ما يمثل المادة وشرها في حياته . والكنيسة كسلطة مسيحية تباشر أحوال الإنسان المسيحي فيما يتصل بعلاقته بربه : تباشره منذ ولادته . . الى موته . . ومنذ زواجه وانجال الولد ، حتى يظل في رضاء الله ، بينا الدولة والسلطة الزمنية تباشر شؤنه الاجتماعية في علاقته بالآخرين معه في المجتمع . . وشؤنه الاقتصادية في الملكية ومنفعة المال . . وشؤنه في المعاملات التجارية والزراعية ، والصناعية . . وشؤنه في التشريع والقضاء عدا قضاء الأسرة والتشريع فيها .

(١) دكتور محمد البهي (العلمانية وتطبيقها في الاسلام) القاهرة - مكتبة وهبة عام ١٤٠٠ - ١٩٨٠ صفحة

العلمانية فصل في كتاب الحياة الأوروبية عنيت به الخصومة بين الكنيسة والسلطة الزمنية في المجتمعات الأوروبية في محاولة لاستقلال كل منهما ، أو في محاولة لمنع الاحتكاك بينهما ، بعد الشد والتوتر في علاقتها طوال القرون الوسطى وسيادة حكم الكنيسة فيها .

ومفهوم الدين هو ما يغطي حاجة الإنسان كفرد في صلته بالله داخل مكان العبادة أو في خارجها في الأسرة . ومفهوم السياسة هو ما يشتمل ما عدا ذلك الجانب في حياة الإنسان . والإنسان بذلك له جانبان : جانب ديني . . وآخر سياسي . ولا يتكلم في الجانب الأول ، كما لا يفصل فيه إلا « رجل دين » . بينما لا يمارس الجانب الثاني إلا « رجل دولة » أو « رجل سياسة » . ورجل الدين مطالب بعدم التدخل في مجال السياسة . . ورجل الدولة مطالب بأن لا يقحم نفسه في مجال الدين . وقد يكون لكل منهما تأثير في مجال الآخر . ولكن هذا التأثير يبقى في الخفاء ويظل من الوجهة الشكلية غير معترف به من الجانب الآخر .

وعلى أية حال فالعلمانية كما اتفق على مفهومها رجال الكنيسة والدولة معا : فصل واضح بين تدخل أية من السلطتين القائمتين - سلطة الكنيسة ، وسلطة الدولة - في مجال الأخرى وفي شئونها . وهذا شيء غير معروف ولا مقر في الإسلام فالسلطة المدنية في الإسلام تنضبط حركتها ويوجه نبض الحياة في القائمين على أمرها على ضوء وأمر التشريع الإسلامي الذي لا يحتكر أمره رجال اكليروس ولا أحبار كهانة وإنما علماء تتسع الساحة الإسلامية لكل من رغب في تعلم واحدة من قضايا هذا التشريع ذلك أن أبواب المسجد في الإسلام لا يقف عليها كهنة ولا حجاب .



## الباب السادس

### ● المذهب الاشتراكي ودعواه .

- مزاعم الاشتراكية في التقدم .
- محو الطبقة .
- ديكتاتورية الطبقة العاملة .
- عدوان التأميم .
- أكذوبة التوزيع .
- الصراع بين المادية والاسلام .
- التضليل الماركسي .
- الهجوم الماركسي على الاسلام .
- موقف الماديين من الاسلام لن يتغير .
- العلم دحض المزاعم الاشتراكية .
- سقوط الفكر المادي بين النظرية والتطبيق .



## المذهب الإشتراكي ودَعَوَاه

من الخطأ البين والشائع ان الشيوعيين يسمون انفسهم في مجال اللجاجة والمراء بالتقدميين كما يسمون مذهبهم في مجالات التطبيق «بالاشتراكية العلمية» كما انه من الخطأ الدائر والشائع ايضاً ان يعتبر الشيوعيون مذهبهم : « مذهب الطبقة العاملة او الطبقة الفقيرة » لان الشيوعية او الاشتراكية العلمية المدعاة كما سنعرض لها هنا في ايجاز مذهب طباع وسلوكيات لا يتقبلها الانسان السوي ولا تستقيم مع الفطرة الانسانية ولا يتقبلها الاكل من تلوثت نفسه بلوثة اللؤم وعطل عمل القلب واسقط عن روحه مقومات الحب والخير للناس ، وغلبت عليه الكراهية والحسد واصبح برذائل الحسد والكسل طامعاً في جميع الحقوق ساقطاً عن كاهله جميع الفروض والتكاليف - والدارس لتاريخ الحركة الشيوعية في العالم لا يجد من بين الكثير المدعي من مقومات فكرها وفلسفتها سواء في دراستها للتاريخ الانساني او تصورها لحل مشكلات العالم سوى هذه الخلاصة . وهي انه لا يتقبلها من الناس الا من يجد نفسه ملتاثا بلوثة الكراهية والحسد ومطبوعا على اللؤم والانانية . ومن كان كذلك من الناس فقيراً او غنياً فهو على استعداد لتقبلها كمذهب في السلوك يمارس فيه ذاته المريضة حتى ولو لم يكن من العاملين او الكادحين .

لقد كان «كارل ماركس» على المستوى الاخلاقي «انانياً» لا يرتبط باسرتة او اصدقائه الا لتحقيق ما يبتغيه وخاصة أن داعية العمل والعمال هذا كان لا يجب العمل فقد عاش اكثر من ثلاثين عاماً لم يعمل فيها ما يكفيه عاماً او بعض عام .

وكان «لينين» القطب الثاني في مذهب الانانية والتدمير يميل كثيراً وتتعلق نفسه دائماً بالعنف والسحق والابادة ولا يعرف المناقشة او الاقناع وكان كذلك منذ طفولته المبكرة فقد كان يتلهى بكسر اجنحة الطير وتهشيم الحيوانات الاليفة وعندما اضاف ما اضافته من المسخ المذهبي الى فكر «كارل ماركس» كتب الى صديق له يسمى (جوركي) يقول له : ان فناء ثلث العالم الانساني لا يعنيه وانما يعنيه ان تستقر الشيوعية على اساس» .

ولم يكن دعاة المذهب ورواده الاول يعيهم ان يعملوا للمذهب ولاعدائه على السواء فهذا (ستالين) يامر باغراق مركبة تحمل البريد ليطسو على مرتبات الموظفين فيها ثم يقضي صباه يتجسس لقيصر ويعمل للثورة .

وحين يتولى (الحكم) يبعد من قيادات الثورة واساتذته وزملائه اعداداً لم يبلغها اصحاب المذهب ضد الذين قاموا ضدهم .

ولا تستقيم الامور لاصحاب الثورة من ارباب المذهب الشيوعي الا بعد معركتهم في المقاطعات الاسلامية التي ابادوا فيها كل القيادات الشابة والعناصر المستنيرة التي كانت تجهز نفسها للمقاومة الاسلامية ضد عدوان (البوابة الشيوعي) على بلاد الاسلام .

وفي اقل من ثلاثين عاماً لم يقل ضحايا الحزب الشيوعي عن عشرين مليوناً ذهبوا ضحية للقتل الجراف والنفي والتشريد وكان معظم عناصر المقاومة ضد استباحة دماء الملايين من العناصر الاسلامية الشجاعة التي وقفت تجابه الثورة الحمراء .

ويتجلى لنا لب وجوه المذهب من تاريخه القريب والبعيد على السواء فخلال عامي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ م من بين المائة والتسعة والثلاثين الذين انتخبوا في المؤتمر السابع عشر تم اعتقال واعدام ثمانية وتسعون ولم يكن هذا مصير اعضاء اللجنة المركزية الذين انتخبوا ولكنه كان مصير اكثر المندوبين الذين اشتركوا في المؤتمر السابع

عشر والتهم التي كانت توجه لاصحاب المذهب والمنضوين تحت لوائه هي ايضاً مما يكشف عن لب وجوهر المذهب الشيوعي . فلا يتطلب الامر لاثبات تهمة الولاء للحزب الشيوعي او خيانة مبادئه . اكثر من الاقتراع مع القلة في مجلس من مجالس الحزب العليا . فاذا قال تسعة في موضوع من مواضيع الصناعة او الزراعة او السياسة: لا ، وقال عشرة : نعم فالتسعة خونة معادون للشعب خارجون عن المذهب . لقد استباححت الكثرة والتي هي في الاعم والاغلب ولا تزيد عن القلة الا بصوت او اثنين دم القلة ووصمت تلك القلة بتهمة الخيانة العظمى والمروق عن المذهب وهي التهم التي لا تقبل فيها العقوبة عن الاعدام . . . مذهب لا يقوم الا على الدم وعلى سيادة العناصر التي تقدر على حماية مبادئها والظفر باعدائها يوماً بعد الآخر ويسمون عملهم هذا بالثورة وبالطبع ليس احقر ولا اسفل من ثورة تحمل مبادئ مذهب يخونه دعائه بغير داع للخيانة وهم في مراكز القيادة وليس أحقر من ثورة تدين المثات والالوف من زعمائها وهم مستسلمون بغير نصير ولا شفيع في غيبة وانعدام ضوابط الحق والفضيلة .

ولا تبرأ سياسة الدولة التي تقع تحت تأثير المذهب الشيوعي من دسائس النفاق والمراوغة واحاكة المؤتمرات واثارة القلاقل والفتن في البلاد التي تتعامل معها ، واذا ما حدث وكفت الدولة التي تؤمن بالمذهب الشيوعي عن اثاره الفتن والقلاقل وتدبير القلاقل والاضطرابات مع البلدان التي تتعامل معها فتكون يوماً قد اخلت العمل بالمذهب الشيوعي والاستجابة لدعوته في تدمير الشعوب او تكون قد خانت الدعوة التي تقوم عليها سياسة الدولة الشيوعية ومن هنا نرى دعاء المذهب الشيوعي يصطنعون الغش والنفاق في المعاملة الخارجية بينهم وبين حلفائهم واعدائهم على السواء .

وإذا امكن التصور ان الشيوعية يمكن ان تتعامل مع امة من الأمم تحت اي خطة يمكن لها ان تعدها للتعامل مع شعب لا يؤمن بالشيوعية ولا يتخذها مذهباً له في الحياة فلا يمكن لعاقل ان يتصور علاقة نظيفة تقوم بين الشيوعية والاسلام فلا مكان ولا بقاء للشيوعية في بلد يدين بالاسلام ولا بقاء للاسلام في بلد يؤمن بالشيوعية وتاريخ

المسلمين في آسيا الوسطى اكبر دليل حيث يتعرض المسلمون لقهر الدولة والدعوة الشيوعية في ظل عدوان ليس له في العالم نظير .

وعداء الشيوعية للاسلام عداء شمول (شامل) ولاسباب كثيرة جداً يقوم هذا العداء ، ذلك ان الفلسفة المادية التي يقوم عليها الفكر الشيوعي لا تجد امامها ديناً يقوم على نظام اجتماعي واخلاقي رصيده عظيم ظاهر في التجربة الاجتماعية والاخلاقية والسياسية فضلاً عما في مقومات الايمان بالوحي الالهي من الطهر والقداسة بحيث يدفع الشعوب الى التعلق به والانضواء تحت لوائه سوى الاسلام .

هذا وبينما تقوم عقيدة المذهب الشيوعي على هدم المجتمعات التي لا تؤمن بالشيوعية وتفكيك اوصالها وتعجيل زوالها فان سماحة الاسلام ورعايته للشعوب التي لم تكن قد تعرفت عليه ولم تؤمن به تجربة اخلاقية وسياسية يمتلىء بها كل تاريخ الاسلام وتعود بالخير والرحمة على حياة المسلمين ومن يعيش مع المسلمين .

ويعتبر التيار العلماني مقدمة تاريخية نشأت في اوروبا للتمهيد لظهور الاحاد الشيوعي وتقرير قواعده .

ومع ان «العلمانية» تختلف عن الماركسية من حيث ان لكل منها طابعاً خاصاً في مقاومة تأثير الدين وعمله في الحياة، الا ان البداية التي فضلت المنظمات اليهودية السرية ان تقوم بها في خدمة اهدافها النهائية ان يطفوا على سطح الحياة السياسية والفكرية ذلك المذهب القائم على تحدي الكنيسة ورفض سلطاتها تمهيداً وتجهيزاً لظهور الماركسية التي اعلنت رفضها التام «للدين» وقيمته ودعوتها الى اعلان الحرب على رجال الدين عامة والسخرية منهم وانتهاك حريتهم والتضييق عليهم<sup>(١)</sup> كي يسقط الدين في النهاية وينتهي مصيره الى الزوال او الى ان لا يكون له فاعلية في المجتمع .

---

(١) انظر كتاب الاستاذ الدكتور محمد البهي : الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر - صادر عن المكتبة العصرية صيدا - بيروت صفحة ٢٣ .

هذا وكما قلنا سابقاً فإن المذهب الماركسي الاحادي كافرازة صهيونية يهودية لا يكتفي باعلان السخط والحرب على الدين ومقوماته بل انه في الوقت نفسه يدعو الى الغاء القيم الاخلاقية وخاصة المعبرة عن «الدين» .

وفي التقرير الذي قدمه : م . ا . عبد اللابيف الاستاذ بجامعة حكومة دانستان التي تحمل اسم : ف . ا . ليتين الى المؤتمر الذي عقد في « ماجاشكالا » بالاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٠ م لبحث موضوع « مخلفات الاسلام ووسائل التغلب عليها » ما يكشف عن مدى التخريب والتحريض الذي تقوم به المذهبية الماركسية - ضد الاسلام بصفة خاصة وبالتالي لكل ما يمت لقضايا الايمان بالله وما يترتب على هذا الايمان من نظم والتزامات .

إنه تقرير بلغ حد العدوان على مقدسات المسلمين . إنه لا يكتفي بمناقشة القضايا الفكرية او الاقتصادية في الاسلام او مهاجمتها وانما يصلن الحمق والجهل باصحاب المذهب وفلاسفته الى مهاجمة (القرآن الكريم ) فيقول صاحب التقرير السابق الاشارة اليه :

«ان القرآن قد فسر تقسيم المجتمع الى طبقات متنافرة وسيطرة طبقة على طبقة اخرى والاستغلال الوحشي . . . والرق . . . على أنها ظواهر طبيعية مستمدة من الله . كما أن القرآن يؤكد أن كل قوة من الله ويطالب الناس بطاعة ولاتهم . انما يفرض على الطبقة المستغلة ايمانا بالوهية ظالمهم<sup>(١)</sup> .

وهذا النموذج الماركسي في العدوان على العقيدة ومقدسات المسلمين بقدر ما يدل على تخلف و جهل ورجعية اصحابه وهم الذين يدعون دراسة التاريخ يكشف لنا مدى الجذب الثقافي عند فلاسفة المذهب بدراسة اخصب واعمق مراحل التطور الانساني والعدل الاجتماعي الذي واكب ظهور الاسلام وباثر منه وخلال الف عام

---

(١) الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت  
طبعة عام ١٩٦٧ ، صفحة ٩٠ .

على الأقل ، فضلاً عن التعبير عن كونهم ادوات عدوان مذهبي للماركسية ضد كتاب الله تعالى بعد ان حجب عدوانهم على كتاب الله تعالى وحقدهم عليه امكان ان ينظروا فيه نظرة تدبر. وصدق الله العظيم : « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب افقأها » .

ان الجهل الماركسي بالاسلام وقواعده العظيمة هو الذي كان وراء تلك الفئة الجاهلة والملمحة التي عنون بها تقريره العدواني الى الحزب الشيوعي ذلك المدعود . ايل كارلي ، كبير مدرسي الجامعة التركمانية الحكومية التي تحمل اسم « مكسيم جوركي » « الاسلام كأداة لاستعباد المرأة » وانتهى فيه الى تلك العبارة الأثمة الجاهلة التي تقول : « ان ثمة حالات في جمهوريات آسيا الوسطى حيث لا تزال مخلفات الاسلام ملتصقة بالحياة . قام فيها الوالدان بانتزاع بناتهم المراهقات من دراستهن وبعثوا بهن الى بيت الزوجية . .

ويسترسل كاتب التقرير في فحشه الماركسي الى ان يقول في نفس تقريره « . . . والواقع ان الشباب من النساء والفتيات اللاتي يظهرن عدم الخضوع للعادات والتقاليد الدينية المهينة يتعرضن للاضطهاد من جانب بعض الوالدين كما أن بين مخلفات الدين التي تتسم بالسلوك الاقطاعي . . . . تجاه المرأة : تعدد الزوجات ومهر العروس وهي تقاليد تتناقض مع مذهبنا الاشتراكي وقوانيننا السوفيتية » .

وهذه الجاهلية المذهبية العمياء كانت تستحق منا ان نقف عندها طويلاً لنناقش بطلان ما يذهب اليه المذهب الماركسي في عدوانه على الاسلام لولا اننا في هذا العرض لا نناقش قضايا الرد على خصوم الاسلام بقدر ما نعرض في ايجاز للمنظمات السرية التي ادت دوراً ضد الاسلام وضد كرامة الانسان وكانت الماركسية اعنف هذه الافرازات السرية التي نقشتها الصهيونية العالمية ، ومن هنا كانت هذه الاشارة التي تدلل بها على ان الشيوعية مذهب في الاخلاق والسياسة يقوم على الخبث والنفاق والمراوغة والمؤامرة ضد الشعوب وضد التقدم الانساني بهدف استبقاء التطور الانساني مقيداً ومكبلاً بقيود التخلف والجهل والعزلة والانغلاق حتى يجيء الوقت

المناسب لسيطرة الصهيونية العالمية على العالم وعلى مقدراته

ومن هنا أيضاً لم نشأ ان نعرض للفضيحة التاريخية التي يقوم عليها المذهب الماركسي ولا لمقدماته المغلوطة تاريخياً واجتماعياً واقتصادياً فضلاً عن تفاهة المنطلق الفكري الذي بدأ به دعائه وأصحاب النظرية ولكننا اردنا ان نؤكد بالدليل أن هناك عدواناً ماركسياً على الاسلام وكل ما يتعلق به يبدأ العدوان من منطلقات واسس في المذهب الشيوعي . لا يقوم المذهب بدونها لانها جزء من أيديولوجيته ومن هنا فان دعاة هذا المذهب والمخدوعين والمضللين بمغريات الدعوة اليه في الوطن الاسلامي عليهم أن يدركوا أنهم امام محنة عقائدية فلا مكان للاسلام في القلب او العقل وهناك ذرة من ولاء في القلب او العقل للماركسية كما انه لا يقبل الاسلام انساناً يحمل مبادئ وعقيدة المذهب الشيوعي الا ان كان ذلك تضليلاً وتزييفاً مؤقتين يخطط بهما دعاة المذهب واقطابه لاستدراج عقل المسلم وتعطيل قلبه وقتل ارادة الخير فيه وتجارب التاريخ السياسي في الوطن العربي تقف امامنا اكبر دليل ولسنا في مقام الذي يتعرض بالتفصيل للدور الذي قام به دعاة المذهب وماجوروه في تحريب قطاعات ضخمة من الجمهور المسلم الشريف وفي انشاء مؤسسات وهيئات ومراكز للانتاج بل وفي العمل على افلاس امم بكاملها رغم كل الموارد وضخامة المعونات وذلك كله تعبيراً وولاء لمنطلق او مبدأ الصراع الطبقي الذي تدعيه الماركسية بأنه سيحول جحيم وآلام الكادحين الى جنة المشاع في المال والاعراض والملذات التي يقف على أبوابها لحمل الراية كارل ماركس وكل الرفاق !! . .

### مزاعم الاشتراكية في التقدم

ظهرت بدعة الدعوة الاشتراكية في بعض ديار المسلمين مرتكزة على مزاعم

اربعة .

## محو الطبقيّة

الزعم الأول :

ويعني به الماركسيون : وضع حد فاصل لما زخر به التاريخ من أشكال الصراع المختلفة ، لان مرد ذلك الصراع في زعمهم الى التناقض الطبقي ، والذي هو عندهم عبارة : عن انقسام المجتمع الى : مالكين ومعدمين ، فاذا ما قامت الاشتراكية - المدعاة - حولت المجتمع الى طبقة واحدة ومن ثم فيما يزعمون يزول التناقض الطبقي<sup>(١)</sup> !!

وخطأ الماركسية في هذا الزعم خطأ واضح وفاحش ذلك ان الماركسيين بنوا مفهوم هذا الزعم على فكرة : الصراع الطبقي كتعبير عن مبدأ «التقيض» المزعوم في المادية الجدلية ومن ثم في المادية التاريخية .

وهذا المبدأ خطأ من اساسه لانه لو صح في الطبيعة المادية للاشياء وهو غير صحيح ، فانه لا يصح في الطبيعة الاجتماعية ، بمعنى انه لا يصح تطبيق ما في الطبيعة على المجتمع وتطبيق ما في المجتمع على الطبيعة لانه من البداهة ان اشياء الطبيعة اجسام ، والمجتمع الانساني علاقات بين الناس ، فقياس العلاقات الاجتماعية على اشياء الطبيعة قياس خاطيء لاختلاف العوامل والمؤثرات في كل منها<sup>(٢)</sup> .

وهذه البداهة تؤدي الى رفض الزعم بان الصراع الطبقي مثل سائر القوانين

---

(١) : (مختارات لينين) ج ٤ ، الطبعة العربية دار التقدم موسكو ص ١٠ .

(٢) نقض الاشتراكية «غانم عبده» . ص ٦٨ .

الطبيعية إذ القياس أصلاً خاطيء ، فإن روح المحبة والاجابة بين بني الانسان ظواهر تكررت بتأثير العقيدة الدينية الصحيحة ولم تكن المؤثرات الاقتصادية او العوامل المادية تمثل دافعاً او موجهاً لها ، وتجربة المجتمع الاسلامي عشرات من السنين في صدر الدعوة الاسلامية وبعده ايضاً خير برهان<sup>(١)</sup>.

ومن ايسر الامور لدى الدعاة الصادقين والمفكرين المبرزين الذين لا تنقصهم النوايا الطيبة والعزيمة الصادقة ، أن يشيعوا روح الحب والود والتكامل في المجتمع ، فلا ترى تناقضاً ولا صراعاً . بل ولا يمكن ان يقوم صراع اصلا في ظل مجتمع تحكمه روح الايمان وتشيع فيه المحبة بفعل الدعاة الصادقين .

يقول الدكتور معروف الدواليبي : « . . . . كانت فكرة الصراع الطبقي وسيلة فقط لحقن العمال بالحقد على جميع من عداهم من الناس ، ثم لتجنيدهم بجميع دعايات الاغراء ليصبحوا أداة للشورة الهوجاء ، واخيراً ليصبح العمال بأنفسهم الوسيلة الفعالة للقضاء على آخرامل للعامل في ان يكون يوماً مالكا وحرراً طليقاً »<sup>(٢)</sup>.

هذا ويلاحظ الاسلاميون على الماركسيين في قولهم بالصراع الطبقي ، وبناء دعوتهم للاشتراكية على الدعائم الاربع التي ناقش زعمهم الاول فيها وهو : القول «بمحو الطبقة» أن الدافع وراء مجيء « ماركس » بهذه الفكرة ، أن الرجل لا يدين بمعايير الاخلاق الانسانية كما سبق وان اشرنا الى ذلك ، انه كغرسه يهودية ، ارضى في نفسه بهذا القول روح التدمير والتخريب والحقد الذي حمله بين جوانحه تجاه بني الانسان .

(١) : (نظرات اسلامية عن الاشتراكية الثورية) . معروف الدواليبي بيروت ص ١٠٥ .

(٢) : سلسلة قادة الفتح الاسلامي التي كتبها اللواء الركن محمود شيت حطاب عن فتوح الشام والعراق ومصر ، والمغرب العربي دراسة علمية رائدة عن تجربة الفتح الاسلامي واثرها في ترسيخ روح المحبة بين الفاتحين المسلمين وسكان البلاد التي حرروها .

وفي نقض جوانب الفكر المادي والتاريخي ، وعند هذه القضية بالذات ، يقول : الدكتور : محمد البهي : « . . . . ولكن دعوة باسم الفلسفة - كما تصنع الماركسية اللينينية - الى صراع الطبقات والخصومة والبغضاء بينها ، واحتلال طبقة هي « البروليتاريا » السيادة باسم ديكتاتورية الطبقة العاملة ، كي تتمكن من الطبقات الاخرى ، وإذلالها وابدانها ، هي دعوة لا تتصل بالعقل - اللهم - الا بذلك النوع منه الذي يقع تحت تأثير الهوى والميل الى فريق دون فريق من الناس ويقع ايضاً تحت تأثير الشهوة ، وهي شهوة الانتقام من فريق لصالح فريق آخر<sup>(١)</sup> .

### ديكتاتورية الطبقة العاملة

الزعم الثاني :

تزعم الماركسية : بديكتاتورية الطبقة العاملة ، تصفية حساب الاجراء مع الرأسمالين ، حتى يتم للطبقة العاملة التخلص من كل خصائص الرأسمالية الفكرية والأخلاقية : بمعنى أن الديكتاتورية في النظام الاشتراكي تعبير عن العقل الماركسي في الاشتراكية القائم على الاجراءات التعسفية والاجرامية في حق الغير .

وأيضاً هذا الزعم الثاني في بناء الاشتراكية القائل بديكتاتورية الطبقة العاملة كواحد من أركان الاشتراكية ، الأربع ، وكتعبير عن التصور العام للماركسية في قولهم الباطل بما أسموه « مبدأ النقيض » يقوم على خطأ فادح فاحش ، فهم يرون أن المجتمعات السابقة على الرأسمالية وهي : مجتمع الملوك ، والمجتمعات الإقطاعية ، إنهارت لأنها تضمنت عنصر النقيض ، وفيما زعموا وهو - خطأ - كما سنوضحه لأنه في زعمهم قام صراع بين الملك لأنه يملك الأرض ومن عليها والشعب ، فاضطر الى إقطاع بعض رجاله ، إقطاعيات ليكونوا له سنداً وعوناً فتحول الجميع الى مجتمع

---

(١) : دكتور محمد البهي . « تهافت الفكر المادي والتاريخي بين النظر والتطبيق » دار الفكر بيروت عام

إقطاعي ، وهذا المجتمع على ضوء قواعدهم في القول بالنقيض ، يتضمن عنصر النقيض ، وهذا العنصر فيما زعموا هو الأجراء عند الإقطاعيين . وعليه في التصور الماركسي الفاسد ، فقد قام صراع بين الأجراء والإقطاعيين أدى الى تنازل الإقطاعيين عن الأرض ، وتحولوا الى بناء المصانع فتحول المجتمع إلى : رأسمالي ، والصراع عندهم قائم بين أصحاب رؤوس الأموال ، وبين العمال ، وسيؤدي حسبما زعموا الى أن يملك العمال المصانع ، ولا بد لهم في ذلك من ممارسة الركن الثاني وهو : ديكتاتورية الطبقة العاملة - هكذا - يؤمنون .

والخطأ الفكري أو قل الخلل الفكري الذي وقع فيه الماركسيون في هذا الركن الثاني مثل الأول ، والخطأ هنا بمقدار ما يدل على طبيعتهم العدوانية ، فإنه يكشف عن جهل بدراسة التاريخ الذي اعتمده وزعموا أنهم محصوه بدليل أن مجتمع الملوك لم يتحول الى مجتمع اقطاعي ، نتيجة للصراع بين الملك والشعب ، وإنما لأن الملك أقطع بعض قواده ، ووزرائه تكريماً لهم على ما قدموه له ولشعوبهم ، ولا زالت بعض الأنظمة الملكية تمثل علاقات بين الملك وشعبه لا تقوم على صراع أو تناقض . . .

وكذا الأمر في المجتمع الإقطاعي ، لم يقم على انقراض ما سبقه بل بقيت نظم التملك ، ونظم الإقطاع ، ولم يتحول المجتمع هذه المرة تحت ضغط الأجراء على الإقطاعيين ، وإنما لأن الاقطاعيين رأوا ، أن الصناعة تدر عليهم ربحاً أكثر من زراعة الأرض ، فباعوها للأجراء ، وأقاموا المصانع وراء الربح الأكثر ، ولا زالت هذه الظاهرة ، تتكرر حتى اليوم ، وعلى مختلف المستويات ، فالكثيرون من أصحاب الاقطاعيات الكبيرة ، وملاك الأرض من الطبقة المتوسطة يبيعونها لمشاريع صناعية وتجارية : بل أن كثرة كثيرة من أصحاب الحيازات الصغيرة يلجأون الى نفس الأسلوب تقريباً<sup>(١)</sup> .

---

(١) (الخطر الشيوعي على بلاد الإسلام) دكتور محمد شامة مكتبة وهبة ص ٧١ .

وهو الأمر الذي يؤكد عدم صحة الزعم الثاني القائل : بديكتاتورية الطبقة العاملة ، كضرورة تاريخية فيما زعموا وجوده من صراع محتوم في مراحل تطور المجتمع تاريخيا ، حتى يتم لهم بناء الاشتراكية ، المزعوم .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، أن نستشهد بالتاريخ المأساوي الدموي الذي رافق مسيرة القوى والعناصر التي آمنت بديكتاتورية الطبقة العاملة طريقة ومنهجها لبناء الوهم الكبير الذي اسمه : المجتمع الاشتراكي .

ذلك أنه قد ثبت بعد عشرات من السنين أن الذين أبادهم الحزب الشيوعي من الروسين يعدون بالملايين كان يكفي أن يكون أحدهم من ملاك الأرض ، ليهاجمه بدمه بغير محاكمة ، وبغير سؤال<sup>(١)</sup> . وكان يكفي في بعض الأحوال ، أن يأكل الفلاح وآله ذبيحة من البقر ، أو الضأن ليستباح دمه ، ويقال : أنه معطل لمشروع المزارع الجماعية متعمداً أن يذبح ماشيته ، لكيلا تؤخذ منه للمشاركة في مشروع من تلك المشروعات ، بل كان يكفي لاستباحة الدم والحرية ، ما هو أيسر من هذه التهم الكبار ، كتهمة الكسل في الزرع ، أو التقصير في تسليم الحصة ، المفروضة على المحصول ، وجريمة هؤلاء جميعا تدخل في عدد جرائم التعطيل والتثبيت التي تعاقب بالإعدام .

ولا يقل ضحايا الحزب الشيوعي عن عشرين مليوناً ، ذهبوا ضحية للقتل الجراف ، أو للحرمان والجوع ، أو للنفي والتشريد في مجاهل سيبيريا ، ومعاقلة قطب الشمال<sup>(٢)</sup> .

ويبلغ من استخفاف دعاة الثورة الحمراء بدم الإنسان أنهم يحسبون كلمة ( الثورة ) مسوغاً كافياً لاستباحة دماء الملايين ، كأنها الوسيلة الوحيدة لنجاح

---

(١) (عباس محمود العقاد) (لا شيوعية ولا استعمار) طدار الهلال - مصر . عام ١٩٥٩ م ص - ٤٣

٤٤

(٢) يمكن الرجوع الى ما كتبه المؤلفان : (شانتال لمربية كلججي) و«الكسندر بينغنسن» في كتابها ، المسلمون الاتحاد السوفيتي ، ترجمة الدكتور - إحسان حقي للوقوف على تفاصيل في هذا المجال .

ثورتهم ، أو إجراء هذه التجربة في سبيل النجاح ويقول : لينين ، بغير موارد في خطاب منه الى الكاتب : جوركي : أن زيادة ثلث الجنس البشري ليس بذي بال ، وإنما المهم أن تنجح الشيوعية بأية حال . لكنه عذر لا يستر طبيعة الضراوة بالشر في نفوس هؤلاء الطغاة ، فإن أعضاء الحزب أنفسهم لا يسلم المقهور منهم من شرور المنتصرين عليهم في التنازع على مناصب الجاه والجبروت .

وقد عمل الشيوعيون على الثورة في عهد ثلاثه من قياصرة آل رومانوف ، فلم يقتل القياصرة الثلاثة عشر الذين قتلهم ( ستالين ) وحده من كبار الزعماء ، بله الصغار المجهولين ، وخليفة ستالين نفسه هو الذي يقول : ( أنه من بين المائة والتسعة والثلاثين الذين انتخبوا في المؤتمر السابع عشر ثمانية وتسعون اعتقلوا واعدموا رمياً بالرصاص خلال عامي ٩٣٧ - ١٩٣٨ م على الخصوص ، ولم يكن هذا مصير أعضاء اللجنة المركزية ، فحسب ، ولكنه كان مصير أكثر المندوبين الذين اشتركوا في المؤتمر السابع عشر ، فمن بين ١٩٦٦ مندوبا كانوا يملكون حق الإشتراك في الاقتراع ، أو يملكون التمتع بحقوق استشارية ، ألقى القبض على ١١٠٨ أشخاص بتهمة ارتكاب جرائم مناهضة للثورة .

ومضى ستالين ، فلم يسلم كبار الزعماء من استبداد القادرين على الاستبداد ، ولم يتهم أحد من هؤلاء الزعماء بتهمة أقل خطرا من تهمة الخيانة العظمى ، وعداوة الشعب ، والمروق من مبادئ الثورة ، وأشباه هذه التهم ، لا تقل العقوبة في إحداها عن الموت مع التشهير والتحقير ، ولا يتطلب الأمر لاثبات هذه التهم ، واستحقاق العقوبة عليها أكثر من الاقتراع مع القلة في مجلس من مجالس الحزب العليا ، أو في هيئة من هيئات الصناعة التنفيذية ، فإذا قال تسعة أن زيادة المصنوع من الجرارات غير لازمة وقال عشرة ، أنها لازمة لا غنى عنها ، فالتسعة خونة معادون للشعب ، مارقون على عقيدة الثورة ، دليل إدانتهم أنه أقل في العدد ، بواحد من زملائهم المخالفين وهكذا . . . (١) .

(١) عباس محمود العقاد . ( لا شيوعية ولا استعمار ) ص . ٤١ .

ولو كان هذا الاختلاف محرماً على الكبار والصغار في أول عهد الثورة ، لجاز أن يقال ؛ أن الخوف على الثورة يبيح ما لا يباح من فرط الشدة والقسوة ، جمعاً للشمل ومنعاً للشقاق ، ولكنه وللأسف بعد ذلك . . . ولليوم ، لا يزال هذا الأسلوب القهري هو السائد والمسيطر على عقل من يسمون « بالقيادات » .

وسواء في نهاية الأمر ، أصدق الظافرون أو كذبوا في أحكامهم وإتهامهم لخصومهم ، فالاشتراكية بمبادئها تلك أحقر ما عرف الناس من ثورات وانقلابات في تاريخ الأقدمين والمحدثين ، وذلك أنه ليس أحقر من ثورة يخون مبادئها مئات من زعمائها بغير داع للخيانة ، وهم في مراكز القيادة والرعاية ، وليس أحقر من ثورة تدين المئات من زعمائها ظلماً ، وتفترى عليهم تهمة الخيانة واحداً بعد واحد ، وهم مستسلمون بغير نصير ولا شفيع فالثورة التي تضطر إلى الاستبداد ، ولا تستغني عنه بعد ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، هي كارثة بلاء ، وحركة همجية عمياء .

والثورة التي تصنع للاستبداد أسلوباً تسميه مبادئ وأركان ، تحت زعم قواعد البناء ، فتتترف من الآثام والموبقات ، ضد شعبها ، وغيره من الشعوب ما لم يحدث في تاريخ البشرية الطويل ، هي مؤامرة إجرام وحركة ردة بالسلوك الإنساني ، لا أمان فيها للمحكومين ولا للحكام ، لأن الأصل في علاقات هذه الردة يقوم على ديكتاتورية يضيع فيها الغالب والمغلوب على السواء .

الزعم الثالث :

### عدوان التأميم

تتلخص فكرة « التأميم » في قواعد البناء الاشتراكي في أنه في ظل ديكتاتورية الطبقة العاملة يتم تحويل الملكية الفردية إلى ملكية الدولة بمعنى تزعمه النظرية وهو : جعل الملكية في البلاد جماعية ليصبح كل فرد في نطاق المجموع مالكا لثروات البلاد كلها .

ومن هنا شن مؤسسوا النظام الشيوعي وعلى رأسهم «ماركس» حملة مسعورة بهدف تحقيق الصيغة التي رفعوها شعارا لهم ، وهي : القضاء على الملكية الخاصة . . حتى يتسنى للدولة فيما زعموا أن تمتلك جميع وسائل الانتاج ، ومن ثم يصبح الأفراد في ظل هذا النظام مستأجرين ، أو قل عبيداً عند الدولة التي تمارس بالطبع ديكتاتورية الطبقة العاملة .

وتتجلى خطورة وعدوانية بناء الاشتراكية في هذا الركن الثالث بالذات ، وهو بقدر ما يمثل استبداد الدولة في النظام الماركسي فإنه مناقض تماما للفطرة الانسانية السوية . فالملكية الفردية غريزة في النفس البشرية ، فطر الله الناس عليها منذ المولد ، فالتملك عند الطفل حين يبكي إذا انتزعنا منه لعبته ، غريزة والحيازة التي يموت الناس دفاعا عنها غريزة .

ولأن الملكية الجماعية المزعومة في الفكر الماركسي أي « التأميم » وسيطرة الدولة على الانتاج عمليات ضد الفطرة ، وضد التقدم ، رأينا على مدى ثلاثة أرباع القرن من الزمان ، عدم وفاء الطبقة العاملة في البلاد التي تطبق ما يسمى بملكية الدولة لجميع مصادر الثروة بخطط التنمية ، ومشاريع الزراعة ، فضلا عن التدهور في قطاعات ضخمة من الانتاج . . ولا يستقيم الأمر للطبقة الحاكمة . . إلا أن يساق جمهور العمال الى مجاهل سيبيريا ، ومنصات الإعدام الجماعي .

وفي ظل التأميم فقد الناس الحافز للعمل ، ولم نجد إلا السياط الملتهبة ، وهي تمزق ظهور وجباه العمال المسخرين لسادة الطبقة الحاكمة ، في نظم ديكتاتورية البناء الاشتراكي . . ولذا رأينا السادة الجدد من قادة الدعوة للإشتراكية والعمل على تجريد الفرد من ماله وثروته ، يبدلون ويعدلون على ضوء ما يحدث لهم مؤكدين فشل أسلوب التأميم كواحد من قواعد البناء الإشتراكي المزعوم ، في عالم السخرة والاستبداد .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام : أن فكرة المساواة المزعومة التي طرحها الفكر الماركسي ، وعبر عنها بالمقولة الشهيرة «من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته»

عاد أحد أقطاب الماركسية ، بعد أن أدرك فشل مردودها في بناء الدولة ، وانقلب عليها ، وقال : (١) .. « ... إذا أردنا المقدرة الصناعية ، فلا بد أن يكون الأجر على درجات تحدد الفروق بين العامل الحاذق وغير الحاذق ، تحديداً دقيقاً ، ويجب أن ترتفع بحسب حاجة العامل ، بل بحسب ما أتم من عمل .. » .

وإذا كان الفكر الماركسي يجهل قوانين الله تعالى في خلقه حين يقرر لهم في محكم كتابه ، قواعد انجاح النظام الاجتماعي في قوله تعالى في سورة النحل الآية ٧١ ( .. والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴿ . الآية .

وقوله تعالى في سورة الأنعام رقم ١٦٥ ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما أتاكم ، إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم ﴾ .

وقوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ الآية رقم ٣٢ . فإن الفكر الماركسي في تجريد الفرد الإنسان من حق التملك ، وإطلاق المواهب الإنسانية ، والقدرات الذاتية الممنوحة من الله لكل انسان ، حسب إرادة الخالق ، جل وعلا ، قد جنى جناية مباشرة على المواهب الإنسانية ، وأهدر إهدارا القدرات الإبداعية عند الإنسان ، كما أن الفكر الماركسي المادي ، أهمل حقائق : مادية ونفسية ، تتصل بالطبيعة الإنسانية عند الناس جميعاً ، وهي أنهم يتفاوتون في القدرات والمواهب ، والمزايا ، بل ويتفاوتون في تكوينهم العقلي والجسمي .. ولو جرد الإنسان الفرد مما يملك أو مما يمكن أن يكون في حيازته ، مما كسب ، ومما أبدع فيه أو بذل من أجله ، وأصبح وجوده يتمثل في الانتهاء مجرد الانتهاء لمشروعات الاستثمار ،

---

(١) هوستالين ، في مؤتمر عقد سنة ١٩٣١ م لرجال المال والاقتصاد المشرفين على الانتاج .. وافتتح المؤتمر بقوله : ( ... ان سير التقدم قد تعثرت خطاه ، نظرا للطريقة التي يسير عليها العمال من إهمال وتكاسل .

وحقول الزراعة ، وعناصر الانتاج ، لأصبح آلة عمياء صماء في ترس المجتمع ، لا مسئولية عليه ، ولا ذمة له ، إلا أن يساق ، كما تساق البهائم بالعصا ، أو بحزمة برسيم .

أن الأبعاد النفسية والروحية والأخلاقية والاجتماعية التي عني بها الإسلام ، في هذه القضية بالذات ، تنقل الإنسان من هذه الحظيرة المادية المتأخرة الى آفاق الإيمان وروحانيته لتحقيق جوهر العدل والإخاء والخير والتعاون بين المؤمنين بالله تعالى .

ولننظر الى هذا البعد الإلهي المعجز ، في فتح آفاق الوجود كله أمام القدرة الإنسانية ، وعلى مختلف منح الله تعالى وعطائه لعباده ، حين يقول سبحانه في محكم كتابه من سورة الكهف في الآية رقم ٧ ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ . فنجد منهج الإسلام في هذه الآية الكريمة يدفع للتسابق الشريف في ميدان العمل بروح التسابق الكريم المستهدف به رضا الله وخشيته « أيهم أحسن عملا » . وهذا هو الفرق بين وثنية السلوك في الماركسية . وهدى الله في الإسلام .

الزعم الرابع :

### اكذوبة التوزيع

التوزيع : هو الأساس الرابع في بناء الاشتراكية ، المزعم ، وهذا المبدأ ، أو قل هذا الزعم الكاذب ، يترجمون له بقولهم : « من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته » .

ويرتكز هذا الزعم على مقولة مغلوطة ، خلاصتها أن المجتمع بعد أن يصبح طبقة واحدة ، بفعل الصراع طبعا ، وبموجب قوانين الاشتراكية المدعاة لا تبقى فيما يتصورون طبقة عاملة ، واخرى مالكة ومن ثم لا بد لكل انسان ، أن يعمل لكي يعيش ، ولما كان المعيار الماركسي : هو أن العمل أساس القيمة في الإنتاج ، فيصبح عندهم ، أن لكل عامل نصيبا من الانتاج بالقدر الذي يتفق وكمية عمله ، وهذا هو

مبدأ التوزيع عندهم ، والذي يطلقون له شعار . « من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله » .

وهذا الزعم فوق مخالفته لحقائق التكامل الاجتماعي وأنه غير ممكن التطبيق ، لأن حاجات كل فرد تختلف من إنسان لآخر ، فضلا عن اختلاف قدرة عن قدرة فإن واقع الحياة التي عاشها ويعيشها دعاة المذهب وأقطابه تناقض زعم دعاة الاشتراكية ، حتى في مجال التطبيق .

ولقد كان مؤسس المذهب ، كما يقول أبوه « أنانيا » لا يربطه بأسرته ، إلا اعتقاده بأنها تعطيه كل ما يبتغيه ، ومع وصف صديقه ، انجلز له بالجمود والتعالي ، فقد عاش ثلاثين عاما ، لم يعمل فيها ما يكفي لقوته عاما أو بعض عام .

ولذا فمن الخطأ الفاحش : أن يقال : أن هذه القواعد الأربع في بناء الاشتراكية ، تصلح أن تكون مذهباً للطبقة العاملة ، أو الطبقة الفقيرة ، لأنها في جملتها تتنافى ومصالحة الطبقة الفقيرة ، فهذه القواعد إن جاز أن يقال عنها أنها مذهب ، أو أنها تكون مذهباً ، فهو مذهب طباع وأخلاق ، يتقبله كل من تلوثت نفسه بلوثة اللؤم والأنانية وأسقط عن كاهله ، تبعة العمل ومؤنة التكليف ، وغلبت فيه الكراهية ، والحسد على محبة الخير للناس ، ولا يتقبل الاشتراكية فغير محروم برئت نفسه من هذه اللوثة واستقر في طبعه صدق الإيمان بالجد والكفاية ، تاهيك عن الإيمان بالله تعالى ، ضابطاً وموجهاً للسلوك . وإنما يتقبل الاشتراكية المحروم ، إذا خامرته مع الحرمان رذيلة الحسد والكسل ، وسولت له الأنانية ، أن يطمع في حقوق الآخرين ويسقط عن كاهله ، جميع الفروض والتكاليف ، ومن كان كذلك من الأغنياء فهو شيوعي ، أو على استعداد لتقبل الشيوعية ، حتى وإن لم يكن من العاملين باليد .

وفي تقرير هذا المعنى وتأكيد ، يقول عباس العقاد : « وقد أسس الشيوعية اثنان لم يكونا من أبناء الطبقة العاملة ، ولا الطبقة الفقيرة . فكارل ماركس من الطبقة المتوسطة ، وفرديريك انجلز من الطبقة الغنية ، ولكنها من المستعدين

للسيوعية ، بالطباع والأخلاق وكلاهما نموذج للطبع المسوخ في اتجاهين متقابلين » .

هذا ومن السخرية بالناس والازدراء بهم أن تظل المقولة البواهية ، والتي طرحت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يد « ماركس » تجد لها أذانا حتى اليوم ، وأعني بها ، ما يسمى « الاشتراكية العلمية » . وقد ثبت أن ماركس ادعى نظريته عن العلاقات الاجتماعية ، بعد أن سرق تياراً فكرياً إلحادياً كان بقية من عمليات الحوار الفكري في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين . وسنتعرض لذلك بالتفصيل في نقدنا للأسس التي طرحها ماركس في الجدل التاريخي . مستندا فيما زعم على الجدل المادي .

يرد الدكتور رؤوف شلبي الأستاذ بجامعة الأزهر على هذه المقولة الكاذبة ويقول : « تسمية الماركسية بالعلمية خطأ مقصود ، فالعلم لا يعرف الحتمية .. وإلا لما تقدم العلم التجريبي ، على نظرية قديمة ، إلى نظرية أخرى تفوقها أو تكملها .. »<sup>(١)</sup> .

ثم يقول ناقضا الزعم الماركسي : ( . . . وكيف يوصف بالعلمية ، وانجلز زميل ماركس ، بسطاها أكثر مما ينبغي ، أليس يقال : أن المبالغة ليست من أسباب العلم )<sup>(٢)</sup> .

## الصراع بين المادية والاسلام

لما كان كارل ماركس صاحب الزعم القائل بان المتغيرات المادية والاجتماعية ، وليدة عوامل اقتصادية وان التاريخ محكوم بقوانين الصراع التي ادعاها ، فقد كانت نظرتة الى الدين : بانه صدى لانعكاسات العلاقات الاقتصادية في المجتمع . . . كما

(١) دكتور رؤوف شلبي « التضييل الماركسي » - الطبعة الأولى عام ١٩٧٥ - القاهرة . ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٥ .

ترى الماركسية ولليوم ، ان الاديان مخترعة ، وانها تعيش وتموت في ظروف تاريخية محدودة ، وان علاقات الانتاج ، هي وحدها اساس اختراع الاديان . وفي هذا يقول ماركس بغير عقل وبغير اخلاق : « ان العجز والجهل هما المصدر المزدوج للاخلاق والدين » .

ومن بعد ماركس كان لينين ، ينظر الى الدين ، وكل مظاهر الايمان ، على انها من مظاهر الظلم الروحي ، الذي تنوء تحته في كل زمان ومكان ، الطبقات الشعبية الراضحة تحت وطأة العمل الدائم لصالح الغير ، وتحت عبء الشقاء والعزلة ، وإن الايمان بحياة اخرى ينشأ بشكل محتوم عن عجز الطبقات المستغلة المجاهدة ضد مستغليها ، كما ينشأ الايمان بالآلهة والشياطين والمعجزات . ومن قبيل المفتريات والاكاذيب ، يمتلىء القاموس الشيوعي في وضع التعاريف والمصطلحات ، التي تحدد موقف قادة الفكر المادي في مجالات التطبيق ، ونظرتهم الى الدين ، وكل قضايا الايمان بالله تعالى .

إن «لينين» كان ترجماناً حرفياً ، لكل مصطلحات الفكر المادي ومفترياته إن عبارته الشهيرة (الدين أفيون الشعب ، إنه نوع مبتذل من الفودكا الروحية ) تؤكد زيف كل الدعوات التي اراد البعض ؛ ان يروجها لأقامة جسر من اللقاء بين المفاهيم المادية وقيم الدين .

ان الرأي الذي يقول : إن قادة الفكر المادي ، لا يستهدفون الاسلام ، بل الدين الذي كانت عليه الكنيسة في اوروبارأي قاصر عاجز ، او فكر ملتوي مغرض ، فان الماركسية كافرزة علمانية الحادية لمرحلة ما بعد القرنين السابع والثامن عشر للميلاد ، كانت تستهدف الاسلام ، ونظامه الاجتماعي قبل غيره ، ولذا كانت الشعوب الاسلامية في آسيا الوسطى ، اوفر من سواها ، من وطء الدولة والدعوة الشيوعية .

ونقد كانت عناية الشيوعية بمجابهة الاسلام والمسلمين عقيدة وخلقا واجتماعاً ، اشد بكثير من عنايتهم بمجابهة ومطاردة غير المسلمين ، بحكم إدراكهم ،

أن الاسلام دين ونظام وخلق-يرفض الفلسفة المادية ، في كل معرض من معارض المعيشة، ومقاييس الاخلاق .

ومن هنا راينا الحرب الشرسة التي قامت وتقوم بها قيادات الفكر المادي الماركسي، ضد الاسلام، بحيث لم يحدث ولو في فترة مهادنة طوال ثلاثة ارباع قرن من الزمان تقريباً ، أن هدأت حدة الحرب المعلنة، ناهيك عن الاساليب الخفية من جانب الشيوعيين ضد الاسلام .

وإذا كان من المسلم به أن الشيوعية لا تقبل السلام مع غيرها من الأنظمة والأيدولوجيات ، فانه من الضروري المحتم عندها ، أن لا تقبله مع الاسلام، ذلك أن قادة الشيوعية يدركون جيداً : انه لا بقاء للشيوعية في بلاد تدين بالاسلام، كما انه لا بقاء للاسلام في بلاد تدين بالشيوعية، وكل الدعوات المغرضة التي حاولت قيام سلام بين الشيوعية والاسلام ، هي دعوات قائمة على النفاق ، وعلى تربص مكين، كالتربص بين الاعداء المستترين ، ذلك ان الاصل في مقررات الشيوعية انها لا تقوم الا على هدم المجتمعات التي تخالفها ، انطلاقاً من ايدولوجية ماركسية ، تقول : إن الخير في زوال المجتمعات التي تخالف الماركسية، ولا تنضوي تحت لوائها . وانطلاقاً من هذه المعتقدات الشيوعية، كان موقف الشيوعيين من البلاد الاسلامية التي حاربوها ، وقتلوا أهلها من المسلمين، فبلاد ذات كثافة سكانية ضخمة مثل : بخارى ، والقوقاز ، وتركستان ، وطشقند ، واسترخان ، والاورال ، وغيرها ، وقفت منها الشيوعية بحكم الموقع الجغرافي<sup>(١)</sup> ومساندته للدعوة في حربها الشرسة ضد المسلمين موقفاً لم يشهد التاريخ الانساني ابان عمليات الغزو والاستعمار والسيطرة، التي قامت بها الشعوب غير المتمدنة في القديم ،والاستعمار الاوروبي في الحديث مثله على الاطلاق. فقد منع المسلمون من أداء الزكاة ، ليعين بعضهم بعضاً ، فضلاً عن تأدية فرض ربهم عليهم ، كذلك منع المسلمون من الحج ومنعوا من الصيام كان ذلك بعد أن سحق «لينين» عام ١٩١٩ م

(١) : (دكتور محمد ابراهيم الديب) : «الجغرافيا السياسية» مكتبة الانجلوا المصرية القاهرة ص ٥٣١ .

«المقاومة الاسلامية» دون سابق انذار ، ودمر المدن والمنشآت بالدبابات ، وقصف التجمعات البشرية بالطائرات، حتى استولى بالفعل في نفس العام على الاورال وشمال القوقاز<sup>(١)</sup>.

واستمر التوسع الشيوعي ضد بلاد المسلمين بعد ذلك حتى تم لهم الاستيلاء على اذربيجان، وبخارى التي قدمت اروع امثلة التضحية والجهاد ضد الغزو السوفيتي . وكما يقول الشيخ المفكر محمد الغزالي : « لم يكن لدى الشيوعيين ميثاق شرف ، فأرنا القتل والتدمير والسحق والابادة الجماعية ، لسكان البلاد المسلمين هو الاسلوب الذي طبق ضد المسلمين كأسلوب وحيد للثورة عند الشيوعيين ، فلاقى المسلمون الأمرين<sup>(٢)</sup> .

### التضليل الماركسي

قد لا يجد المرء مثلاً مشابهاً ابداً لعمليات الحرب والابادة التي تعرض لها المسلمون من قبل الماركسيين الماديين حين عبروا عن ماديتهم الملحدة ، بما اسماه «الثورة» إذا علم ان هناك عملية خداع كبرى قام بها مجلس الثورة الشيوعي في عام ١٩١٧ ضد المسلمين في بيان رسمي وقعه مجلس الثورة ، وعلى راسهم لينين وستالين في ٧ / ١٢ / ١٩١٧ ، وجاء فيه كما اورده مؤلفاً : « اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي<sup>(٣)</sup> : إن امبراطورية السلب والنهب الراسمالية، توشك ان تنهار والارض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً .

---

(١) لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع الى دكتور رؤوف شلبي في كتابه «التضليل الماركسي» الصادر عام ١٩٧٥ القاهرة - ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) الشيخ محمد الغزالي «الاسلام في مواجهة الزحف الاحر» . المكتبة العصرية - صيدا بيروت ص ١٣٠ .

(٣) : « علي جريشة، محمد شريف الزبيق » اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ، دار الاعتصام - بيروت ص ١٩٧٧ .

وفي وجه هذه الأحداث الجسام نتيجة انظارنا اليكم انتم يا مسلمي روسيا والشرق ، انتم من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق انتم له اهل . ايها الكرتمير، والساريتون في سيبيريا وتركستان . . ايها التتر والاتراك في القوقاز ، انتم يا من انتهكت حرمت مساجدكم وقبوركم ، واعتدى على عقائدكم ، وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم ، ستكون حرية عقائدكم ، وعاداتكم وحرية نظمكم القومية ، ومنظمتكم الثقافية مكفولة منذ اليوم . . لا يطغى عليها ، ولا يعتدي عليها معتد : هبوا اذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم ، فانتم احرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل . . وهكذا استمر البيان الكاذب المخادع ، الى ان جاء فيه :

ايها الرفاق . . ايها الاخوة ، لتتقدم سوياً في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي ، ان رايتنا ، تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في ارجاء العالم . ايها المسلمون في روسيا . . . ايها المسلمون في الشرق ، إننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدي بالعالم الى بعث جديد نتطلع اليكم لنلتمس عندكم العطف والعون؟؟ .

وما ان وقفت الثورة الحمراء على قدميها ، وبدأت لغة الدم والحديد والنار تعمل عملها ، فان الدعوة المخادعة التي رفعت كاذبة دعوة الحرية للشعوب المظلومة ، وجهت جيوش الابداء نحو : القرم وتركستان حتى تمكنوا بالفعل من إبادة نحو مائة الف مسلم في بلاد القرم عام ١٩٢١ م حين ماتوا جوعاً .

وفي الفترة من عام ١٩٣٢ - ١٩٣٤ م فقط قام الجيش الأحمر، فاستولى على المحصول الزراعي في تركستان حتى مات بالجوع ثلاثة ملايين مسلم ، في ظل كذب الحزب الشيوعي ، الذي خدع المسلمين في بيان الحرية المكفولة والنظم القومية المأمونة .

يقول الدكتور رؤوف شلبي في كتابه « التضليل الماركسي » بلغ عدد المساجد التي هدمها الشيوعيون في تركستان ٦٦٨٢ منها المسجد العظيم الأثري « مسجد كالان » في مدينة بخارى ، ومسجد « كنه جامع » في مدينة (فوقان) وقد صودرت

المساجد، وحولت الى .. مشارب ونواد ، واصطبلات ، كما حول جامع سمرقند الى نادي للملحدين .

هذا وقد صدر في عام ١٩٣٢ م بيان شيوعي من بين ما جاء فيه :  
« . . . في اول ايار مايو سنة ١٩٣٧ م لن يبقى في كافة البلاد مكان للعبادة ،  
يجب القضاء على فكرة الإله - سبحانه الله - التي هي من بقايا القرون الوسطى  
المظلمة !!

ومن هنا رأينا سياسة الشيوعية يلجأون الى سياسة تجويع المسلمين بالاستيلاء  
على محصلهم ، ومنتجاتهم ، ثم قتل زعمائهم الدينيين .

وقد اورد الشيخ محمد الغزالي ، اسماء مجموعة من العلماء الذين قتلتهم  
الشيوعية في مواجهتهم للعدوان الأحمر في كتابه « الاسلام في وجه الزحف الأحمر »  
من بينهم القاضي المسلم والمفتي والامام والمدرس ، وغيرهم ، ممن يقومون على امر  
المسلمين ، بالتوجيه والتربية والاعداد .

ومن يطلع على ما كتبه المؤلفان : « شانال لمربية كللجي ، والكسندر بينفسن »  
في مؤلفهما : « المسلمون في الاتحاد السوفيتي »<sup>(١)</sup> ، يقف على جزء من الجهود المكثفة  
والحملات المتتابعة التي تقوم بها أجهزة الشيوعية كتعبير عن العقيدة المادية في حربها  
ضد الاسلام ، فبالاضافة الى الأعمال العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ضد  
المسلمين فقد أنشأت الشيوعية منظمات فكرية وثقافية ، برامجها وخططها ، واعداد  
العناصر القيادية التي تقوم عليها من أجل الحرب الطويلة المدى ضد الاسلام؛  
ويكفي ان نعلم أن منظمة : « اتحاد من اله لهم » قد نظمت في أوروبكستان عام  
١٩٥١ م أكثر من عشرة آلاف محاضرة ضد الاسلام . . . وفي عام ١٩٥٥ م طبعت  
المنظمة ذاتها اكثر من سبعين كتاباً في حوالي ٨٠٠,٠٠٠ نسخة وزعتها على المقاطعات  
الاسلامية بهدف وأد روح الجهاد في المسلمين .

(١) : الكتاب من ترجمة « احسان حقي » في عام ١٩٧٧- طبع مؤسسة الرسالة - بيروت .

هذا وتطارد الشيوعية المسلمين حيثما صاروا ، ففي عام ١٩١٧ م كان عدد سكان القرم أكثر من خمسة ملايين مسلم ، تناقصوا في أقل من عشرين عاما ، بحيث لم يعد عددهم يتجاوز الأربعمئة الف نسمة .

وفي عام ١٩٣٤ قتل الشيوعيون في تركستان مائة الف مسلم ، كان معظمهم من القيادات الاسلامية ، فضلاً عن العلماء المفكرين . . وهكذا استمر موقف الشيوعية منذ أكثر من ستين عاماً ، وهي تبدل وتعديل في أساليب مقاومتها للاسلام ، مستغلة في ذلك كل الأساليب في جميع المجالات . ومن هذا العرض الموجز ، تتضح ابعاد زيف الدعوة التي انطلقت في بعض بلاد المسلمين ، حول علاقة الشيوعية بالاسلام . ويكشف الأستاذ الدكتور محمد شامة في البحث العلمي الذي قدمه لمؤتمر الفقه الاسلامي الذي نظّمته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية زيف هذه العلاقة المدعاة فيقول : في يناير سنة ١٩١٨ كونت موسكو لجنة مركزية اطلق عليها اسم : « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » وأولتها رعاية خاصة ، فمنحت الحماية الكاملة ، ودعمت بالأموال اللازمة دون حساب .

وقد حصرت مهمة هذه اللجنة في بادئ الأمر في شئون المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي ، ولكن سمح لها فيما بعد بتوسيع دائرة اختصاصها ، لتشمل المسلمين في أرمينية فأصبحت - او شعرت - بأنها مسئولة عن تيسير شئون الدين الاسلامي في هذه المنطقة ، وبهذا تدخلت هيئة سوفيتية لأول مرة دون مداراة او موارة في مسائل تتعلق بشئون اقليم يقع خارج حدود الاتحاد السوفيتي . ثم خطت الحكومة السوفيتية خطوة اخرى ، فأوحت الى هذه اللجنة ان تدعو الى عقد مؤتمر في ديسمبر سنة ١٩١٨ وكان الهدف الاساسي من وراء عقده ان تتوصل الدعاية السوفيتية الى انشاء خلايا لها في العالم الاسلامي ، ففي اثناء انعقاد المؤتمر ، تكونت «رابطة تحرير الشرق» ووضع برنامج عملها في مذكرات تحت عنوان : « الشرق والثورة » .

دب النشاط في « رابطة تحرير الشرق » فأُسست في عام ١٩٢٠ مدرسة عليا في

طشقند ، لتخريج الطلائع الثورية في الشرق إذ يدرب في هذه المدرسة حملة سياسة البلشفيين في العالم الاسلامي ، فيتعلمون كل الأساليب الثورية ، ثم يرسلون الى كل الاتجاهات في منطقة العالم الاسلامي ، للاعداد للثورات التي يقف الاتحاد السوفيتي من ورائها ، ويدعمها بالمال والسلاح .

أراد الماركسيون في الاتحاد السوفيتي أن يمهّدوا الطريق امام أذناهم داخل العالم الاسلامي ، فدعوا الى عقد مؤتمر لشعوب الشرق في باكو ، وكان ذلك في خريف عام ١٩٢٠ ، ووجهت الدعوة الى اكثر من ٢٥٠٠ عضواً من كل بلاد العالم الاسلامي فلبى الدعوة اكثر من ١٨٠٠ عضواً الى روسيا السوفيتية والى اهدافها في المؤتمر ، فقد انقسم الشرقيون فيه الى مجموعتين ، واجهت احدهما الأخرى : مجموعة شيوعية ، وكانت ترى أن التمهيد للثورات الوطنية في الشرق الاسلامي يمثل مرحلة على الطريق الى الثورة الاشتراكية أما المجموعة الثانية ، فرحبت باعتراف السوفييت بالثورات الوطنية ، وتأييدهم لحركات التحرير في الشرق ، وفيما عدا هذا يجب ان تتعد هذه الثورات عن الأفكار الثورية الاشتراكية التي تطبقها روسيا داخل اقاليمها ، ولم تكن روسيا بالنسبة لهؤلاء سوى طريق ، يساعدهم على التخلص من الاستعمار .

كذلك رفضت فكرة المقارنة بين الاسلام والاشتراكية ، التي أعلنها الشيوعيون على المؤتمر ، وهي .

« . . . كما أن الاسلام يدعو الى المساواة بين أتباعه ، ويؤاخي بينهم ، كذلك يضم برباط أخوي ، كل اولئك الذين يؤمنون بالنظام الاشتراكي البلشفي الذي يدعو الى المساواة ، والذي يشبه النظام الاسلامي .

وهذا الكذب السوفيتي القائم على الخداع في مقارنة الاسلام بالاشتراكية رفضه المشتركون في المؤتمر رفضاً باتاً ، وكان لرفض المشتركين في هذا التحليل ، أثره السيء على السياسة البلشفية تجاه الشرق الاسلامي ، وعلى المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي ، إذ كان حكام روسيا البلشفية يتصرفون معهم بتحفظ حتى لا تنكشف

مجهوداتهم السرية في العمل ضد الاسلام في العالم الاسلامي ، ولكن بعد أن فشلت سياسة البلشفيين ، وتحطمت محاولاتهم في تقريب الثورات الوطنية من الاتجاه الاشتراكي ، تغيرت سياسة الحكومة السوفيتية تغيراً جذرياً تجاه المسلمين .الذين يعيشون داخل الاتحاد السوفيتي ، فسقطت أقنعة التسامح الديني وزيف البيان الشيوعي ، فأغلق عدد كبير جداً من المساجد ، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بلغ عددها حتى عام ١٩٣٣ ما يقرب من ٨٠٪ من العدد الكلي للمساجد . . وزيادة في جرح مشاعر المسلمين . . لم تهدم أبنية المساجد بل حولت الى مدارس للحاد ومسارح للعبث ، ودور للخيلة - سينما - ونواد وغير ذلك . . وقد تحول إبان هذه الموجة العاتية مبنى المدرسة الاسلامية العليا في سمرقند الى متحف للحاديين الذين ينكرون وجود الله . وطبقاً للتقديرات المتحفظة لأن الاتحاد السوفيتي كما هو معروف عنه يفرض رقابة شديدة على الانباء التي تخرج عنه . . وحتى لا تتسرب أنباء الاستهانة السوفيتية بمقدسات الاسلام الى العالم الاسلامي ، ومع ذلك فقد عرف العالم ، أنه لم يبق للمسلمين في بخارى حتى عام ١٩٣٣ ، من مساجدهم سوى عشرة في المائة فقط وقد كان عدد مساجدهم قبيل الثورة الحمراء يزيد على الأربعمائة مسجد .

حاولت جمعية الملحدين في الاتحاد السوفيتي أن تنشر تعاليمها في المناطق الاسلامية في روسيا واستماتت في نشاطها، للحصول على اتباع من المسلمين، ولكن المسلمين بدوا محصنين ضد دعاية هذه الجمعية ، ومما هو مؤكد أن اعضاءها مارسوا - وما زالوا - يمارسون حتى الآن معهم كل الاساليب بما فيها استعمال القوة المسلحة ، ومع هذا فقد ظل نجاح هذه الجمعية ضئيلاً جداً ، ليس له وزن .

ومن الجدير بالذكر أن « مبشري » او بمعنى أصح « مضلي » جمعية الملحدين لاقوا من المسلمين عنتاً أكبر ، ومقاومة اعنف ، مما لاقوه من المسيحيين . . ولا يزال المسلمون في الاتحاد السوفيتي - رغم كل الخداع الاعلامي - يتعرضون اليوم لأساليب التهديد المختلفة ، لأنهم يؤمنون بالاسلام ، ويطبقون تعاليمه حتى وان كان ذلك في خفية عن أعين رقباء النظام الماركسي .

نشرت جريدة «الأخبار» في القاهرة في عددها الصادر يوم ١٧ / ٧ / ١٩٧٤ م

ما يلي :

« موسكو - رويتر : ذكرت الأنباء الصحفية التي وصلت الى موسكو اليوم ، أن عدداً من الأعضاء العاملين في الحزب الشيوعي بمنطقة قوقازية نائية ، قد طردوا من الحزب بسبب مشاركتهم في الاحتفالات الدينية الاسلامية .

وفي تقديري الخاص أن صحة وحقيقة النبأ كان يجب ان يصاغ على النحو التالي : « . . . . إن عدداً من الأعضاء العاملين في الحزب الشيوعي بمنطقة قوقازية نائية ، قد اعدموا ، بسبب سكوتهم على الاحتفالات الدينية الاسلامية «ونحن نميل الى هذا التصور في هذه الواقعة ، وذلك بسبب تكرار مثل هذا الاسلوب السوفيتي ، تجاه اي تقصير يروونه في حق الحزب والعقيدة الشيوعية .

### الهجوم الماركسي على الاسلام :

لا يختلف المراقبون والمتابعون لعداء الشيوعية للاسلام في أنه منذ تسلم زعماء الثورة الحمراء ، او من يسمون بالبلشفيك زمام السلطة ، وهم يجهرون بعداوتهم الشديدة للاسلام ، وحتى في تلك الفترات القليلة التي كانت فيها القيادة الشيوعية ، إزاء تصفية بعض الحركات القومية ، وحاولت فيها أن تبدي اهتماماً بتصفية المسلمين من جميع اهتماماتهم ، ودفعهم واهمة فيما تصورته الى احضان الشيوعية ، واضطرت ازاء ذلك ان تهادن المجموعات المسلمة ، لم ينس المسلمون ولو لحظة واحدة ، إن عدوهم الأول هم الشيوعيون ، وذلك بسبب نوع الممارسات وتصدوا للأساليب التي اتبعها الشيوعيون في مقاومة المسلمين وتصفيتهم ، وبالفعل فإن المسلمين قد أبلوا بلاء في مواجهة اعدائهم منقطع النظر .

وعلى سبيل المثال ، يذكر المتابعون والمعنيون عمليات العداء الشرس الذي شنه الشيوعي المدعو « دينبكين » القفقاسي في شهر ايار «مايو» سنة ١٩١٩ ، حين قاد حربا شرسة ، واشتبك بالفعل في معارك دموية مع القوات الاسلامية ، التي كان

يقودها الشيخ «اوزون حاجي» أدركت القيادة الشيوعية في هذه المعارك التي شنها الجيش الأحمر، أن الثمن الذي يدفعونه في مفاوضاتهم المسلمين على قلة ما في أيديهم أصبح باهظاً .

أما عن أذربيجان ، فكانت المقاومة ؛ أشد والتضحيات التي قدمها المسلمون أكثر ، واشد ما لقيت السلطة المركزية من صعاب ، كانت في تركستان ، إذ أن السياسة الاستعمارية التي مارسها السوفيت ضد المسلمين ، اوقدت روح الجهاد في قلوبهم ، وقد بلغت التضحيات التي قدمها المسلمون في تركستان ذروتها في عام ١٩١٨ ، حتى كاد جهاد المسلمين وعظيم تضحياتهم أن يقضي على سلطان الحكومة السوفيتية ذاتها .

وعلى صعيد البدايات المتقدمة التي حمل فيها الشيوعيون على الاسلام ، يقول مؤلفا : «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» في ٣٢ كانون الثاني ١٩١٨ صدر عن مفوض الشعب في الجمهورية الروسية مرسوم ، يتضمن النظام الاساسي للمنظمات الدينية ، بشأن حرية الضمير ، وحرية المجتمع الديني وقد اعلن هذا المرسوم ، فصل الدولة عن الكنيسة فصلاً تاماً كما أعلن تأميم المنظمات الدينية ، وعهد بتطبيق وتنفيذ هذه التدابير الى الشيوعيين ، ولما لم يكن هؤلاء ميالين لمسايرة عواطف المسلمين افسحوا المجال للبلشفيك بالاعتداء على المسلمين ، فهدموا مساجدهم ، وقتلوا علماءهم رمياً بالرصاص .

وفي تركستان حيث قامت الثورة على أيدي الروس ، فقد ارتكبت السلطات السوفيتية المحلية سنتي ١٩١٨ - ١٩١٩ من اعمال العنف والوحشية ، ما أثار المسلمين الذين ردوا على فصائل الفرسان اعداء الدين الذين دفع بهم الشيوعيون في طشقند ضد المسلمين ، وردوا على اعتداءاتهم على الأملاك الاسلامية رداً عظيماً ، في حرب دينية كادت تقضي على النظام السوفيتي الجديد في آسيا الوسطى .

وحيثما اعادت حكومة موسكو سلطتها على طشقند في حزيران سنة ١٩١٩ كان همها الأول ، وضع حد لسياستها المكشوفة التي مارسها ضد المسلمين ، والتي

كلفتها الكثير فأعيدت المساجد الى المنظمات الاسلامية كهدنة ريشا تجمع القيادة الشيوعية نفسها وتسيطر على باقي المناطق، مثل: بلاد البشكير والقفقاس والقيرم وعلى الرغم من أن موسكو ظلت مصممة على القضاء على الدين الاسلامي، فانها اقتنعت بعدم استطاعتها بلوغ هذا الهدف بسرعة، فاتبعت سياسة النفس الطويل للقضاء على الاسلام، وخاصة في الفترة من ١٩٢١ - ١٩٢٧ م حين بدأت الحملة على التشريع الاسلامي، وتصفية كل الأوقاف الاسلامية.

وما أن جاء عام ١٩٣٠ م حتى قضت حكومة موسكو عملياً ونهائياً على الموقف الاسلامي، وبذلك حرم رجال المساجد من أسباب رزقهم، كما حرمت المدارس الاسلامية من مواردها.

يقول مؤلفا « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » في التعليق على هذه الأساليب التي شنها الشيوعيون ضد المسلمين: ان حرمان المسلمين من قوتهم الاقتصادية ومن امتيازاتهم الزمنية، كان عملاً سهلاً نسبياً، ولم تجد الحكومة السوفيتية اية مقاومة ذات بال حينما اعتدت على الأوقاف والمحاكم الشرعية، لأن هاتين المؤسستين، كانتا عشية الثورة في حالة انهيار بينما كان نظام المدارس الدينية الذي اصلحته وجددته في نهاية القرن التاسع جماعة «الجديد» لا يزال في ابان قوته، وكان يوجد في روسيا، باستثناء امارتي بخارى وحيوه التابعتين لها ٥,٠٠٠ مدرسة تابعة للجديد، بالاضافة الى ما كان يوجد على الطريق القديمة وهي أكثرها عدداً، إذ كان يوجد في حكومة تركستان العامة وحدها ٢٩٠, ٧ مدرسة ابتدائية، يرتادها أكثر من ٧٠,٠٠٠ تلميذ، و ٣٧٥ مدرسة ثانوية يرتادها ٩٠,٦٠٠ طالب، ولم يكن يوجد في تركستان في التاريخ ذاته الا ٩٧ مدرسة علمانية روسية تضم اقل من ٣٠٠٠ تلميذ، وهذه المدارس سواء أكانت تابعة للجديد، وموجودة في الفولغا الوسطى والقرم، أم كانت مدارس محافظة موجودة في اواسط آسيا وفي شمال القفقاس، فقد كان لها تأثير كبير وقوي في المجتمع الاسلامي، ولولا أن سبق البلشفيك ودمروها لما استطاعوا أن يكيّفوا الشكل السوفيتي.

كان الزعماء الشيوعيون وعلى رأسهم لينين ، يعادون التعليم الديني عداء شديداً ، إذ يعتبرونه وسيلة الثقافة الاقطاعية والكهنوتية والبرجوازية ، ولذا فقد كانت باكورة اعمالهم التشريعية في النظام الجديد مرسوم ٣٢ كانون الثاني عام ١٩١٨ بشأن حرية ضمير المجتمعات الدينية الذي تمنع المادة التاسعة منه التعليم الديني في المدارس . وقد طبق هذا المرسوم فور صدوره في المناطق الروسية الخالصة مثل بلاد التتر والبشكير ، واهمل في شمال القفقاس وتركستان ، لأن البلشفيك كانوا خلال سنوات الحرب الأهلية الحالكة ، منهمكين في الحرب من أجل بقائهم ، فلم يفكروا بانشاء شبكة مدرسية جديدة ، تستطيع ان تحل محل النظام المدرسي الاسلامي .

وقد أصاب النظام المدرسي الاسلامي في آسيا الوسطى خلال اضطرابات ١٩١٨ - ١٩١٩ ضربة مريعة ، ثم جاءت مصادرة الأوقاف في آسيا الوسطى فأضعفت كثيراً من قدرة هذه المدارس ، وانفسح المجال امام ظهور المدارس الروسية التي ما لبثت ان اخذت تتكاثر بسرعة ، اذ كان يوجد منها سنة ١٩٢١ في تركستان وحدها ١,١١٧ مدرسة تضم ٩٧٠, ٨٩ تلميذاً مسلماً ، ولما لم يكن بمستطاع هذه الجهود المبكرة ان تستمر في نشاطها لعدم توفر الوسائل المادية ، فقد هبط عدد المدارس الروسية في تركستان وأصبح سنة ١٩٢٣ لا يزيد على ٦٧٨ تضم ٣١,٠٠٠ تلميذ مسلم فقط ، فتراجعت الحكومة السوفيتية أمام هذا الاخفاق ، وصدر في كانون الأول ١٩٢٢ مرسومان عن جمهورية تركستان السوفيتية ، يقضيان باعادة فتح المدارس الدينية الاسلامية ، واعادة حق التمتع بريع الأوقاف إليها ، ولكن هذه المدارس وضعت تحت اشراف دقيق من قبل السوفييت المحلي ، اعتبر أن هذا الحل كان مؤقتاً لأن البلشفيك المحليين كانوا مثل السلطات المركزية في موسكو اعداء الاسلام ، ولا يخفون كراهيتهم الشديدة للمدارس الدينية كما انهم لا يخفون عزمهم على تصفيتها حينما تسمح لهم الظروف بذلك . . ولذا فان حياة المدارس الاسلامية لم تعد بعد ذلك الا سلسلة من الانحدار ، وفي سنة ١٩٢٧ اختفى من تركستان ما بقي من مدارس دينية ، ولم يبق في بلاد البشكير والقرم الا ٢٥٠ مدرسة في كل آسيا الوسطى ، وفي السنة التالية قررت السلطات اغلاق ما بقي منها ، ومنذ تلك اللحظة

لم يعد التعليم الديني ، إذا كان هناك تعليم ديني يعطى للأطفال الذين هم في سن المدرسة الا سرا .

وبعد ان نجحت هذه السياسة بتجريد المسلمين من قوتهم أصبح بالامكان البدء بتنفيذ المرحلة الثانية ، وهي العمل في سبيل إيجاد مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الأفكار الدينية ، وقد بدأ تطبيق هذه المرحلة بعنف منذ البدء بمشروع السنوات الخمس وذلك بحملة مجابهة على المسلمين ، تقرر تنفيذها في الوقت الذي تقرر فيه مجابهة «الجديد» وتصفية اكثر اعضائه الذين انضموا الى الحزب الشيوعي امثال سلطان غاليف ، غير أن الاسلام في أبنائه كان لا يزال قويا اذ كان يوجد سنة ١٩١٢ في روسيا وحدها ، باستثناء بخارى وخيوه ٢٦٢٧٩ مسجداً يقوم عليها ٤٥٣٣٩ رجلاً من رجال الدين ، ما بين واعظ وامام ومؤذن ، وكان يوجد مركز ديني لكل ٧٠٠ الى ١٠٠٠ مسلم بينما لم يكن يوجد في المناطق الروسية غير مركز ديني ارثوذكسي واحد لكل ١٠ ألف مسيحي ، ولم يتغير في سنة ١٩٢٧ عما كان عليه في سنة ١٩١٢ م .

وقد شنت الحملة على الاسلام في وقت واحد ، كل من المدارس والحزب ، والكومسومول ، وبصورة خاصة اتحاد من تنظموا تحت «من (لا اله لهم) . الذي انشئ سنة ١٩٢٥ وكان هذا الاتحاد في البداية ، خاصاً بالروس ولم يكن يضم سنة ١٩٢٦ في مؤتمره الأول الاست قوميات ، ثم أخذ يمتد الى المناطق الاسلامية تحت «من لا اله لهم» ولم يكن اتحادهم هذا يضم في اذربيجان سنتي ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ الا ١,٢٠٠ الى ١,٤٠٠ عضو أكثرهم من الروس وفي سنة ١٩٢٨ ارتفع هذا العدد الى ٣٠٠٠ نسمة ثم اخذ عدد الملحدين ، يزداد بسرعة مذهلة بحيث اصبحوا سنة ١٩٣١ ٦٧٠٠٠ نسمة ، وارتفع هذا العدد سنة ١٩٣٢ م الى ٧٠,٠٠٠ نسمة ، وقد ازداد عددهم في الجمهوريات الاسلامية الأخرى زيادة كبيرة .

وهكذا فقد كانت السلطات السوفيتية تسيطر على تنظيمات كثيرة ، وان لم تكن فعالة ، للقيام بالدعاية ضد الدين في بلاد الاسلام ، وقد بدأت حملتها بحذر

متجنبة أن تصطدم بالجوهر، بل اكتفى الدعاة في بداية الحملة، بأن يهاجموا المذاهب والعبادات . ومثال ذلك ان الدعاة اختاروا في أذربيجان أن يكون هدفهم مراسيم الموت ، ومراسيم عاشوراء ، والتي يحتفل الشيعة فيها بذكر مقتل الامام الحسين في كربلاء فيكون ويندبون ويجلدون فيها انفسهم ، وكان اصلاحيو «الجديد» قد استنكروا هذه العادة السيئة منذ سنة ١٩١٧ على اعتبار أنها تخالف أحكام الشرع وفي ٢١ آب ١٩٢٣ م أصدرت جمهورية اذربيجان مرسوماً بمنعها، فاتخذ الشيوعيون هذه الذكرى وسيلة لحملة شديدة استمرت من سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٨ ولكنها لم تأت بثمره، واتخذ الشيوعيون رجال الدين الاسلامي هدفاً لحملة ايضاً ، وعتوهم بظفيليات المجتمع وكل هذه الأمور التي تركزت حولها الحملات الأولية غير المباشرة لم تغير شيئاً ولم تأت بجديد ، لا سيما وراء القفقاس وكانت الدعاية الرسمية تسعى في بداية الأمر الى الخط من أقدار علماء الدين في نطاق علمهم، وتتهمهم بالجهل، وعدم فهم القرآن وعدم معرفة احكام الشرع ، ومن ثم تتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين ، ثم تطورت حملة التحقير رويداً رويداً، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة ١٩٢٦ بالرشوة والسرقه والاجرام ، وأخيراً بسوء السيرة ، وسوء الخلق ، وبعد سنة ١٩٢٨ م قررت السلطات السوفيتية أن تبديل حملاتها غير المباشرة بحملات مواجهة، بل وأن تهاجم الاسلام في جوهره وصميمه . . ولا تزال هذه الحملات مستمرة وحتى اليوم .

### موقف الماديين من الاسلام لم يتغير:

ينخدع البعض من الدعاية الشيوعية، ويرى أن المجابهة التي تعرض لها المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، كانت بدوافع اقتصادية بالدرجة الاولى ، وأن الحرب ضد القوميات والتجمعات كانت وراء الحروب التي شنها الشيوعيون ضد المسلمين<sup>(١)</sup>.

(١) : معظم انتاج اليساريين الفكري . اذا ما جوهرها بهذا التاريخ الشيوعي الأسود والدامي ، فانه يدور حول هذا الخداع لتبرير المظالم الوحشية التي لقيها المسلمون هناك .

وهذا الرأي في الواقع مضلل مخدوع ، أو مغرض آثم فالحقيقة : هي ان الشيوعيين اعداء حقيقيين للدين ، وللإسلام على وجه الخصوص باعتباره يشتمل على نظام نقيض النظرية الشيوعية وقد يبدو للعيون أنهم لا يهتمون الا بالناحية الاقتصادية ولكن هذا ليس بصحيح ، انهم يراقبون النواحي الثقافية والعلمية ، مراقبة تامة ، حيث يعتقدون ، بعدم صلاحية الدين للمسايرة مع الشيوعية ومن هنا يحذرون الإسلام تماماً وينظرون اليه عدواً حقيقياً للشيوعية ، يقف حاجزاً في طريق برامجهم ، وهم لا يكتفون كفرهم بالدين ، بل يريدون قهراً من كل الناس أن يكفروا بالدين وفي كتاب «الف باء الشيوعية» يقول صاحبه : لابد من الأخذ بالحزم ، والصبر في جهادنا ، ضد الرجعية الدينية لدى الشعب لحساسيتهم البالغة ، تجاه الأمور الدينية ، ولا يفيدنا في ذلك الاستهزاء او السخرية أبداً . وقد صور أحد المؤلفين الأمريكيان الموكب الذي اقامه الشيوعيون سخرية بمناسبة عيد ميلاد المسيح ( عيسى بن مريم ) عام ١٩٢٢ فيقول : « رأيت شبابا من الشيوعيون ، ينشدون الترانيم الدينية ، وهي محرفة عن اصلها المسيحي ، على شوارع موسكو ، ووجدت أحد الشباب يصيح وهو واقف على عربة : لا يوجد هناك إله . وليتقدم من يعاقبني إذا كان له وجود ، . . . يقول المؤلف : ورأيت النساء يلوحن له بالصليب ، كلما مر من عندهن في طرقات البلد ، وشهدت امسية هذا اليوم حدثاً ضخماً عند محطة سكة الحديد ، إذا اشعلت النيران في التوابيت الموهومة ، لألهة جميع الأديان ، بينما كانت الخمارات تغص بالراقصين والراقصات في طول البلاد وعرضها .

هذا وينقل عن « انجلز » قوله : لا يعدو الدين أن يكون نوعاً من المصائب الروحية التي يتلى بها العامل المسكين الذي لا يزال يكذب ويكده ، ويرهق نفسه لراحة الآخرين . إن المظلوم اذا اخفق في مساعيه ضد الظالم ، تراءت له فكرة الحياة بعد الموت زورا ووهما ( . . . )

ثم يسترسل عدو الدين ويقول : « . . . ان الدين يعلم المساكين والعمال الذين يعيشون معيشة ضنك واحتقار دروسا في القناعة والصبر ، ويسليهم

بمواعيد عرقوب من جنة ونعيم وعز ورفاهية ، وأما من ينعمون على حساب الفقراء البائسين ، فيرشدهم الى الجود والسخاء ، حتى لا يكفوا عن ظلمهم من جهة ولا يجرمون من دخول الجنة من جهة اخرى «<sup>(١)</sup>

إن هذه العقيدة الملحدة كما هو واضح تتنافى وتتناقض تماماً مع العقيدة الاسلامية التي تقوم على اساس الايمان بوجود الخالق لكل شيء رب العالمين الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ان العقيدة المادية الملحدة مناقضة للفطرة البشرية السوية ولغريزة التدين التي اودعها الله كل انسان .

ان من أهم المقومات الأساسية بل أهمها على الاطلاق . إيمان المسلم «بالله» الذي لا تدركه الأبصار، ان كتاب الله الكريم يطالع الخلق بأول البدهيات التي يقوم عليها إيمان المؤمن : ﴿ ألم : ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويسيرون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما انزل اليك ، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن تاريخ البشرية ، منذ فجره ، وحتى تقوم الساعة ، يشهدنا على امتداد مطامح الانسان ورؤاه ومنازعه صوب الغيب وتجاوز الملموس والمنظور . . . وهذه الرغبة في الامتداد الى ما وراء النسبيات والحواجز المادية ، مركزة في جبلتنا الآدمية ، محفورة في ثنايا فطرتنا ، كحفر الخطوط المتعرجة الثابتة على أهبام كل انسان . . . وإن رفض المادية الاحادية لهذا البعد الغيبي إنما هي عملية تزييف لحقيقة الوجود البشري ، إن الغاء هذا العامل الايماني من قلب الانسان ، الغاء للقدرة الفاعلة والمعطية ، هذه القدرة الايمانية التي لا تخضع لمقاييس الحس وموازين التجربة المادية الملحدة .

---

(١) : انظر « الإسلام والاشتراكية » مسعود الندوي - ترجمة صهيب عبد الغفار عام ١٣٩٩ - ص - ٦٤ - الرياض . رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد .

(٢) : سورة البقرة : الآيات ١ - ٥ .

إن وجدان الناس وعواطفهم وتكوينهم الفطري الأصيل فضلاً عن البدايات الغيبية التي لازمت الناس طوال تاريخهم الطويل تمثل تاريخ الانسان ، فكيف يستبعد الماديون أُلصق المعطيات الانسانية ، التصاقاً بالانسان حتى قبل إرسال الرسل : وهو التشوق للغيب والتعلق به .

يقول الدكتور عماد الدين خليل :<sup>(١)</sup> «إنه مادام هنالك موت يجيء ، فيحسم حياة الانسان على الأرض ، ويكفها عن البقاء والامتداد ، فإن معنى هذا أن يتوق الانسان للتعويض بالخلود ، في عالم آخر باق ممتد لا تقطع فيه ولا غياب . . . إن الأديان جاءت لكي تمنح الانسان معادلة منطقية متوازية ، تمكنه من مجابهة تحديات الموت ، وفق موازين الهية عادلة ، وقيم فوقية شاملة يتجاوز بها الانسان التخبط والارتجال في تجربته الدينية ازاء الغيب .

ان الموت الذي لا يستثنى من واقعه احد ، والذي يحدثنا القرآن الكريم عنه في أكثر من موضع :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ كل نفس ذائقة الموت ، ثم الينا ترجعون ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفان مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة

الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون ﴾<sup>(٥)</sup> .

الموت . . . هذه الواقعة القائمة التي لن يفلت من نزولها احد ، لا يجيء في

---

(١) دكتور عماد الدين خليل : «التفسير الاسلامي للتاريخ» ط دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى

١٩٧٥ م - ص ١٣٤ .

(٢) : الجمعة الآية ٨ .

(٣) : العنكبوت - الآية ٥٧ .

(٤) الزمر - الآية ٣١ .

(٥) : الأنبياء ٣٤ - ٣٥ .

التصور القرآني بمثابة نقمة أو عقاب ينزل على رؤوس الناس ، كما هو الحال في التصور الكلاسيكي الذي يبرز واضحاً في «التراجيديا» اليونانية، إنما هو واحد من تحديات كثيرة في عالم الانسان من أجل ان تبعث فيه التوتر الدائم ، والطموح الدائم للتغلب والتفوق والانتصار، وتمنعه من أن يسلم نفسه للكسل والتراخي والالتكالية التي تقف على النقيض تماماً مما تتطلبه منا الحركة الدائبة والفاعلية المستمرة لتطور الانسان وتقدمه كدوافع أصلية في فطرة الانسان واستعداده . ما رأي قادة الفكر الالحادي فيما يقوله الدكتور عماد الدين خليل في أية من كتاب الله فهم منها دلالتها في توجيه الانسان ودفعه للتقدم . أليس ما يقوله الالحاديون عن الدين أمام اية تلك يدل دلالة قاطعة على جهل الماركسيين بفهم ابسط دلالات الكون فضلاً عن تفسيره .

« إن نزوح الانسان الى الخلود ، وامتداده الى عالم الغيب وتشبثه من ثم بالأديان التي تتجاوز به دوائر المنظور والملموس وحواجز الغرائز والشهوات . . . مركوزة جميعاً ، في فطرتنا، محفورة في تكويننا، وليس كما يرى «ماركس» من أنها محاولة برجوازية ، لاسكات الجائعين وتحذيرهم بالوعد بجنة اخرى موهومة . غير جنة الأرض التي يتنعم بها المالكون ، لأن هذا النزوع الغيبي الديني سبق في التاريخ ظهور الطبقات وتحكم المالكين بالذين لا يملكون . . . وليس كذلك ما يراه «فرويد» من أنها محاولة ، يغطي بها الانسان على عقدة «أوديب» التي تدفعه الى كراهية ابيه ، فيتحول بهذه التغطية الى عبادة ابيه ، والا لكانت عقدة «الكترا» تسوق النساء الى عبادة آلهات مؤنثة ، وليس (الها) يند عن هذا التقسيم البشري النسبي الهائل .

ان النزوع الديني ليس هذا أو ذاك ، إنه أسبق واعمق وأشمل ، من أي تفسير يريد أن يرده الى مقولة نسبية مسبقة لكي يرغمه على معطياتها ، الأمر الذي نجده بارزاً في مناهج الغربيين التي تتضخم في انفعاليتها وتعميتها الى حد الورم والغثيان .

إن القرآن الكريم يحدثنا بشموليته وواقعيته المعهودة عن هذه المسألة ، ويردها الى لحظة الخلق الأول، حيث هذا التقابل الفعال بين الموت والخلود ، بين الفناء

والبقاء» . . . فوسوس اليه الشيطان قال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟

ونحن نعرف جميعاً ماذا كانت النتيجة ، لم يحصل آدم على الخلود ، الا بعد اجتياز تجربة العمل والاختيار والتكليف واثبات الوجود على الأرض ، والتي لا بد لها من نهاية ، والا فقدت مبرراتها اساساً ، ويجيء الموت بمثابة إنهاء للتجربة ، كي يهبأ الانسان بعدها للحساب العادل على ما قدمت يداه .

وهكذا يبرز الموت مرة أخرى ، قيمة ايجابية فاعلة في تاريخ البشرية ، وتحد خضير ، يضع الانسان دائماً في مواقع التوتر والرد والفعل والابداع . . إنه يعيده الى فطرته الاصلية وتكوينه الذاتي لكي لا يركن الى حدسه وغرائزه ، وحدها فيطفو على السطح . لكي يتذكر دائماً أن هنالك قوى اخرى ، وامتدادا يتجاوز القريب الملموس الى الغيب .

وذلك حتى لا يجد الناس أنفسهم في ضياع كذلك الذي يتقلبون فيه بعيداً عن هدى الايمان ، يقول المفكر الاسلامي محمد قطب<sup>(١)</sup> : فحين اشتد طغيان رأس المال فزع الناس ، وقاموا يصارعون ، ولكنهم وهم يصارعون ، كانوا ما يزالون في الجاهلية ، بعيداً عن منهج الله ، ومن ثم وهم ينفلتون من قبضة الطاغوت في عسر شديد وخرج بالغ ، لم يفيثوا الى الظلال الندية ، والظلة المريحة بعد طول العذاب ، وانما تلقفهم على مقربة منهم طاغون آخر ، لا يخفي وجهه بالديمقراطية هذه المرة ، وانما يسفر عن وجهه واضحاً ، فيسمى نفسه منذ البدء ديكتاتورية البروليتاريا .

من ديكتاتورية رأس المال الى ديكتاتورية البروليتاريا من الطاغوت الى الطاغوت بعيداً عن منهج الله .

والتفسير الجاهلي المادي - للتاريخ يدور دورة واسعة ، مع الأسباب والنتائج وصراع المتناقضات الحتمي ليصل الى تفسير الشيوعية وحقيقتها التاريخية المزعومة .

(١) محمد قطب «جاهلية القرن العشرين» دار الشروق عام ١٩٨١ - ١٤٠١ هـ . ص - ١٠٨ .

## العلم دحض المزاعم الاشتراكية

بعد أن كان سائدا في العصور الوسطى في مجال الفكر ، أن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية هي منهج الحياة وفلسفة السلوك العام ، ظهر في أوائل القرن الثامن عشر اتجاه فكري يرى منهجا غير تعاليم طابع الكنيسة كمرجع للمعرفة ، وبدأ ما سمي «بعصر التنوير» في تاريخ الفلسفة الأوروبية وكان من الطبيعي أن تأخذ هذه المرحلة طابعا غير الطابع الكنسي في التفكير، فأخذ في هذه المرحلة الطابع الجماعي لمفكري أوروبا الذين كان من أشهرهم فولتير الفرنسي، وكريستيان وولف الألماني ، وأخذ الطابع الجديد يعتمد على سيادة العقل بتنازع السيادة التقليدية التي كانت للكنيسة الكاثوليكية والتي تصوغ التعاليم والفكر الديني بعد أن فقدت من قبل سلطانها السياسي بالحركات الليبرالية وغيرها ، ثم حدث تاريخيا أن تطورت الخصومة الفكرية في القرن الثامن عشر الميلادي بين الدين والعقل ، وكان من الطبيعي أن الاتجاه الفكري يميل الى إخضاع الدين للعقل وسيادة العقل على الدين بعد أن كان العكس هو السائد .

ونحن في هذه الدراسة لا نريد أن نتعرض للمرحلة الفكرية الفلسفية التي بدأت بالقرن الرابع عشر وظلت متواصلة حتى القرن التاسع عشر الذي ظهرت فيه الماركسية كتيار إلحادي عنيف إنما سنتناول بعض الآراء الفلسفية من التي خاضت حلبة الصراع بين العقل والكنيسة وكان للفكر الماركسي صلة به كأساس تاريخي للاشتراكية .

بادئ ذي بدء في أعقاب عصر التنوير ومن ثماره ظهر في الفلسفة الألمانية على وجه الخصوص واعتبر من المبادئ الضرورية التي لا تقبل الجدل ( مبدأ النقيض ) لأن الفلاسفة الألمان رأوا أن ( مبدأ النقيض ) في الفلسفة يتبع طبيعة العقل وهو خاصية من خواصه ، ومن أجل هذا كان العقل عندهم حقيقيا ، ثم كان المبدأ نفسه حقيقيا حسبما اعتقدوا .

هذا وقد استخدم مبدأ النقيض ثلاثة من الفلاسفة الألمان ، وكان لاستخدامهم لهذا المبدأ الدافع لأن يشمر (ماركس) عن ساعده بعد ذلك ويستعير منهجهم في النظر وينتهي الى ما انتهى اليه .

والفلاسفة الذين استخدموا مبدأ النقيض هم : هيغل ، وفويرباخ ، وفيشته وكان فيشته في استخدامه لمبدأ النقيض ، يرى أن الإنسان إذا تصور نفسه نشأ عن هذا التصور الآتي . . . أي إذا تصورت أي ( أنا ) ، وتصورت ( أنا ) نشأ عنه أن ( أنا ) هو ( أنا ) ونشأ عنه أيضا ما ليس ( أنا ) غير ( أنا ) ، فهنا ( أنا ) ، وهنا أيضا ( ليس أنا ) ، ولكن وجود ( ليس أنا ) طرف الوجود الحقيقي لـ ( أنا ) وإذن ( أنا ) باعتبار أنه ينطوي في ذاته وجود ( ليس أنا ) هو جامع للشيء ومقابله .

وقد ترتب عندهم على منطق (مبدأ النقيض) على هذا النحو أن اعتبروا العقل مستقل تماما عن غيره ، وموجود من أجل نفسه ووجوده هو وجوده هو ، لا وجود غيره . وقد انتهوا الى أن ماهية العقل ، تتضح من العقل نفسه ، وليست مما هو خارج عنه مغاير له . . . فقد اعتبروا أنه لو توقفت ماهية العقل على غيره الخارجي عنه لكان معناه عنده أن ( ليس أنا ) هو نقطة البداية وفي ذلك حسبها اعتبروا إلغاء لـ ( أنا ) فتوقف العقل في توضيح ذاته على غيره لأنه لا معنى لوجود ( ليس أنا ) إلا نفي وجود ( أنا ) ، أي نفي العقل نفسه .

وانتهى فيشته في منطقته على ضوء هذا المبدأ الى أن تصور الإنسان لنفسه لا يجعل إدراك عالم الأشياء لدى الإنسان من إنتاج قوته في التصور فقط . . . بل أنه يؤكد حرية الإنسان في هذا الإدراك ، وانتهى به القول الى سلسلة من القضايا الفكرية ، أي أنه على ضوء حرية الإنسان في الإدراك فإنه عند فيشته غير مجبر على العمل لغيره ، وحرته لا يحددها شيء خارج عن إرادة هذا الإنسان . . . إلى آخر ما وصل اليه ليقرر في نهاية المطاف استقلال العقل في الوجود عن الجسم وعن الغير ، ولتصوير تبعية عالم الأشياء في التصور الى العقل .

أما هيغل فقد اشتغل بالقضايا الفلسفية التي ورثها عن أسلافه الألمان ،

وتصور أن مشكلات العالم تنطلق من شعب ثلاث : دينية واجتماعية وفلسفية ،  
واتضح له - كذبا - أن العالم تكمن متاعبه الحقيقية في فكرة غير متكافئة عن الله . .  
وانتقد هيجل المسيح والكنيسة في فكرتها عن الآله وفي وصفها له بأنه يغير العالم  
ومنعزل عنه . . ونظم فلسفته في ( المطلق ) على أنه روح وقد أعطى لكلمة روح  
معنى مذهبيا متميزا ، ودافع عن تطبيقها على المطلق ، فاستعمل في ذلك مبدأ  
النقيض ، فقد تصور في مجال الفكر أن هناك فكرة أسماها ( العقل المطلق ) ، ولهذا  
العقل المطلق عنده وجود ذاتي أزلي خلق الطبيعة ، وقبل خلق العقل المحدد هذا  
العقل المطلق عنده هو ( الله ) ومنه تنبثق الطبيعة ، وهو يغيرها تماما إذ أنها مقيدة  
محدودة ومتفرقة بينما ( العقل المطلق ) وحده وحدة مطلقة عن كل قيد . وبوجود  
( الطبيعة ) ظهرت أو انتقلت ( الفكرة ) التي في ( العقل المطلق ) غير المحدد فيما  
وجوده محدد مقيد ، فالطبيعة هي خروج الفكرة عن دائرتها الأولى . . . ومن أجل  
ذلك اعتبرها هيجل ضرورة وصدفة في آن واحد وليس فيها حرية واختيار وتعتبر لهذا  
مقابلا ونقيضا للفكرة في العقل المطلق وعنده أنه إذا كان ( العقل المطلق )  
( دعوى ) ، ف ( الطبيعة ) عندئذ مقابل الـ ( دعوى ) .

وهكذا انتقلت الفكرة من المطلق الى المقيد ، أو من النقيض الى نقيضه ،  
وإذن فالفكرة في الطبيعة عنده أيضا تسعى من جديد لتكسب الوحدة التي كانت في  
العقل المطلق ، بعد أن أفتقدتها في تفرق الكائنات ( فالعقل المجرد ) هو نهاية  
الطبيعة المحدودة وغايتها وهو عندئذ جامع الدعوى ومقابل الدعوى .

والعقل المجرد الذي هو جامع الدعوى ومقابل الدعوى هو العقل في صورة  
اتصال العالم بعضه البعض ، سواء ما يأخذ منه طريقه الى الظهور ، أو ما يظهر منها  
بالفعل ، وهذا العقل يتمثل عند هيجل في القانون والأخلاق ، وفي القيم والدين  
والدولة والجمال والفلسفة ، وأن العقل المجرد الذي يتحقق في أي واحد من هذه  
القيم العامة المذكورة جامع لمتقابلين .

- جامع للفكرة في العقل المطلق ، وهو ( الله ) .

- والفكرة في العقل المقيد ، وهو ( الطبيعة ) .

وهكذا انتهى الى أن العقل المجرد ليس له إطلاق ( العقل المطلق ) ولا تحديد « عقل الطبيعة » بل فيه إطلاق بالنسبة الى الطبيعة أو تغيير بالنسبة للعقل المطلق ، ولذا اعتبر عنده : جامع الدعوى ومقابل الدعوى .

أما فويرباخ الذي أرسى قواعد الإلحاد في العصر الحديث فقد كان متميزا عما سبقه من فلاسفة وخاصة أستاذه هيجل الذي ينظر الى : كتاب الفلسفة على أنه لم يقطع الصلة بين الفلسفة والإله الى الحد الذي اعتبره البعض من أنصار مذهب الألوهية ، ذلك أن فويرباخ قد طرح قضية شغلت الفكر الإنساني في أيامه ولا زالت تجر الكثير والكثير من التعاسة لبعض بني الإنسان في العصر الحاضر ، ذلك أنه تقدم بقضية زعم أنها ( تاريخية ) ، وهي القضية التي اصطلاحوا على تسميتها باسم ( تأنيس الإله ) - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - فهو بعد أن رأى البروتستانتية تركز على دلالة الله للخلاص الإنساني المزعوم ، ومذهب تحول الألوهية على العقيدة في الإله داخل الطبيعة . والمذهب التجريبي يحكم على الله - تعالى الله - بمقياس النزعة العملية في الإنسان زعم أن رسالته الخاصة هي تطبيع الروح المطلقة بصورة عامة وانطلاقا من هذا التصور عند فويرباخ فإنه إذا كانت العلاقة الجدلية عند هيجل أن ( العقل هو وحده الحقيقي والموجود فعلا . فإن فويرباخ يقول : أن الإنسان هو وحده الحقيقي والموجود الفعلي لأن عند فويرباخ ما هو إنساني هو وحده العقلي فالإنسان هو مقياس العقل والمطلق بالنسبة للإنسان هو طبيعته الخاصة ) .

وهذه الطريقة يفسر فويرباخ : الدين والله من الطبيعة الإنسانية وميوها . فما يميز الإنسان عن الحيوان عنده هو قدرته على أن يدرك بتفكيره لا الفرد وحده بل النوع بأكمله ، وعقل الإنسان عند فويرباخ مليء بطبيعته الجوهرية الخاصة الى درجة انتهت به إلى اعتبار نفسه كائنا لا متناهيا . . فإذا عرف الدين بأنه الوعي باللامتناهي أمكننا أن نفهم ذلك بوصفه إدراكا للانتهائية وجود الإنسان الجوهرية الخاص ، غير أن العقل لا يرى في البداية أن موضوع عبادته هو ماهية الإنسان اللامحدودة بهذا

التصور يتحرك فويرباخ فالإنسان كما يدعيه فويرباخ يرى طبيعته وكأنها ( خارج )  
نفسه قبل أن يجدها في نفسه وفي الحالة الأولى يتأمل نفسه وكأنها نفس كائن آخر .

ومن هنا يستخلص « فوير باخ » التناقض وعنده أن العقل الديني يبلغ أقصى  
حالات الوعي بذاته ينبغي في زعم فويرباخ أن يكون ملحدا فالإنسان عنده هو الآله  
الحقيقي الوحيد - ونعوذ بالله مما يقول - ولا شك أن فويرباخ كان مغاليا ومنحرف  
الفكر أيضا حين سمح لنفسه أن يضيف طابع المطلق على كل ما يخصص له  
( الديالكتيك الهيجلي ) وظيفة ثانوية . . فبينما كان أستاذه هيجل يقول أن الروح  
المطلقة هي وحدها الموجودة فعلا ، يلتزم فويرباخ بالنقيض ويقول : أن الموجود  
المتناهي المتطور هو وحده الموجود الفعلي . . وهو هنا لا يدرك الفرق بين الدفاع عن  
حقيقة الأشياء المتناهية بإثبات أنها ( ليست ) لحظات في النمرالديالكتيكي للروح  
المطلقة . . . ومن كان فويرباخ من أكبر فلاسفة الإلحاد في القرن التاسع عشر . . .  
فقد انتهى الى اعتقاد أن الحقيقة هي علم الإنسان وأن علم الإنسان هو الدين . .  
وكذلك نظر الى الطبيعة الإلهية على أنها طبيعة الإنسان نفسه وهو يكفر تماما بالحياة  
الآخرة إذ أنها ليست عنده شيئا آخر سوى الحياة الدنيا على زعمه الفاسد بأن الله ليس  
شيئا آخر غير الإنسان .

### عقم الفكر الماركسي :

تعلم ماركس دروس الإلحاد بشكل جاد من فويرباخ فقد حول إلحاد فويرباخ  
من وحدة بين الوعي الذاتي والروح المطلقة ، إلى ما اعتبره ماركس وحدة بين الوعي  
الذاتي والوعي الاجتماعي للبشر . . وذلك لكي ينتهي بالإلحاد الاجتماعي للبشر كما  
يستهدفه في فلسفته الماركسية .

هذا وقد سعى « كارل ماركس » بعد أن تعرف على المنطلق الاجتماعي الى  
استبعاد العقيدة في الآله من الفلسفة ، فاتفق مع « فويرباخ » قلبا وقالبا وإن كان قد  
تأثر به ، وانتهى الى أنه بقدر ما يرفع الناس من شأن الله بقدر ما يحطون من

أنفسهم - حاشا لله - ومن ثم فقد أهاب بالتقوى ، التي يشعر بها الناس نحو الطبيعة ، وبتوقيرهم ، الإنساني للإنجازات الحضارية بوصفها أسبابا كافية في زعمه للإلحاد وكان رأيه أنه من الآن فصاعدا لن يسلم بأي وجود إلهي فيما وراء الطبيعة ، وقال من بين ما قال ( . . إن إلغاء الدين بوصفه سعادة الناس الوهمية ، شرط من شروط سعادتهم الحقيقية ، ودعوتهم الى التخلي عن أوهامهم فيما يتعلق بوضعهم ، هو دعوتهم الى التخلي عن وضع بني على الأوهام . . وواجبنا المباشر هو أن نغيث اللثام عن الاغتراب الانساني في صورته الدنيوية بعد أن رفعنا عنه القناع في صورته المقدسة ، ( وهكذا يتحول نقد السماء الى نقد الأرض ونقد الدين الى نقد القانون ، ونقد اللاهوت الى نقد السياسة ) .

ومثل هذا الكلام المنافي للمنطق والغاية - والذي سبق ماركس في القول به فويرباخ وفيشته كان من اليسير جدا أن ينساه التاريخ الذي اعتمد هو عليه بعد ذلك ، أو أن ينحصر في أحسن الحالات في مدرجات الجامعة أو على الأكثر بين الباحثين ، لو لم يستخدم ماركس ( مبدأ النقيض ) هذا في المجال الاقتصادي الذي جعله يتصل بالجمهور ويصبح له أتباعا وأنصاراً استغل فيهم جهلهم بالمتناقضات في فلسفته ثم استغلت العناصر الماركسية التي جعلت من هذه الفلسفة أداة تضليل للجمهور العامل لكي ينتزعوا بهم السلطة في بلد بعد الآخر . . ثم ما لبث الشيوعيون أن استغلوا الظروف العالمية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر الميلادي والتي خلفها الاستعمار الأوروبي فإذا بهم يقلبون الأوضاع رأسا على عقب في روسيا القيصرية ولكي يجعلوا منها قوة تثب الى آسيا وأفريقيا ، وليأتي العالم الإسلامي وهو المستهدف أصلا من الفلسفات الإلحادية ليكون في مقدمة المناطق التي تقع في مخطط الشيوعية الدولية من خلال التضليل الماركسي للطبقة العاملة بالفكر الذي يحمل في ظاهره الرحمة وباطنه العذاب والهوان .

### سقوط الفكر المادي بين النظرية والتطبيق :

المنطلق الذي بدأ منه ماركس أنه استخدم مبدأ النقيض الذي دار به كل من

فيشته وهيكل في مجال الفكرة المذهبية وحوله هو الى المجال الإقتصادي . وانطلق هو من التصور الخاطيء المفترض بأن كل شيء في الوجود يحمل بذرة تناقضه ، أو أنه يتضمن نقيضه بحيث يهدم نفسه بنفسه . وادعى أن المجتمعات الرأسمالية سبقتها مجتمعات الملوك والمجتمعات الاقطاعية وأنها انهارت لأنها تضمنت عنصر النقيض ، ثم فسّر النقيض هذا بما يدل على قصوره الفكري ، فقد زعم أنه قام صراع بين الملك الذي يملك كل شيء وبين الشعب ، فأدى ذلك فيما زعم الى اضطراب الملك الى اقطاع بعض رجاله اقطاعيات ليكونوا سنداً له ، فتحول الى مجتمع اقطاعي ، ثم زعم أن هذا المجتمع بدوره يتضمن عنصر النقيض ، والنقيض هنا هو : الأجراء عند الإقطاعيين ، وعليه فيما زعم في تفسير التاريخ قد قام صراع بين الأجراء والاقطاعيين ، أدى الى تنازل الإقطاعيين عن الأرض للأجراء ، وتحول الاقطاعيون الى بناء المصانع . فتحول المجتمع الى شكله الرأسمالي ، وزعم أيضاً أن الصراع قائم بين رؤوس الأموال وبين العمال . وسيؤدي حتماً الى أن يملك العمال المصانع وبذلك ستتحول الى مجتمع شيوعي .

وبهذا الاستخدام الكاذب لمبدأ النقيض قدم ماركس أسلوباً خدع به الجمهور العامل ، وتحيلوا أن الماركسية بهذه القواعد تقودهم الى سعادة دنيوية يعيشون فيها اللجنة المزعومة على هذه الدنيا ، ولو دققوا النظر في التجربة التي أثبتت فشل الفكر الماركسي أمامهم لتبين لهم الخطأ الذي وقع فيه ماركس والتهافت الذي تطرحه الماركسية على الناس من الوجوه الآتية :

أولاً :

أثبت التاريخ والبحث العلمي بوثائق وقرارات مدونة أنه : لم يتحول مجتمع الملوك - كما ادعى ماركس - الى مجتمع اقطاعي نتيجة للصراع بين الملك والشعب ، وخاصة أن الصراع هذا لا معدل له ولا نسبة تحكمه ، وإنما أقطع الملك بعض قواده ووزرائه تكريماً لهم على ما قدموه له ولشعوبهم . . والدليل على ذلك أن المجتمع الاقطاعي لم يرقم على أنقاض ما سبقه ، بل بقيت نظم التملك جالسة على عرشه ،

وهذا ما يبطل أول تصور لمسار تاريخ الصراع الطبقي المطلق .

ثانياً :

ثبت عدم صدق وصحة ما ذهب إليه ماركس من أن المجتمع تحول من إقطاعي الى رأسمالي تحت ضغط الصراع بين الأجراء والاقطاعيين ، وإنما لأن الاقطاعيين رأوا أن الصناعة تدر ربحاً أكثر من زراعة الأرض فباعوها للأجراء ، وأقاموا المصانع سعياً وراء الربح الأكثر ، ولا زالت هذه الظاهرة تتكرر حتى اليوم وعلى مختلف المستويات ، فالكثيرون من أصحاب الاقطاعيات الكبيرة وملاك الأرض من الطبقة المتوسطة يبيعونها لمشاريع صناعية وتجارية ، بل أن معظم الفقراء الزراعيين من أصحاب الحيازات الصغيرة يلجأون الى نفس الأسلوب تقريباً ، وهذا ما يؤكد عدم صحة ودقة القول بالصراع في المرحلة ما بين الاقطاع الى رأس المال المدعاة .

ثالثاً :

في مجال التطبيق « لمبدأ النقيض » على المجتمعات الإنسانية قد ثبت بطلان المبدأ والمذهب التطبيقي تماماً ، فطبقاً لقواعد المذهب القائلة بتطور المجتمعات من مرحلة الى التي تليها تحت تأثير عمل ( النقيض ) أثبت الواقع الذي مر بالتجربة الشيوعية في أوسع مجالاتها عكس قواعد النظرية ، فقد كان المجتمع الروسي الذي تأمر أصحاب النظرية عليه قبل ثورتهم مجتمعاً اقطاعياً ممثلاً في حكم القياصرة من آل رومانوف ولم يكن مجتمعاً رأسمالياً ولم يكن خطأ بعض خطوات تذكر في طريق الرأسمالية ، فكيف تحول المجتمع الاقطاعي الروسي قبل الثورة بالثورة الى مجتمع شيوعي دون أن يمر بقواعد ( مبدأ النقيض ) صلب الفلسفة الماركسية ، وجوهر قواعدها . . وهذا بلا شك مما يؤكد عدم اضطراد قواعد المذهب ولا صدقه في المجال النظري وعند التطبيق .

ثم ولا بد هنا من سؤال يوجه الى كل منظري الفكر الماركسي القدامى

والمحدثين ، إذا كان الأمر كما يزعم الفكر الماركسي ، أن كل مجتمع يحمل نقيض وجوده ، وأن التطور أي الانتقال من مرحلة الى التي تليها حتمي ، فكيف يفسرون عدم تحول المجتمعات الغربية في أوروبا وأمريكا الى الشيوعية ، وهي منذ أكثر من ثلاثين عاما في أعلا ذروة التقدم الرأسمالي ، بل وبماذا يفسرون إفلاس الأحزاب الشيوعية في أوروبا وانصراف القيادات العمالية عن عضويتها وتفضيلهم الانتماء النقابي عن عضوية الحزب الشيوعي ، والحزب الشيوعي في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا خير دليل ، فإن الانصراف عن عضويته تمثل إفلاسا حقيقيا لقادة الحزب .

رابعا :

سؤال نظرحه أمام فلاسفة الحزب الشيوعي يتصل بأسس المذهب الفلسفي ، إن كان حقا وصدقا أن التطور هو انتقال المجتمع من مرحلة الى التي تليه ، لأنه على ضوء القول بالنقيض الاجتماعي ، يحمل كل مجتمع نقيضه فما هي أطراف الصراع في المجتمع الشيوعي ؟ وهل لا بد له هو الآخر من أن يطبق عليه قواعد المذهب أو لا ؟ وهل يدور الصراع في هذه المرحلة الشيوعية بين قادة الحزب الذي يمارسون من الظلم والامتيازات والفساد ما لا يتصوره عقل وبين بقية أفراد الشعب الذي أصبح بحكم النظرية لا يملك أي شيء ويعيش في ظل القهر البوليسي ؟ أسوأ حياة أقول : هل يدور الصراع بين قادة الحزب والشعب ، أم أنه لا صراع ؟ إن قالوا بتطبيق النظرية الشيوعية على المجتمع الشيوعي فان مصير النظرية والمجتمع - إن شاء الله - الى الزوال ، وإن قالوا لا صراع ، فقد نقضوا النظرية وأقروا بطلانها لأنها قائمة فيما زعموا على تفسير التاريخ ( مبدأ النقيض ) .

هذا ويستطيع الدارس لنظرية ( التناقض ) أن يرى في كل شيء فيها تناقضا يكشفه الواقع ويصدقه الدليل .

إن الذين يقولون أن التطور في المجتمع مستمر وبغير حدود ، مرحلة تلي الأخرى وهكذا لا يستطيعون أن يجيبوا بشيء إذا ما سئلوا عن المرحلة التي تلي تطور المجتمع الشيوعي ، هل سيعود الى نظام الملك ، ثم الإقطاع وهكذا ، أم سيقف

تطور المجتمعات عند هذا الحد؟ فإن الإجابة بنعم هنا تنقض النظرية القائمة على مبدأ الاستمرار في التطور فهو أساس (النقيض) ، وأن الإجابة بلا ، تقرر أن المجتمع الشيوعي عندئذ غير تقدمي بل يعتبر رجعياً إذا قيس بغيره لأنهم إذا أجابوا بوقوف المجتمع الشيوعي عند حد معين من التطور فقد نقضوا أساسه الماركسي وحكموا عليه بالجمود والتخلف وهذا هو ما تعانيه المجتمعات الشيوعية ولا يجد أصحاب النظرية المتهافة له حلاً أو جواباً .

ويعلق المفكر الاسلامي المعاصر الأستاذ أنور الجندي على خواء النظرية من قواعد شمولية تصمد للتاريخ وللتطور وتنطبق على ما زعمه أصحابها فيقول :

الخطأ الأساسي في نظرية ماركس أنه أقامها في ضوء حالة عرضية لم تلبث أن تغيرت . وقد قامت قبل الماركسية نظم سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تحدث العقيدة الدينية واتهمتها بأنها عائق في وجه الإصلاح ، ثم اندثرت تلك النظم أو تطورت الى نظم أخرى وبقيت العقيدة الدينية قائمة كالطود الشامخ لا سبيل الى تجاوزها في النفس الانسانية ، أو تجاهل أثرها في الحياة الاجتماعية .

ولقد طرحت الماركسية نفسها في العالم الاسلامي وفي الفكر العربي الاسلامي ، ووجدت عوناً من النفوذ الاستعماري الذي استهدف الاستعانة بها على تحطيم الشخصية وبلبلة الفكر وتمزيق مفهوم الإسلام ودفع العرب والمسلمين الى متاهات خطيرة . غير أن مفاهيم الإسلام ما لبثت أن واجهت هذه المخططات وعارضتها ووقفت إزاءها موقف الوضوح ، إذ ما في الإسلام من دعوة الى العدل الاجتماعي يكفي المسلمين ، ولا يحتاجون بعده الى مناهج وافدة ، وهو يحقق لهم المساواة والعزة دون أن يسلب الفرد حريته أو يضعهم تحت الوصاية القاهرة . وأن التجربة الماركسية الشيوعية نفسها لتكشف بوضوح عن عجزها في تحقيق الغايات التي فرضت أنها أساسية في منهجها ، ولم تنجح الشيوعية في إلغاء الطبقات ، بل محت طبقات وأقامت بديلاً منها طبقات جديدة .

لا ريب أن الماركسية لم تلق من الفشل قدر ما لقيت في العالم الاسلامي ،

وان كانت تستهدف بدعوتها تحطيم النظم الاجتماعية التي دعا اليها الاسلام .

ولا زيب أن ابرز ما تدعيه الماركسية كذباً وفشلت فيه ولم يبرز على سطح الحياة الاشتراكية أبداً وهو : القضاء على التفاوت الطبقي وتحرير الانسان من استعباد الانسان هو من أكبر أهداف الاسلام ومن اعظم معطياته ، فليس المسلمون في حاجة الى التماسه في مناهج اخرى ولكن الاسلام يحقق هذا الهدف في اطاره بالايان بالله والتوحيد .

وتاريخ الانسانية كله (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً) يقرر مدى الدور الهام الذي لعبه الدين في تشكيل الأحداث والوقائع ، ويشكف عن الحاجة الضرورية الماسة للبشرية كلها في التماسه ، وما تزال المجتمعات الغربية التي سقطت في براثن المادية تتطلع الى منهج يحقق تكافؤها الاجتماعي ويعطيها الايمان وطمأنينة النفس ويذهب عنها القلق والتمزق ، ولن تجد ذلك كله الا في الاسلام .

ولقد اتجه الاسلام منذ اليوم الأول الى الفقراء والمستعبدين والمظلومين ، فقرر حقهم وأنشأ مجتمعاً يطبق ذلك وينفذه، ونشر دعوته تلك في العالم كله ، ولن يستطيع اي منهج او أيديولوجية بشرية أن تصل الى ما وصل اليه الاسلام . وقد اقام الاسلام ذلك كله داخل نطاق التوحيد ، وفي اطار الاخلاق ، ووفق مناهج الكرامة الانسانية والعدل الاجتماعي ، فهو لم يجعل انظمة الزكاة والميراث وغيرها صدقات ، وانما جعلها اصولاً ثابتة واقعية ، وقد حقق ذلك كله دون ان يريق قطرة دم أو يوقع العالم في صراع دموي ويبقى بعد ذلك ان الاسلام مستمر على التاريخ البشري كله ، بينما تظل النظرية الماركسية علامة انتكاس على مرحلة من مراحل التاريخ البشري ، وان العالم كله الآن يتجاوز الماركسية كأى فكر بشري يبرز، ثم تأتي المتغيرات فتجاوزه . ولقد حاولت الماركسية ان تصحح نفسها مرة بعد مرة ، وأن تضيف وتحذف في محاولة للمواءمة مع التطور والحياة ، وليس كذلك الاسلام الذي يضع الاطار الثابت العميق المستمد من الفطرة والذي يتلاقى مع كل العصور والبيئات .

ومن هنا نجد أن إسلامنا يعطي اعظم وأكمل مما تعطي الماركسية ومختلف المذاهب والايديولوجيات لأنه يقوم على التكامل والارتباط بين القيم ، وعلى أساس الفهم العميق للانسان نفسه ، وعلى أساس كفاءة التنفيذ عن طريق الطابع الاخلاقي والايمان بالله ، والايمان بالجزء الأخرى الذي يثبت قواعد المسؤولية الفردية وضوابط الالتزام الأخلاقي .

ويرى أرنولد توينبي أن الماركسية هي من نتاج الحضارة الغربية وهي تمثل ازمة من أزماتها وانحرافاً في طريقها ويصدق هذا القول إذ أن ماركس لم يكن في الحقيقة يحمل رسالة ولا يدعو لحضارة جديدة بل هو ابن بار للحضارة الغربية صنع نظريته من (الفلسفة الألمانية والاشتراكية الفرنسية والاقتصاد السياسي والانجليزي ) اي عصارة الحضارة الغربية في قمة نموها المادي وفسادها الاجتماعي .

« ماركس يؤمن بالحضارة الغربية بكل قيمها وتاريخها ويعتز بهذا التاريخ ويعتبره تقدماً للبشرية في طريقها نحو النصر الأكبر ويسمى جرائم هذه الحضارة حتمية تاريخية لا يرجعها الى فلسفتها بقدر ما يرجعها الى الضرورات الاقتصادية ، وكل ما يتقدم به ماركس هو حل لانقاذ هذه الحضارة واخراجها من ورطتها .»

أما نحن فندعو لحضارتنا . يقول عمر : كنا نعد المعترض بخيلا ، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو في مكانه .

إن التشريع الذي ينظم به الاسلام المجتمع والاقتصاد لا يستطيع اي منهج بشري أن يصل اليه ، لأنه من عند مبدع الانسان وخالقه ،

ان ثمة طريق آخر غير الرأسمالية والماركسية هو طريق الاسلام الذي يملك تشريعاً مفصلاً في أمور الحكم والاقتصاد والاجتماع يقوم على تكريم الانسان وأخلاقية الحياة ، ولن تستطيع هذه المذاهب أن تعطي الانسان ما يعطيه الاسلام لأنها لا تؤمن به مستخلفا في الأرض ولكنها تؤمن به ترسا في آله ، والعناية بالطبقات الكادحة لا تتم الا في اطار الايمان بالله ووضع الانسان في مكانه الطبيعي : له ارادته

ومسؤوليته والتزامه الأخلاقي ، وله ايمان بالله والتحرك في اطار الرسالة التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ، ولن يستطيع أي منهج اجتماعي أن يعطي البشرية شيئاً خارج اطار الدين والأخلاق ، ولقد حل الاسلام مشكلة العيش ولم يجعلها الا واحدة من قضايا الانسان والمجتمع ، الى جوار قضايا الاعتقاد والتشريع والأخلاق ولن يتأتى تحقيق العدالة الاجتماعية باعلان الحرب على الدين او بمنطلق من المادية الخالصة . ولا بد أن ترتبط قضية العدل الاجتماعي بالاعتقاد القائم على توحيد الله في نطاق ميتافيزيقيا واضحة المعالم ، رسمها الاسلام في القرآن ، وشفى بها النفس البشرية من القلق والتطلع والبحث عن طريق العقل والفلسفات ، وهي التي تستطيع هداية الانسان لأنها تبحث فيما لا يستطيع الخوض فيه .

والعقيدة الدينية الصحيحة لا تنتهي الا بعد تغيير المفاهيم الاساسية عن أسباب الغنى والفقير ، فالبرهم المسؤولون عن الاخلال بالأوضاع الطبيعية التي يعيشون بها ، وهم الذي أقاموا هذا الظلم الواقع على المحرومين والكادحين ، فلنرجع هذا الإخلال من مستوى الحياة التي نحيهاها ، عندئذ يسلم لنا الاعتقاد في الله ، ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وليس المال وحده هو الرزق ، بل هو كل مواهب الله وكل نعم الله على الانسان (الصحة ، القوة ، الجاه ، الغنى ، المال ، الحيلة ، الذكاء) .

نعم ، ليس الاسلام هو المسؤول عن تخلف المسلمين وضعفهم ، ولا عن فقرهم واسرافهم ، وانما هم المسؤولون لأنهم خالفوا شريعة الله التي وضعها للناس .



## الباب السابع

- الماسونية والأسرار التنظيمية .
- محاضر الماسون .
- الماسونية تخطط للماركسية .
- قرار هدم روسيا القيصرية .
- الحرب الشيوعية الماسونية ضد الاسلام .
- الاسلام يتحدى .



## الماسونية والأسرار التنظيمية

كثر الجدل بين المعنيين بدراسة المذاهب والمعتقدات حول هذه القضية والمسماة في الفكر العربي والاسلامي باسم الماسونية . والى عهد قريب كان بعض الناس يقول : إذا كانت الماسونية تنظيماً سرّياً كما يقال . فكيف يمكن الكتابة عنها والتعريف بها . والكاتب رجل من اثنين ، إما ان يكون ماسونياً عاملاً فيها فلن يعطي القارئ شيئاً يفيدُه واما أن يكون غير ماسوني فهو ليس على علم كاف بها ، لكن الذي حدث في ظل متغيرات القرن العشرين الميلادي من تداخل أفكار ونظريات واندحار معتقدات وحلول اخرى محلها ، أدى الى أشياء كثيرة جداً ، منها ان العلم الحديث ، وخاصة بحوث الكيمياء والانثربولوجية والذرة أدت الى نظريات فكرية جديدة منطلقها الحيرة الشديدة التي انتابت العلماء والمفكرين أمام اعجاز نشاط « الخلية » وهذا السر الغامض أمام العلماء الذي يطلق في مجال الخلية (البلوتوبلازم) ازداد معه الامر غموضاً وحيرة ، وفي ظل طرح بعض المعتقدات البالية في الغرب أو العودة الى ما يسمى عندهم (بالعودة الى عصر الايمان ) ارتد كثير من العلماء عن معتقداتهم البالية وانفصل كثير من المنضوين تحت لواء المنظمات السرية عن عضويتها إما بفعل الجماعة نفسها لعدم الثقة في العضو أو لعدم كفاءته ، واما ارتداداً منه عما كان يعتنق ومن هنا رأينا مجموعات من الأدباء والكتاب في الغرب والشرق وقد ضاقوا ذرعاً بالاستمرار في عضويات أنشطة كانوا يمارسونها تحت عوامل كثيرة، ومنذ عصر جمال الدين عندما كتب كتابه الرد على الدهريين

ولويس شيخو في بحوثه (السر المصون في شيعة الفرسمون ) والى اليوم وعناصر كثيرة تحت ضغط عوامل كثيرة انضوت تحت لواء الماسونية وتحت ضغط عوامل اخرى مغايرة خرجوا عليها : ومجموع ما كتب أولئك عن الفكر الماسوني يكفي في التعريف بالملامح العامة والأسس الكلية لهذا التنظيم فاذا ما أضيف الى هذا الاعتبار اعتبار آخر ، وهو أن قادة المنظمات السرية حسب تعبيراتهم الاصطلاحية ( محرفون ) بعض قواعد مذاهبهم وأساليب تعاملها ولا بأس عندهم من الإعلان عنها : كنوع من الترغيب والتخويف والاعلان الغامض ، حتى تتعلق عواطف العامة بالرغبة في محاولة معرفة مكنون هذه الأمور الخفية والمستعصية فيصبح مجال الدراسة حول هذا التنظيم منطقياً ومقبولاً . ويعجبني المدخل العلمي الذي كتبه الاستاذ عبد الكريم يونس الخطيب حول الدلالات التاريخية واللغوية « للماسونية » حيث يقول وهو يلقي الضوء حول الجذور التاريخية لما أحاط بنشأة الماسون وعملهم من ممارسات وأساليب خداع .

الماسونية كلمة غامضة في لفظها وفي معناها كما هي غامضة في الدعوة التي تقوم تحت رايتها ، وهذا الغموض الذي تتحرك في ظلامه هذه اللفظة ، هو مقصود لذاته ، حيث يتعامل بها الناس وهي في هذا القناع الكثيف من الغموض ، الذي لا يرفع السر عنه أبداً ، بل تظل هكذا ملفقة في هذا الضباب ، تغري كثيراً من الناس بالجرى وراءها والبحث عن هذا العالم المجهول الذي ترمز اليه رمز الكهان والسحرة والمشعوذين ، بما يتحدثون به الى الناس ، حيث يكون للفظه او العبارة محامل كثيرة من المعاني المتناقضة المتضاربة ، تذهب بها التأويلات كل مذهب ، لا يردها الى عقل او منطق .

واليهود هم واضعوا هذه اللفظة « الماسونية » وهم الذين عملوا على تجسيدها في صورة هياكل يجتمع الناس فيها من مختلف الأديان ، والمذاهب والمشارب حتى صارت « الماسونية » دعوة من تلك الدعوات الرائجة في جميع انحاء العالم ، فلا تكاد تخلو دولة من دول العالم كله دون ان يكون فيها أعداد كثيرة من المحافل الماسونية منتشرة في جميع مدنها .

فاذا نظرنا الى اللفظة في ذاتها - وإن لم تكن قد عرفت اللغة التي جاءت منها ، ولا الأصل الذي اشتقت منه - وجدنا ان معظم حروفها مشكلة من كلمة «موسى» عليه السلام، المرسل الى بني اسرائيل بالتوراة التي هي شريعتهم محرفة الى اليوم . . فالميم في الماسونية ، هي الميم في موسى ، والألف ، هي الواو منقلبة ، ألفاً والسين هي السين ، والواو هي الواو ، والنون هي النون التي تلحق بياء النسب مثل النون في رباني نسبة الى رب .

هذا في رأينا - هو أصل هذه الكلمة ، قد صاغها اليهود تلك الصياغة الخبيثة لتكون جارية على الألسنة في كل لغة ، ولتحتفظ بهذه الصورة التي يعرفها كل يهودي في العالم ، فحيث ظهر لها وجود في أية جهة عرف اليهود في تلك الجهة انها دعوتهم ، وأنهم أهلها، وحملة رايتها . .

ثم اذا صرفنا النظر جانبا عن أصل الكلمة ، ونظرنا الى مظهرها الخارجي ، وما قام تحت مسماها من هياكل ، وما يجري في داخل هذه الهياكل من أقوال واعمال وجدنا :

أولاً : أن تلك المباني التي اطلق عليها « المحافل » والتي يجتمع فيها المستجيبون ، او المستجلبون لهذه الدعوة الماسونية - قد بنيت على شكل هيكل سليمان ، عليه السلام .

وهيكل سليمان عند اليهود ليس هيكل عبادة وحسب ، وانما هو رمز ملك سليمان الذي يحلم اليهود منذ ذهب هذا الملك ، بعودته اليهم ، وأنهم ينتظرون المسيح المخلص الذي يخلصهم من هذا التشريد الذي رماهم الله تعالى به ، فمزقهم في الأرض ، وألبسهم الذلة والمسكنة ، كما يقول القرآن الكريم : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون<sup>(١)</sup> ﴾ .

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٢ .

لهذا فان اليهود - كما وعدتهم التوراة التي حرفوها - ينتظرون هذا المسيح المخلص ، وقد وقع في أضغاث احلامهم أن خلاصهم لا يكون الا باعادة ملك سليمان على يد هذا المسيح المنتظر ، الذي يجلس على كرسي سليمان بعد أن يبني الهيكل ، ويقيم لهم دولة سليمان من جديد ، ويصبح ملكاً على بني اسرائيل .

وقد جاء المسيح المخلص فعلاً لبني اسرائيل ، كما تنبأت التوراة - في شخص المسيح عيسى بن مريم ، ولكنهم رفضوه حين جاء مخلصاً لنفوسهم من داء الكلب الذي أصابهم بسعار مجنون لجمع المال واسترخاص كل فضيلة ، ومروءة في سبيله . . إنهم لا يريدون خلاص النفوس ، ولا طهارة الأرواح ، ولكنهم يريدون مزيداً من الوحل والطين الذي يغوصون فيه ليصطادوا ما يملأ شباكهم من الذهب والفضة . .

وثانياً : هذه المحافل التي نصبوها في كل مدن العالم ، هي إعداد لاستقبال هذا المسيح المنتظر - في زعمهم - والذي سيحكم العالم ، ويقيم اليهود، ولاة باسمه على كل أمم الأرض . . ان تلك المحافل هي صورة من هيكل سليمان ، صورة مصغرة يجلس فيها حكام اليهود الذين يقيمهم المسيح المنتظر في كل دولة من دول العالم . . اما الهيكل الكبير ، فهو الذي سيقمه مخلصهم بيده مكان الهيكل القديم في الأرض المقدسة وفي المكان الذي فيه المسجد الأقصى . .

هذه هي أحلام اليهود، التي يعملون بكل حولهم وحيلهم لتحقيقها، ولهذا فهم يشيعون الفساد في العالم، ويعملون على إخلاء النفوس والقلوب والعقول من كل معاني الانسانية ، حتى يتحول الناس جميعاً الى قطعان من الحيوانات، يسهل على أية جماعة من اليهود التحكم فيها كما يتحكم الراعي في مئآت وآلاف الأعداد من الأغنام . .

وقد رأينا أنهم استطاعوا أن يقيموا العالم الآن على حافة الهاوية . . فالشيوعية من جانب والرأسمالية من جانب آخر وكلتاها قد طرحت الدين جانباً وعبدت آلهة اخرى غير الآله الواحد القهار ، فالأولى - وهي الشيوعية - تعبد الدولة ، والأخرى - وهي الرأسمالية - تعبد الفرد والمال .

ثالثاً : أما مهمة المحافل الماسونية ، فهي جلب الناس اليها من مختلف الأجناس والأديان ، تحت اسم الاخاء الانساني ، البعيد عن التعصب لأي دين أو مذهب أو وطن أو جنس أو لون ، فان كان ثمة تعصب لشيء فهو الدين ، وان كان ثمة دين فهو دين العالمية - بفتح اللام - اي دين الغيرة على الانسان في كل مكان من هذا العالم .. وربط الناس برباط الأخوة بعيداً عن الدين ، والوطن ، والجنس ..

والدعوة في ظارها - دعوة انسانية - تدعو الى الأخاء ، والتسامح ولكن هذه الدعوة التي تلبس هذا الظاهر السمح الكريم ، تنطوي على سم زعاف قاتل ، لكل من يسوقه هذا الاغراء الى دخول هيكلها ، والتعبد بدينها الذي تدعو اليه .

فاليهود وهم العنصر العامل في هذه الهياكل أو المحافل ، وهم ترجمان الدين الذي تدعو الماسونية الناس اليه - لا يؤمنون بهذا الدين ، ولا يدخل الى قلوبهم شيء منه وإنما هم ممثلون بارعون ، يؤدون هذا الدور الماكر الخبيث الذي يغري المستمعين اليه بالتحلل من معتقداتهم ، وروابطهم الانسانية بمجتمعاتهم وأوطانهم ، في حين أن الممثلين انفسهم مسكون اشد التمسك بالتعصب المستميت لدينهم ولعنصرهم اليهودي وأنهم شعب الله المختار على العالمين .

ورابعاً : ثم أن ما يجري في داخل هذه المحافل هو شيء رهيب ، لا يصدقه عقل ، ولا يقع عليه خيال .. فمن ذلك :

١ - أن الذي يدخل المحفل الماسوني ، يأخذ مكانه اولاً وراء عتبة الباب من الداخل لا يتجاوز هذا المكان الا بعد زمن قد يمتد سنين ، وهو تحت الاختبار الدقيق ، والملاحظة الفاحصة لكل حركاته ، وسكناته ، وانفعالاته ، دون أن يشعر بشيء من هذا الذي يعد عليه انفاسه ، ويرصد كل ما ينطبع على قسامات وجهه من انفعالات

٢ - أن هذا الذي أخذ مكانه على خطوة واحدة داخل الهيكل ، يرى علماً غريباً يمر عليه الى داخل الهيكل ، يغدو فيه الناس ويروحون ، دون ان يهمس أحد بكلمة ، أو يظهر على وجهه أي انفعال من سرور أو انقباض . . وهذا مما يشوقه الى التعرف على هذا العالم المجهول الذي هو على بعد بضعة امتار منه . . وذلك مما يمسك به على الا يبرح مكانه حتى يكشف تلك الأسرار التي ينطوي عليها هذا العالم المجهول: الغارق في هذا الصمت الرميب .

٣ - ثم بين الفينة والفينة يأتي الى هذا المسكين الباسط ذراعيه بالوصيد عند مدخل هذا السرداب - يأتيه من يهمس في أذنه أنه موشك أن يخطو الى الامام خطوة أو بضع خطوات ، فتمتلىء نفسه بالأمال المسعدة التي تدنيه من عالمه الموعود .

٤ - وبين عتبة الباب «وقدس الأقداس» الذي هو قلب المحفل النابض بالأسرار، والذي فيه ينتصب الكرسي المقدس ، الذي يجلس عليه رئيس هذا العالم الصغير ، بين هذين المكانين قد يقطع المرء سنين طويلة ، دون ان يبلغ مشارف « قدس الاقداس » هذا او تقع عليه عينه . . وانما حسبه أن ينتقل من باب الى باب ، ومن حجرة الى حجرة ، مترقياً من سلم الى سلم ، ومن درجة الى درجة بين اعضاء المحفل ، حسب ما يبدو من اجتهاده واخلاصه ، وحفظه للأسرار التي يؤتمن عليها .

٥ - ليس كل من يطلب الانضمام الى عضوية المحفل يجاب الى طلبه ويسمح بالدخول من بابه ، وإنما هناك مواصفات معينة يشترطها القائمون على المحفل لقبول الأعضاء فيه وهذه الشروط لا يعرفها أحد غير القائمين من اليهود على المحفل وهم الذين يختارون الأعضاء ، ويفتحون لهم ابوابه .

٦ - والأعضاء الذين يختارهم القائمون على المحفل هم جماعات مختلفون في المشارب ، وكذا في الأهواء والاتجاهات . . يتخيرهم اليهود من بين رجالات السياسة والاقتصاد ، ومن بين الشبان والشيوخ ، بعد أن يكونوا قد درسوا كل واحد دراسة عامة وشاملة ، لكل ما يدور في نفسه من مطامح وآمال ولكل ما فيه

من صلاحية للدور الذي يعدونه له في الحياة العامة في مجتمعه . .

٧- فمن بين هؤلاء الأعضاء يعد اليهود رجال الحكم في الدولة ، ابتداء من رئيسها الى وزرائها ، وقادة الرأي فيها ، وحملة الأقلام من كتابها وأصحاب الألسنة من دعائها وخطبائها .

٨- وإنه لكي يضمن اليهود إخلاص تلاميذهم لهم ، والاستجابة من غير مراجعة لما يوجهونهم اليه - يعمد اليهود الى اغراق هؤلاء التلاميذ في بحر من الشائعات والفضائح يسجلونها عليهم ، مسموعة ، أو مصورة ، ويحتفظون بها على علم من أصحابها ، وعلى أنها سر لا يذاع ما دام التلميذ على ولائه وإخلاصه لهم ، والا نشرت هذه الصحف المجللة بالخزي والعار ، والتي فيها القضاء النهائي على من تنشر صفحة ، هو واهله ومن يلوذ به .

٩- كل عضو من أعضاء المحفل الماسوني - غير اليهود- واقع تحت هذا التهديد بالفضائح التي زينوها وأغروه بها ، ودفعوه اليها- واقع تحت التهديد بالموت ، إذا هو أفشى سراً من أسرار المحفل التي اطلع عليها ، ولن يعدم اليهود الوسيلة لقتله إن لم يكن بأيديهم ، فبأيد مستعارة مأجورة بعيدة عن اليهود بعدا لا يسمح بأية شبهة تحوم حولهم من هذه الجريمة .

١٠- وبهذا تظل اسرار هذه المحافل الماسونية ، وما يدور فيها من إفساد العقول والضائير- تظل بعيدة عن أن تصل الى الذين هم خارج هذه المحافل أيا كانوا ، وأيا كان مدى الوسائل التي معهم ، او القوة التي في أيديهم . . لأن من دخل المحفل لا يجد فما يتكلم بشيء من أسراره ، ومن ظل في الخارج لا يرى شيئاً .

ان الماسونية هي اخطر اسلحة اليهود لتدمير العالم ، فمن مدارسها يتخرج حكام الدول واصحاب الكلمة فيها ، بعد أن يصنعهم اليهود على أيديهم ، ويجولهم الى دمي لا تتحرك الا بالاشارة منهم .

فاليهود يهدمون الشعوب اولاً بما يشيعون فيها من المبادئ الهدامة كالشيوعية

والمادية، والوجودية، والرأسمالية، ثم يقيمون ثانياً على رأس هذه الشعوب حكماً هم آلات مسخرة في أيديهم، وبهذا يتحكمون في مصائر الشعوب، ويقتربون رويداً رويداً من تحقيق أحلامهم في حكم العالم كله، ذلك أن لم يتنبه العالم لهم، ويضربهم الضربة القاضية، وهو فعلاً ما ينتظر اليهود من بلاء، ونكال يذهب بهم، وبكل ما دبروا، وذلك حينما يخيل اليهم أن الأمر قد تهيأ لهم، وأن الفرصة سانحة لهم للخروج من اجحارهم، ثم انهم إذ يطلون برؤوسهم من تلك الاجحار ستكون القاضية عليهم حيث يأتيهم البلاء من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وعن إيمانهم وعن شيائلهم\* وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. إن أخذه اليم شديد\*.

المفكر والداعية الاسلامي : ( فتحي يكن ) وهو يستعرض المكائد الدولية التي حيكت ضد العالم الاسلامي خلال القرن الرابع عشر الهجري قسم المكائد اليهودي في مجال أنشطتها ضد العالم الاسلامي الى قسمين وحصر أهم القسم أو المجال الأول في الأنشطة التالية :

- ١ - التحالف الإسرائيلي العالمي .
- ٢ - المؤتمر اليهودي العالمي .
- ٣ - الاتحاد العالمي للصحفيين اليهود .
- ٤ - المجلس الاستشاري للمنظمات اليهودية .
- ٥ - منظمة العمل وإعادة البناء .
- ٦ - المنظمة العالمية الاسرائيلية .
- ٧ - المجلس العالمي لليهود الربانيين .
- ٨ - منظمة الصهيونية العالمية .

وهذه هي أهم أساليب العمل اليهودي العلني ضد الإسلام . أما مجالات

العمل أو الواجهات السرية التي نصبها اليهود في مخطط مكائدهم ضد أمة الإسلام .  
فكان من أهمها :

- ١ - الماسونية . والتي نحن بصدد الحديث عنها .
- ٢ - الروتاري . وهو التنظيم الذي يعني العودة اليهودية لفلسطين وإقامة مملكة يهوذا التي تحكم العالم .
- ٣ - نوادي الليونز .

والماسونية التي نحن بصدد الحديث عن مخطط انجازاتها الذي أطلق عليه بعض الباحثين اسم : المقررات أو المحاضر الماسونية أو خطة العمل السري لحكماء الماسون تعتمد هذه المقررات بكل دقة والتزام لكل ما جاء فيها ، وهذه المقررات تكشف عن الجوانب العقيدية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي استهدفتها المخططات الماسونية في خدمة اليهودية العالمية ضد أمة الإسلام .

وبالتدقيق في أهم معالم هذه المقررات الماسونية السرية يتضح أمام المرء أسرار كثير من المآسي والويلات والنكبات التي تحل بديار المسلمين ويقعون في ويلاتها ، وهم في حالات كثيرة لم يكونوا على علم بمقدمات النتائج السيئة التي انتهوا إليها وخاصة في مجالات الغزو الفكري والقهر النفسي ، حين تحاكي أمة الإسلام في بعض أنماط الحياة الغربي الصليبي أو الشرق الشيوعي .

هذا وقد أورد الكاتب المفكر عبد الله التل الذي يتابع ويطارد المخاطر اليهودية بقلمه منذ أكثر من ثلاثين عاما . خاصة المقررات السرية لحكومات صهيون في الملحق رقم ١ من كتابه ( جذور البلاء ) فجاء بمثابة انذار من اليهود ضد أولئك الذي تكيد لهم اليهودية العالمية وتعمل على اقتلاعهم من عقيدتهم ومن على أرضهم .

### محاضر الماسون

يتحدث المحاضر الأول عن غير اليهود وعن كيفية التعامل معهم بشتى الأساليب فيقول :

« اليهودية الماسونية التي لا تقهر . غفلة الجماهير واستغلالها بواسطة تعدد الأحزاب المتعطشة الى السلطة . تشجيع الإدمان على الخمر والفساد لتبديل الأذهان ويصاب الشباب بالعتة . الاستعانة على نشر الفسق والخمر بالمدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء من المسيحيين ، والموظفين ، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو ونساء المجتمع اللواتي يقلدن سواهن في حياة الفسق والترف .

« يجب أن يكون شعارنا استخدام جميع وسائل القوة والرياء . ودستورنا البطش أولاً ثم لا نتردد عن شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلك يخدم قضيتنا .

كنا أول من اخترع كلمات الحرية والمساواة والإخاء التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي . وهي كلمات جوفاء ، لم تلاحظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف بل التناقض الذي يشيع في مدلولها .

« إن شعار الحرية والمساواة والإخاء الذي أطلقناه قد جلب لنا أعوانا من جميع أنحاء الدنيا . وأساءت هذه الكلمات الى الرخاء السائد لدى المسيحيين وحطمت سلمهم ووحدتهم . وبذلك نجحنا في تحطيم ارسنقراطية غير اليهود ، ذلك المعقل الذي كانت تتحصن به ضدنا سائر شعوب الأرض . . .

المحضر الثاني :

« علينا أن نبذل الجهد حتى لا تأتي الحروب بتغيرات إقليمية بتوسع أحد الطرفين المتحاربين . وبذا تتركز الحرب على قاعدة الاقتصاد وبالتالي تكون السيطرة لنا وحدنا ، ويصبح الفريقان المتحاربان تحت رحمتنا . علينا أن نضع في الوظائف الإدارية أناسا لم يكتسبوا خبرة ليسهل علينا تحريكهم كقطع الشطرنج . وندخل في روع غير اليهود أهمية النظريات التي تبث دعايتها صحافتنا ليقتنع بها الكفار

---

(١) (عبد الله التل) : ( جذور البلاء ) : المكتب الاسلامي الطبعة الثانية عام ١٩٧٨ . ص ٢٦٥ -

ويروجوا سمومها . انظروا الى نجاح مذاهبنا التي جاء بها داروين وماركس ونيتشه . إنها من صنع دسائسنا وكان لها تأثير كبير على عقول الخوارج . . . الصحافة قوة خطيرة وقعت في قبضتنا وما زلنا من وراء الستار .

### المحضر الثالث :

« لم يبق أمامنا الا قطع مسافة قصيرة ثم تغلق دائرة الحية الرمزية<sup>(١)</sup> . ومتى اغلقت هذه الدائرة تحصر الدول الأوروبية بين مخالبتنا القوية . لقد وسعنا الفجوة بين الحكام وشعوبهم وبذلك أضعفنا الفريقين ليسهل علينا السيطرة عليهما . ألبنا جميع السلطات بعضها على بعض .

شجعنا تطاحن الأحزاب وتكالبها على السلطة . أوهمنا العمال والكادحين بأنهم ينالون حقوقا كاملة بدساتير وقوانين مزيفة يتبجح بها أعواننا وعملاؤنا الذين جعلناهم رؤساء موجهين للعمال . جعلنا عامة الشعب تقضي على الطبقة الارستقراطية التي كانت تستجيب لمطالب الشعب وتتولى الدفاع عنه . وبيمنا أن نجتذب العامل الى صفوف جيشنا من الفوضويين والشيوعيين .

وتقضي مصلحتنا في بقاء العامل فقيراً عاجزاً ليظل خاضعاً لمشيئتنا وإرادتنا باستغلال شعور الغيرة والحقد في نفوس العمال البؤساء . سوف نعمل إلى إيجاد الأزمات الاقتصادية العالمية بواسطة الذهب الذي يجري بأيدينا ، ونشير طبقات العمال على أولئك الأغنياء الذين كان العمال يحقدون عليهم منذ الطفولة . ولن يلحقتنا أي ضرر لأن فساد الشعوب المسيحية يعطينا القوة للسيطرة على أية حكومة تفكر في العدوان علينا . . .

---

(١) شبه اليهود قوتهم الخفية أو حكومتهم المستورة بالأفعى السامة التي بدأ زحف رأسها المميت من فلسطين بعد خراب الهيكل سنة ٧٠ م ، والذنب باق في فلسطين والرأس يعمل في جميع ممالك الأرض لدغا وتخريباً . ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب في القدس إلا بعد تدمير العالم والتربع على أنقاضه تحت حكم ملك يهودي يحكم العالم من القدس .

## المحضر الرابع :

« الماسونية تغطي حقيقة أهدافنا ، ونجحت سرية خططنا عن الخوارج ، ويساعدنا على انتزاع فكرة الإله من أذهان المسيحيين والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالب المادية . علينا أن نحول أنظار المسيحيين الى المضاربات التجارية والصناعية ، وعن طريق المضاربة تدخل جميع أموال غير اليهود الى جيوبنا . ويجعل النزاع في سبيل الربح والمضاربات المستمرة مجتمعنا محطاً أنانيا لا قلب له . فلا يكثر هذا المجتمع بالسياسة أو الدين أو الأخلاق . بل ينقاد الى شهوة الذهب ، فيكرس كل جهده وهمه لجمعه من أجل ضمان أكبر قدر من الملذات التي تصبح معبوده الحقيقي .

## المحضر الخامس :

« منذ أن أسقطنا عن رجال الدين الهالة القدسية ، أصبحوا عرضة لاحتقار رجل الشارع الذي تسيطر عليه . والطريقة المثلى للاستيلاء على الرأي العام تنحصر في العمل على إقلاقه وتشويشه بطوفان من الأفكار والآراء من كل جانب بحيث ينتهي الأمر بضياح غير اليهود ووقوعهم في خضم من الضلال . وعلينا أن نسهل زيادة نقائص الشعب وفساد عاداته ورغباته ، فيقع الشقاق بين الأحزاب وتتفرق كافة قوى الخوارج المتجمعة ضدنا ، وتبطل كل العزائم ، وتتوفر لنا أسباب الغلبة على ملايين الرجال ممن بثنا فيهم روح الشقاق . سوف نقود المسيحيين الى الفوضى العارمة التي تدفعهم الى مطالبنا بحكمهم دولياً . وبمجرد بلوغنا هذا المركز يكون في وسعنا امتصاص جميع القوى الحكومية في العالم وتشكيل حكومة عالمية عليا . ونحل محل الحكومات القائمة وحشا ندعوه ( إدارة الحكومة العليا ) يمتد سلطانه بعيدا كالكماشة الطويلة أو الأخطبوط ، ويكون تحت تصرفه نظام محكم لدرجة يخضع معها جميع الأمم »<sup>(١)</sup> .

---

(١) أليست هي عصبة الأمم أولاً والأمم المتحدة بعدها ؟ . .

## المحضر السادس :

« لا بد من تنظيم احتكارات عظمى تستوعب الثروات الضخمة التي يملكها الجوييم ، بشكل تزول معه تلك الثروات تدريجيا . يجب علينا أن نستخدم كل الوسائل لكي تحظى حكومتنا العالمية بشهرة واسعة يعتقد معها أولئك الذين خضعوا لنا أنها تحميهم وتعزهم . لقد انتهت ارستقراطية غير اليهود ولم يبق سوى الارستقراطية الزراعية ، وهي ما زالت خطرا لأن الملاك قادرون على الاستقلال عنا . ولذا يتحتم علينا تجريد الارستقراطية الزراعية من أملاكها . وخير وسيلة لبلوغ هذا الهدف هي رفع الضرائب والرسوم . علينا أن نشجع الترف كوسيلة للقضاء على صناعة غير اليهود ، وأن نشجع المضاربة التجارية ، وأن نرفع أجور العمال لنخدعهم وفي الوقت نفسه نرفع أسعار المواد الضرورية بدعوى سوء المحصول . سوف نخرب الانتاج بتشجيع العمال على شرب الخمر . . . »

## المحضر السابع :

« يجب علينا أن نحرض أوروبا ونساعدنا على الفتن والعداوة المتبادلة مع القارات الأخرى . وفي ذلك كسب مزدوج لنا . إذ نفرض بتلك الوسائل احترام جميع الدول لنا ، لأنها تدرك أن في مقدرتنا أحداث الثورات أو إقرار النظام كما نشاء . وحين تعترض حكومة ما سبيل خطتنا نثير عليها الدولة المجاورة لها لتعلن الحرب عليها . وإذا حاولت الدولتان الانفاق على معاكستنا فإننا عندئذ نثيرها حربا عالمية . . . ومن أجل ضمان نجاح خطتنا العالمية علينا أن نستغل ما يسمونه بالرأي العام الذي قبضنا عليه بواسطة القوة العظيمة - الصحافة - . ولاظهار سطوتنا لا بد من إرهاب إحدى الدول عن طريق الجرائم والعنف ، فتهابنا جميع الحكومات غير اليهودية . . . وإذا ثارت ضدنا حكومات أخرى رددنا عليها بالسلاح الأمريكي والصيني أو الياباني . . . »

## المحضر الثامن :

« لا بد من أن تحيط حكومتنا نفسها بكل قوى الحضارة التي تعمل في محيطها . . »

وتستقطب مشاهير الكتاب والخبراء من الفقهاء والإداريين وأرباب السياسة الذين تربوا وفق تعاليمنا وفي مدارسنا العالية الخاصة . وهؤلاء الذين تخرجوا في مدارسنا يتقيدون بما يقدم اليهم من أوراق ويوقعونها دون قراءتها ويهمهم تأمين معيشتهم . وستحاط حكومتنا بجمهور من الاقتصاديين لأن الاقتصاد السياسي هو أهم ما يتعلمه اليهود . وسيكون حولنا جميع الصيارفة وأصحاب الأموال وأرباب الملايين . وبما أنه لا يلائم أن نسلم إخواننا اليهود مراكز حساسة في الحكومات فإننا نسعى الى تسليم تلك المراكز لأشخاص ملوثين خلقيا ليكونوا مكروهين من شعبهم فيسهل علينا السيطرة عليهم . . . .

#### المحضر التاسع :

« بدأنا نسيطر على الأجهزة التنظيمية لغير اليهود من أجل أن نحرفها عن أسلوبها الصارم المنتظم ، ونسير بها الى التحرر والفوضى . لقد وضعنا يدنا على التشريع وعلى المناورات الانتخابية وتحكمنا في إدارة الصحافة . والأهم من ذلك كله اشرافنا على التعليم الركن الأساسي للحياة الحرة . . . لقد أفسدنا الجيل الحاضر من غير اليهود ، ولقناه المبادئ والنظريات الفاسدة . ويعترض البعض قائلاً ماذا يحدث لو اكتشفت الشعوب خططنا ضدها . . ؟ ونجيب أننا قد احتطنا للأمر وأعدنا لمواجهة قوى أعدائنا قوة هائلة ترتعد لها فرائص الشجعان . وترقبنا لتلك الاحتمالات سنشئ في جميع المدن سكك حديد كهربائية وطرق سرية تحت الأرض نستطيع بواسطتها نسف جميع مدن العالم الكبرى بما فيها من هيئات ووثائق . . . . » .

#### المحضر العاشر :

« لا بد من تحطيم الأسرة غير اليهودية والقضاء على تأثيرها الثقافي ، وأن نحول دون خروج أي رجل ذكي من قبضتنا . وعلينا أن نقيم حكومات أوتوقراطية يسهل العبث بها وإخضاعها علنا عن طريق تركيز كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في أقل عدد من المرتشين وعلى رأسهم الكبار من وكلائنا الذين ينفذون

الخطط بحسب إرشاداتنا . والاتجاه الى السرية التامة في نشاطنا السياسي هو السبيل إلى النجاح . . .

المحضر الحادي عشر :

« شاءت إرادة الله أن يشتت شعبه المختار لحكمة . فبينما يبدو هذا التشتت مظهرا للضعف فإنه في الواقع سر قوتنا التي تدنينا من عرش العالم . ومحافلنا الماسونية هي الرباط الذي يصل بين حلقاتنا . نحن ذئاب والشعوب غير اليهودية قطع من الغنم ، ومعلوم ماذا تفعل قطعان الغنم حين تفاجأ بالذئاب تقتحم عليها حظائرها . . . إنها لا تملك إلا إغماض عيونها والاستسلام لمصيرها المحتوم . . .

المحضر الثاني عشر :

« سنبسط نير سلطاننا على الصحافة الحزبية ، ونفرض رقابة صارمة تحول دون نشر أي شيء يمسننا قبل الرجوع إلينا . لن يمرنأ في وكالات الأنباء التي نسيطر عليها دون رقابتنا . وسنفرض الرسوم الكبيرة على الكتب القيمة ونرفع الرسوم عن الكتب الصغيرة والنشرات ليكثر الكتاب من الانتاج الرخيص التافه ويحجم العلماء عن التأليف . سنخفض الضرائب على كتب التسلية وسوف نشترى الصحف الدورية لاستخدامها في الرد على الصحف المستقلة البعيدة عن قبضتنا . . .

المحضر الثالث عشر :

« علينا أن نحول أنظار الرأي العام بعيدا عن الحقيقة . ومن واجبنا أن نشغله عن أي طريقة أو تفكير جدي سليم ، بإثارة موضوعات جديدة لها طابع الإثارة الصحفية الجذابة . وسيتولى عملاؤنا المهيمنون على الصحف ابتكار هذه الموضوعات ونشرها . وعلينا أن نلهي الناس بشتى الوسائل كالملاهي الجديدة والمسابقات الفنية والرياضية . . . » .

المحضر الرابع عشر :

« لن يكون هنالك سوى دين واحد هو ديننا الذي يرتبط به مصيرنا . ومن

أجل ذلك لا بد من القضاء على كل العقائد . وإذا كانت النتيجة اليوم قد أسفرت مؤقتاً عن وجود الملحدين فإن ذلك من مصلحتنا ، لأن الاجيال القادمة ستشهد تحول الجميع الى دين موسى الذي وضع جميع الأمم تحت أقدامنا . . . وسوف نحصر الانتقاد في الأديان غير اليهودية ، ولن يجزؤ غيرنا على نقد ديننا لأن أسرارها عميقة حافظ عليها رجال ديننا ولم يسمحوا بنشرها بين الشعوب الكافرة . . . وسنواصل العمل على ترويح الأدب الخسيس في الدول التي تزعم أنها عظمى . . . » .

#### المحضر الخامس عشر :

« علينا أن ننشر عملاءنا في الجمعيات السرية وفي الماسونية ليكون لنا بوليس سري دولي في كل مكان ، وعن طريق هؤلاء نعرف أخبار العالم السرية ونتحكم في سير الأحداث . علينا أن نضاعف عدد محافل الماسون ما دمنا لم نصل للسلطة الكاملة بعد . وحين نستولي على السلطة يصبح من السهل القضاء على الماسون غير اليهود الذين قد يعترضون على خطتنا : وسوف نقضي بالموت على الماسون المعارضين بشكل هادىء لا يثير أي شك خارج جماعتهم . . . »

#### المحضر السادس عشر :

« سوف نهدم دعائم التعليم الجامعي القائم الآن ، ونعيد كتابة التاريخ لنحذف منه كل إساءة موجهة لتاريخنا ، ونبقي على الإساءات التي اقترفتها شعوب الخوارج . سنقضي على كل نوع من أنواع التربية الخاصة . سوف نقضي على استقلال الفكر بعد أن استخدمنا ذلك الاستقلال للوصول الى أغراضنا . . . لقد وضعنا خطة للسيطرة على النفوس بطريق التعليم الوجداني ( التعليم بالعينين ) وهي طريقة تجعل غير اليهود لا قدرة لهم على التفكير من تلقاء أنفسهم . فهم كالحوانات المطيعة ينتظرون تصوير الفكرة قبل محاولة إدراكها . لقد أدخلنا هذا النظام في التعليم الى فرنسا بواسطة عميلنا « بوروا » . . . »

#### المحضر السابع عشر :

« لقد عيننا بالعيب في رجال الدين غير اليهود والخط من قدرهم في نظر

الشعب ، وأفلحنا في الإضرار برسالتهم التي تعوق الوصول الى أهدافنا . . .  
وعندما يحين الوقت لهدم القصر البابوي ستمتد يد مجهولة الى الفاتيكان وتعطي إشارة الهجوم . وحين ينقض الشعب على الفاتيكان يظهر كحماة تمنع إهدار الدماء وبهذا  
نصل إلى قلب القصر البابوي . ولن تستطيع قوة أن تخرجنا قبل أن نقضي على قوة  
البابا . . . ويصبح ملك اليهود هو البابا الحقيقي وبطريك الكنيسة الدولية . . . »  
المحضر الثامن عشر :

« حين تمس الحاجة الى تعزيز قوى الشرطة نلجأ الى إفتعال القلاقل والسخط  
والاضطرابات ونعلن ذلك بلسان أشهر الخطباء . والغوغاء ترحب بمثل هذه الأحوال  
وتنضم إلينا حالاً لتمثيل الرواية . عندها نتخذ من ذلك ذريعة لإصدار الأوامر  
بمضاعفة المراقبة والتفتيش ونجد أعواننا لهذا الغرض . . . »  
المحضر التاسع عشر :

« لكي ننزع عن الجرائم السياسية هالة البسالة والتقدير ، علينا أن نضع  
المجرمين السياسيين في صف المجرمين العاديين . وأن نساوئهم باللصوص والقتلة  
وباقى المجرمين الذين يرتكبون الجرائم البشعة . وحينئذ يخلط الرأي العام بين  
الجرائم السياسية والعادية وينظر للجميع باشمئزاز واحتقار . . . »  
المحضر العشرون :

« إننا نعمل على أن تحل القروض الأجنبية محل الوطنية لتهال ثروات الشعوب  
على خزائننا . ولا يدرك غير اليهود بعقولهم الحيوانية أنهم باقتراضهم المال منا سوف  
يضطرون الى استنزاف رأس المال الذي اقترضوه وفوائده من مواردهم . . . ان  
استيلاءنا على ثروات العالم عن طريق الأسهم والسندات سيضطر الحكومات الى  
طلب العون المالي من مصارفنا وخزائننا فتقع هذه الحكومات في قبضة الرأسماليين  
منا . . . »

المحضر الواحد والعشرون :  
« سوف نفرق حكومات الخوارج بالديون عن طريق تشجيعها على الاقتراض

منا . . . وعلينا أن نعتد على البورصات والأعيها ، وحين تتم لنا السيادة نلغي سوق الأوراق المالية لنحافظ على مكانتنا الاقتصادية ونحول دون تعريض أوراقنا المالية للهبوط . . .

### المحضر الثاني والعشرون :

« يتركز الذهب وهو أعظم قوة في العصر الحاضر بأيدينا . ألا يحق لنا بعد كل ما كسبناه عبر الأجيال ، أن يساعدنا هذا السلاح على الوصول الى أهدافنا في حكم العالم . ولن نحتاج إلا الى القليل من العنف لإقرار السلام النهائي تحت راية صهيون . . .

### المحضر الثالث والعشرون :

« أول ما نفعله لتحسين مملكتنا هو تدمير كل الهيئات والمنظمات التي أوجدناها لتعمل لحسابنا . ومن العيب أن نتركها مصدرا للخطر علينا . أن ملك إسرائيل يكون منتخبا من الله ، وأول عمل له هو القضاء على الأفكار الفوضوية التي استخدمناها وسيلة للوصول لغاياتنا . . .

### المحضر الرابع والعشرون :

« لا بد من أن يكون ملكنا من أسرة داود تحيط به نخبة من حكماء صهيون . وأن يكون بعيدا عن الشهوات الجنسية متواضعا يخلط بشعبه في الساحات العامة . يجب أن يكون خالياً من كل عيب ويضحى بكل شهواته في سبيل شعبه ، وأن يكون رمزا للعزة والمهابة والقوة . . . » .

## الماسونية تخطط للماركسية

في القرن التاسع عشر الميلادي وفي قمة ازدهار حركة الاستعمار العالمي كانت كل المتغيرات المادية والاجتماعية والفكرية تدفع الجماعات اليهودية للعمل من أجل تحقيق ما ترنو اليه وما تؤمن به وذلك على ضوء خطة بعيدة المدى طويلة النفس كانت

هناك .

حركات سرية يهودية تعمل في اوروبابمناهج متباينة وأساليب مختلفة ، لكنها جميعاً في خدمة هدف واحد وهو سيطرة الجنس اليهودي على العالم والتحكم في مقدراته وكان من الأيديولوجيات المساعدة لليهودية العالمية ذلك التنظيم السري والمسمى بجماعة (الماسون) .

وبالفعل استطاع التنظيم الماسوني ان يأخذ على عاتقه مهمة اعداد الكوادر الشيوعية من المثقفين ورجال المال .

وكانت البداية تجنيد ذلك الرجل الذي كان يجب ان يلقبه الناس بذلك اللقب الذي كان جزءاً من عقيدة التنظيم الذي ينتمي اليه وهو : (أب الجنس البشري) هذا الرجل هو الانجليزي «روبرت أوين» وقد دفع التنظيم الماسوني السري الذي كان « روبرت أوين » عضواً فيه الى ان يشتري محالج القطن الشهيرة في نيولانارك عام ١٨٠٠ وقد أُلّف فريقاً من تلاميذه في جمعية تعاونية لرواد روشايل في عام ١٨٤٤ م لتكوين مجتمع محلي « كوين وود » عام ١٨٤٥ م كي يمارس فيه أعضاء هذا المجتمع من السلوك الاجتماعي والاخلاقي وتعاليم الكنيسة ما يحقق في نفس الوقت دفعة تاريخية بالانتقال الجماعي في حياة التنظيم السري الى الاعلان المحدود والتجربة المرحلية ، فقد كان عند الرجل « أوين » من الامكانيات ما جعله يقيم في « ايكوس » بالولايات المتحدة الأمريكية « مستعمرة شيوعية » ترفض جماعتها كل قيم الدين لتقييم المشاع في المال والأعراض في ظل علاقات انتاجية بحثة ، ليس للانسان فيها الا تحقيق مطالب الحس مع تعطيل كل وجوده الروحي والأخلاقي وماتت التجربة ولم تعط كل الثمار التي كان يرجوها التنظيم الذي كان يخلع على ملك التجربة لقب « أب الجنس البشري » .

وفي فرساي ، وفي نفس القرن دفعت المنظمات اليهودية بماسوني يحمل الراية الاشتراكية اسمه « سان سيمون » وكان الرجل اقل حظاً من ( روبرت أوين ) اذ انه حاول ان يجمع الطبقة العاملة ضد مستغليهم الا أن جماهير العمال ادركت ان هناك

قوى تحرك دعوة « سان سيمون » وانها لا تستهدف توحيدهم ضد مستغليهم وانما ليزدادوا في ظل دعوته « الاشتراكية المثالية » حرماناً ومعاناة ذلك أن الرجل بعد أن قرن العمل بالانتاج، أفصح عن هدف الدعوة وهو : « رفض حقوق الفرد او حرته الشخصية او انتائه الاجتماعي او عقيدته الدينية » .

ومن قبل هذين التيارين المعلن عنهما في بريطانيا وفرنسا من قبل التنظيم الماسوني كانت هناك جهود محدودة في خدمة اليهودية العالمية قام بها في ظل بريق الحركة الاشتراكية التي شغلت بال العالم يومها وتمثلت هذه الجهود المحدودة فيما قام به « بين » ١٧٣٧ - ١٨٠٩ م و « جودوين » الى « هارني » ١٨١٧ - ١٨٩٧ م الى « أرست جونز » في نفس المرحلة تقريباً الا ان هذه التجارب والدعوات جميعاً كان يقدر لها الفشل بسبب جذبها العقلي وافتقادها لمقومات الاخلاق وعمل الضمير فضلاً عن إعلانها لعدائها الشديد للدين وما يتصل به .

واستمر عمل المنظمات السرية التي تعاون بمناهجها العديدة اليهودية العالمية وكانت تستهدف القطاع العريض من جمهور الأمم والشعوب وهم طبقة العمال والفلاحين ولذا كان عليها ان تعمل بادىء ذي بدء على صبغ الدعوى التي توجه اليهم بالعلمية والتقدمية وغير ذلك من ألقاب الخداع الشيوعي .

ولما ولد كارل ماركس في عام ١٨١٨ في مدينة « ريفز » في المانيا من اسرة يهودية عائلها من كبار رجال الدين اليهود وأحد اعضاء التنظيم الماسوني في المانيا وكان قد جاء الدور على أبيه ليعلن تجرده وخروجه عن اليهودية واعتناقه الدين المسيحي كنموذج عملي في التدليل على وحدة عمل الأديان في عقيدة الماسون فقد شب ماركس اليهودي الأصل مسيحي البيئة والعقيدة الا أنه نشأ مغموراً جالساً الى مكتبه او في قاعة المطالعة بالمتحف البريطاني . يقول عنه « ايسيا برلين » في كتابه « كارل ماركس » كان ماركس رجلاً غير جذاب فظ السلوك في كثير من الأحيان ويقول عنه :

« . . . وان أكثر الناس اعجاباً به ليتعذر عليه ان يصفه بالحساسية او رقة

القلب او الأهتمام بمشاعر من يتصلون به . . . وكان سلوكه يتسم بالريبة السافرة او الازدراء المكشوف « . . . ويقول عنه ايضاً : « لا يمكننا القول بأن ماركس كان شخصية شعبية في أي وقت من الأوقات ، فمما لا ريب فيه ان ماركس لم يكن بأي حال كاتباً او خطيباً شعبياً . . . ان ماركس كانت تعوزه تماماً صفات القائد او الزعيم الشعبي العظيم<sup>(١)</sup> وهو لم يكن داعية عبقرياً ، مثل الديمقراطي الروسي « إسكندر هرزن » ولم تكن لديه بلاغة « باكونين » .

وهذا الرأي الذي نوره في تحليل شخصية « كارل ماركس » ليس عربياً ولا إسلامياً انما أردنا به ان ندلل على ان مقومات الرجل النفسية والخلقية كانت متأثرة بغموض وسرية خاصة تحرك من خلالها دوره المرسوم في خدمة اليهودية العالمية حين كتب ما كتب ودعا الى ما دعا اليه ؟؟؟ .

ان أول مؤتمر للصهيونية العالمية كان في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م وفيه إتخذت الصهيونية مقررات لإضافة قوة عمل جديدة الى ممارستها ومهام اعضائها وكان من بين القرارات السرية التي وردت في «وثائق بروتوكولات محافل الماسون » إشارة البدء للعمل الايجابي في دفع عجلة العمل الشيوعي الى الامام من أجل تحقيق الهدف المرحلي للصهيونية العالمية وهو إحتلال فلسطين ولذلك فقد عقد في ١٨٩٨ م اول مؤتمر للماركسيين في مدينة (Minsk) وعقد المؤتمر الثاني في بروكسل - ولندن سنة ١٩٠٣ م<sup>(٢)</sup> .

وفي هذه المؤتمرات الماركسية ، كان واضحاً الدور البارز الذي ادته العناصر الصهيونية في التجهيز لمؤتمر بازل الصهيوني الذي عقد عام ١٨٩٧ م قبل ان يبدأ التنسيق بين المؤتمرات الصهيونية قبيل إندلاع الثورة الحمراء في روسيا .

---

(١) (كارل ماركس) تأليف : ( ايسيا برلين : ترجمة عبد الكريم احمد صفحة ٣ .

(٢) (الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة) للعالم الاسلامي دكتور محمد البهي - دار الفكر بيروت عام ١٩٧٣ ، صفحة ٣٥ .

## قرار هدم روسيا القيصرية :

بعد نجاح المخطط اليهودي في تجميع اكبر القيادات المالية والاقتصادية والفكرية في اواخر القرن التاسع عشر بات مقررأ أن السنين الأولى من القرن العشرين ستشهد متغيرات كبرى لصالح المخطط الصهيوني في العالم . وبالفعل إتخذ قرار بتجميع كل قطاعات العناصر اليهودية الماركسية وإبتدات تنتظر إشارة البدء للعمل ومن قلب المحفل الماسوني الذي يقود المرتبة الكونية في سلم المراحل التنظيمية لجمعيات الماسون صدر قرار القيادات اليهودية الكبرى في المحفل الأمريكي الصهيوني بتخريب روسيا القيصرية وتحويلها الى روسيا السوفيتية الشيوعية .

هذا وقد أثبت الجنرال جواد رفعت اتيلفيان في كتابه « اسرار الماسونية » أسماء القيادات اليهودية في المحفل الامريكى الماسوني الذي قرر تحويل روسيا القيصرية إلى روسيا الشيوعية حتى ولو إقتضى الانقلاب التضحية بمليون يهودي ومليار دولار واذا لم يكن غريباً أن يتولى رئاسة الجمهورية السوفيتية عقب الانقلاب الشيوعي في ثورة ١٩١٧ م الصهيوني « كامينيف » وفي الوقت نفسه كان هناك الدور البارز الذي قام به اليهودي الماركسي « لينين » بمعاونة زوجته اليهودية التي لم تكف عن ممارسة الشعائر التي تؤمن بها مع أن زوجها كان رئيساً للوزارة السوفيتية التي قادت الانقلاب الإلحادي في روسيا .

وقد يعجب البعض إذا علم ان اليهودي المتطرف في حذبه على الصهيونية ورعايته لها « تروتسكي » كان وراء انشاء وتشكيل الجيش الأحمر وليس غريباً إذا والثورة الشيوعية صهيونية يهودية كما ترى ان يكون اول مجلس سوفيتي عقب الانقلاب قوامه ٥٤٧ عضواً منهم ٤٤٧ يهودياً صهيونياً، ولذا حين اعيد إنتخاب رئيس الجمهورية السوفيتية في نفس الانقلاب ١٩١٧ ثم إختيار يهودي آخر غير « كامينيف » وهو اليهودي المتطرف « سفروولوف » وهو الذي تولى بعد ذلك رئاسة اللجنة التي وضعت الدستور الشيوعي .

ومن الغريب أن « ستالين » لم يجد لابنته غير اليهودي المتعصب « لازار »

ليكون زوجاً لها وليعطيه بعد ذلك صلاحيات واسعة جداً من اجل العمل الصهيوني تحت ظل العلم الأحمر .

وهكذا إستطاعت الصهيونية العالمية عن طريق المحافل الماسونية السرية ان تحقق بعض أهدافها في وجود الشيوعية العالمية التي كانت بعد ذلك السند الدولي الأول في مساعدة ووجود دولة صهيونية في أرض العرب المسلمين .

والدارس لقيام دولة اسرائيل يعرف تماماً قيمة الدور الإيجابي الذي قاده الشيوعية العالمية في شخص دولة الإتحاد السوفييتي التي قادت دوراً أهم وخطر من دور الولايات المتحدة الامريكية في ترجيح ميزان الموقف المتدهور الذي كان عليه مشروع قرار «تقسيم فلسطين» يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ حتى لقد خرج مندوب كندا من إجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وهو يقول : «لقد ايدنا المشروع بقلوب مثقلة بالألم مفعمة بالشكوك»<sup>(١)</sup> .

### الحرب الشيوعية الماسونية ضد الاسلام

ما دامت الشيوعية تقوم على الإلحاد وإنكار كل ما يتصل بقيم السماء وهداياها فإنه لا بد أن يكون موقفها من الاسلام بالذات على قدر من العداة الشديد والحرب المتعددة الجوانب حتى يتاح لها أن تفعل شيئاً ضد دين تغلغل في قلوب المؤمنين به وسيطر على حياتهم ووجه سلوكهم وضبط نظام مجتمعهم ويستطيع المرء أن يتصور حجم ومدى الحرب التي يمكن ان تشنها قوى ملحدة ضد المستضعفين من المؤمنين بالله تعالى . اذا ما علم أن الإذاعة الشيوعية خصصت شهراً من عام ١٣٨٠ هـ . تجاهر فيه بالعداء لله تعالى وتتحدى الله سبحانه وتعالى وتقول في فقرات حملات الحقد والكفر الإعلامي : « ها نحن أولاً ننكر وجودك ونقتل من يعبدونك فإن كنت موجوداً فائتبت وجودك بالانتقام منا»<sup>(٢)</sup>

(١) انظر : اليهود في موكب التاريخ : للمؤلف : صادر عام ١٩٦٩ عن مكتبة القاهرة الحديثة صفحة ٦٦٩ .

(٢) ( الشيوعية والإسلام ) للأستاذين - عباس محمود العقاد ، أحمد عبد الغفور عطاء دار الاندلس - بيروت

وبعد المذابح الرهيبة التي أريد فيها الملايين في الجمهوريات الاسلامية التي إكتسحتها الشيوعية السوفيتية ولم تقض فيها الشيوعية على كل الوجود الاسلامي بل ظل بعض المسلمين هناك يتعرضون لصور من التعذيب لا يتخيلها عقل ولكنهم لم يضعفوا ولم يتحولوا ثغرة عن إسلامهم ، حتى لقد اعلنت الشيوعية الرسمية في الإتحاد السوفيتي في يناير من عام ١٩٦٤ تقريراً يقول :

( إننا نواجه في الإتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية وكأن مبادئ لينين لم تشر بها دماء المسلمين ) .

ومع أن القيادة الشيوعية يقظة جداً في حربها للإسلام فهي تصفه دائماً كما جاء في ( دائرة معارف الثقافة الشيوعية ) أنه اخطر الأديان الرجعية على الشيوعية إلا أن نور هذا الدين العظيم وقداسة الإيمان بالله تعالى والتنزیه المطلق لرب العالمين جعل عدداً غير قليل من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية السوفيتية يقبل على هذا الدين العظيم ويتحدى كل جبروت العدوان الشيوعي ويقبل حرمانه من كل مناصب العمل او قيادة المجتمع ولا يرضى بإسلامه بدلاً من كل مغريات العمل الحزبي في تحقيق الإمتيازات الحزبية فضلاً عن سلطة الحكم .

وحتى تنجح الشيوعية في حربها المصرية ضد الاسلام فإنها قد وضعت له منذ أكثر من اربعين عاماً مخططاً رهيباً يقوم على مهادنة الإسلام اولا حتى تتم الغلبة للشيوعية عليه .

وتبدأ الخطة الشيوعية بمناهج عديدة قد يناقض بعضها بعضاً إلا أنها في النهاية في خدمة الهدف الشيوعي والخطة الموضوعية . ومن أساليب هذا المخطط مثلاً :

- تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين وإتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية ومحاولة تجريح سلوكهم الإسلامي امام شعوبهم .

- تشجيع الكتاب الملحدين وإعطاءهم الحرية والعون ليهاجموا الدين والشعور الديني ومحاولة إظهار صور ومواقف يقدمونها للجيل الجديد بهدف إقناعه بأن الاسلام إنتهى عصره .

- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع مستويات التعليم بديلا عن دراسة الإسلام حتى لا يصبح قوة تهدد الشيوعية .

- الحيلولة دون قيام جماعة إسلامية تعمل على إنبعاث الدين في قلوب المؤمنين به وخاصة الجيل الجديد من الشباب والمثقفين .

ولما كان المخطط الشيوعي يدرك أن فصم روابط الدين وهدمه لا يتأتى إلا بهدم الضمير الديني في قلوب المؤمنين بالدين فإنه لم يكتف بالموجات العدوانية التي قام فيها بهدم المساجد ومصادرة الاوقاف الإسلامية في البلاد التي تعرضت للسيطرة الشيوعية بل راح المخطط ينفذ في بلاد اسلامية اسلوبه في جعل القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف وأفلام السينما في خدمة الإلحاد الشيوعي بشكل يهزأ من الدين ورجاله وكل ما يمثله الدين او يتصل به وزاد سعار المخطط الشيوعي في حربه للإسلام ان عقد مؤتمر وصف بأنه إسلامي وهو ليس كذلك بالقطع في مدينة (طشقند) دعت إليه الشيوعية الرسمية لتقدم فيه وثيقة شيوعية تقول : أن المسيح إشتراكي وإمام للأشتراكية لأنه فقير ومن اسرة فقيرة وأتباعه كادحون وتقول عن رسول الله ﷺ أنه إمام الإشتراكيين لأنه فقير وتبعه الفقراء وحارب الأغنياء المنكرين والإقطاعيين والمرابين والرأسماليين وثار عليهم .

ويكفي في السخرية من هذا المخطط الالحادي صنيع الشيوعيين انفسهم كدليل . على كذب وتزييف كل ما يمكن أن يقولوه عن الدين وهم يخططون للقضاء عليه فحين كان ( خروشوف ) القطب الشيوعي الرسمي للاتحاد السوفيتي في زيارته الشهيرة للولايات المتحدة الامريكية في عهد الرئيس الامريكي (ايزنهاور) حان موعد ذهاب ايزنهاور إلى الكنيسة اثناء لقاء له بالزعيم الشيوعي فدعا ايزنهاور الضيف الشيوعي الى ان يصحبه في زيارته للكنيسة فماذا كان موقف الزعيم الشيوعي ؟ انه الموقف الذي يعبر وبصدق عن حقيقة عداء ورفض الشيوعية لكل ما يتصل بالدين حتى ولو كان طقوس الكنيسة ، لقد أجاب خروشوف ايزنهاور قائلاً : (أنا لا أريد ان أفجع امتي بذهابي الى الكنيسة ) ومن هنا فليس بالعجيب إذا على اصحاب عقيدة كتلك ان يهدموا أو يحولوا أكثر من ثلاثين ألف مسجد في الإتحاد السوفيتي الى دور هو او محلات للبيع والشراء ونفس الشيء فعلته الصين الشيوعية

حين قامت بهدم أكثر من عشرين ألف مسجد في «تركستان» الإسلامية ولقد بلغ الجنون الشيوعي مداه امام الصمود الإسلامي للزحف الشيوعي على بلاد الإسلام الى الحد الذي جعل «مولوتوف» يقول في إحدى خطبه بغير حياء وبغير عقل أيضاً: « لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلا إذا ابعدنا اهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز وإلا اذا قضينا على الإسلام» .

ومع أن عداء الشيوعية والشيوعيين للإسلام من المقررات الفكرية الأولية في عقيدة الماركسية الشيوعية إلا انه منذ إبتلى المسلمون في بلاد العرب بهذا التيار الإلحادي المعطل لقيم العقل والقلب والمدمر لمقومات الإجتماع والاقتصاد في نمو المجتمع وتقدمه وهناك من القيادات الفكرية والإعلامية في بلاد العرب من إبتلى بخداع الشيوعية فذهب وهو يروج لها ويعمل لحسابها مأجوراً ومضللاً يعقد المقارنة بين أوجه التقابل والمشابهة في فكر الماركسية وعقيدة الإسلام وحين إبتليت بعض الشعوب بقيادات سياسية وفكرية وجدت نفسها امام ضرورات عالمية او قد حان دورها لأداء دورها في العمالة للشيوعية لأن تعمل وتصدرت قيادة هذه الشعوب رأينا أعلاما كانوا يحسبون من قوة الصمود الأولى أمام الميوعة السياسية التي كانت تنساق أهمهم فيها الى مقاتل الإلحاد الشيوعي - رأيناهم يقدمون للناس ثقافة الفكر الإشتراكي ومقومات التقدم بالمنهج الإشتراكي هذا بالإضافة الى تقريرهم وتقديم شواهدهم على أن الاسلام دين الإشتراكية<sup>(١)</sup> .

ومع أن الشعوب الإسلامية لم تعدم في إبان مراحل الغزو الشيوعي على معاقل الإسلام من وقف صامداً شامخاً بإسلامه فقط بل ووجد ممن كانوا قد وقعوا تحت تأثير الموجة الإعلامية والتبشير بالإشتراكية من آفاق الى دينه وإستجمع قواه

---

(١) كمثال فقط نشرت الدار القومية للطباعة والنشر في مصر كتاباً بعنوان : «الإسلام دين الإشتراكية» وهو كما جاء في مقدمته عبارة عن مجموعة الندوات التي قدمها برنامج المائدة المستديرة بالاذاعة عن الإسلام والإشتراكية بأقلام المعلقين والأساتذة الذين اشتركوا في تقديم الندوة وهم كما دوت اسماؤهم على غلاف الكتاب من أشهر علماء الإسلام في مصر ، غير ان الضغط عليهم جعلهم يقولون ما سجل عليهم في الكتاب المذكور .

وتبين له الرشد من الغي ، وأنه بدعوته إلى الاشتراكية يقع في الشرك والخداع بل ويضع الموت والدمار أمام طريق امته فإنضم الى الصف الصادق وقاتل معهم وبشرف الإسلام وأمانته يقاتل دفاعاً عن دينه وأمته وأرضه<sup>(١)</sup> .

ومع أن الموجة النازية قد خفت حدة كثيراً إلا النفس الطويل للأفعى الشيوعية مكنتها من أن تنفذ الى تنظييات وهيئات بل واحزاب وتمارس دورها المرسوم وان كان في الخفاء وفي صمت . ولذا فإن الواجب الملقى على عاتق دعاة الإسلام وحملة هديه الى الناس يحتم عليهم أن ينتبهوا الى أنه قد تحدث مجابهة بينهم وبين ادعاء وعملاء الماركسية في الوطن الإسلامي وعليهم الاستعداد لهذه الجولة<sup>(٢)</sup> وخاصة بعد نشاط جمعيات ومجموعات تحمل اسم شعارات ومضامين أريد بها أن توهم أنها في خدمة البر الاجتماعي والعمل الاسلامي وهي في الحقيقة لا بر فيها ولا إسلام عندها وما نشاط هذه الجمعيات السرية المشبوهة مثل الثيوصوفية ، والبنائي برث ، والروتاري ، والريونز ، إلا مثل أو أنموذج في العمل السري ضد الاسلام وأهله ولا تحجل العناصر الماركسية أن تنضم في العمل التنظيمي الى مثل هذه الجمعيات السرية الماسونية بحكم توجيه القيادات العليا لعمل الماسونية والشيوعية في مجابهتهما وحرهما للإسلام وأهله حتى ولو اقتضى الأمر ذلك الخلط العجيب .

هذا ونود أن نقرر في نهاية هذه الإضافة الموجزة أن المناخ الدولي الآن المحيط بالإسلام أصبح شبه مجهز للعمل الإسلامي الصحيح والمستنير بهدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وليس الأمر مزعجا وميثوسا منه كما يبدو للبعض فإنه بالرغم من المخاطر

---

(١) من رجال الإسلام الذين وقفوا في وجه موجة الغزو الماركسي للإسلام الأستاذ الدكتور : محمد البهي وخاصة في كتاب : « تهافت الفكر المادي والتاريخي بين النظر والتطبيق » وقد صدر في ذروة المد الماركسي على مصر والاسلام عام ١٩٧٠ م وبالفعل منع الكتاب من دخول مصر . حتى تم تداوله في السنين الاخيرة

(٢) شيخ الأزهر : دكتور عبد الحلیم محمود ، لم يكتب سطرأ ولم يذع كلمة ترحيب بالاشتراكية . وحين حان الوقت المناسب وجه اولى ضرباته الإسلامية الى موجة الإلحاد الشيوعي . . في عدة مقالات ومجموعة بحوث وتصريحات اتسمت بالحدة والشجاعة .

والشراك المنصوبة أمام الأجيال الجديدة فإن نقاء الإسلام وسمو العقيدة فيه وقداسة وعظمة الارتباط بالله تعالى ، تدفع في قلوب الأجيال الجديدة الرغبة القوية في التعرف على سماحة الإسلام ووسائله في العمل وفي التقدم فضلاً عن حاجة الأجيال الجديدة إلى الاعتصام بحبل الله المتين ليجاهوا بإيمانهم كل صور المسخ والتشويه في مواقع الأجيال الجديدة من زيف الماركسية وخداع الماسونية<sup>(١)</sup> .

### الإسلام يتحدى

هذا الدين العظيم الذي بدأ فوق صحراء الرسالات والنبوءات في أرض العرب أرض فيها الريح رخاء والأفق شاسع رحيب والسكينة في ضحوة النهار تجلج قمم جبال الحجاز وهو يجابه قوى العدوان على المستضعفين لكي لا تكسح دعوة الحياة والحق فيه كل صور الغبن والاستغلال التي تفرضها العناصر الظالمة على المستضعفين .

ولقد كانت البداية السريعة والخطافة ضد هذا الدين بقصد الوأد له في معركة « بدر » حين تصادم على نحو لم يسبق له مثل حوالي ألف وخمسمائة من الرجال السمر الطوال الذين يتكلمون العربية كأفصح ما يكون الكلام بها شب غضبهم فجأة كبركان . صالوا ثم تطاعنوا أشد الطعن بالرماح والسيوف حتى سقط الكثيرون صرعى . ضجعت الخيل تحتهم موجعة . . . . . وهدرت الإبل كاظمة وهمى الرجال وفي أشداقهم زبد وملء أقمصتهم دم وتحت أقدامهم قتلى هم أخوانهم وذوو قرباهم . . . ثم إنفرط عقد كل شيء فجأة . . . إنفكت الملحمة الصغيرة . . خمد الإعصار الضاري . . خشعت كبرياء الأعزة لكي يشرق إنتصار المستضعفين .

ومن يومها فإن جيش العدوان ضد الإسلام يجمع نفسه عصرًا بعد عصر وجيلاً بعد جيل يحمل الآخر شحنات الحقد والعداء ضد هذا الدين وما يمثله ومن عجب فإنه ما أن تبدأ الطبيعة الحية بالفطرة والإيمان في وجدان الأفراد والجماعات

---

(١) للأستاذ عبد المنعم النمر مواقف إسلامية في هذا المجال تسجل له بالتقدير والعرفان وقد لخص موقفه إسلامياً جيداً من الفكر الماركسي في كتابه : « إسلام لا شيوعية » .

تصنع أرضية لينتشر هذا الدين من عليها وينطلق ، يحقق معنى الحق والعدل على الأرض إلا وتتواكب القوى المضادة لخير الانسان ومستقبله وتتحالف ضد جوهر هذا الدين العظيم فمنذ مظاهر إنتعاش الطبقة المؤودة بفكر الاسلام وتطبيقاته وعودتها للحياة مرة ثانية حين سوغها لأنفسهم بعض أبناء الفرس الذين دخلوا الاسلام بعد البداية الجادة الأصيلة والعميقة التي استقر عليها جوهر الاسلام في الخط العادل الذي استمر عليه في حفاظ وأمن ومثالية الخلفاء الراشدون إلى أبهة البذخ والترف وتصاعد حالات التناقض والصراع الفئوي عند بعض رجال الدولة العباسية الى تجديد دعوة عبدالله بن سبأ وما أشاعه الفرس من دعاوي التحلل الأخلاقي والعفن الديني ودس مناهج الرياء والنفاق في الفكر والزيف والخداع في أساليب وسلوك رجال الدولة وخدامها . الى مذاهب مصنوعة وموجهة ضد جوهر الدين على شاكلة الراوندية والمقنعة والحزمية والبابكية والأقشين وعمل ابن ديصان ثم انتعاش المزدكية والمانوية ثم القرامطة ليأتي بعدهم التتار . الى آخر هذه المواقب من القوى والمذاهب التي تحمل العداة والحرب ضد الاسلام والتي كان من آخر إفرازاتها العدوانية : ذلك التيار الذي يقوم على تشويه حقائق التاريخ والمسمى بالشيوعية .

ولقد كانت كل هذه الدعوات وغيرها كثير تحمل المال والسلاح وتصنع زيف الفكر والعقيدة التي تعبى بها الرجال لكي تقف وتحول دون انطلاق هذا الدين الذي يقود حركة التغيير الاجتماعي في اكتساح حاسم وحازم لكل صور الظلم والغبن التي فرضتها الكهانة في أوروبا ومارستها قوى الاستغلال. إلا أن الاسلام بإعتباره دين الله للبشر جميعاً في مخاطبته نقاء الفطرة فيهم إستطاع أن يواصل وجوده وحركة إنتشاره حتى عندما جندت الصليبية الحمقاء جيش المفكرين عندها وحتى عندما خطط المبشرون والمستشرقون لمسخ جوهر ونقاء تعاليم هذا الدين العظيم بقي هذا الدين ينتقل ويغزو قلب الانسان ووجدانه وعندما راح الاستعمار الأوروبي ومن بعده الاستعمار الأمريكي . يجند كل خبرة العلم المادي والتنظيمي في عزل فكر الاسلام عن جماهير شعوب فرض عليها التخلف والتناقض وعندما صحت لم تجد غير فكر السيادة المستعمرة المستغلة ترسم توجيهها ومع ذلك فإن الرجال من الذين إقتربوا من

نقاء عقيدة التحرر والحرية في جوهر هذا الدين راحوا يفسدون على الاستعمار مخططه ويقاومون باطل ما يقوم به من العمل على استبقاء حالات التخلف والتناقض ورغم الأمراض الحضارية التي إبتلي بها المسلمون في شتى بقاع الأرض وخاصة منذ عصر النهضة لتطور علوم المادة فإن الرجال الذين أخذوا من جوهر الاسلام علم الحرية والتحرر والعزة والسيادة إستطاعوا أن يقيموا بعض تعاليم هذا الدين في بقاع كثيرة من الأرض حتى وإن بدأ هذا الوجود مريضاً أو ضعيفاً أكثر منه كقوة إسلامية وعلى المدى البعيد فإن طبيعة الحياة المؤقتة في هذا الدين ترفض أن تموت حتى لا ينتهي من على الأرض معنى النضال بالحق والعدل ضد الذين يرفضون أن يعيش البشر جميعاً مؤمنين بمعتقد صحيح في الله رب العالمين طريقهم إليه هو التجدد الدائم والحركة الدافقة في سلوك عف بين الناس وعقيدة عدل على الأرض ، وعطاء بالحب والخير لبني البشر الطيبين بمنهج لا يسمح للتفاوت الظالم أن يكون ولا الاستغلال الاجتماعي أن يتكون من جديد حتى تتمكن القدرة الانسانية من تحقيق معنى السيادة للانسان على الأرض في ظل الايمان بالوحدانية الخالصة لله رب العالمين الايمان الذي هو حركة الافراد للبناء الحي المتكامل الذي لا يعرف غير الله ربا وغير الاسلام ديناً يعيش من خلالها الانسان المعاصر في أمن وطمأنينة وخير وسلام .

## الباب الثامن .

- الماسونية العالمية تضرب القوى الدولية .
- المخطط الماسوني في الغرب .
- الماسونية والغزو العقيدي .
- الماسونية والانضباط التنظيمي .
- دلالة المبادئ الماسونية .
- العلاقة بين الماسونية والصهيونية .
- حرب الماسونية للشرائع السماوية .
- ثوب عصري في العداة ضد الإسلام .
- الماسونية والدين الطبيعي .
- الماسون واشتغالهم بالسياسة .
- الماسون شركة سرية .
- الجذور التاريخية للمنظمات اليهودية في عصر ظهور الإسلام .
- العناد والمقاومة اليهودية للإسلام .



## الماسونية العالمية تضرب القوى الدولية

يجب أن تنتبه القوى الشريفة في العالم المعاصر وخاصة مراكز التجمعات الإسلامية الكبرى أن الماسونية بنت الصهيونية البكر وأداتها العملاقة قد اختير لها مجالات العمل السرية في المجتمع الرأسمالي بشكل يختلف عنه في المجتمع الشيوعي . ففي المجتمع الشيوعي يكفي للصهيونية نجاحا أن تستبقي الأوضاع التي صارت إليها المجتمعات التي وقعت في براثن الشيوعية ، ويكفي للصهيونية نجاحا أن تحافظ على الأوضاع الظالمة التي آلت إليها الطبقات العاملة وسيطرت بها السلطات الحاكمة حتى تستطيع هي أن تحقق أهدافها من خلال برامج وأهداف ووسائل وأساليب العمل الشيوعي في المجتمع ، ولا أدل على ذلك من تلك المواقف المبدئية التي يتعانق فيها العمل الشيوعي مع العمل الصهيوني ، وإن كان هذا التعانق يختلف صورته في المجتمع الشيوعي عنه في المجتمع الرأسمالي .

أما الأمر في المجتمع الرأسمالي فإنه يختلف تماما وذلك بالعمل على السيطرة عليها في شكل مشروعات ومؤسسات يخططون هم لإدارتها ومجالاتها بشكل تزول معه تأثيرات تلك الثروات من يد غير الماسون .

إن الماسونية خطت لازدهار رأس المال والممثل في قدرة بعض غير اليهود الإقتصادية وأدركت أنه يمثل عائقا أمام المخطط الماسوني في العالم وذلك بفعل ما قد تقوم به العناصر المسيحية من دعم للأعمال الانسانية أو التعاون او دعم لنشاط الكنيسة

بحيث تؤدي دورا على غير ما رسمته المنظمات الماسونية فراحت تشجع على الترف . وكلفت هيئات ومؤسسات تجارية و انتاجية تعمل على ابتكار ألوان من الترف يتلهمى بها كبار أصحاب رأس المال من غير اليهود . كما عملت على تشجيع العمال على المطالبة برفع أجورهم في الوقت الذي يسرت لهم وشجعتهم على شرب الخمر حتى في أوقات الراحة بين ساعات العمل وحتى أصبح مخطط تحطيم الأسرة غير اليهودية أمراً سهلاً ، وبالفعل فإن فلسفة الروابط الأسرية التي كانت الكنيسة كثيرا ما تذكر رواد الصلوات الكنسية بها ما عادت تذكر، لأن الفيلسوف والمرحبة والقصة والاعلان ، وطبيعة العلاقات الصناعية والتجارية التي إستحدثها الماسون كخبراء في الشؤون الأوتوقراطية وكموجهين للبرامج السرية في المجالات التشريعية والتنفيذية والقضائية كل ذلك أدى إلى إختفاء مقومات الأسرة في الغرب . الذي عبر عن ديناميكية العمل اليهودي الصهيوني ، وهو الذي يفسر لنا بعض المخططات الماسونية التي تقول من بين ما أفصحت عنه «لم يبق أمامنا إلا قطع مسافة قصيرة ثم تغلق دائرة الحياة الرمزية ، ومتى أغلقت هذه الدائرة تحصر الدول الأوروبية بين مخالفنا القوية. لقد وسعنا الفجوة بين الحكام وشعوبهم ، وبذلك أضعنا الفريقتين ليسهل علينا السيطرة عليهما» .

ومن هنا رأينا طلائع وأجيالا ترفع لافتات وتنادي بشعارات لم يترجموا مضمونها في خطة عمل أو برنامج حزب لأن القوى التي توجههم مستورة لم يفتنوا لها : فلم يتبهاوا إلى من الذي أعد الشعار ولا إلى الأيدي التي رفعتهم والجموع التي سارت وراءه والغايات التي اندفعوا نحوها . . مثل أولئك المخدوعين الذين ساروا وراء بريق وزيف كلمات : الحرية والمساواة والإخاء . تلك الشعارات التي يتباهى أذكياء اليهود بقولهم : لقد نجحنا في تحطيم أرستقراطية غير اليهود بتلك الشعارات التي جلبناها لهم من جميع أنحاء الدنيا .

### المخطط الماسوني في الغرب :

كان لا بد للماسونية أن يلعب رجالها الدور الأعظم في تنظيم الإحتكارات

الضخمة التي تتمثل في ثروات غير اليهود . إن الماسونية الصهيونية تلعب مع أنظمة وأساليب من الحكم والنظم لها دورها في تأسيس ووضع قواعدها بشكل مباشر وبحكم طبيعة العلاقات اليهودية المسيحية التي تختلف في المجتمع الغربي الصليبي عنها في المجتمع الشيوعي .

من هنا فإن العمل الماسوني في المجتمعات الأوروبية الرأسالية له جاذبيته وله تأثيره بحكم تلونه وتعدد أساليبه وفي نهاية المطاف فإن معدلات النجاح الماسوني ولليوم تسير وفق المخطط التي ارتضت الماسونية الإعلان عن جزء منه سواء منه ما أنجز وقامت به أو ما هو قيد البحث والإعداد أو في طريق التنفيذ والممارسة وعلى سبيل المثال فإنه من المعروف والشائع الذي ارتضته الماسونية وأعلنت عنه ، هو ما ارتضاه اليهود من تشبيه قوتهم الخفية بالأفعى السامة التي بدأ زحف رأسها من فلسطين بعد خراب الهيكل . . والذنب باق في فلسطين والرأس يعمل في جميع ممالك الأرض لدغا وتخريبا ، ولا يعود الرأس للإلتقاء بالذنب في القدس إلا بعد تدمير العالم والتربع على أنقاضه تحت حكم ملك من اليهود يحكم العالم من القدس . هذا الأسلوب الماسوني .

إستغلال الجانب النفسي :

لكي ينجح المخطط الماسوني في مثل هذا المجال الحيوي ، كان لا بد من رفع العوائق التي يمكن أن تعترض طريق نجاحه ولما كانت العلاقات اليهودية المسيحية عبر مراحل التاريخ وخاصة تاريخ أوروبا الوسيط قا أكدت للقيادات اليهودية السري منها والمعلن أن قوة الصدام التي تعترض الطريق اليهودي في مجالات إرتزاق الكنيسة وما تبقى لرجالها من سلطان هو هذا الجانب الوعظي الأسري المتمثل في ترانيم وأناشيد الأحاد فإن الماسونية قد ركزت وبعناية فائقة في تناول رجال الدين عندها والتركيز على رجال الدين غير اليهود للحط من أقدارهم . والعيب في سلوكهم والتقليل والتهوين من شأن ما يمثلونه أو يدعون إليه وذلك تمهيدا لمخططات ماسونية كثيرة منها على الأقل إفساح المجال أمام الدعوات الإلحادية والعمل على القضاء على

كل العقائد . . وفي سبيل ذلك لا بأس من العمل على ترويح وإشاعة الأدب الرخيص والفن الفادح حتى ظهرت بدعة « اللامعقول » بعد مرحلة الدعوة والإعلان عن ألوان الملاحية والمصورة والمسابقات الفنية ولا بأس من إقامة أسواق نخاسة علمية وإن كان الرقيق في بادئ الأمر يهوديات سمين بأسماء تضحك وتبكي في آن واحد « نجمة » الفن . نجمة الصحافة ، ونجمة القصة ونجمة الأزياء . . ليصبح رقيق هذا السوق فيما بعد ملكة جمال أوروبا . . ثم أمريكا . . وفي نهاية المطاف : ملكة جمال العالم . . وما دام أبناء الأفعى يهيمنون على الرأي العام وسيطرون على صحافته وينون برامج إذاعته ، فأصبح أمامهم الطريق معبداً لشغل الناس عن الحقيقة وشغلها بجاذبية الجيش وبريق السلطة وعطرها . . وليونة الكلمة وزخرفها . لأن الهدف الماسوني توصيل المجموعات البشرية مهما بلغت الى مستوى تنظر فيه الجماعة للجماعة والفرد للفرد ، بنوع من الإحتقار والإشمزاز لأن هذا الجو النفسي هو وحده في تقدير الماسون المجال الذي يفتح أمام اليهود فرصة إفتعال القلاقل والسخط والاضطرابات . . وإذا ما حان الوقت المناسب وانبرى خطباء بارعون قد يكونوا سياسيين وقد يكونوا فنانيين أو إعلاميين فإن الغوغاء سترحب بهم ، وعندئذ يستطيع الماسون تشكيل الموقف السياسي الذي يريدونه أحياناً يضعون المجرمين السياسيين في صف المجرمين العاديين وأحياناً يساؤون بين القتلة واللصوص . ومن هنا فإن العامة من الناس تكون جاهزة للانقضاض بعد أن تكون ملئت سخطاً ، فيصبح من اليسير تدمير الهيئات والمنظمات التي تعمل لحساب غير اليهود .

سواء أكانت تلك الهيئات رأسمالية أو شيوعية ، فإن الأفعى اليهودية لا يعينها من هوية هذه المؤسسات إلا مدى ما تقدمه من ولاء وخدمات لليهود . ولعل هذا هو سر مظاهر التناقض واختلاف وجهات النظر التي تبدوا على سطح الحوادث في بعض مراحل التاريخ بين بعض القوى الدولية ، ورجال الأفعى اليهودية على امتداد العالم الواسع .

## الماسونية والغزو العقيدي

بادئ ذي بدء يجب أن ندرك أن تحديد حجم أفكار وأساليب ومحاربات المكائد والعقائد التي توضع ضد أمة الإسلام ، لا يراد به تضخيم حجمها العدواني بحيث يلقي في روع أمة الإسلام أنه لا قبل لهم بمجابهة أعدائهم . وكما أنه مطلوب لليقظة الإسلامية وللعمل المؤمن الرائد عدم الخوف من خبرة وأساليب القوى المعادية مطلوب وبنفس القدر عدم التهوين أو الاستخفاف بالفكر المعادي وبعمليات الكيد والنيل التي تحاك تمهيدا للاجهاض . فالماسونية في بعض ممارساتها ، تكفي بالعمل : في ميادين التعليم والأدب والفن والإعلام على إعداد جيل من أمة الإسلام ، لا يعادي الإسلام ولا يتحمس له لا يحاربه علانية ، ولا يعمل به عقيدة أو التزاما . وهو في موقعه - هذا الجيل - الذي لو تتمكن الماسونية من إيجاد يوم ما لا قدر الله محسوب على أمة الإسلام وعلى التاريخ ، بل قد يجيء أعداء الإسلام ، ذات يوم من مرتزقي ومحترفي الكتابة ، عنه ويصطنعون قواعد ومبادئ ومعتقدات يطرحونها من واقع سلوك عناصر محسوبة على الإسلام على أنها هي الإسلام ، والإسلام من خلال ما في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ أبعد ما يكون عن هذه المفتريات وهو منها على طرفي نقيض والخلاصة كما يقول الاستاذ أنور الجندي : أن الماسونية من الدعوات الخطيرة التي انبثقت في أنحاء العالم الإسلامي منذ وطد النفوذ الاستعماري أقدامه في هذه المنطقة . وقد ظلت سنوات تحدد الناس بأنها حركة خير واحسان ومعونة ، وأنها تحمل الطابع الإنساني الخالص حتى تكشفت مخططاتها في أوائل هذا القرن على أنها أداة النفوذ اليهودي الطامع في السيطرة وفتح الطريق أمام مطامعه ، ثم تكشف بعد ذلك بقليل أنها مقدمة الصهيونية وطليعتها . ثم عرف من بعد أنها لم تنطفئ بظهور الصهيونية ، ولكنها مضت ولها مخطط خاص وعمل كبير .

---

(١) (أنور الجندي) : (العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي) . دار الكتاب المصري - القاهرة - عام ١٩٧٩ م صفحات ٤٥٦ - ٤٦٠ .

فالماسونية طليعة التحرك اليهودي الذي أنشأ عدداً من المؤسسات لتحقيق أغراضه منها الخفى كالماسونية والظاهر - بعد ان مهدت له الطريق - كالصهيونية .

والمعروف ان الصهيونية واجهة تخفي وراءها مطاعم اليهودية ، اعطيت طابع العنف والجرأة بينما اعطت واجهة الماسونية السابقة لها طابع الخفاء والغموض ، وكلها تلتقي مع دعوات أخرى ربما كان مظهرها مختلف كل الإختلاف في سبيل فرض نفوذ اليهودية العالمية ، ومن خلال أيديولوجية تحاول أن تستمد مفاهيمها من التلمود ، وتقوم على إحياء شعب اسرائيل ولغته ودينه ، وإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى .

في هذه المرحلة الأولى للحركة اليهودية كانت الماسونية هي الطليعة او القوة الكاشفة حيث كان ذلك قبل الثورة الفرنسية بأكثر من ستين عاما ، والتي كانت الثورة الفرنسية نفسها أكبر ثمارها وأبعدها اثراً . والتي حققت مساواة اليهود بالمسيحيين في أوروبا ، ومكنت لهم الخروج من الجيتو ، والمشاركة في الحياة العامة ، والقدرة السريعة على تسنم ارقى المناصب السياسية والاقتصادية ، والسيطرة في وقت قصير على مقدرات اوروبا وإخضاعها فكريا ودينياً واجتماعياً لنفوذ التلمود كمقدمة للسيطرة العامة ، وإقامة الإمبراطورية والحكومة العالمية على النحو الذي صورته بروتوكولات صهيون ، لذلك فقد كانت صيحة (الثورة الفرنسية) : حرية - إخاء - مساواة - إنما تعني اساساً مساواة اليهود بالعناصر الأخرى . وقد نمت خطورة الثورة الفرنسية عن طريق عمل متصل قامت به المحافل الماسونية في فرنسا ، وأنحاء أوروبا المختلفة ، وحققت بالغدر والقتل إزالة كل من وقف في طريقها .

وقد إستهدفت الدعوة الماسونية منذ اليوم الأول هدفاً محدداً يتمثل في رمزها « البناءون الأحرار » وقد كثر التساؤل عن هذا البناء الذي يحاولون تشييده ، وهو الذي يظهر واضحاً من خلال الأنظمة والتشكيلات الماسونية : ويعني بناء هيكل سليمان في القدس .

وقد استطاع كثير من المؤرخين الذين تعمقوا الأحداث أن يكشفوا العلاقة الوثيقة بين الماسونية وبين الثورة الفرنسية . وفي مقدمتهم المسيو توترو الذي نشر مذكراته التاريخية عام ١٩١٢ . والذي أكد في صراحة بأن الثورة الفرنسية كان ضابطها ازمتهما في أيدي الماسونية ، وأنهم هم الذين دبروا كل فصولها ولعبوا كافة ادوارها . وما كان قتل لويس السادس عشر سوى تنفيذ لأحد مآربهم التي كانوا قد إتفقوا عليها في المحافل الماسونية . يقول المؤرخ توترو : وبعد أن ملأ الماسون فرنسا من دماء وفظائع أخذو يعممون الثورة في كل أنحاء أوروبا بواسطة جيوش الجمهورية . فالماسونية تنفخ روح الثورة حيثما تحل ، فكم تلت من عروش وكم قلبت من دول وكم عارضت من حلول ، ومنها الغنوصيون واهل النهلست .

وقد أشار المؤرخ هرماغروير : أن الماسونية حركة تكونت في لندن عاصمة الإنجليز عام ١٩١٧ . ثم وضعت الدستور الماسوني ، وقد إنحاز لها ملوك إنجلترا الذين وجدوا في الماسونية مساعداً قوياً على تنكيس الدول الكاثوليكية . وقد احصى الإحصائيون في مدة مائة عام عدد الملوك والرؤساء الذين قتلوا بمساعي الماسونية ، فإذا هو ينيف على الثلاثين .

ومن إنجلترا تسربت الماسونية إلى سائر أنحاء أوروبا، ولم تزل تقوى وتشتد بكل الوسائل التي في وسعها حتى انفجر يوماً بركانها بالثورة الفرنسية ، ثم تبعتها الثورة الأوروبية العامة، وكان لها أثرها في البرتغال والدولة التركية .

وأشار الأب لويس شيخو في مجلته المشرق عام ١٩١٢ الى أن الماسونية كان قد مر عليها مائتا عام بأن لها ما يزيد على ثلاثة وعشرين ألف محفل وأعضاؤها مليون .

وقد أشار جزجي زيدان وشاهين مكاربوس مؤخراً الى الماسونية وأبرز دعائها في العالم العربي ، إلى أن الماسونية دخلت بيروت عام ١٨٦٢ وتجددت عام ١٨٨٨ . وفي عام ١٨٦٩ تأسس في بيروت محفل آخر لغته العربية ، وأن الذين اشتركوا في هذه المحافل كانوا من الروم والبروتستانت واليهود، وبعض افراد من الكاثوليك والموارنة

والمليين والأرمن ، وكان للماسونية في بيروت جريدة المشير ، وكانت رسالتها على حد تعبيرهم : تقارن كل المذاهب والأديان إلا المذهب الكاثوليكي .

ثم تعددت المحافل في فلسطين ودمشق وحمص وحلب وانطاكية وأذنه ، وقد خدع بعض المسلمين خلال فترة نضال النفوذ الأجنبي الأولى ، فظنوها وسيلة للتحرر من ظلم المستبدين ، ولكنهم لم يلبثوا ان اكتشفوا أنهم خدعوا وعرفوا دخائلها ، وفي مقدمة هؤلاء محمد عبده ، كما أخبر عن نفسه . راجع ( مجلة المنار السنة ٦ ص ١٩٦ والسنة ٨ ص ٤٠١ ) كما كشف حقيقتها السيد جمال الدين الأفغاني خلال إقامته في مصر والأمير عبد القادر الجزائري خلال إقامته في دمشق ، وقد كتب كثير من يقظة المفكرين العرب والمسلمين عن أخطار الماسونية ، وكشفوا عن دخائلها ، وفي مقدمتهم الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه : السر المصون في شيعة الفرمايون ( مجلة المشرق م ١١ و ١٢ ) ومحمد بن عز الدين العاملي في كتابه : كشف الظنون عن حال الفرمايون . وكان في مقدمة دعواتها يوسف الحاج صاحب مجلة الوقائع الماسونية في لبنان وشاهين مكاريايوس ونعوم شقير<sup>(١)</sup> وعزيز ميرهم<sup>(٢)</sup> .

وقد أجمع الذين إتصلوا بالماسونية عن قرب ، وحذروا أهلهم من دخولها أن مبادئ الماسونية عموماً مرجعها إلى ذلك صروح كل مذهب ونقض كل نظام .

وقد كان للماسونية دور بعيد المدى في تقويض الدولة العثمانية ، ويمكن ان تغري أكثر الأحداث الخطيرة التي قامت على التآمر والصراع بين الطبقات والعناصر الى عمل الماسون ، وقد ارتبطت الماسونية بحركة جمعية الاتحاد والترقي ، وكانت عاملاً هاماً مع مخطط الإستعمار اكبر على تمزيق الدول الاسلامية الكبرى ، والسيطرة عليها .

فقد أجمع المؤرخون وتكشفت الحقائق في الفترة الأخيرة عن أن الماسونية كان لها

---

(١) المقتطف م ١٩١٠ ص ١٥٧ .

(٢) السياسة الاسبوعية م ١٩٢٦ م .

اليد الطولى فى إسقاط الدولة العثمانية، وإلغاء الخلافة، وخلع السلطان عبد الحميد، وأن دعوتها الاساسية كانت تهدف الى بناء هيكل سليمان فى مدينة القدس على انقاض المسجد الأقصى، وهو هدف خطير لم يكن من السهل الاذاعة به، ولكن جميع مخططات الماسونية كانت تصل فى النهاية الى هيكل سليمان كرمز أكبر، وهذا الهدف الذى حملت لواءه الماسونية ما زال هو أكبر اهداف الصهيونية منذ ظهورها الى الآن. وللماسونية يرجع الأثر الأكبر فى إذاعة صورة كريمة للسلطان عبد الحميد الذى يمثل اقوى مراحل المقاومة للنفوذ الصهيونى وموقفه من الصهيونية المشرف الواضح ما زال يحمل طابع الشرف والكرامة لهذا الرجل الذى احيط بصورة خطيرة من الاتهام. فقد وقف المدافع عن القدس، ورفع لواء الوحدة الاسلامية فى وجه النفوذ الأجنبي الخطير فى جبهاته المختلفة. ورفض ان يمنح اليهود شبراً واحداً من أرض فلسطين بالرغم من العرض الضخم المغربي الذى تقدموا به إليه فى وقت كانت الدولة فى أشد حالات العجز المالى والافلاس. وقد كان الحديث وما زال عن الماسونية غامضاً، ويحاول البعض الفصل بين الماسونية والصهيونية وبين الصهيونية واليهودية. ومما يذكر أن اليهودى واكتشت من كبار دعاة اليهود سئل عام ١٩٢٧ :

ما هي الماسونية ؟ فأجاب: الماسونيون الأحرار هم اولئك الذين بينون المملكة اليهودية العالمية<sup>(١)</sup>. والواقع أن اهداف الماسونية معروفة للمسلمين منذ وقت بعيد، وقد تبينوا هدفها فى اوائل هذا القرن.

وقد اشار رشيد رضا الى الماسونية فى عديد من دراساته فى المنار فقال أنها تأسست لأجل هدم الحكومة الدينية البابوية، وأن الواضعين لاساسها الأول هم اليهود، وغرضهم أساسا إعادة ملك سليمان الى شعبهم فى القدس، وإعادة هيكله إلى ما وضع له فى المسجد الأقصى، وأنهم هدموا الحكومات المسيحية فى أوروبا غربيها وشرقيها والحكومة الإسلامية التركية والقيصرية الروسية، ثم ظهرت بعد

---

(١) ص ٥٠١ - ١٢م الفتح ١٩٣٧.

ذلك جمعيتهم الصهيونية تستغل خدمتهم للإنجليز في الحرب بالتوصل الى إقامة حكومة دينية يهودية في فلسطين .

ويقول : إن الجمعية الصهيونية تكونت في أوروبا بخلافاً لما يزعمون من قدمها لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين ، وجعلوا رموزها وإشارتها قريبة من رموز المسيحية .

\* \* \*

وبعد فقد تعددت تيارات الدعوات والأخطار الوافدة إلينا من خارج العالم الاسلامي من إلحادية ، وعلمانية ، وقومية عنصرية ووطنية مجردة ، وإقليمية ضيقة ووثنية ، وما تزال هذه الدعوات تغير جلدها ، وتشكل في صور جديدة ، وتحت عناوين جديدة وبأقلام جديدة ، ولكنها في مضمونها واحدة واهدافها ما تزال واحدة ، وهي القضاء على وحدة الفكر الاسلامي والحيلولة دون التقاء الأجناس والعناصر المختلفة ذات الثقافة الواحدة .

### الماسونية والانضباط التنظيمي

الماسونية باعتبارها من الحركات السرية الهدامة لأخلاق الشعوب ومقوماتها وذلك لاتساع المجال امام مبادئها وأطماعها . ظلت سنين طويلة تخدع العالم بأنها : تجمع تنظيمي للخير والاحسان والمعونة ، ثم تكشف أنها أداة التحرك اليهودي القديم ، ومقدمة الصهيونية السياسية وعينها التي ترصد بها التاريخ .

وإذا كانت الصهيونية الحديثة التي تعبر عن مطامع الأجيال اليهودية اعطت نفسها او اتسمت بطابع العنف والجرأة بينما كانت حركة التنظيم الماسوني دائماً أبداً تتسم بالسرية والكتمان ، او الخفاء والغموض ، فان الاساليب الماسونية والصهيونية تعمل ميدانياً من خلال ايدولوجية تحاول أن تستمد مفاهيمها من مصادر يهودية المعتقد وخاصة مصدر كالتلمود بشروحه وتفسيره .

ومن أجل تحقيق الماسونية لدورها المرسوم وضعت نظاماً أساسياً هو بمثابة الدستور للعضوية الماسونية واسلوب عملها .

ومن أجل تحقيق المزيد من الانضباط الماسوني فقد جاء في المادتين ١٠٧ ، ١٠٨ من دستور بعض المحافل ما نصه<sup>(١)</sup> .

لا يسوغ لأي عضو أن يتغيب عن محفله مؤقتاً الا اذا نال منه تصريحاً بذلك أما اذا أراد الاستقالة من عضويته قطعياً فعليه ان يتحصل على شهادة خلو طرف .

أما العضو المستبعد فله الحق في ان يطلب من محفله خلاصة الحكم الصادر بطرده وجاء في المواد : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ما نصه :

- يحجر الدخول في المحافل اولاً على كل من لم يكن بناء حراً قانونياً أي ماسونياً خالصاً .

- ثانياً : يحجر دخول المحافل على كل من كان عضواً في محفل ابتعد عن الأحوال الماسونية ، وأخل بهما ، وعلى من اشترك في اعمال ذاك المحفل .

- الأخ الذي ليس عضواً في محفل قانوني لا يقبل زائراً الا مرتين في السنة ، وعلى كل الأحوال فليس للأخ الزائر رأي مؤثر في المحفل بل له اذا صرح له رأي استشاري فقط .

- على الزائرين ان يمثلوا الى قوانين المحفل الداخلية مدة زيارتهم وعلى الزائر أن يحرص على عدم الاخلال بها .

- وجاء في المادة الرابعة من القانون الماسوني المطبوع في بيروت ما نصه :

الإياء أو الامتناع عن الدفع تجري معاملتها بحسب الطريقة الآتية بعد ثلاثة أشهر من تأخير الرواتب او غيرها من المجالات يقوم رئيس المحفل للأخ الممتنع عن

---

(١) أنظر : (الأداب الماسونية) تأليف شاهين مكاريوس عضو محفل اللطائف ورئيسه ورئيسه وعضو شرف في عدة محافل اجنبية درجة ٣٣ طبعة المقتطف بمصر عام ١٨٩٥ م صفحة ١٥٣ .

الدفع خلال شهر وذلك بواسطة امين الصندوق بدعوته دعوتين ليؤدي ما عليه الى الصندوق مذكراً إياه بغوائل إياه او امتناعه عن الدفع .

- فاذا بقي هذا العضو ملتزماً بجانب الصمت بعد الدعوة الثانية أو اذا ابى الدفع فالأخ امين الصندوق يقدم بذلك تقريراً للمحفل في مهلة شهر بعد تلاوة هذا التقرير يسأل الرئيس بصوت عال إن كان يؤثر أخ من أعضاء المحفل ان يضمن العضو المتأخر عن الدفع ويتعهد بأن يقوم بالتزاماته ويدفع عنه فاذا بقي النداء بدون جواب يلتمس الخطيب في سياق الجلسة حذف العضو الممتنع من جدول الأعضاء العاملين ومن ثم يكون هذا العضو محروماً من الحقوق المتعلقة بالعضوية الماسونية والاعلان بهذا الحذف يجب ان يتقدم الى محفل الشرق العظيم في مهلة شهر.

- العضو المحذوف لعدم قيامه بالدفع الذي عليه يستطيع برضي المحفل أن يرد اسمه الى جدول اعضائه ، وذلك بتأدية ما كان متوجباً عليه في وقت حذفه بمقتضى العدالة .

- وفي مثل هذه الحالة ، يجب ان يتقدم الى الشرق العظيم الاعلان برجوعه .  
والبند الخامس يقول :

الماسونيون الذين لم يقوموا بواجباتهم المالية نحو المحافل التي هم اعضاؤها بدون أن يكون عذر شرعي ليست لهم قانونية ماسونية .

وجاء في المادة ٢٧ صفحة ١٩ من النظمات العمومية الماسونية المطبوع بالعربية لفرنسا وملحقاتها ، لا يجوز لمحافل الطريقة لأي سبب كان ان تقبل في مجتمعاتها حتى ولا بصفة زائرين ، الأعضاء الذين شطبت اسماؤهم من جدول الطريقة ؛ ورئيس المحفل الذي يخالف ذلك يعاقب بالتوبيخ او بالتوقيف المؤقت .

وجاء في دستور المحافل الايطالية في المادة ٣٩ ما نصه :

كل بناء حر يرغب في الاستقالة من الماسونية ، يجب عليه ان يعلن محفله بذلك كتابة وان يسلمه كافة ما عنده من الملابس والأدوات والحلى ، والأوراق الماسونية ،

وان يؤدي ما عليه من الرسوم والشهريات الى اليوم الذي طلب فيه الاستقالة، ومتى أدى جميع ذلك فلا يدعى للحضور بالجلسات ، ومع هذا، فان استقالته لا تغايبه مطلقاً من القيام بكل ما توجهه عليه الايمان التي حلفها من قبل حيث أنه يعتبر حائزاً لصفة الماسونية الدائمة .

كل عضو حر لا يرغب الاستقالة المطلقة من الماسونية، بل يرغب الانسحاب من المحفل الشغال به فقط فله ذلك ، وله الحق في هذه الحالة ، ان يحفظ عنده جميع ملابسه وأدواته وحليه وأوراقه الماسونية ، عدا نيشان المحفل المنسحب منه ، وعليه ان يحصل من محفله على تسريح منتظم بالاستقالة وعلى شهادة منه تدل على خلو طرفه ، مما عليه من الرسوم والشهريات المستحقة الدفع .

وجميع البنائين الأحرار الذين استقالوا من العشيرة ، او المحفل بالطريقة المنتظمة ، يجوز لهم الالتحاق بها ثانية ، مع اتباع ما تقضي به قواعد الالتحاق، ودفع الرسوم المقررة بنظامات المحفل الداخلية، اما الإخوان الذين اشتغلوا بمحفل منتظم مدة سبع وعشرين سنة قبل استقالتهم على طريقة منتظمة ، بدون انقطاع اختياري او قهري ، فلا يكلفون بدفع رسوم الالتحاق .

وجاء في القانون الاساسي لمحافل الانجليز بند ٢١٢ ، ٢١٣ ما نصه :  
كل عضو صار إبعاده عن محفله وإنسحب من نفسه بخلاف نظام محفله وقوانين العشيرة العمومية ، لا يكون لائثاً، لأن يلتحق بمحفل آخر قبل أن يعرف هذا المحفل إهماله الأصلي، بحيث يكون الأعضاء على بصيرة في قبوله من عدمه ، وكل محفل لا يجري البحث اللازم، عن بعض هذه الأمور، يوقع نفسه تحت طائلة دفع كافة متأخرات العضو المبعد اذا كان عليه شيء من ذلك .

### دلالة المبادئ الماسونية

من جملة القواعد الماسونية التي استشهدنا بها على اشكال الانضباط الماسوني للتدليل على اهمية الدور الذي تلعبه المنظمات الماسونية فانه تتضح لنا جملة حقائق

تكمُن في معنى المحافظة على سرية العمل الماسوني واحاطته بجو من الكتمان والغموض . وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل أن حركة العضو داخل المحفل مقيدة هي الأخرى بقيود والتزامات قل ان يتخلص منها ، ولكم تعرض كثيرون للتشريد بل وللقتل بسبب عدم قدرتهم على المضي قدما فيما كان يوكل اليهم من مهام والتزامات .

وحين نبصر قواعد الارتباط الماسوني ، فانا نرى أنه من الصعب جداً على العضو ان يتغيب عن محفله لسفر او قضاء اعمال خاصة به الا بتصريح من المحفل ، فقد جاء في المادتين ١٠٧ ، ١٠٨ من دستور المحافل المصرية التي تم حلها . ومصادرة نشاطها في مصر عام ١٩٦٤ م .

ولا يسوغ لأي عضو أن يتغيب عن محفله مؤقتاً الا اذا نال منه تصريحاً بذلك .

وتتهاوى الادعاءات الفارغة التي تلوك الحديث عن الحب : والإخاء والمساواة في اهداف الماسونية وعضويتها اذا علمنا أن سرية التنظيم الماسوني تمنع غير الماسونيين في التعرف على المحافل الماسونية الا على ضوء شروط خاصة .

فقد جاء في المواد ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ : الأخ الذي ليس عضواً في محفل قانوني لا يقبل زائراً الا مرتين في السنة وعلى الزائرين ان يمثلوا الى قوانين المحفل الداخلية مدة زيارتهم .

بل ان الأمر في حالات كثيرة يتطلب عدم السماح لغير الماسوني دخول المحافل أصلاً فضلاً عن الاطلاع على ما فيها . فقد جاء في بعض المواد الماسونية . . . .

يججر الدخول في المحافل على كل من لم يكن بناء حراً قانونياً - أي ماسونياً خالصاً .

ودلالة الالتزام الضرائبي الذي يقوم به العضو الماسوني يؤكد لنا أن هناك تنظيماً مالياً ، وموارد للمال تقوم عليها الماسونية في سبيل تحقيق اهدافها ، وليس الأمر هنا في موقف الالتزام المالي يتعلق بقضايا الحب والإخاء والمساواة فانه في قضايا الحب

والإخاء إذا لم تتوفر الامكانيات المالية فإنه قد تكفي الامنيات الطيبة والنيات الحسنة ؛ لكننا هنا في الالتزام المالي الذي يقوم به العضو الماسوني امام محفله . نجد انفسنا امام قانون ماسوني يجرّد العضو الذي لا يدفع ما عليه من التزامات مالية من عضويته فضلاً عن توقيع العقوبات التي يراها المحفل .

فالبند الخامس من القوانين الماسونية يتعلق بعدم قانونية الماسونيين الذين لم يقوموا بواجباتهم المالية ، نحو المحافل التي هم أعضاءؤها، ذلك لأن كل عضو ماسوني عنده من المحفل ملابس وأدوات وتعليمات وأوراق، ومن هنا فان عليه إن رغب في الاستقالة أن يتقدم بكل هذه المقتنيات وخاصة نيشان المحفل الذي ينتمي اليه .

ومن غير جدال أن الماسونية تهدف بهذا الأسلوب أن تحيط حركتها بجو من الانضباط والالتزام حتى تحافظ على سريتها وغموضها .

وحتى لا يقع الأعضاء الماسون في أخطاء مخالفة المبادئ الماسونية فإن لهم آداباً وقواعد سلوكية عليهم الارتباط بها والالتزام بقواعدها .

عليهم مثلاً كما يقول : شاهين مكاربوس في (الآداب الماسونية ) صفحة ١٦٠ أنه لا يجوز في مدة اشتغال المحفل عقد اجتماعات خفية ، ولا الانفراد بالمحادثة بدون الرئيس ولا التكلم عن شيء غير لائق، ولا معارضة الرئيس او الموظفين ولا يجوز وجود مخاصمات شخصية ولا منازعات ولا جدال بشأن الدول او العائلات او الأديان، في داخل المحفل، بمعنى أنك لو كنت مسلماً او مسيحياً ووجدت داخل المحفل سلوكاً يتناقض مع ما علمه عليك شريعة الدين الذي تنتمي اليه فغير مسموح لك - لماذا؟ تقول الآداب الماسونية وقواعد الالتزام التنظيمي لأن الماسونية اخوية جامعة ملتزمة من كل شعب على البسيطة واعضاؤها ثابتون على مبادئ سلفهم في كل عصر ، فالخصومات لأي سبب من الأسباب ، وخصوصاً بسبب الحكومات مضادة لسلامة وصالح الجمع ولصالح هذه العشيرة بنوع اخص .

وبينما يقوم الادعاء الماسوني المعلن عنه على فكرة : الحب والإخاء والمساواة وتقريب الفوارق بين الأديان وغير ذلك من الأهداف الانسانية المدعاة . تبرز السلوكيات العدوانية والفوارق الفئوية المرتبطة دائماً بالخلق اليهودي حتى في علاقة الماسون بعضهم والبعض الآخر . تقول الآداب الماسونية .

ويطلب من الماسون الاحتراس ممن لا يثقون بشرفه في كل الأحوال ، وعليهم حفظ مقام ذوي المقامات منهم واعتبارهم كما لو كانوا غير ماسونيين فان الماسونية وإن تكن قد ربطت الكل برباط الإخاء والمساواة ، إلا أنها لا تحتقر أحدا ، ولا تسقط مقام أحد من الأخوة بل تعلمنا اعتبار ذوي الكرامة ، بحسب ما يستدعيه مقامهم حتى أنها تزيدهم اعتبارا ووقارا ، ماداموا أهلا للاعتبار والوقار .

أرأيت كيف يبرز الفكر الانتهازي من بين قواعد الآداب العامة ، وخاصة في حضرة ذوي المقامات .

ثم وعلى الماسون الاحتراس عند وجود الأجانب - رغم الحب والإخاء والمساواة من أن يظهرها بكلامهم أو حركاتهم ، وبكامل تصرفاتهم شيئا لا يجوز الاطلاع عليه ويردوا على الغرباء الأغبياء على ما تقتضيه الحال مع مراعاة الإمعان والتروي . وهذا هو بيت القصيد .

عند الماسون غير الماسون غرباء وأسئلتهم غبية ، ولا بد من الإمعان والتروي في أي شيء ؟ في الحب والإخاء والمساواة !! أليس هذا هو البله في الفكر الماسوني وقواعده التنظيمية وما يحيط بها .

هذا وواجبات المنظمات الماسونية كثيرة ، فعليها جمع المال ، لانشاء مدارس ذات هدف يهودي في مناهج التعليم وألوان الثقافة ، وعليها جمع المال أيضا لانشاء النوادي والمقار الماسونية للتجمع وللأعداد .

وعلى المنظمات الماسونية تشكيل لجان كثيرة تتبع المحافل ومراتب العضوية

وعلى الماسون تشكيل لجنة من المرضين تنظر في أمر مرضى المحفل وتعاونهم وحدهم فقط .

وعلى الماسون إقامة لجنة تنوب عن المحافل في أداء ما يجب عمله للماسون فقط عند الشدة أو التعرض لمكروه ، وفي المناسبات المختلفة .

وعلى الماسون تشكيل لجان ، لقراءة الجرائد الماسونية والأجنبية للإطلاع عليها ورصد كل ما هو غير ماسوني .

وعلى الماسون تشكيل لجان للتحري والتدقيق في فحص ودراسة أحوال وأوضاع من يرغب في عضوية الانضمام في عضوية الماسونية ، وبالقطع فإن أمر عضوية الراغب يرتهن بموقف هذه اللجان وتقريرها عن مدى الاستفادة من عضويته ، أو عدم صلاحيته للانخراط في سلك أسرار التنظيم .

والأمر كذلك في إنشاء محافل جديدة في مواقع جديدة فقط للأهداف الخفية وللأساليب السرية في العمل والممارسة ، فإنه لا يجوز أن ينشأ محفل للماسون بغير طلب سبعة أعضاء على الأقل في محفل من الدرجات العليا ، حتى تتحدد وظائفه وأعماله ويهيئ المسرح الاجتماعي حوله ويختار له موظفوه ومن يقوم على أمره ، وعندئذ يصدر له التصريح ويعطى الاسم والاذن بمباشرة الأعمال من محفل الشرق الأعظم الذي تتبعه كل محافل البلد المزمع إقامة هيكل جديد فيه !!

هذا ولكل محفل أنظمة داخلية تختص به دون سواه في إطار الخطة العامة للمحافل ، ويقصد بهذه الخطة اتخاذ الأعمال الخاصة بالمحفل ، وبالقطع فإن الأمور الجوهرية واحدة في كل محفل .

ولما كان لكل محفل نظامه الذي يعين به أسلوب عمله الداخلي فإن عدد الجلسات التي يجب على كل مجلس أن يلتزم بها لا تقل عن جلستين في الشهر يسجل فيها كل ما يجري وترسل الى المحفل الأعلى الذي تتبعه المحافل المحلية ، وقل أن يكتفي أحد المحافل بأقل من جلستين في الشهر هذا غير الجلسات الطارئة التي

تعقد لقضاء توجيهات عليا تصدر للمحفل ، وحين يكون الأمر على هذه الحال فإن على السادة كتاب المحفل إرسال أوراق الدعوة الى كل واحد من الأعضاء عن طريق رسل يخطر عليهم يوم الانعقاد وساعته ، ولا يستعمل في الاتصال البريد أو عناصر بعيدة عن الارتباط بأسرار المحفل .

وإذا ما سئل الماسون لم كل هذه الاجراءات وهذه الأشكال التنظيمية والانضباط أجابوك : من أجل الانسانية !؟ .

والطقوس والشعائر : والآلات .. والرسوم والملابس الخاصة .  
والعضوية .. والضرائب .. والجلسات الخفية .. والعضوية المستمرة .. والعزلة النفسية عن الوطن .. والتجرد من كل ولاء إلا ولاء الماسونية .. أجابوك أيضا : كل هذه الأشكال من أجل الانسانية ، ويزول العجب إذا علمنا أنها أخلاق الأجيال اليهودية التي لا تعمل في العلانية ولا تحب الحق والخير أن يريا النور وينعم بهما الانسان !!

ومن هنا دأبت العقلية اليهودية على تسخير كل الامكانيات التي تفرزها المتغيرات المادية والاجتماعية لتكون دائما أبدا في خدمة أطماعها وأمانها على المدى البعيد .

### العلاقة بين الماسونية والصهيونية

الحركة الصهيونية الحديثة ، التي بشر بها ودعا إليها وقاد أسلوب عملها بعد أن أرسى الكثير من قواعدها العصرية ( تيودر هرتزل ) باعتبارها ظاهرة عدوانية في التاريخ الحديث ، لا كما يدعي الفكر الصهيوني من أنها حركة تحرير للوجود اليهودي لم يكن ليتاح لها امكانية النقاد الى مقدرات العالم الغربي حيث نشأت وخاصة في المراحل الأولى من عام ١٨٩٧ م الا بالخدمات والانجازات التي قامت بها الجمعيات الماسونية ذلك أنه لم تكن هناك جهودا يهودية قد بذلت في الاعداد لكسب عواطف كثير من قيادات الفكر الغربي وعناصر السلطة فضلا عن استغلال التيار التاريخي

لحركة الاستعمار الرأسمالي وصراعاته على استثمار البلدان المتخلفة وخاصة في المجال الدولي .

ومما يجدر ذكره في التدليل على أن الجهود الخفية لليهودية العالمية كانت تبذل على الدوام بل وفي دأب متواصل لتحقيق هدف إمكانية العمل اليهودي المنظم المعلن من أجل التجمع اليهودي وتشكيل عناصر القوة في شكل عمل موحد محدد الهدف والغاية ، أنه قبل مؤتمر بازل في عام ١٨٩٧ م ، كانت هناك محاولات على طول التاريخ اليهودي تتعلق بالعودة الى فلسطين والارتباط بصهيون ومنها مثلا :

حركة المكابيين : وكانت محاولة للتجمع اليهودي وكان من أهم أهدافها العودة المنظمة الى أرض صهيون المدعاة في فلسطين .

وحركة باركوخبا : ١١٧ - ١٣٨ م وكانت تحث اليهودي على التجمع في فلسطين ، والعودة لإعادة بناء هيكل من جديد ، وهذه المرحلة كانت في أوائل حكم القيصر الروماني الشهير ( هارديان ) الذي نسخ الكثير مما تبقى في عواطف اليهود وسلوكهم وشيد مدينة على أنقاض مدينة أورشليم .

وحركة موزس الكريتي : وكانت هي الأخرى حركة سياسية ذات هدف في تجميع اليهود في فلسطين ، إلا أنها كانت من البساطة بحيث لم يكتب لها إمكانية الإعلان عن نفسها وانتهت قبل أن تظهر .

وحركة دافيد روبين : ١٥٠١ - ١٥٣٢ م وهي الأخرى كانت من السذاجة في الإعداد بحيث لم يهتم بها أحد ولم تشغل بال العالم يومها .

وحركة منشة بن اسرائيل ١٦٠٢ - ١٦٥٧ م وكانت هذه الحركة ذات أهداف خاصة تختلف بها عن غيرها من الحركات اليهودية السابقة ذلك أنها كانت تريد جعل موقف قومي موحد لليهود يجمعهم في حالة من التعامل المباشر والاستثمار المستقل ، ومن عجب أنها كانت تريد بريطانيا وطنيا قوميا لليهود .

ومن المنطقي أنه كان وراء هذه المحاولات اليهودية منظمات تعمل لتحقيق

أهداف هذه الحركات اليهودية ذلك أن الأطماع الدولية في وضع الأشكال الاستيطانية بالأسلوب الذي تهدف إليه الحركات اليهودية التي أشرنا إليها لم تكن بعد قد استكشفت حاجتها الى هذا النوع من الإستيطان الاستعماري الذي عاوت بعد ذلك في دفعه والانطلاق به ، هذا فضلا عن أن اليهود على مستوى الحياة اليومية في كثير من بلاد العالم لم يكونوا يتعرضون لألوان من الضغوط أو المضايقات أو الحرمان من بعض حقوق المواطن في البلاد التي كانوا يعيشون فيها ، لكنه الطبع النهاز والخلق الملتوي الذي كانت تتوارثه أجيال القادة والرؤساء للتنظيمات الماسونية التي كانت قد استطاعت بالفعل أن تنفذ الى كثير من مقدرات المجتمع الأوروبي وتسيطر على العديد من رجالات الحكم وقادة الجيوش . وهو الذي كان وراء الجهود اليهودية في العمل على إشاعة دعوى الجنس الممتاز وسيطرة العنصر اليهودي المدعي ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تواكب العمل الماسوني مع العمل الصهيوني وكان المنطلق واحداً نحو تحقيق الأهداف المرجوة لعمل الأجيال اليهودية المستمرة تحت أقبية الماسون ودور الوكالات الصهيونية التي تعمل في مجالات الإعلام والفكر والثقافة والتوجيه .

#### الانجازات الحديثة للماسونية والصهيونية :

من جملة المقارنات التي يتصفحها المرء وهو يبحث أوجه الشبه في العمل التنظيمي لكل من الأسلوبين اليهوديين : الماسونية والصهيونية يتضح لنا جوهر المعتقد الماسوني والصهيوني منطلقا مما تدعو اليه تعاليم بروتوكولات حكماء صهيون التي أتينا على بعضها في الصفحات السابقة من بحوث هذا الكتاب وأنه في النهاية يخطط لجملة أهداف يعمل لها .

ومن هنا فإن من يطالع هذه البروتوكولات ويتابع ما يحدث عالمياً في ميدان الاقتصاد والاجتماع أو في علاقات الأخلاق العامة أو مجالات السياسة والأدب والسلوكيات الحديثة يجد علاقة وثيقة بين جوهر المعتقد الماسوني في التخطيط للسيطرة على مقدرات العالم وبين التيارات أو الانفجارات الأخلاقية والمذهبية في العالم كله شرقه وغربه على حد سواء .

فمثلاً تهدف الحركة الماسونية إلى إحداث تمزق نفسي وأخلاقي في الأسرة وفي مستواها العائلي المحدود في مجال العلاقة الجنسية . وذلك للعمل على تفكيك أواصرها تمهيدا لتجريدها من قيمة الدين والأخلاق ، ومن هنا نراها وراء ما يحدث من شذوذ في العلاقات الأسرية وخروج على مقتضى قوانين الطبيعة والغريزة :

فقد نشرت صحيفة ( نيوز أوف ورلد ) في عدد ١٢ من فبراير عام ١٩٦٧ م صورة لأعضاء يسمون بالأسرة الكبيرة ، وهذه الأسرة مكونة من ثمانية أعضاء في استوكهولم بالسويد والصورة إعلان عن مثل من أمثلة الزواج الجماعي فقد ظهر في الصورة أربع من النساء ورجلان وشعارهم : ( ساهم وساهم كأسرة ) .

ثم وصل الأمر بعد ذلك فيما نقلته صحيفة ( نيوز ذي ورلد ) في ٦ يونية من عام ١٩٦٦ م أن محكمة الاستئناف في كاليفورنيا حكمت بإباحة عرى النصف الأعلى من جسم المرأة التي تعمل في القهاوي والأندية العامة عند تقديم الخدمات للزبائن .

واستطاعت المنظمات الماسونية بإعتبارها المنفذ التنظيمي للضهيونية العالمية أن تستغل التطور المادي والاقتصادي الذي طرأ على العالم فجعلته في خدمة أهدافها ، حتى ولو كان تحقيق الهدف هو المسخ والتشويه لكل القيم الإنسانية . فقد خرجت الحركات التي لا تدعو الى تحرير المرأة في الحقوق والواجبات في الحياة المدنية والأسرية فقط وإنما خرجت تدعو الى المساواة في إلغاء الذكورة والأنوثة للرجل والمرأة إذا أرادا وأصبحت المرأة تعطي لنفسها حرية تقليد الرجل فيما يلبس أو فيما يصنعه لنفسه ، ورأينا جهودا إعلامية تعلن عن أن امرأة غيرت نفسها من جنس الى آخر عن طريق ( الهرمون ) بالعمليات الجراحية المتكررة .

وزادت الحركات الماسونية الصهيونية في تشويه الوجود الإنساني مبتدئة بالسعي إلى إصدار القوانين وتقرير شرعية مساواة الطفل غير الشرعي بالطفل الشرعي تشجيعا للزنا وحثا عليه ، وقد نجحت في ذلك تماما في البلاد الاسكندنافية .

ثم والعمل على عدم إعتبار الزنا سببا خلقيا يبرز مسئولية الزوجة في طلاقها

من زوجها وقد أصبح الأمر كذلك في الدانمارك .

هذا وإن المعاشرة الجنسية في غير علاقة زوجية ، في علاقة الصداقة ، أو ما يسمونه بزواج المجموعة ، أو ما يتفق عليه في تبادل الزوجات والصدقات ، فضلا عن إباحة العرى في النوادي والمجتمعات العامة هو أثر من آثار التوجيه الصهيوني الذي يهدف الى تحلل المجتمعات من قيم الارتباط بالدين أو الأخلاق والفضيلة تمهيدا للدعوة لأخلاق الماسون والصهاينة وفضائلهم وحدهم بإعتبار أنهم يرون في أخلاق الدين وآدابه والارتباط به عقبة كتود في وجه لإنجاح قضيتهم ومخططاتهم في السيطرة والتوسع .

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية فقد راحت التيارات ( التحررية ) تنادي بأن يكون للزوجين وحدهما دون تدخل من الدولة عن طريق القضاء أو غيره حرية فسخ عقد الزواج أو عقده إن رغبا .

واستجاب الماسون في السويد الى هذا التوجيه ابتداء من عام ١٩٧٢ م هذا وتبذل المنظمات الماسونية جهودها وراء نجاح مثل هذه التيارات .

وتشتد تيارات التوجيه المدمر للأخلاق والفضائل حين يصبح المناخ مهيا للدرجة مذهلة . ففي كوبنهاجن بالدانمارك يوم ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٩ م جاء في جريدة ( Hyraidtribune ) تحت عنوان : ( أول معرض عالمي للجنس يفتتح في الدانمارك في زحام شديد ) إفتتح المعرض وكان عبارة عن ثورة ضد كل التقاليد الماضية المتعلقة بأسرار المرأة والرجل في العلاقة بينهما لكي يصبح مباحا بالدعوة الماسونية والإنفاق عليها لتحقيق أهدافها : عرض أفلام الجنس وذلك لتوضيح عملية الجماع والإعلان عن أن له أنواعا وأوضاعا ، ونشر الصور العارية في طبعات متقنة ونشر كتب وأفلام الإثارة الجنسية ، وتوجيه الشباب الى معرفة الجنس وممارسته .

ثم تجيء الدعوة الى إباحة اللواط ، بين الرجال والسحاق بين النساء ويصل الأمر الى عرضه على البرلمانات ودور القضاء ، ويوافق القانون الأوروبي في بعض

بلدان أوروبا بمشترطاً في إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

وهكذا تنشط الحركة الماسونية في الخفاء وهي التي أفرزت التنظيم الصهيوني المعلن عنه في الوكالات والقرارات لكي تهيم المناخ العالمي في مجالات الأخلاق والأفكار وعقائد السياسة والمذاهب لتقبل المبادئ الصهيونية التي ترى التحلل من كل المبادئ والعقائد ورفض كل الأوطان والقوميات والتعلق بالعالمية والعلمانية الوضعية التي تخدر الوجدان وتهيم العقل لمبادئ صهيون لا غير ، وإنما حين نرى مجتمعاً غنياً مترفاً كالمجتمع الأمريكي ، ونرى فيه نماذج الهيبيز من الفتيان والفتيات في حالة من المسخ والتشويه والذبول والانحراف ( القذارة في البدن والملبس والمظهر وإطالة الشعر الى حد يعوق إمكانية نظافته ) نرى كم يتجسد الضياع في طريق طلائع الأجيال القادمة ، وندرك تأثير خطط القيادات السرية المتحكمة بالخفاء في مصير العالم ومقدراته .

### حرب الماسونية للشرائع السماوية

يتضح من تصفح تاريخ الماسونية وتتبع شعائرها ومراسمها أن من بين جملة أهدافها كحركة عنصرية تنزع الى التعالي والى تحقيق أهدافها بالقضاء على تعاليم الشرائع السماوية كلها ، مستهدفة في نهاية المطاف الإسلام وذلك بزعزعة الثقة في إعتقاد أن تكون الشرائع أنموذج العمل الإنساني الأعظم في خدمة التطور الانساني ومستقبله .

ومن هنا فإن الأعمال الكبرى لتنظيمات العمل الماسوني تجيء في خدمة هذا الهدف هدف القضاء على تعاليم الشرائع .

وعلى سبيل المثال ، فإن التنظيمات الماسونية القديمة والتي خططت للحرب والقضاء على المسيحية منذ عصر الميلاد ، ما أن فوجئت بالمجتمع الإسلامي في القرن السابع الميلادي يقوم على دعامة التوحيد لله ، التوحيد الخالص المنزه الذي لا يشوبه

صنم ولا وثن والذي هو بالتالي الإيمان الصادق بالله تعالى والذي يستتبعه الإخاء الإنساني النبيل ، والتجاوب الروحي الذي يستشعر منه أنه الخير الذي يضمّد جراح المظلومين ويعيد إليهم آدمتهم بالحب والإخاء والمساواة التي قررها الإسلام ، ما أن فوجئت به التنظيمات اليهودية الماسونية ، حتى ظهرت الأحقاد التي تكره للحق أن ينتصر أو أن يسود الخير بين الناس وينتشر ، أو أن يهدي النور الحيارى في ظلمات الليل ، وذلك حتى تظل لليهودية العالمية لها السيطرة الباغية على نفوس البشر .

وخوف أن يقضي الإسلام بتعاليمه السمحة على الفكر الماسوني القديم الذي ينشب مغالبه في وجه روحانية الإسلام وصفاء مظهره وأمام تعاليم الإسلام للقضاء بسلاح الروح والظهر على المتاجرة في الأعراض ، وسلع أجساد العبيد ، ومظاهر التخلف القديم هبت الماسونية مذعورة تجمع حول أهدافها في حرب مذعورة من أجل أولئك الذين أنقذوا الإسلام الإنسانية المعذبة من سياطهم الباغية ، وتمكنت من حشد الذين أذالوا الإسلام دولتهم ثم طورت أسلوب العصابات المستترة التي تأمرت بحقدتها الشعبي ضد العروبة والإسلام وكانت البداية قتل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . وتزعّم التيار القائد لحملة الانتقام من الإسلام ، يهودي من صنعاء نزل بالحجاز مدعياً الإسلام ، يدعى : ( كعب الأبحار ) لقد راح هذا اليهودي ينساب كالسم في جسد الأمة الإسلامية وفي الوقت الذي ألفت فيه الماسونية بعصابة يقودها رجل مثل كعب ، كانت هناك عصابة أخرى بقيادة الماكر الخاتل ( عبد الله بن سبأ ) الذي كان وراء الفتنة الكبرى في عهد عثمان رضي الله عنه كذلك ظلت هذه العصابة بقيادة ابن سبأ أيام علي رضي الله عنه إلى أن قضى علي رضي الله عنه على هذه العصابة الماسونية . وتمكن من نفي ( عبد الله بن سبأ ) إلى المدائن . غير أنه تمكن إبان الفتنة من أن يزكي نار الصراع . . واستورد من المذاهب والأفكار ما ساعد على نشوء تأويلات وتخریجات ليست من الإسلام في شيء .



## ثوب عصري في العداء للإسلام

لبست الماسونية مع تطور وتصاعد عدائها ضد الإسلام أثوابا عديدة ، وكان كل ثوب يوائم المرحلة أو العصر الذي تمر به تنظيمات الماسونية كقوة خفية تعمل في الظلام جيلا بعد جيل .

ومن الأثواب التي ارتدتها الماسونية في حربها للإسلام المذاهب والاتجاهات والتيارات التي دست على الإسلام ، حتى حسبها العامة من المسلمين في مراحل القهر والاستعباد من الإسلام وتعبيراً عنه .

وكان من أهم هذه التيارات المدسوسة على الإسلام بهدف تشويه عقيدة الوحدانية المنزهة في الإسلام الفرق التي تسمت باسم: الخرمية والبابكية والمحمرة والديصانية فضلا عن البابية ، والبهائية وغيرها من السبئية ، والاسماعيلية ، والباطنية وغير ذلك .

ومن يطلع على ما كتبه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل يدرك مدى محاولات الغزو التي قامت بها الفرق الباطنية ومدارسها الفكرية ، المدعاة فالفرق : الخاطبية، والحديثية والمعمرية ، والمردارية والنامية ، والهشامية ، والناووسية ، والأفطحية<sup>(١)</sup> وهذه الفرق ذات الاتجاهات المتناقضة والمختلفة أشد الاختلاف فيما بينها ، كان وراءها من غير شك عمليات غزو فكري خطط لها وحاولت بها القوى الخفية في عدائها للإسلام أن تنفذ الى جوهر العقيدة الدينية في الإسلام ولكنها لم تفلح أبدا .

وكما فعلت الماسونية ضد الإسلام قامت به ضد المسيحية أيضا كما سبق وأن

---

(١) هذه كلها فرق تنتسب الى الإسلام وتفترى عليه افتراءات كثيرة وما قرره لأتباعهم ليس أكثر من كونه بدعا استحدثت في المجتمع الإسلامي فعقائد معظم هذه الفرق أشبه ما تكون بالمعتقدات الوثنية الملحدة أو المعطلة أو النفاة عن الله وما أوجبه لنفسه سبحانه .

قدمنا لذلك في الفصول السابقة بشيء من التفصيل ، ولم تكف أبداً عن مواصلة عدائهما كلون من ألوان استراتيجيتها في حربها للإسلام .

وكما تمكن الأفاذ من علماء المسلمين أن يكشفوا عن التيار السام والقاتل الذي تتوجه به الماسونية الى تعاليم والإسلام أدرك نفس الهدف وحاربه واحد من علماء المسيحية في الشرق العربي وقام بصد أخطار الماسونية على دينه حسبما تصور ونبه الى خطورتها على مستقبل الناس جميعا .

يقول الأب (لويس شيخو) من الكراس الأول في الطبعة الثالثة من كتابه (السر المصون في شيعة الفرسمون) .

(إننا نؤكد ان الماسون يعتبرون الأديان كلها خرافة متساوية وخصوصاً الدين الكاثوليكي ، الذي ناصبه العداء<sup>(١)</sup> .

قال كولفين (Gulphin) في محفل منفيس في لندن : (إننا اذا سمحنا لليهودي او مسلم او لكاثوليكي او لبروتستانتني بالدخول في احد هياكل الماسونية فانما ذلك يتم على شرط أن الداخل يتجرد عن أضاليله السابقة ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع بها في شبابه فيضير رجلاً جديداً فلو بقي على ما كان لا يستفيد البتة من محافلنا الماسونية) . فنرى من قول هذا الماسوني أن الماسوني لابد له أن يتجرد من الخرافات الدينية ويلبس الرجل الجديد اعني روح الماسونية القح .

وهذه شهادة اوضح من السابقة ننقلها من النشرة الماسونية الفرنسية في عدد كانون الثاني سنة ١٨٤٨ م : (ان معظم الطائفية الماسونية الا بعض المحافل الخاصة ليست فقط لا تقبل النصرانية لكنها تثير على هذا الدين حرباً عواناً والدليل عليه قول اليهود في المحافل الماسونية الإنكليزية والفرنسوية والأمريكية والبلجيكية ومنذ عهد قريب في محافل المانيا) .

---

(١) الكتاب مطبوع في المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، في بيروت سنة ١٩١٠ م . صفحات ٢٣ -

وورد في النشرة الرسمية التي أذاعها (الشرق العظيم) في فرنسا الذي كان تحت حمايته الكثير من المحافل الماسونية في سورية وذلك في تاريخ تموز من سنة ١٨٥٦ م ص ١٧٣: (كما أنه لا يوجد الا حق واحد طبيعي مصدر كل الحقوق والشرائع الوضعية كذلك لا يوجد الا ديانة واحدة عمومية تحتوي ضمنها كل الديانات الخصوصية في العالم فتلك هي الديانة التي تعلن بها الدول إذا نادت بحرية الأديان).

أما كون النصرانية لا سيما الدين الكاثوليكي هو الدين الذي تريد الماسونية أن تناصبه وتلاشيه فذلك يتضح من شواهد لا تحصى للماسون. قال زعيم الماسونية. الفرنسية<sup>(١)</sup>: اننا كنا سابقاً نرشق بسهامنا الحزب الاكليريكي (Le Cléricisme) ونفرق بينه وبين الكتلكة وهو تمييز دقيق لطيف احتجنا اليه بازاء الجمهور وفي ندوة المبعوثين في محافلنا فلنصرح بالحقيقة قائلين إن الحزب الأكليريكي والدين الكاثوليكي شيء واحد فبقولنا ان الحزب الأكليريكي هو العدو الألد (وهي كلمة قالها الأخ كمبيتا أيام وزارته) لا نريد به إلا امرا واحداً أن نقوض أركان الديانة الكاثوليكية فإننا نحن الماسون لا يمكننا ان نكف عن الجهاد ما دامت الكتلكة حية ، فان الحرب بينها حرب دموي لا مناص من ظفرها أو من ظفرنا لا بد من موتها او موتنا).

ثم أردف الخطيب كلامه بذكر الشرائع التي سنت في فرنسا ضد الكتلكة منذ ربع قرن ونسبها كلها للمحافل الماسونية وختم كلامه بقوله (أن الماسون لا يرضون براحة الى أن يقفلوا كل الكنائس فيجعلوها هياكل لحرية الضمير ولا إله العقل).

وقال يوسف روزن الماسوني في كتابه (الشیطان وشركاؤه)<sup>(٢)</sup>: (ان المنتظم في الدرجة الثالثة والثلاثين من الطقس السكوتلندي) يجب عليه ان يسعى في ملاشاة

(١) أطلب الصفحة ٣٥ من الكتاب المعنون (La Grande Ennemie) .

(٢) أطلب البشير سنة ١٨٨٨ العدد ٩٣٥ ص ١ .

الكلثة لأنها خيانة ائيمة وضدها جميع وسائل العمل هي حسنة بالسوا . . . . . ويجوز استعمالها كلها للحصول على غايتنا بشرط أن ننجح .

فهذا كلام واضح لا يحتاج الى تفسير . وفيه صريحاً ذلك المبدأ الكاذب الذي طالما نسبته زورا اعداء الكنيسة للرهبانية اليسوعية وقد عين حزب الكاثوليك في الندوة الألمانية جائزة عشرة الآلاف فرنك لمن يمكنه ان يبرهن بأن اليسوعيين عملوا بهذا المبدأ الفظيع سرا أو جهاراً . والصحيح انه مبدأ ماسوني محض كما ترى .

وكما انكرت الماسونية في بلاد الغرب صحة الأديان الوضعية كذلك ينكرها الماسون الشرقيون . وحسبك برهاننا على قولنا ذكر كتاب (المعاطس) الذي نشره آخرنا ش . ش فصول نبال شتمه الى الديانات الثلاث : اليهودية والنصرانية والاسلام .

ومثله ابراهيم اليازجي في سينيته (مجلة المشرق ص ٦٧ و٢٧٨) وقيل أنها ليوستف شاهين مكاربوس :

الخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس  
والشر كل الشر ما بين العمائم والقلائس  
ما هم رجال الله فيكم م بل هم القوم الأبالس  
يشون بين ظهوركم تحت القلائس والطبالس!!!

### الماسونية والدين الطبيعي

ولكن هب أن الماسون لا يدينون بديانة تقبل بوحى الله الى البشر افليست كما قال ايليا الحاج : (تشتمل على محبة الله ومحبة القريب) وكما قال شاهين مكاربوس : (دستورها الأساسي الايمان بالله وخلود النفس) وكما قال (حضرة كلي . : الياس بك منسى) : (الماسونية لا تمنع احداً من ممارسة فروضه الدينية) فذا كله يدن على أن الماسونية لا تقصد معادة الدين وعلى الأقل الدين الطبيعي المبني على الحقائق الطبيعية الراهنة كوجود الخالق ووجوب قيامنا بعبادته وكالقول بخلود النفس ومجازاتها في عالم آخر على صالحتها او سيئاتها . فإن هذا الدين وإن كان دون الدين

الوضعي وأحط منه درجة ولا يفوق العقل البشري الذي يستطيع إثباته بالأدلة الفلسفية الا انه أساس الدين الوضعي وركنه . أفلا يكفي ذلك لتزكية الماسونية عن خلع نير الدين ؟ .

نجيب اولاً أن الانسان ليس بمخير في اختيار دينه فان العقل السليم لا يرشدنا فقط إلى قضايا الدين الطبيعي لكننا نستدل به ايضاً على أن الله الذي أثبت لنا وجوده أراد أن يوحى لخلقه بعض الحقائق ويهديهم إلى بعض الفرائض . فان ثبت ذلك تاريخياً تحتم على الانسان أن يطاطب برأسه خاضعاً لربه كالعبد لسيدته ويعتقد ما وحي به من الأسرار وينجز ما بلغه اليه من الأوامر . فان تحققت مثلاً بدرس التاريخ الصحيح والتقليد الصادق أن الله ظهر لشعبه على طور سينا وأوحى اليه ببعض الوصايا وجب على تصديق ذلك الحادث التاريخي والخضوع التام لما حتم على الموحى من الواجبات والفروض فالمسونية اذا بقصر اعتقادها إلى الدين الطبيعي ونفيها من الدين واهمالها البحث عنه تخالف مشيئته تعالى وتشر لواء التمرد والعصيان .

نجيب ثانياً أن الماسونية كاذبة حتى في اعلانها بأنها تؤمن بالله وبخلود النفس وبقية الحقائق الدينية المبنية على المبادئ العقلية وهاك الشواهد على قولنا :

قالت نشرة الماسون الألمانية في تاريخ ١٥ كانون الأول سنة ١٨٦٦ : ( ليس فقط يجب على الفرسمون أن لا يكثرثوا للأديان المختلفة لكن يقتضي عليهم ايضاً ان يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالاله أيا كان ) .

قال برودون (Proudhon) احد زعماء الماسونية : ( ليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين . وإن قال الماسون بوجود الاله أرادوا به الطبيعة وقواها المادية أو جعلوا الانسان والله (سبحانه وتعالى ) كشيء واحد<sup>(١)</sup> .

قال المجتمع الرسمي للماسونية الهولندية سنة ١٨٧٢ م في لائحته النهائية :

---

(١) كتاب المذاكرات على جمعية العقوبيين لبارويل (Barruel) ج ٣ ص ١٩٣ .

(أن الروح الذي به نحيا هو روح ازلي لا يعرف انقساماً زمانياً، ولا وجوداً فردياً فان في العالم الواسع وحدة مقدسة تملك الكل وتسوسهم فليس الا سلطة واحدة وأدبية واحدة واله واحد ولذا نحن : الله والانسان من جنس الله وروح الانسان من روح الله والروح غير منقسم فنحن البشر يؤلف الكل الذي يقوم منه الكائن العظيم وكل شيء يرجع الى هذا الوحي : نحن الله . . . فالذي يشعر بأنه إله يعيش بحياة لا تعرف الموت ) .

فهذا نفس مذهب الحلول كمذهب البوذية (Bouddhisme) كما ترى لا يجعل فرقاً بين الله والانسان وذلك بمثابة نكران وجوده تعالى ) .

وهذا القول قد صرح به (ويسهويت ) الالماني منشيء الماسونية في شرحه للدرجة الماسونية العليا : (كل شيء هو مادي فالله والعالم ليسا الا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو المطامع ) .

وكأني هنا (بأولاد الأرملة ) يوقفوني عند حدي فيقولون: ما هذه القحة ؟ وكيف تنكر الحق الواضح أتزعم بأن الماسونية لا تعتقد وجود الله وهذا الاسم الكريم في مقدمة كل اعمالها وفي صدر لوائحها وفي عنوان تأليفها الا ترى بأن كل ورقة رسمية يرسلها زعيم الماسون لاخوته تبتدىء هكذا (ل . . م . . ك . . أ . . ) .  
التي يفهمها كل العقلاء وهذا معناها للجهال مثلكم (لمجد مهندس الكون الأعظم) . أفليس هذا كافياً لردتهم الذين ينسبون للماسون جحود الخالق عز وجل فهذا شعار الماسونية شبيه بشعار الجزويت (لمجد الله الأعظم) لأن مهندس الكون هو الله عز وجل كما لا يخفى<sup>(١)</sup> .

قلنا إننا ايضاً عندما كنا نقرأ هذا العنوان نظن أنه اقرار بوجود الإله فتزكي الماسونية من هذه التهمة لولا أنا تحققنا بعد ذلك أموراً أبطلت ظننا ونفت اعتقادنا فأدعنا الى الحق الواضح وهاك الدليل على قولنا :

(١) (كرستاميدوا) في كتابه (الماسونية وتعاليمها) ص ١٢ .

(٢) وفي شرع الاسلام لا يجوز وصف الله بمعنى من معاني البشر فذلك كفر .

أول ما رأينا في هذا الشعار غرابة الاسم فاختر الماسون من أسمائه تعالى مالا تجد له ذكراً بين الأسماء الحسنى العديدة التي وردت في الكتب المنزلة وكلها تشعر بعظمتها جل ذكره وبسمو عزته وجبروته الى اسم مبهم فجعلوه بمنزلة (مهندس الكون) كأنه تعالى لم يخلق كل الكائنات من العدم وإنما هندسها فقط ونظمها . وزادوا على ذلك ما زاد الاسم إبهاماً بقولهم (المهندس الأعظم) كان الله استعان لهندسته هذه غيره من المهندسين فكان هو «الأعظم» بينهم فهب انهم قصدوا رب العالمين فما لهم لم يصرحوا بمعتقدهم او ليس هذا الالتباس داعياً الى الشك في صحة ايمانهم برب الأرباب وملك الملوك الذي له وحده يحق كل مجد وكل سلطان .

ثم بحثنا عما يفهمه ائمة الماسون باسم المهندس الأعظم فدونك جوابهم عن هيكلمهم ومهندسهم . قالت الجريدة الماسونية (بليكان) المطبوعة في بارا وهي لسان حال الماسون في البرازيل : (ان الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومية القديم (Panthéon) تحفل بجميع الآلهة فترحب بهم لأنه لا يتألف من مجموعهم كلهم الا إله واحد) فيكون إذن إله الماسون مجموع آلهة الصين والهند وهمج افريقية وبرابرة اوقيانية .

وقال (دي فرنيك) أحد زعماء المحفل السكوتلندي السامي في كتابه الى أحد الأخوة الماسون البروسين الذين ابوا قبول اليهود في الجماعة الماسونية : (إن الهنا ليس له اسم مخصوص فهو مهندس الكون العظيم اي الفاعل الأزلي في الشغل على الزاوية (يريد الزاوية الماسونية فيحب جميع الناس الأحرار) .

ومثله قول رئيس المحافل الماسونية الأكبر في مجلة العالم الماسوني سنة ١٨٧٨ م (ص ٢٠٤) ما تعريبه بالحرف الواحد : (ان هذه العبارة (أي مهندس الكون الأعظم) لا يتألف منها ادنى مذهب فلسفي او ديني فهي توافق ذوق الكل ولا تصد عن الدخول في محافلنا ايا كان من المرشحين سواء كان مؤمناً بالله او مادياً أو كافراً) . وقد برددت كلامها هذا وزادته ايضاحاً في السنة التالية ١٨٧٩ م .

قال هيان(Hayman) في مجلة العالم الماسوني<sup>(١)</sup> (ان الذين سبقونا في الماسونية خوفاً من الجدال الديني اختاروا لنا شعاراً يمكن البشر جميعهم أن يقبلوه مهما كانوا من جحد الألوهية وخلود النفس).

وقال آخر من زعمائهم نقلا عن مجلة العالم (Monde, 20 Déc. 1865) : (أن اسم مهندس الكون عندنا اسم بلا مسمى فعبثا يطلب الانسان كائناً فوق هذا العالم المحسوس فمن يطلب اللاهوت فليبحث عنه في دائرة الطبيعة وليس خارجاً عنها بل دعنا نقول صريحاً ان الطبيعة هي الله).

وقد اتخذ بعض الماسون كاله، لهم جرم الشمس فهي مهندس الكون الذي يعبدونه قال رينان الكافر أحد وجوه الماسونية في مجلة العالمين<sup>(٢)</sup> : (ليس في العالم عبادة موافقة للعقل السليم ولمبادئ العالم كعبادة الشمس فهي اله كرتنا الأرضية).

ومن أسامي الاله في المحافل الماسونية (ادونيرام) فاذا بلغ احدهم الدرجة الثالثة درجة الاستاذ كشفوا له سر هذا الاسم بما تعريفه(٢٠٠٠)(اعلم ان ادونيرام في مذهب الماسون انما هو أوزيريس (اله المصريين) او مبترا (اله الفرس) أو باخوس (اله الرومان) أو أحد الالهة المتعددين الذين كانوا في سالف الزمان يمثلون الشمس).

فما اصرح هذه الاعلانات ولو أردنا لأتينا غيرها ايضاً وبها ما هو كاف لمن لا يريد ان يصم آذان قلبه ويعمى بصيرة عقله .

ومع كل ما قلنا عن مهندس الكون وخسة هذا الاله والابهام في التعبير عنه قد نقر بعض الماسون من هذا الشعار لاحتمال دلالته على الاسم الكريم فسعوا بمحوه . وفي السنة ١٨٧٠ م لما اجتمع اعضاء شرق فرنسا الأعظم الحوا بأن يلغى من الواح

(١) اطلب كتاب (La Franc. Maceunerie et ses Secrets. Pt 60)

(٢) اطلب مجلة العالمين 1863 (Revue des deux Mondes).

المحافل اسم ( مهندس الكون العظيم ) فألغى ورضى بذلك الحكم معظم الماسون وصفقوا استحساناً الا بعض محافل الانكليز والأمريكان الذين انفصلوا لوقت عن أخوتهم لغلوهم في روح الكفر<sup>(١)</sup> .

ثم ما فتىء المجتمع عينه بعد ذلك بسبع سنوات فألغى اصحابه من دستورهم بنداً آخر كانوا وضعوه سنة ١٨٥٤ وهو هذا ( أن اساس الماسونية وجود الله وخلود النفس وحب الانسانية ) فأبدلوه بهذه العبارة ( أن الماسونية مبنية على مبادئ حرية الضمير المطلقة والألفة الانسانية فلا ترفض من شركتها احد بسبب معتقده ) .

وقد صادق على أعمال الشرق الأعظم معظم محافل ايطالية والمجر والمانية بل لم تلبث المحافل المحتجة على شرق باريس أن عادت الى التحاب والشركة معها قالت جمعية الاتحاد الماسوني العام<sup>(٢)</sup> ( ان حكم شرق فرنسا العظيم ليس هو سوى نتيجة مناهضة حرية الضمير للفتات الكهنوتية . . ومن ثم ليس من داع الى نفي محافل فرنسة من الاتحاد الماسوني العام ) .

وقد تفاقم هذا البغض له تعالى حتى جاهروا بالتجديف عليه وتحاملوا على عزته بأفطع الشتائم وأشنعها كنا نود أن نذكرها لولا رغبتنا بأن نيمط القناع عن خبث هذه الشيعة وكفرها .

قال دلباش (DeLpech) مقدم الشرق الأعظم في خطبته لعمدة الماسون سنة ١٩٠١ م مشيراً الى كلمة تلفظ بها (يليان) الجاحد قبل وفاته لما رشق بسهم في حرب الفرس (قد غلبت يا جليلي) يريد المسيح لذكره السجود . قال دلباش : ان انتصار الجليلي قد دام عشرين جيلا . . . وها هو ذا قد سقط بمساعينا هذا الاله الكاذب . ونحن الماسون يسرنا ان نشاهد سقوط الأنبياء الكذبة فان الماسونية قد أنشئت لهذه الغاية ان تناشب الحرب كل الأديان بل قل الخرافات وضروب التعصب .

---

(١) اطلب كتاب السيد دي سيغور P. 60 Segur: Les Francs - Macons.

(٢) مجلة (لاتوميياح - ٣ - ص ١٦٤) .

وقال قبله لانسان (Lanessan) كما ورد في نشرة العالم الماسوني في عدد نيسان سنة ١٨٨١ م (ص ٥٠٣): (إن الواجب اللازم علينا ان نسحق القبيح الفظيع (L'infame) وهذا القبيح الشنيع ليس هو فئة الاكليريكيين وانما هو الله).

وهذه الكلمة هول مهول بل لفظة استنبطها من قعر الجحيم ابو الكفر والزندقة فولتير الماسوني فانتصب بذلته لمنايذة القتال لرب السماء فأراد ان يسحقه وما سحق غير نفسه .

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل وقد بلغ برودن غاية الجنون حيث قال : (ليس الإله سوى البشر).

أجل إن كلاما مثل هذا لا يفوه به غير المجانين ولا يمكن ان ندعو باسم آخر الذين ينضوون الى هذه الجمعيات السرية التي تعلم مثل هذه التعاليم الشيطانية .

فان كان مذهب الماسون في الرب الإله كما مر فما قولك بمذهبهم في النفس وجوهرها الروحي وخلودها وجزائها عن أعمالها الصالحة او عن سيئاتها فان الماسون يعتبرون كل ذلك من أساطير الأولين وخرافات العجائز وهذا ما حملهم كما سبق القول على أن يحوا من مقدمة دستورهم ذكر خلود النفس كما طمسوا الاسم الكريم .

وإن بقى لأحد ريب في ذلك نقلنا هنا بعض اقوال مقدم الماسونية في محل لياج في بلجيكا (كتاب الماسونية واسرارها سنة ١٨٦٧ ص ٣٠).

(ليس جهل كجهل الذين يزعمون أن النفس خلقت قبلنا او معنا والصواب ان النفس التي تتكيف بكل كفيات الجسد ليست هي الاقسما من الجسد بل هي عين الجسد . ومن جعل النفس روحا مجرداً عن الحواس انما وضع ذلك طبعاً وضغطاً على البشر فهذا هو تعليم الكهنة حتى يسوسوا الجهال ويتصرفوا بهم كيف شاؤوا).

أفحتاج بعد هذا الى كلام اوضح واصرح . اولا يحق لنا بأن نقول مع احد الماسون الذي اطلع على اسرار الماسونية وأناب الى الله قبل وفاته وحرر ما سمعه ورآه

رأى العيان فقال (كتاب الماسونية وأسرارها ص ٣١) : (ان الماسونية تعتبر الانسان كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آلة صماء بلا نفس عاقلة . . . . وغايتها القسوى ان تسوق البشر الى فك كل قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين فيعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة وينقادوا الى اوامر زعماء الماسونية انقياداً اعمى ) .

فيتضح ما قلناه عن كذب الماسون في ادعائهم أن الغايات الشريفة هي هدفهم وقد اثبتنا بالأدلة غير المنكرة بأن الشيعة الماسونية ليست جماعة خيرية ولا تعنى بنشر العلوم الصحيحة ولا تدافع مطلقاً عن الدين بل تعاديه معادة العدو الأزرق .

### الماسون واشتغالهم بالسياسة

من عادة الماسون اذا خافوا نقمة الدولة ومعارضة ارباب الحكم ان ينكروا تشاغلهم بالسياسة الى ان يخلو لهم الجو فيقروا بعملهم وربما نسبوا الى انفسهم الانقلابات السياسية الجارية في العالم كما رأينا آخرأ بعد الاعلان عنها فان الماسون كرروا بجملة الأشدق ان هذه الانقلابات انما حصلت بسببهم .

ولنا في الأمر اقرار أئمة هذه الشيعة في خطبهم الرسمية في مجامعهم السنوية . قال بلات (Belat) في محفل سنة ١٨٨١ ما تعريبه الحرفي : (نعم إنه لأمر ثابت ومقرر بأن الماسونية مشروع سياسي وانما هذا فخرها ) .

وقال غونار (Gonnard) في محفل سنة ١٨٨٦ م (اننا في محافلنا نسعى بأعمال السياسة وسياستنا هي نعم السياسة فان الأبحاث السياسية والاجتماعية غايتنا الخاصة التي نجاهر بها علنا ) .

وقال محرر مجلة الماسون المعروفة بالجمهورية الماسونية République macon (1882 nique) : (إنه من الواجب اللازم ان تكون الماسونية زعيمة كل الأحزاب السياسية فتقودها ولا تنقاد لأوامرها ) .

فكل هذه الأقوال وغيرها كثير اوضح من ان تحتاج الى شرح .  
ما هي إذن الماسونية :

فبعد هذه المقدمات ونكراننا على الماسونية مدعياتها الباطلة يمكننا ان نحدد هنا تلك الشيعة فنقول (ان الماسونية شركة سرية سياسية غايتها تقويض اركان كل سلطة دينية كانت او مدنية ) .

### الماسونية شركة سرية

ذلك امر لا يحتاج الى بينات عديدة والدليل عليه ما يألفه اشباع الشركة من العلامات السرية بينهم في المصافحات والسلامات وعدة حركات لا يعرفها غيرهم ويتعارفون بها . ومن الأدلة على الأمر أيضاً تعابير سرية يغيرها كل ستة اشهر مقدم المحفل ويجب على كل ماسوني ان يعرفها ويعلن بها للناظر كما يفعل الجند بشعارهم . ومنها ايضاً اخفاء الماسون عن الغرباء لا بل عن أصحاب الدرجات الأولى في الماسونية اسماء المنتمين الى الشيعة . وكذلك يخفون بكل حرص الأوراق والسجلات والكتب التي فيها اعمال الماسون حتى انهم كانوا خلافا لقانون الدولة في فرنسا لا يقدمون نسختين من مطبوعاتهم للمكتبة العمومية كما هو مسنون على كافة مؤلفي الكتب هذا ما خبرنا به المسيو دليل (LDelisle) ناظر المكتبة في رسالة الى احد الأباء في ٢٤ ت ٢ سنة ١٨٩٩ م ثم اقام الحججة على الماسون برسالة رسمية .

ولنا ايضاً اقرار زعماء الماسونية الذين يشددون على اصحابهم النكير في اشاعة الأمور المنوطة بجماعتهم . قال كبير المقدمين في مجلس الشرق الأعظم في باريس ١٨٩٣ م في لائحته التي وجهها الى المحافظ الماسونية في فرنسا قال : (ان قوة الماسونية تتوقف خصوصاً على محافظة اعضائها على أسرار مباحثاتها) . وقال لودوك (Leduc) في خطبة ألقى بها في تلك الأثناء . : (الحذر الحذر من كشف اسرارنا فان ذلك يؤدي بنا الى العطب) .

وناهيك بما يفرض على الداخلين في الماسونية من الأقسام المخرجة لحفظ أسرار الشيعة فإنهم كلهم يملفون على كتابها ويصرحون بأنهم إذا كشفوها يرضون بالعقاب على فعلهم .

ودونك صورة القسم الذي يتلوه كل طالب يريد الدخول في الطقس لسكوتلندي :

( إني أقسم باسم مهندس العالم الأعظم إني لا أفشي أسرار الماسونية ولا علاماتها ولا ملامساتها ولا أقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها وإني أصونها مكتومة في صدري الى الأبد ثم أني أقسم باسم مهندس الكون بأنني لا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركات وإني لا أكتب شيئا منها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير . وأرضى إذا حنثت بوعدى بأن تحرق شفتاي بحديد محمى وأن تقطع يدي ويحز عنقي وتعلق جثتي في محفل ماسوني ليراه طالب آخر ويتعظ بمثلي ثم تحرق هذه الجثة ويذر رمادها في الهواء لئلا يبقى أثر من خيانتى ) .

ومثل هذه الأقسام هناك غيرها أيضا في درجات الماسونية العليا . وفي حفلة قبول الطالب يأمر المتقدم بأن تجعل على صدره مجردا طبات السيوف المسلولة فيقول له بأن هذه السيوف سوف تنتقم منه إذا لم يقم بمواعيده للجمعية وإذا ما أفشى بأسرارها .

هي إذن ( جمعية سياسية ) أعني أنها في باطن محافلها تسعى في تدبير الأمور العمومية وإدارة شؤون البلاد على حسب غاياتها ووفقا لأهوائها : ومن ثم لا صحة لما يقوله الماسون أو ينقلونه عن لوائح كاذبة بأنهم يمنعون في محافلهم كل مجادلة سياسية كما مر بك من أقوالهم وقد أثبتنا ذلك بعدة شواهد نضيف إليها ما يؤيدها كقول احد شيوخهم المعظمين المسمى غونار السابق ذكره في مؤتمر الماسونيين سنة ١٨٧٦ م (كنا سابقاً قد ألفنا القول على سبيل الفطنة لا على طريق القانون المعروف بأن الماسونية لا تكثرث للأديان ولا السياسة . وليس قولنا هذا وراء ومداجاة وإنما فعلنا ذلك احترازا من مراقبة الشرط ( البوليس ) فنخفي عنهم ما

تقتضيه علينا جميعا واجبات الماسونية قبل كل شيء . ومن ثم أني أقول اليوم جهارا بأننا في محافلنا نشتغل بالسياسة . ونعم السياسة سياستكم أيها الأخوان ) .

أجل أن الماسونية شيعة سياسية ولو أردنا أن نتتبع كل الأمور التي جرت في أوروبا عموما وفي فرنسا خصوصا منذ مئة وعشرين سنة ما وجدنا حادثا واحدا من الحوادث السياسية إلا وكان للماسونية فيه يد مشؤومة وسهم فائز . وقد سمعنا المؤرخ البروتستاني هرذر يؤكد في أواسط القرن الماضي أن العلاقات بين دسائس الماسون والفتن الأوروبية منذ نصف جيل مما لا ينكره غير الجهال . قال الكونت دي طوغفتس ( di Taugwits ) أحد أعيان الماسونية الألمانية في مقالة كتبها سنة ١٨٢٢ : ( قد تأكدت وعرفت حق المعرفة أن المأساة العظيمة التي ابتدأت سنة ١٧٨٨ و ١٧٨٩ مع قتل الملك ( يريد لويس السادس عشر ) والفظائع التي رافقته إنما كانت نتيجة أعمال المحافل ( الماسونية ) المحرجة التي اتفق عليها أعضاء الماسون وقرروها ) .

ولما جرت سيول الدماء بعد ذلك في كل أنحاء فرنسا حتى صارت أرضها بمنقع دم صرح رئيس الماسونية الألمانية في خطاب تلاه سنة ١٧٩٤ مهنتا فرنسا لسبقها بقية الأمم في طريق الثورات والمشاغب وختم كلامه بهذه الألفاظ : ( أن جماعتنا الماسونية قد أضرمت في الشعوب الأوروبية نار الفتن فهيهات أن يخبولظاها قبل أجيال متعددة ) .

ما لنا نطلب البعيد فان الشرائع التي سنت في فرنسا منذ السنة ١٨٨١ الى هذه الغاية ضد الدين والكنيسة كنفي الرهبان وأبطال مدارسهم وتجنيد الاكليريكيين وقطع رواتب الكهنة وفصل الكنيسة عن الحكومة كل ذلك قد سبقت الماسونية وقررت في حفلاتها السرية ثم أمرت النواب الماسون بأن يؤيدوه بتصويتهم بعد أن التجأت الى كل الدسائس والمكايد لتدخلهم في ندوتي الشعب والأعيان بحيث تكون لهم أغلبية الأصوات .

وكل ما نقوله قد أثبتته رسميا نائب باريس المسيو براش ( L . Prache ) رئيس

اللجنة المعنية للتنقيب عن أعمال الماسونية فبينه أجلى بيان في خطبته التي ألقاها في مجلس النواب في ٢٠ آذار سنة ١٩٠٢ م وقد أتى ببراهين لا يستطيع أحد انكارها فاطلع رصفاؤه على كتابات سرية للماسون توفيق الى اكتشافها من جملتها رسائل عديدة لعمدة الماسون يحلون فيها ويربطون ويتصرفون كما شاؤوا بكل دوائر الدولة في البحرية والجنديّة والمعارف والأمور الداخليّة والخارجيّة كأنهم هم الدولة ليس سواهم . ثم نشر المسيو براش كل هذه الدفاتن في كتاب تكرر طبعه هو تحت نظرنا ونحن نسطر هنا عنوانه .

La Petition Contre La Franc - Maçonnerie à La Ile Commission des pétitions de la Chambre des Deputés . Exposé présenté à La Commission par L . Prache député de Paris rapporteur , Paris , Hardy et Bernard , rue de Bondy , 80

وفي هذا الكتاب رسوم الكتابات الأصلية مع حورة بالشمس تشهد بصحة أقوال الكاتب .

وما نقوله عن فرنسا يصدق عن كل بلد قوي فيه العنصر الماسوني كما ظهر آخرًا في فتن بلاد البرتغال ولا سيما في أسبانيا بعد أن حكم بالموت على الماسوني الفوضوي فرير .

وقد رأينا في أصقاعنا نهضة الماسونية وما مر علينا بعض أشهر حتى ذقنا من أثمار تلك الشجرة السيئة فقام ماسون بلادنا وقعدوا لضبط أزمة السياسة وعلى الأقل لعقد الأحزاب الساسية وتغليب آرائهم الثورية بإلقاء الخطب وتمثيل الروايات ونشر الجرائد والتنديد بالأكليروس لا يأخذهم في إدراك مآربهم لومة لائم .

إذن هي معاكسة للسلطة الدينية قد أثبتنا ذلك بالشواهد النيرة التي لا يمكن نقضها وها نحن نضيف إليها أدلة جديدة قال فرند ( F . Faure ) في مؤتمر الماسون سنة ١٨٨٥ م : ( يقتضي علينا بأن نستأصل من فرنسا كل نفوذ ديني على أي صورة

يظهر وأي هيئة يلوح ) . قال برودون السابق ذكره : ( ليست الماسونية سوى نكران وجود العنصر الديني ) .

وذلك ما وضعه كأساس الماسونية وركنها الأصلي أحد منشئها : ( آدم ويسهويت ) فعنون رسالة له عن مذهب المنورين الماسوني بهذا العنوان ( تعليمات للداخلين في ( الشيعة الماسونية ) المائلين الى حماقة الاعتقاد بإله والسجود له ) ومن كلامه في هذه الرسالة قوله : ( ينبغي لمن يسعى في العمل لغبطة الجنس البشري أن يناوىء ويضعف كل المبادئ التي تشوش راحتهم وغبطتهم منها جميع المذاهب التي تشين شرف الجنس البشري وتبخس كماله وتقلل الثقة بقوى الطبيعة كالمذاهب الإلهية والسرية وكل ما له علاقة به كالمبادئ التي تصدر عن معرفة الله ) .

وقد قلنا سابقا أن الماسون يناوئون المسيحية لا سيما الكاثوليكية التي تصدت فعلا لغاياتهم الوخيمة . قال كتراد في الجريدة الماسونية ( برهوت ) المطبوعة في ليبسيك : ( أن عدونا الألد هو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية البابوية المعصومة مع نظامها العام الشديد الوثاق فهي عدونا الأوثي فإن شئنا أن نكون ماسونيين حقيقيين وفضلاء راغبين في فوز جمعيتنا فعلينا أن نكرر على رؤوس الأشهاد قائلين : نحن ( فرمسون ) ليس إلا . . . فلا ندحة لكم إذن عن أحد هذين الأمرين فأما أن تكونوا مسيحيين وإما ماسونيين فاختراروا ما شئتم ) .

يقول الأب ( لويس شيخو ) وهو الحبر المسيحي المعروف :

نستنتج من هذه الأقوال صحة ما يخدم به الماسون في بلادنا الشبان الأغرار حيث يؤكدون لهم قائلين : ( أن جماعتنا لا تتعرض للديانات المختلفة المنبثة في العالم ولا لهيئات الحكومة لأن مقامها في دائرة عليا تتجلى فيها فتحترم الإيمان الديني وتتحاشى المنازاع السياسية التي بين كل عضو من أعضائها ) .

هي إذن ( معاكسة لكل سلطة مدنية ) ما أحرى بمن ينكر وجود الله عز وجل أن ينكر أيضا وجود كل سلطة مدنية فإن بين القضيتين عروة وثقى بل قل وفاقا تاما

غير منقسم لأنه ليس سلطة إلا من الله تبارك وتعالى كما صرح به الرسل ( رومية ١٣ : ١ ) لأن مروق الجاحد من الدين لا يلبث أن تثور في قلبه نائرة العصيان على السلطة الشرعية التي لم يبق لها سند متين ألا يعتبرها كسلطة مدنية مختلصة يريد سلبها من أيدي أصحابها ليحصل هو عليها بدلا منهم وذلك بأي أثم كان فيصرخ كإبليس يوم عصيانه على الخالق : لست أخدم ولا أطيع .

ولبيان هذه القضية نورد هنا بعض أقوالهم في كتبهم السرية التي وقعت في أيدي الباحثين أو أعلن بها قوم منهم بعد توبتهم فما يقسم به ( المنتورون ) قولهم : ( إنني أقطع كل الروابط المادية التي يمكنها أن تجمع بيني وبين أي كان من البشر كالآب والأم والأخوة والأخوات والزوج والأقارب والاصدقاء والملك والرؤساء والمحسنين وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة أو عاهدته بالشكر والخدمة ) .

ليس إذن للماسوني رب ولا إله ولا معتقد آخر إلا زعماء الماسونية الذين هو في أيديهم كآلة عمياء يحركونها كيف شاؤوا وإن طلب منه أولئك الزعماء أن يضحى ما كان أعز لديه حتى دينه ودنياه لتنفيذ مآربهم لا مناص له من ذلك .

ومما يثير الدهشة ويحير حقا ، هو تلك القدرة اليهودية العجيبة على التلون بألوان كل عصر في سبيل تحقيق أهدافهم فلقد استطاعت التنظيمات اليهودية أن تقوم بعمليات كبرى في القديم والحديث ضد كل المجتمعات ثم كانت وراء كل التيارات التي تقوم على البدع وانكار القيم والفضائل .

واستطاعت رغم كل التحديات أن تقوم بدورها المرسوم تجاه كثير من القضايا الأساسية في العالم ، ولا أدل على ذلك في القديم من أن التنظيمات اليهودية حين استطاعت في مراحل مقاومتها للمسيحية في ظل الدولة الرومانية في عصر الميلاد أن تنب بأطماعها الى مقاومة السلطة الرومانية فانه بعد أن تعرضت هذه التنظيمات للمقاومة القوي الرومانية وأن تقوم بمطاردة العناصر المسيحية الأمر الذي عرض اليهود لمرحل جديدة من الشتات فقاوموا بأساليبهم الخفية والمستترة تحت ستار العمل

الماسوني وما أن اتجهت بعض جموعهم الى شبه الجزيرة العربية بعد الميلاد لتنضم الى بعض العناصر اليهودية التي كانت قد استغربت وعاشت في منطقة يثرب حتى استطاعوا في شمال الحجاز رغم ضربة الرومان القوية لهم عام ١٣٥ م على يد القائد الشهير ( هارديان ) أن ينشطوا تنظيماً لهم وأن تقوى جموعهم بأساليب الطبع الملتوي والخلق النهاز حتى قاموا بدورهم الخطير في عمل وترتيب وأعداد مخطط العمل الماسوني بأساليبه التنظيمية الدقيقة . ولما ظهرت الدعوة الإسلامية ، وقام المصطفى ﷺ يدعو الى الإسلام ويقرر قواعد التشريع فيه قاومت التنظيمات اليهودية الإسلام ونبيه عليه السلام وحاولت أن تحول دون أن يستقر في واقع المسلمين منهج الاجتماع والاقتصاد المستمد من عقيدة التوحيد لله رب العالمين .

### الجدور التاريخية للمنظمات اليهودية في عصر ظهور الإسلام

منذ عام ٧٠ م وأمام عمليات السطو الفكري والتستر السلوكي الذي يقوم به اليهود ضد الدولة الرومانية والأقليات التي تنضوي تحت لوائها اضطر القائد الروماني الشهير ( تيطس ) أن يقوم بحركة تطهير واسعة لكي يتخلص من السيطرة اليهودية وخاصة في فلسطين ولكي يتم له القضاء على محاولاتهم في التمرد وإعلان السخط والمقاومة للحكم الروماني ، الذي لا يتيح لهم كل ما يبتغون من أعمال العنف ، وممارسة أساليب القهر والعدوان في تحقيق مطامعهم وأغراضهم .

وفي عام ١٣٥ م كان اليهود في فلسطين من خلال جهود فرقهم الدينية وتنظيماتهم السرية <sup>(١)</sup> قد عادوا مرة ثانية لتجميع ما تبعثر لهم واستطاعوا أن يجابهوا سلطان الدولة الرومانية بما يشبه الثورة ، وقادوا من أعمال الاضطراب ، وإثارة الشغب وتضليل العامة عدواناً على الدولة الأمر الذي جعل القائد الروماني ( هارديان ) يحطم لهم معابدهم ويدمر لهم حصونهم ويصادر أموالهم ، ويحرق كتبهم ، ويطارد كهانتهم ، ويرفض أن تقوم لهم قائمة بفلسطين .

(١) يراجع في هذا الموضوع : كتاب ( التاريخ اليهودي العام ) للمؤلف .

ومنذ هذا التاريخ اندفعت الأفواج اليهودية تقصد العديد من البلدان وتعيش بين الشعوب ، وكان من بين تلك الأفواج اليهودية المشردة مجموعات نزلت بأرض الحجاز في مدينة ( يثرب ) وما يليها من الشمال .

ثم قاموا بتوزيع تجمعاتهم في هذه المنطقة ، واتخذوا فيها الحصون والمستعمرات والبساتين وأسواق التجارة وغير ذلك .

ثم حدث أن قام بين الأوس والخزرج : العناصر الأساسية من العرب سكان مدينة ( يثرب ) مشكل الزعامة ، ومنافسات القيادة ، وفي حالات كثيرة كانت تتحول هذه المنافسات إلى نوع من الصدام والعراك المسلح بين الأوس والخزرج في داخل مدينة يثرب وعلى حدودها .

ولما كان اليهود قد تمكنوا من أن يقوموا بعمليات توزيع بشري لتجمعاتهم داخل يثرب في مواقع متعددة ، فقد واتتهم الفرصة الذهبية ، حين كان يقوم الصراع بين الأوس والخزرج ويتحول إلى قتال . وقام يهود ( قينقاع ) بعقد حلف مع الأوس وتقديم العون لهم ، ثم قام يهود بني قريظة وبني النضير بعقد حلف مع الخزرج وحين بدأت العلاقة بين الأوس والخزرج قبيل البعثة المحمدية تنتقل من الضغائن والمشادات إلى نوع من الصراع والحروب ، كان على اليهود أن يؤججوا نار البغضاء والعداوة بين العناصر العربية في يثرب .

واقترضى الصراع العربي بين عناصر التجمع العربي في يثرب أن يقترض الأوس من يهود قينقاع ، وأن يقترض الخزرج من يهود بني النضير وبني قريظة وبالقطع فإن القوى اليهودية لم تكن تستهدف في هذه المرحلة أكثر من ذلك فقد أثقلوا الفريقين بالديون والالتزامات ، علاوة على ما تعرضوا له من إرهاب ومشقة .

ومن خلال هذا الوضع السياسي الذي كانت عليه يثرب تحركت في صدور اليهود خصوصية الحقد الدفين في أعماقهم على كل من ليس بإسرائيلي ، وهي خصوصية قديمة في أعماقهم لا تقنع أبداً بغير التدمير وسفك الدم كلما تواتتهم الظروف .

ومن هنا فإن الحال الذي ساعدوا عليه بين عرب يثرب قبيل البعثة المحمدية كانوا يجلمون به من قديم ، خاصة وأن الثقافة الدينية عندهم كانت تتداول الحديث عن قرب ظهور نبي يوشك أن يبعث . وكانت بعض العناصر اليهودية تستغل مثل هذه الأفكار لتنتقل القوى اليهودية الكبرى التي تقتل في الروح العربي إرادة الحياة الآمنة ، ويقولون للعرب : إن نبيا قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم .

وحين ظهر المصطفى ﷺ : أنكروا دعوته وقاوموه وحاربوه ثم تصاعدوا بعدوانهم ونشطت تحزباتهم حين هاجر ﷺ من مكة الى يثرب .

ولما آمن به جماعة من اليهود مثل : عبد الله بن سلام ، ومخريق الذي كان حربا يهودياً كبيراً وقاتل مع الرسول في غزوة أحد ضد أهل مكة ، ومثل ثعلبة ابن سعية ، وأسد بن عبيد ، كان على القوى الجاحدة والمنكرة أن تقاوم هذا التيار الذي ابتدأ يتعاطف مع المسلمين بل وينضم إليهم ومن هنا فإن عناصر المقاومة اليهودية ضد الرسول ﷺ ابتدأت تعلن عن مواقف القوى التي تنتمي إليها وتعبر عنها . فبرز من التنظيم اليهودي الخفي في بني النضير مجموعات تقود المطاردة للنبي والمسلمين ، ثم تتابع جهودها بالشهير والتجريح وإشاعة الفتن ويتمثل ذلك في أساليب : حبي بن أخطب ، وأمثاله أبو ياسر بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جماش ، وكعب بن الأشرف وكردم بن قديس ، وغيرهم .

ولم تكن هذه القيادات اليهودية إلا نماذج ورموز لعناصر يهودية تنطوي تحت لوائها وتعاونت هذه العناصر اليهودية مع عناصر أخرى من اليهود المنتشرين في مناطق الشمال وذلك للعمل بروح جماعية ضد الإسلام .

وحين وقعت معركة ( بدر ) ، وظهر من نتائجها ما يمكن أن يغير في أوضاع المسلمين يثرب ويحولهم الى قوة سياسية تمثل سيادة على قوى الرفض اليهودي للإسلام والمسلمين ، كان على قيادات التنظيم اليهودي أن تكشف للجمهور

اليهودي عن قدرتها على المقاومة والرفض لهذه الأوضاع الاسلامية الجديدة وتعاونت كل القوى اليهودية فظهر بجانب العناصر اليهودية القائدة في بني النضير ، عناصر من يهود ثعلبة ، وكان منهم بن الفطيون : عبد الله بن سوريا الأعور ، وكان معاونا فلم يكن أحد بالحجاز في زمانه أعلم منه بالتوراة وظهر من يهود قينقاع بن اللصيت ، وسعد ابن حنيف ومحمود بن سيمان ، وعزيز بن عزيز ، ورقاعة بن قيس ، وفنحاص وأشيع ، ونعمان بن عمرو ، وكعب بن أبي رافع .

وبرز للمواجهة والمطاردة من مواقع العمل الخفي مع العناصر التي تصدت للإسلام والمسلمين من النضير وثلعية وقينقاع وعناصر قيادية أخرى من يهود بني قريظة ، وكان من أشهرهم الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب ابن أسد ، وكان هذا من العناصر اليهودية الثرية التي تقود الجماعة اليهودية في قريظة فتولى القيام بعقد مع المسلمين لصالح بني قريظة ، ولما أحس أن الوقت في غير صالح المسلمين في حصار الأحزاب للمدينة في السنة الخامسة من الهجرة نقض عهده وقبل أن يمده لجيوش مكة في انقضاضها على المسلمين .

وكان من يهود بني قريظة الذين دفعتهم العداوة للإسلام أن يعملوا وجها لوجه ويتركوا مواقعهم الخفية وأساليبهم المستترة شمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو ابن سكينه ، والتام بن زيد ، وفردم بن كعب ، والحارث بن عوف ، وكردم ابن زيد .

وأما يهود بني زريق فكان منهم لبيد بن أعصم ، وهو الرجل الذي تولت نساءه القيام بمحاولات لا يذاء الرسول ﷺ .

وفي المراحل الأولى لتطور أوضاع وأحوال المسلمين في المدينة فإن القوى الخفية للتنظيمات اليهودية قد ألفت بهؤلاء في وجه الإسلام والمسلمين ، وذلك قبل أن يعلنوا الحرب على الرسول ﷺ ويدخلوا في القتال .

## العناد والمقاومة اليهودية للاسلام

تمثلت المقاومة اليهودية للاسلام في بادىء أمرها بمواقف الانكار والتشكيك التي ابتدأ رجال الدين اليهود يقومون بها . ولما احسوا ان الموقف يوشك ان يفلت من أيديهم نتيجة المواقف المؤمنة التي قادها بعض احبار اليهود من الذين رأوا الحق حقاً فاتبعوه قامت العناصر اليهودية التي تتوارث التوجيه اليهودي وتسيطر عليه أجيالاً بعد الأخرى .

ويقول الحصين بن سلام اليهودي ، الذي كان حبراً كبيراً من أهل التوراة ثم أسلم وتسمى باسم : عبد الله بن سلام : لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقبه ، فكنت على ذلك مسراً وصامتاً عليه حتى قدم رسول الله المدينة ، فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، اقبل رجل حتى اخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي اعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارس تحتي جالسة ، فلما سمعت الخير بقدم رسول الله كبرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيرتي : خبيك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت قال فقلت لها : اي عمه هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه بعث بما بعث ، به قال فقالت : اي ابن أخي ، اهذا النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم ، قال : فقالت فذاك اذا : ثم خرجت الى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت الى اهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا .

ومن البدهة التي لا يغفلها رجل في مثل قلب وعقل عبد الله بن سلام ان رد الفعل اليهودي في مواجهة ما أقدم عليه وما استجاب له ، خاصة وانهم يدركون قيمته ومنزلته الأدبية بين قومه سيكون قوياً وعنيفاً ضده .

ويدلل لنا ابن سلام بفراسته في تصور ما يمكن ان تقوم به القوى اليهودية من التخفيف والتهوين من إسلام رجل في منزلته ويعمل جهده في ان يضرب اسلوبهم في المراوغة والتشويش على المواقف والمبادئ فيقول :

وكتمت اسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت له يا رسول الله ان يهود قوم بهت، واني احب ان تدخلني في بعض بيوتك، وتغييني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك، كيف انا منهم قبل ان يعلموا باسلامي، فانهم ان علموا بي يهينوني ويعيبوني: يقول بن سلام فأدخلني رسول الله ﷺ في بيوته ودخلوا عليه فكلّموه وساءلوه، ثم قال لهم: اي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا يقول بن سلام: فلما فرغوا من كلامهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود: اتقوا الله واقبلوا حاجاتكم به، فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله ﷺ، وأنا أوّمن به واصدقه واعرفه.

وفي هذا الموقف الدقيق والرهيّب الذي اعد لهم من قبل رجل كان بالأمس واحداً منهم يعرف خلقهم وسرائرهم وما تنطوي عليه نفوسهم من غدر وخيانة اتضح ومبكراً الوقت الذي ستتحذه القوى اليهودية بمختلف فئاتها من المصطفى ﷺ: ذلك أنهم حين فوجئوا باسلام الحصين بن سلام بعد اقرارهم بقيمته الأدبية والدينية بينهم قالوا لابن سلام: كذبت، ثم ابتدأوا في التشهير به، ويصف لنا الحبر الاسرائيلي الجليل: الحصين بن سلام بعد ان اصبح انصاريا من صحب رسول الله والمؤمنين به اخلاق قومه اليهود: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، اهل غدر وكذب وفجوراً، ثم يقول بعد هذه الواقعة: فأظهرت اسلامي واسلام اهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث، فحسن اسلامها.

وكذلك اسلم (مخيريقي) ولما كان رجلاً قد استقر قلبه وعقله على الايمان بالاسلام وبمحمد عليه السلام فانه قد آثر أن يكون لاسلامه تأثيره الحاد في نفوس اليهود فلجأ الى الموقف الذي اشرنا اليه ليكون له وقع الصدمة عليهم ويبدو من جملة تاريخ هذا الصحابي الجليل أنه كان كبير السن كثير المال قليل العيال.

وكان يعرف رسول الله ﷺ ويطمئن اليه كثيراً، فلم يزل على ذلك حتى كانت غزوة احد في السنة الثالثة من الهجرة وكانت في يوم سبت فوقف (مخيريقي) على ملائم جمع يهودي وقال: يا معشر اليهود، انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم

لحق ، وبهتوا من موقفه منهم في يوم السبت ، وقالوا له ان اليوم يوم السبت قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه وانطلق ليشارك مع المسلمين في معركة احد بعد ان جهر بوصية أمر فيها بنقل امواله كلها فضلاً عن مزارعه من النخل ان هو استشهد الى رسول الله ﷺ .

وأمام البداية العملية لتأثير الاسلام في بعض العناصر النقية من اليهود جن جنون قيادات المقاومة السرية المتحكمة في مصير التجمع اليهودي ومقوماته .

وانضم الى القيادات اليهودية بعض رجال الأوس والخزرج ممن ظلوا على جاهليتهم وانضم اليهم بالولاء بعض العناصر المناقفة التي تعتنق الاسلام ظاهراً ، اما حقيقة عواطفهم فكانت مرتبطة بالقوى المقاومة للاسلام .

ومن هنا فانا نرى ان من اسباب انتشار المغالطات التي كان يروج لها اليهود بين سكان المدينة كانت من خلال هذا التجمع المتلاقي على اهداف محددة ضد الاسلام ونييه عليه الصلاة والسلام .

ولقد عاون على تفاقم التباين وتصاعد حدة التناقض بين ما يبنيه الاسلام في عالم الروح تقريراً وتعقيداً لعقيدة التوحيد وارساء نظام الاجتماع وأمور الاقتصاد والسياسة بالمنهج الاسلامي وبين ما يمتلكه اليهود وما يطمعون فيه من تسلط وعدوانية وارهاب هو ان عناصر يهودية من الأجرار والكهان اسلمت نفاقاً ورياء واندرست تحت ظل ارتداء ثوب الاسلام بين المسلمين واطلعت على ما هم بصده من امور شئون الحياة وشئون الدين .

وكان من أبرز هذه العناصر اليهودية : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ونعمان بن أرقى بن عمرو ، وعثمان بن أوفي ، وزيد بن اللصيت ولقد عمل التنظيم اليهودي الخفي عمله في الدفع بهذه العناصر اليهودية لتأدية دورها المرسوم لها ضد الاسلام والمسلمين . فزيد بن اللصيت مثلاً هو الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بسوق قينقاع ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة ، ! وعلم ﷺ بقولة هذا اليهودي

الخبث فغضب من هذه القولة اللثيمة التي أراد بها هذا اليهودي الهزء بالمصطفى عليه السلام ودله الله تعالى على مكانها فقال : ( ان قائلاً قال : يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء ، ولا يدري اين ناقته ، واني والله ما اعلم الا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها ) فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ ، وكما وصف .

وهذه العناصر اليهودية بكل ما تؤمن به وما تلجأ اليه من أساليب في الخفاء او العلانية تصاعدت بالمقاومة ضد الرسول ﷺ والمسلمين الى مرحلة الصدام المسلح ، ويكفيها في التدليل على روح العناد والمقاومة عند اليهود ضد الاسلام والمسلمين شهادة (صفية) - رضي الله تعالى عنها بنت (حبي بن اخطب اليهودي) تقول فيما يرويه ابن هشام في سيرته ، عن ابن اسحاق الذي يقول : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حبي بن اخطب أنها قالت : ( كنت احب ولد أبي اليه والى عمي ابي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لها الا اخذ اني دونه . قالت : قلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء ، في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه ابي حبي بن اخطب وعمي ابو ياسر بن اخطب ، مغلسين قالت : فلم يرجعا ، حتى كانا مع غروب الشمس قالت : فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمسيان الهويني . قالت : فهششت اليهما كما كانت اصنع ، فوالله ما التفت الى واحد منهما ، مع بهما من الغم ، قالت وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حبي بن اخطب: أهو هو؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته؟ قال : نعم قال فما في نفسك منه؟ قال : عداوته والله ما بقيت !!

بهذا الروح المنكرة الكافرة والجاحدة عامل اليهودي رسول الله ﷺ في كل مراحل دعوته لهم او مجاورتهم له ، حتى كانت المرحلة التي ابتدأوا فيها يمثلون الخطر المحقق على حركة المسلمين وأمنهم وخاصة بعد ان ضاق اليهود بانتصار المسلمين في السنة الثانية من الهجرة على جيش مكة في معركة بدر . ومنذ السنة الثانية من الهجرة والعداوة اليهودية للمسلمين قد استنفدت كل ما لديها من الأعيب وأساليب حتى

الحرب بين المسلمين واليهود، وقد تمكن فيها المسلمون ان يفرضوا ارادتهم على التجمعات اليهودية ، كي يهيئوا الجو العام من حولهم لعلاقات اسلامية جديدة شريفة وفاضلة تقوم على قضايا الحق بالخير والمساواة . وحتى لا تستقر هذه القيم على الأرض بدأ اليهود جولاتهم المتآمرة ضد الاسلام والمسلمين . وكان ذلك على المدى الطويل .

## الباب التاسع

- الصهيونية العالمية وشعب اسرائيل .
- الصهيونية السياسية في المجال الدولي .
- مؤتمر بازل والعمل الصهيوني .
- العنف والسلام في تكوين الدولة .
- مشكلة الدولة في اسرائيل ومفهوم الشعب اليهودي لها .



## الصهيونية العالمية وشعب إسرائيل

من الخطأ الشائع الذي درج عليه كثيرون ممن تعرضوا بالبحث العلمي للوقوف على المصادر المؤثرة في نمو حركة الصهيونية العالمية الحديثة وتصاعد نشاطها هو: أن مولد الصهيونية العالمية بمضمونها الحركي السياسي الذي يعني : العودة لفلسطين واستيطانها واستعمارها يقترن بحركة اضطهاد اليهود ومقاومتهم ومطاردتهم الحال الذي ولد في اعماقهم شعورهم « بالتميز » والى ان يبحثوا عن أرض الميعاد في تاريخهم ودينهم ليلبسوها طابعاً سياسياً ودينيا يأخذ على عاتقه فكرة الخلاص واسترداد الكرامة ، فالواقع أن دراسة التاريخ اليهودي بكل جوانبه وخاصة الجوانب السياسية والدينية والأدبية تقدم تصوراً غير هذا الذي درج عليه الباحثون في أن العوامل - وخاصة النفسية المؤثرة في الحركة الصهيونية - كان من أهمها واعمقها ظروف الاضطهاد الأوروبي لليهود، وهذا التصور يقول بعكس ذلك تماماً ، اي ان الظروف التي ساعدت على مولد الحركة الصهيونية ونموها لم تكن عوامل الاضطهاد الأوروبي لليهود بل إن العوامل المؤثرة في توجيه الحركة الصهيونية الحديثة هي فترات عدم اضطهاد اليهود وانفتاحهم على الحياة العامة وتمكنهم من ممارسة حياتهم في ظل ارادتهم وبتوجيه من تفكيرهم وحريتهم ثم في تطور مراحل ازدهارهم وانطلاق تفكيرهم في خدمة امانيتهم ومعتقداتهم ، ويتمثل لنا هذا المعنى الذي نسوقه ونوجه اليه اذا درسنا تاريخ الانتاج الفكري لليهود خلال عدة مراحل متفاوتة لنرى من خلالها هل حقيقة بدأ مولد الفكر السياسي الحديث المرتبط بالأمانى والأطماع في

استيطان فلسطين في ظروف القهر والاضطهاد ام في مراحل الانفتاح على الحياة وتمكنهم من الحركة والممارسة والتعبير عن فكرهم ومعتقداتهم !!؟ .

من الملاحظ في تاريخ اليهود بوجه عام أن المرحلة الممتدة من حوالي عام ١٧٥ - ١٠٣٨ م كانت فترات الازدهار والانفتاح اليهودي وعدم مقاومة الشعوب للطبع المتلوى في خلق القوم أوفر وبشكل كبير من مراحل الاضطهاد الذي تعرض له اليهود، وفي خلال هذه المراحل كان يتاح لكثير من الرجال القائمين بأمر الفكر والدين اليهودي استكمالهم للعلوم والتشريعات الدينية وبعض المصنفات الأدبية ومن الممكن بانصاف ودون اعمال لنعرة او تعصب ان اليهود عاشوا عصرهم الذهبي ابان الحكم العربي المسلم للأندلس ، فمن يطلع على كتاب «تاريخ الأندلس» الذي ألفه «أنخل جنتالت بالانسيا» الذي ترجمه الدكتور حسين مؤنس في القاهرة ١٩٥٥ م يجد أن اليهودي «يهودا بن ليفي الطيلطي ٤٧٧ هـ - ٥٣٧ - ١٠٨٥ - ١١٤٣ الذي يكنيه العرب «بأبي الحسن» قد انتج من القصائد الدينية اليهودية ما يعتبره اليهود من اعظم وأجود نتاجهم الشعري في تاريخهم الأدبي ، وقد يعجب المرء اذا علم ان هذا الفكر اليهودي هو الذي يضاف بعضه الى بعض ليكون في النهاية الأرض التي يتجمع عليها الوعي التعصبي عند اليهود ليتعلقوا بأطباعهم وأوهامهم جيلا بعد جيل من أجل تنظيم حركي يقودهم الى تجديد تعلقهم بالمملكة المدعاة في فلسطين، وهذه الحلقة التي كتبها «يهودا» هي الرسالة المسماة «الحجة والدليل في نصره الدين الذليل» وقد كتبها بلغة عربية فصيحة ويقال ان الباعث عند يهودا على تأليفه هذا الكتاب، الحادث التاريخي المتعلق باعتناق ملك الخزر لليهودية . وفي تأكيد هذا المعنى يقول الأستاذ غسان كنفاني في كتابه القيم «في الأدب الصهيوني» الصادر عن مركز الأبحاث للدراسات الفلسطينية «وتحت الحكم العربي الذي اتاح لليهود حقوقاً كاملة كتب سعادية بن يوسف ٨٩٢ - ٩٤٢ إنتاجه التلمودي والفلسفي وقدم الترجمة العربية للعهد القديم في مصر ، وكتب اسحق الفاسي ١٠١٢ - ١١٠٣ فلسفته بالعربية وحقق ابن ميمون المعروف في الغرب «مايمونيدس» إنتاجه الديني والفلسفي الذي يعتبر علامة من علامات اليهودية وبوسع المرء أن يعدد الأسماء اليهودية البارزة

التي سجلت للفكر اليهودي الديني قواعده في فترات الانفراج مثل (قاشد اي بن شبروت) المولود عام ٩٦١ وشامونيل هانا جيد استاذ سليمان بن غابيرول وغيرهم ، وحين امتدت الدولة الاسلامية الى الشرق في منتصف القرن السابع واعترف الاسلام بالدين اليهودي ومنح اليهود كل الحقوق التي كانوا لا يتمتعون بها تحت اكثر النظم الفارسية تسامحاً بحق اليهود الذين عاشوا في ظل ذلك النظام دراسات دينية وفلسفية وشعرية مرموقة ، في نفس الوقت الذي عاني فيه اليهود في أوروبا الغربية في فترة الاضطهاد التي امتدت خلال العصور الوسطى جدبا فكريا مدقعا وفي الواقع ان اية اسماء كانت تبرز في عصور الاضطهاد لم تكن في الحقيقة اكثر من امتدادات دراسية لإنتاج حصيل في فترات الانفراج والتسامح ، ومن النادر ان نرى انتاجاً يهودياً بارزاً وخلاقاً كان وليد فترة اضطهاد فقد عكف اليهود الأسبان وسكان فرنسا الجنوبية فترات الاضطهاد التي اعقبت التراجع العربي عن الأندلس على دراسة انتاج ابن ميمون وتوسيعه والتعقيب ولاحظ الشيء ذاته أيضاً في الفترة الاضطهادية التي اعقبت تفسيرات راشي للتلمود والتي كتبها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر والتي بقيت مصدراً للفترات التي جاءت في اعقاب عصر راشي . ومنذ الحكم العربي في الأندلس الى عصور المطاردة والمضايقة ثم تفتت الجماعات اليهودية وذوبانها احياناً في بعض المجتمعات الأوروبية الى اواخر القرن الخامس عشر ، ثم عصر ظهور الثورة الفرنسية وعدد المراحل او الفترات والبلدان التي كانت فيها الجماعات اليهودية تتعرض للمقاومة والمطاردة اقل بكثير من الفترات والبلدان التي كانت تتيح لهم فرص الحياة وحق الممارسة والتعبير ففي أواخر القرن الخامس عشر كانت القسطنطينية من أكثر اماكن العالم إنفتاحاً واستقبالاً لليهود في أن يحيوا حياتهم ويمارسوا افكارهم وثقافتهم ، ومن يطلع على بعض الدراسات الموضوعية يجد أنه أمكن لليهود ان يقيموا مركزاً ثقافياً في فلسطين نتيجة ليسر وتسامح ما عامل به الحكام في قسطنطينية الجماعات اليهودية . وكان اليهود الذين هربوا من أوروبا الشرقية والوسطى قد وصلوا الى « صفد » عن طريق القسطنطينية وكونوا مركزاً للبحث والمذاكرة وفي هذا المركز تألق في الانتاج اليهودي رجال من المفكرين اليهود كان من اشهرهم جوزيف كارلو

وفي القرن الثامن عشر تمتع اليهود الألمان بكثير من المجالات والميادين التي هيأت لهم انتاجاً فكرياً ودينياً كان في خدمة الروح الحركية السياسية التي ترتبط بفكرة الأرض والمملكة المدعاة وفي نهاية القرن الثامن عشر تمتع اليهود الألمان على وجه الخصوص بمجالات وميادين لم تكن تتاح لغيرهم وذلك للدور العظيم الذي قام به المثقفون الألمان ومع ذلك فإنه رغم ما تمتع به اليهود في أكثر البلدان في معظم المراحل التاريخية فإن نظرهم الى الدعوة التي كانت تنادي بالذوبان داخل المجتمعات كانت تجرد من التيار الفكري العام عند اليهود معارضة شديدة ، فعندما قام اليهودي الألماني « موسى مندلسون » ١٧٢٩ - ١٧٨٦ م بترجمة « الكتاب المقدس » الى الألمانية وكان يقصد من جهوده دعوة اليهود الألمان الى الامتزاج بالشعب الألماني جوبه بحملة نقد ومطاردة ضارية اوشك الغلاة المتطرفون من اليهود أن يجردوه من يهوديته ونستطيع ان نرى في « مندلسون » خير نموذج لعمليات التجميع الفكري التي كان يقوم بها اليهود وخاصة في المراحل والمجالات التي تتاح لهم فيها حرية العمل فإنه ان حاد واحد من القوم عن الخط الحركي التعصبي الذي يرفض المساواة بالشعوب الأخرى فإنها المجابهة والمواجهة والمطاردة، ومقدمات الحركة الصهيونية نلمحها في الدور الخطير الذي قام به المفكر اليهودي في أكثر بلدان العالم انفتاحاً وتوفيراً لكل حقوق المواطن اليهودي فعندما منح المجلس الوطني الفرنسي عام ١٧٩١ م كل الحقوق المشروعة للمواطنين اليهود في فرنسا كان هذا هو الأمر الذي استغله اليهود كثيراً في المطالبة به والدعوة اليه في باقي اوربا الغربية والوسطى ومع ذلك لم تقبل الجماعات اليهودية الفرنسية دعوات الاندماج والذوبان داخل الوطن الفرنسي ، ومن عجب انه في هذه الظروف التي منح لليهود فيها كل ما كانوا في حاجة اليه من القوة الاقتصادية اليهودية التي كانت في فرنسا ذلك الحين قامت تقود تياراً عنصرياً متطرفاً يرفض فكرة الاندماج والمساواة ويقدم على أساس من حجج دينية متعصبة ترفض في مضمونها فكرة مساواة الشعب اليهودي بغيره ، وقد كان من أثر موقف القوى الاقتصادية الطبقية ان العلاقة التي كانت بين جملة التعاليم الروحية والسلطة المدنية

اليهودية تحولت الى موقف آخر كانت فيه القوة الاقتصادية التي تبني موقفها تجاه كل ما يحيط بها وعلى أساس مصلحي صرف تدفع كل ما ترفضه حتى وان تعارض مع جملة تعاليم الدين ، ونشأ الموقف العنصري اليهودي عميقاً وكبيراً بأقوى مما كان في معظم الأحوال التاريخية يلعب من اجل السياسة والأطماع .

### الصهيونية السياسية في المجال الدولي :

الصهيونية الحديثة في المجال الدولي التي بشر بها ودعا اليها وقاد اسلوب عملها وأرسى الكثير من قواعد عملها « تيودر هرتزل » ظهرت على صورة حركة عالمية منظمة في العقد الأخير من النصف الثاني للقرن التاسع عشر ١٨٩٧ م .

وقبل هذه المرحلة كانت الجهود اليهودية كما قلنا في مجال الفكر او الألماني او التنظيمات الدينية تجتري الأمانى او تعمل على تعميق الوعي القومي وانتشاره ولم تنزل الجهود اليهودية الى المجال الدولي بسياسة عامة وأسس محددة في أسلوب عمل الا في هذه المرحلة التي اشرنا اليها من أواخر القرن التاسع عشر وعلى وجه التحديد منذ العمل ببرنامج مؤتمر بازل .

وقبل بازل في الدعوات والتنظيمات السياسية كانت هناك محاولات على طول التاريخ اليهودي تتعلق بالعودة والارتباط بصهيون ومنها مثلاً . حركة المكابيين وكانت محاولة للتجميع اليهودي وكان من اهم اهدافها العودة المنظمة الى ارض صهيون في فلسطين .

وحركة باركوخبا ١١٧ - ١٣٨ م وكانت تحث اليهود على التجمع في فلسطين والعودة المقدسة لاعادة بناء هيكل من جديد ، وهذه الفترة هي اوائل حكم القيصر الروماني « هارديان » الذي نسخ الكثير مما تبقى في عواطف اليهود وسلوكهم وشيد مدينة على أنقاض مدينة اورشليم بعد ان كان وضعها منذ عصر القائد الروماني « تيطس » عام ١٩٧٠ م قد بلغ حالة من الدمار والخراب كبيرة ، ذلك انه ما كاد جيشه يقترب من المدينة حتى أكلتها النيران ولم يبق على قيد الحياة من اليهود الا قلة

كانت قليلة هاموا على وجوههم بعد أن شتوا واعتبر الرومان سقوط اورشليم انتصاراً  
أبدياً للعالم على اليهود .

وحركة موزس الكريتي : وكانت أيضاً حركة سياسية ساذجة وتافهة وغير  
منظمة وكانت تهدف الى التجمع اليهودي من اجل فلسطين الا انه لم يكتب لها  
النجاح من اولها وانتهت قبل ان تظهر .

وحركة دافيد رابين : ١٥٠١ - ١٥٣٢ م وانتهت سريعاً ولم تشغل بال  
العالم يوماً .

وحركة منشه بن اسرائيل : ١٦٠٢ - ١٦٥٧ وكانت في اهدافها سياسية بحته  
تريد إيجاد موقف قومي يجمع اليهود في حالة من التعامل المباشر والاستثمار المستقل  
ومن عجب انها كانت تريد بريطانيا وطناً قومياً لليهود .

وحركة شيبتاى ليفي : ١٦٢٦ - ١٦٧٦ - وهذه الحركة لم يتوفر لها كغيرها من  
الحركات السابقة مقومات نجاحها في توجيه الوجود اليهودي سياسياً الى العمل المنظم  
من اجل الوطن القومي .

ومن قبيل هذه الحركات : النداءات الصارخة التي كان يوجهها بعض من  
مفكري اليهود الى بني جنسهم من اجل الالتفاف والتجمع للعمل ، وذلك من اجل  
وطن قومي في اي موقع من العالم ، وكان من هذه النداءات الدعوة التي تضمنها  
اول كتاب صدر يطالب بانشاء دولة لليهود تجمع فئاتهم وأفرادهم في ظل قومية  
موحدة وهذا الكتاب الذي اسماه مؤلفه السير هنري فيتش ١٦١٦ م « نداء اليهود »  
لم يحدد فيه هنري تفاصيل مكونات القومية اليهودية ولا الأرض التي ستنشأ عليها  
هذه القومية ، الا انه تلا هذه المرحلة الدور الذي قاده الكاتب اليهودي « موسى  
هيس » الذي كتب عن علاقة روما باليهودية بعده ان نادى بانشاء وطن قومي لليهود  
ولم يحدد هو الآخر ضرورة ان يكون هذا الوطن فلسطين ، ثم كانت بعد ذلك هذه  
المرحلة الحديثة التي كانت بمثابة ضجة قوية متعصبة حين ناشد اليهودي الفرنسي في

بدء الحملة الفرنسية التي وجهها نابليون ١٧٩٨ م. الى ابناء جنسه ودينه أن يعملوا على تكوين مجلس يضم كل الطوائف والفئات اليهودية على ان يكون مقره باريس وعلى ان يقوم هذا المجلس بتوجيه النداءات الى الحكومة الفرنسية من اجل المساعدة في انشاء الوطن القومي الذي يجمع شمل اليهود وينظم حياتهم . وقد قيل في حدود هذا الوطن واهدافه ووظائفه « . . . . وهذا القطر الذي نريد ان نحمله يشتمل على مصر السفلى «الوجه البحري» ويمتد شرقاً الى الجهات المتاخمة وينتهي بخط يمتد من بلدة عكا الى البحر الميت وموقع هذا القطر من انفع المواقع في العالم ويمكننا من السيطرة على ملاححة البحر الأحمر وعلى تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشرقية والجنوبية وكذلك سيسهل لها تجارة ايران وآسيا لقربه من مدينتي دمشق وحلب، كما يسهل الاتصال بواسطته بالبلاد والممالك الأوروبية، وهكذا تكون بلادنا بفضل موقعها الممتاز في قلب العالم والمستودع الأكبر للمنتجات العالمية الثمينة . واعجب العجب ان هذه الدعوة اليهودية قد وجدت تحمساً لها واستجابة لما يمكن ان تكون عليه لو توفرت لها اسباب قيامها عند « نابليون بوناپرت » القائد الفرنسي الشهير الذي كان في ذلك الوقت يريد ان يجمع كل القوى حتى المتناقضة مع بعضها لتكون تحت لوائه العالمي الذي كان يحلم به فكتب ونشر بالفعل في صحيفة عام ١٧٩٩ م نداء الى جميع يهود آسيا وأفريقيا يدعوهم ويستحثهم لكي يهتفوا للعمل من أجل مجدهم الغابر في ظل لوائه العظيم ولكن نهاية نابليون بوناپرت في بلاد العرب وامام اسوار عكار بالذات جعل هذه المرحلة من العمل اليهودي المرتبط بالظروف والتطورات السياسية الدولية لا يتعدى كونه حلقة من سلسلة العمل الطويلة من اهداف الغلاة من يهود وامانيهم ، وقد بدأت الجماعات اليهودية في تطوير فكرها واسلوب عملها وخاصة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد ان تأكدت من انها حقيقة تركب الحركة الاستعمارية وخاصة في بريطانيا وفرنسا وقد كانت البداية العملية والمنظمة منذ المؤتمر الشهير الذي دعا اليه وترأسه اليهودي النمسوي الأصل « تيودر هرتزل » واعنى به مؤتمر بازل في سويسرا .

## مؤتمر بازل والعمل الصهيوني :

قبل بازل لم يكن المجال الدولي في تحقيق الأطماع اليهودية يتعرض لخطوة منظمة من قبل القوى اليهودية العالمية ، اما منذ بازل فان العمل اليهودي الصهيوني قد انطلق بخطة عالمية تعبر عن الأمانى والأطماع اليهودية وقد حضر المؤتمر ٢٠٤ من كبار اليهود في العالم ولم يكونوا بالطبع اعضاء منتخبين الا انهم بحثوا مشاكلهم ودرسوا أطماعهم ووضعوا ما ارتأوه من أساليب لتحقيق أمانيتهم وكان من اهم منجزات هذا المؤتمر اليهودي وضع البرنامج الصهيوني المعروف ببرنامج بازل واقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الموضوع وكان أيضاً من اهم قرارات المؤتمر على حد ما يذهب « اسرائيل كوهين » في تاريخ مختصر للصهيونية قرار المؤتمر الرئيسي الذي جاء على النحو التالي : ان هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام ومن اجل تحقيق هذه الغاية نفسها وهي اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين خطط المؤتمر خطوات اربع كان لابد منها لتحقيق هذا الهدف بالذات وهذه الخطوات الأربع هي :

- ١ - تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين وخاصة تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقاً لخطوط مناسبة .
- ٢ - تنظيم اليهود وربطهم جميعاً عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي كل منها حسب قوانين البلد المعني .
- ٣ - تقوية الحس والوعي القومي اليهودي وتعزيزهما .
- ٤ - اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول حيث يكون ذلك ضرورياً لتحقيق هدف الصهيونية .

هذه هي بعض القرارات والخطوات التي اتخذت في المؤتمر اليهودي في بازل والتي على ضوئها وبأساس منها قامت المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ م . وكانت الخطوات التمهيدية المباشرة لهذا المؤتمر، انه قبل انعقاد المؤتمر بيومين عقد اجتماع تمهيدي اتخذت فيه القرارات اللازمة التي تضمن نجاح اعمال المؤتمر، وايضاً في هذا

الاجتماع التمهيدي تم تشكيل لجنة خاصة كانت مهمتها صياغة قرارات البرنامج الصهيوني .

وفي يوم ٢٩ من أغسطس ١٨٩٧ م افتتح الدكتور ماركس ليبي اعمال المؤتمر وبعد تلاوة صلاة خاصة «القي تيودر هرتزل» خطاب الافتتاح وعلى الأثر تم تشكيل مكتب للمؤتمر انتخب تيودر هرتزل رئيساً للمؤتمر الصهيوني الاول، ثم سارت بعد ذلك الصهيونية العالمية في عمليات التصاعد والتوسع بنشاطها وتنظيماتها، فمثلاً في المؤتمر الصهيوني الثاني الذي عقد في اغسطس عام ١٨٩٨ م بلغ عدد اعضاء المؤتمر ٤٠٠ عضواً أي ضعف عدد المشتركين في اعضاء المؤتمر الأول وفي الفترة ما بين المؤتمرين ازداد عدد الجمعيات الصهيونية بنسبة ثمانية اضعاف وبالإضافة الى هذا النمو العددي شهدت المنظمة الصهيونية تطوراً ادارياً فالمؤتمر الصهيوني الثاني كان متميزاً في نقطتين: الأولى ان هذا المؤتمر الصهيوني الثاني كان مؤتمر صهيوني يحضره ممثلون شرعيون منتخبون<sup>(١)</sup> .

الثانية ان انعقاد هذا المؤتمر في موعده المحدد أكسب الأداة التشريعية الصهيونية صفة الدوام والانتظام ولقد شهد المؤتمر الصهيوني الثالث الذي انعقد في اغسطس عام ١٨٩٩م نمواً جديداً في عدد الأعضاء المشتركين في اعماله وكان هذا دليلاً على ازدياد اعضاء المنظمة الذين ازدادوا بنسبة الثلث في روسيا ونسبة الربع في البلاد الأخرى مقارنة بعدد الأعضاء في المؤتمر الثاني .

والنقطة البارزة في المؤتمر الثالث كانت تبني المؤتمر لأجهزة المنظمة الدائمة التي حلت محل الأجهزة المؤقتة .

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع الذي انعقد في اغسطس عام ١٩٠٠ م اعلن ان عدد الجمعيات الصهيونية في بريطانيا ازداد من ١٦ الى ٣٩ وفي الولايات المتحدة الامريكية من ١٠٣ الى ١٣٥ وفي روسيا القيصرية من ٩٠٠ الى ١١٤٦ وأيضاً فقد

---

(١) انظر : «المنظمة الصهيونية العالمية اعمالها وتنظيمها ١٨٩٨ - ١٩٤٨» «للاستاذ اسعد عبد الرحمن»  
صادر عن مركز ابحاث الدراسات الفلسطينية .

شهدت البلدان الأخرى ، نموًا مماثلاً لهذه النماذج من البلدان التي انتشرت فيها الحركة الصهيونية وتوسعت ، أما المؤتمر الصهيوني الخامس المنعقد في أغسطس ١٩٠١ فقد شهد ظهور الحزب الصهيوني الأول داخل المنظمة وهو « الجناح الديمقراطي الصهيوني » وفي المؤتمر ذاته أنشئ الصندوق القومي اليهودي بهدف استملاك أراضي في فلسطين وبالإضافة إلى ذلك راجع المؤتمر بعض الأعمال والأنظمة وادخل عليها التعديلات الضرورية ، فمثلاً أعلن المؤتمر عن تشكيل محكمة للمؤتمر لفض الخلافات بين الأجهزة الصهيونية وقرر المؤتمر أيضاً أن يمد دورته من عام إلى عامين على أساس أن يجتمع المؤتمرين المؤتمرون السنوي المؤلف من أعضاء المجلس العام واللجنة التنفيذية ، واللجنة الدائمة ، ودائرة البنك الصهيوني وفوق ذلك كله فقد خضع البناء التنظيمي ، واللجنة الدائمة ، على الصعيد الدولي إلى تغييرات وتعديلات فالعلاقة بين المكاتب المركزية في كل بلد وبين مكتب التوجيه المركزي في فيينا استبدلت بعلاقة مباشرة بين المكاتب المركزية في البلدان المختلفة من جهة واللجنة التنفيذية من جهة ثانية ، وهذا البناء التنظيمي المتطور في أسلوب العمل الصهيوني منذ المؤتمر الأول فإنه لم يكذب يأتي عام ١٩٠٣ موعد المؤتمر الصهيوني السادس الا وقد شهدته ٦٠٠ عضو مشترك بعد أن أصبح عدد الجمعيات الصهيونية في الفترة التي مرت بين المؤتمرات من ١١٤٦ إلى ١٥٧٢ جمعية .

وبهذه الروح المنطلقة الطامعة المتوسعة في الإعداد والعمل كانت تندفع الحركة الصهيونية تعبيراً الأفكار وتصنع المجالات وتهيء القوى التي تساعد وتدفعها إلى العمل في المجال الدولي من أجل تحقيق وتنفيذ خطة العمل التي تحدت ملامحها في برنامج بازل الصهيوني . ومن عجب أن التنظيم الصهيوني منذ بازل كان يتطور ويتصاعد بشكل غير طبيعي في طريق النجاح والانتشار والتوسع ، فمنذ المؤتمر الأول عام ١٨٩٧ م إلى عام ١٩١٣ وسير المؤتمرات اليهودية الصهيونية من بازل ، إلى لندن إلى لاهاي ، إلى هامبورج ، إلى فيينا يضيف قوة واندفاعاً في العمل الصهيوني لبرنامج بازل وأهدافه ، ففي عام ١٩١٣ آخر مؤتمر هام في هذه المرحلة ، مرحلة الإعداد

للدولة تقرر في هذا المؤتمر انشاء «الجامعة العبرية» في فلسطين ، ومنذ هذا المؤتمر الذي عقد في فيينا فان حركة الاستعمار العالمي وخاصة في بريطانيا قد ادركت تماماً ما يمكن ان تقدمه القوى الصهيونية الوليدة لأطماع الاستعمار وخاصة حين تصبح الحاجة ماسة الى تعبئة كل القوى المادية المتوثبة لامكانيات العالم الرأسمالي وبالفعل فان التجربة التي مارستها القوى الاستعمارية مع القوى الصهيونية قد أكدت كل منها مدى ما يمكن ان تكون عليه العلاقات بين كل منها ، ففي منتصف الحرب العالمية الأولى لم تكن الكفة الراجحة في يد بريطانيا تماماً الا انه بعود وارتباط من حركة الاستعمار العالمي في بريطانيا لأهداف ومخططات الصهيونية العالمية تحولت الصهيونية بضغوط راجالها والممولين لمرافق الحياة العامة في الولايات المتحدة الامريكية وضغطت عليها كي تدخل الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولكي تغير مجراها لتصبح في صالح بريطانيا وبالفعل سافر هربرت صموئيل البريطاني الصهيوني واتصل بالقاضي براندس والقاضي فرانكوفرتز واستطاع الثلاثة بضغوطهم وتعبئتهم للقوى اليهودية الامريكية ان يقحموا الولايات المتحدة في الحرب سنداً لبريطانيا وعونا لها ، ومنذ هذا التاريخ بات محققاً امكانية العمل المثمر لكل من الصهيونية والاستعمار البريطاني في حالة تعاون مشترك بينهما تحقيقاً للأمني التي وجدت عند كل منهما منذ ابتداء الاستعمار البريطاني يخطط لأطماعه في العالم بصنع اساليب بعيدة المدى للسيطرة على مقدرات العالم وذلك بالممارسة للأساليب التي تؤدي الى ان يكون العالم سوقاً للتصدير وحقلًا للخام في خدمة مخطط الأطماع البريطانية التي وضع أسسها المحكمة وطور أسلوبها التقليدي البريطاني « كامبل بترمان » حين دعا الى عقد مؤتمر للقوى الاستعمارية التي تدور في فلك بريطانيا وتتحرك في ظلها وتحت توجيهها ، كان ذلك حين شرعت بريطانيا ومنذ عام ١٩٠٤ م العمل على تشكيل جهة استعمارية تضم كافة الدول الاستعمارية لتحقيق من حدة التنافس بينها وتجنب صدام الأطماع والأهواء ولكي تواجه خطر الاستعمار الألماني المزاحم والذي ابتداءً يمارس دوره في الأطماع وتخطيطه للسيطرة على العالم .

ومن المساعي التي تمت في هذا الشأن الاتصالات التي تمت مع فرنسا وهولندا

وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وايطاليا والتي كان من نتائجها تشكيل الحلقات الدراسية التي ضمت مشاهير مفكري الاستعمار ومؤرخيه ، ولقد ظلت عملية التخطيط الدراسية المتأنية لمستقبل الاستعمار تتحرك بتوجيه من الحلقات الدراسية التي كانت وليدة لقاء اطماع القوى الاستعمارية بقيادة بريطانيا من عام ١٩٠٤ حتى عام ١٩٠٧ حين تمحضت الحلقات الدراسية عام ١٩٠٧ من وضع تقارير هي زبدة الفكر الاستعماري القديم في العالم ، وكان مما وصل اليه فكر الاستعمار: ان خطراً طبيعياً وأصيلاً في منطقة السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط يهدد مصالح الاستعمار وكل مستقبله في هذه المنطقة ، وكان الموقع الجغرافي الذي تحتله البلدان العربية من تصدرها لمداخل قارتين كبيرتين حيث يجدها من الشرق جبال ذا غروس ، بين العراق وايران ، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الشمال سلسلة جبال طوروس التي تفصلها عن تركيا ومن الشرق - الشمال بالنسبة لافريقيا - ساحل البحر الأبيض الذي يفصلها عن أوروبا، ومن الجنوب يحيط بها المحيط الهندي وأدغال افريقيا والصحراء الكبرى موضع اهتمام جاد وخطير للقوى الاستعمارية في العالم فقد أدركت ان هذا الموقع الذي لا تتمتع به أمة في العالم لو اتيج لأهله وشعبه ان يستغل بنفسه كنوز وثروات هذه الأرض فإن تكون هذه الأرض على المدى الطويل سوقاً للتصدير وحقلاً للخام ، وعليها فقد ارتأت لجان الدراسات الاستعمارية المشكلة بتوجيه من الجهة الاستعمارية التي كانت تدور في فلك بريطانيا وقيادتها ان توصي القوى الاستعمارية بضرورة العمل على تجزئة المنطقة وتفتيت عناصر التجمع فيها وقتل قوى التقدم التي يمكن ان تطرأ على المنطقة اقتصادياً او علمياً او ثقافياً ثم محاربة كل اشكال الوحدة التي يمكن ان يفكر فيها اصحاب هذه الأرض مع ضرورة العمل الجاد والمنظم لإيجاد كيان بشري غريب يكون قويا وقادراً على ان يمتص كل القوى الاقتصادية في تهديده المباشر بحكم وجوده داخل حدود الوطن العربي ليحول دون تحقيق اماني التقدم والرفاهية لشعوب هذه المنطقة وليعوق ايضاً مطلب الحرية والاستقلال لشعوب آسيا وافريقيا بحكم وجوده ايضاً في قلب منطقة التقاء الجزأين الآسيوي والافريقي ، وقد كان للأطماع الاستعمارية والصهيونية ما خططت له

العقول الطامعة والمستغلة .

وأصبح المجال الدولي مهيناً لسوق الدعوى وممارسة تحقيق الأهداف وذلك حين بدأت الحرب العالمية الأولى وصنعت بمقدماتها ونتائجها الميدان الذي تعاونت فيه القوى الصهيونية مع القوى الاستعمارية الرأسمالية كي لا تتعارض قوى الأطماع مع بعضها وإنما بتصفية بعض القوى وانفراد بعضها بالسيطرة ، أمكن أن تصبح بالفعل والحقيقة الأمانى الصهيونية في خدمة الاستعمار ، والاستعمار في خدمة الصهيونية ، وبالفعل فان ظروفاً عالمية قد ساعدت على ان تتكاتف وتتعاون الجهود الاستعمارية المستغلة مع الأطماع الصهيونية المستوثبة وحين بدأت الحرب العالمية الأولى كانت هي المسرح العملي للعمل المشترك كي يجني الاستعمار والصهيونية كل جانب منها أطماعاً في الأرض والبشر .

## العنف والسلام في تكوين الدولة

المشاكل الأساسية والموضوعية التي اعترضت الغلاة من اليهود في الفترة التي سبقت ميلاد الحركة الصهيونية واقتربت بها حول طبيعة الدولة اليهودية وعلاقتها بيهود العالم كله ، وموقف الشعب اليهودي منها ومفهومه لها التي رسمت امام الذين عملوا وفي جهد عدواني متواصل على اقامة دولة اسرائيل في أرض فلسطين استحالة الاعتماد على غير العنف والعدوان .

وليس من عجب اذا ان تكون كتابات القادة الأوائل للحركة الصهيونية فيما طرحوه من فكر وما استحضروه من معتقد وما تصوروه من اساليب تقوم على تبرير سياسة العنف والعدوان ، مثلما كان يقول دائماً ابداء رجل مثل « ليوبنسكركر » عام ١٨٨١ م : ان الحل العملي الوحيد للاسامية هو في ان ينظم اليهود قواهم لايجاد وطن خاص بهم مستعنيين في ذلك بأية قوة كانت .

ثم كان بعد ذلك كتاب « الدولة اليهودية » الذي ألفه تيودر هيرتزل الذي يعتبر

أب الحركة الصهيونية، وكان هذا الكتاب احد الدعائم الرئيسية للفكرة الصهيونية وأحد القرائن التي تثبت ارتباط الصهيونية بالعنف طريقاً للوصول الى اهدافها<sup>(١)</sup>.

يقول هيرتزل في هذا الكتاب « ان الانسان، مهما بلغ من الثراء والقوة، غير قادر وحده على اقتلاع شعب من أرضه. الفكرة وحدها تستطيع ان تفعل ذلك. وفكرة الدولة تمتلك بالتأكيد هذه القوة، «ودعا هيرتزل الى « حمل السلاح ضد بحر من المشاكل - التي ستثيرها محاولات بناء الدولة اليهودية - وبالتصدي لها يمكن انهاءها ». ان الدولة اليهودية بالنسبة له هي حكم التاريخ وهي تتطلب بالتالي اعمالاً جماعية على مستويات مختلفة حتى يستطيع الشعب اليهودي ان يقود طريقه عبر المزالق الخطرة للحاضر الى مستقبل اكثر سعادة. وحتى تصل الصهيونية الى ذلك المستقبل فانها ستعيش، لأن ذلك قدرها، وسط خط لا ينتهي من التحرك والتمرد. ان بناء الدولة اليهودية لا يمكن ان يتم، في تصور هيرتزل وفق الأسلوب الذي كان يصلح لغرض من هذا النوع قبل الف سنة اذ «انه من السخف ان نعود الى الوراء، الى المستويات الأولى من الحضارة كما يدعو بعض اليهود». «لنفترض مثلاً» يقول هيرتسل « اننا نريد ان نظهر بلداً من الوحوش الضارية. طبعان لن نحمل القوس والرمح ونذهب فرادي في أثر الدببة كما كان الأسلوب في القرن الخامس في أوروبا. بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ونطرد الحيوانات ونرمي وسطهم قنابل شديدة الانفجار. «هكذا تصور هيرتسل بناء الدولة اليهودية بالسلاح وبالعنف الجماعي المنظم في جيش من « الرجال اليائسين الذين هم أفضل الغزاة»، ذلك لأن الشعب اليهودي يخسر ارتباطاً بأبنائه، الذين يعيشون في استقرار سياسي، به. ولهذا فان الظلم والأضطهاد بالنسبة لهيرتسل، هما أكثر فائدة للحركة الصهيونية لانهما لا يوجدان الجو المناسب والمساعد على الاندماج في المجتمعات الأوروبية وغيرها.

---

(١) انظر: «ابراهيم العابد» في كتابه العنف والسلام» دراسة في الاستراتيجية الصهيونية - بحث علمي صادر عن مركز الأبحاث - التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - مارس عام ١٩٦٧ م صفحات ٨ - ١٦.

وحين بدأت المنظمة الصهيونية العالمية عبر المنظمات التابعة لها تقيم المستعمرات في فلسطين وتنظم موجات الهجرة غير المشروعة، وقف هيرتسل مدعياً اعتراضه وطالباً وقف كل تلك الاجراءات ولكنه اعلن ، في الوقت نفسه ، ان « المستعمرات القائمة يجب ان يحافظ عليها وان تطور وتنمى وتوفر لها الحماية اللازمة .

وكان لنظرية نيتشه في الطموح الى القوة تأثير بارز على بعض مفكري الحركة الصهيونية وبشكل خاص ميخائيل جوزيف بيرديشفسكي (١٨٦٥ - ١٩٢١) الذي لم ير الا التوتر ولم يؤكد الا الثورة العنيفة طريقاً لقيام اسرائيل دعا بيرديشفسكي الى اعادة تفسير التاريخ اليهودي واعتبر بأن الأنبياء العبرانيين والخط الطويل من الحاخامين ورجال العلم في الألفي سنة الماضية لم يكونوا سوى حفار قبور ومفسدين ومشوهين للحياة اليهودية الحقيقية . نظر بيرديشفسكي الى التوراة والى وثائق التقاليد اليهودية القديمة . نظر اليها بحثا عن بقايا الديانات القديمة التي آمنت بتعدد الآلهة ، وعن الأساطير الزاهية للقوة البربرية التي امتلكتها القبائل العبرانية الغابرة والتي رفضها الأنبياء والكهنة ، ان العبرانيين القدماء يشبهون الوثنيين . بينما يعاني اليهود الروحيين من فقر في الدم لأنهم فقدوا حيويتهم الطبيعية تحت وطأة ما يسمونه بقانون الرب ، وأضاف بيرديشفسكي مبديا استغرابه من قول عطاء اسرائيل « ان السيف والكتاب انزلا من السماء سوية » وذلك « لأنه من الواضح ان كلا منها يناقض الآخر بل ويقضي عليه كلياً . ان الفترة التي يعيشها الشعب اليهودي هي فترة عصبية ، وفي مثل هذه الفترات يعيش الرجال والأمم بالسيف وليس بالكتاب . ان السيف ليس شيئاً مجرداً أو بعيداً عن الحياة ، انه تجسيد مادي للحياة في انقى معانيها ، اما الكتاب فليس كذلك » ثم انتقد ما جاء في التلمود « بأن الانسان يجب ألا يحمل معه يوم السبت سيفاً ولا قوساً » وقال بأن مسحة من الحيوية توافرت في الحاخام يعازر الذي سمح بحمل السيف والقوس يوم السبت لأنها زينة للانسان .

وترك هذا الاتجاه الرامي الى التركيز على الجوانب الدامية في حياة الشعب

اليهودي والى ابراز الدور الهام والرئيسي للقوة في حياة هذا الشعب ، تأثيراً واضحاً في آثار الشاعر اليهودي البارز . « شارل تشير نيتوفسكي » الذي تغنى في اشعاره العبرانيون القدامى بتلك القبائل التي خرجت من الصحراء تحت قيادة يشوع وقهرت الكنعانيين . لم يابه هذا الشاعر لاله اسرائيل وانما للصنم القبائلي . وقد اعتبر اليهودية برزت من بين آله الطبيعة ، آله الأرض والدم ، وانها لم تكن نظرة دينية او اخلاقية .

وحين قال مستشار جمعية الطلاب اليهود في فينا انه عازم على الغاء جميع المظاهر الاحتفالية الموروثة عن المؤسسات الالمانية ، عارضه جابوتنسكي بعنف قائلاً : « تستطيع ان تلغي كل شيء ، القبعات والأحزمة والألوان ، والافراط في الشرب ، والأغاني . أما السيف فلا يمكن الغاؤه عليكم ان تحتفظوا بالسيف لأن الاقتتال بالسيف ليس ابتكاراً المانياً بل انه لاجدادنا الأوائل . ان التوراة والسيف انزلا علينا من السماء .

وهكذا نرى فلاديمير جابوتنسكي يكرر ويؤكد ما قاله بيرديشفسكي وتشيرنيوفسكي حول الدور التاريخي للسيف وما يرمز اليه في حياة الشعب اليهودية . ولكن جابوتنسكي امتاز عنهما بأنه ترجم هذا الايمان الى لغة عملية والى مؤسسات فعلية . دعا جابوتنسكي الشباب اليهودي الى تذكر المعارك البطولية لليهود القدماء ، والى ملء انفسهم بالروح العسكرية واحيا اسماء « بيشار » و « ماسداة » وهي اسماء آخر الشخصيات في الدولة اليهودية قبل آلاف السنين . كل ذلك ليوقظ الاعتزاز بالأعمال الحربية وبالقتال والسلاح . واعتبر جابوتنسكي ان اولئك الذين يموتون وهم يحاربون العرب في فلسطين يجب ان يبقوا نماذج لا تغيب ابداً عن عقول الشباب اليهودي .

طالب جابوتنسكي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى باقامة نظام في فلسطين - التي كان يشكل العرب فيها ٩٠٪ من سكانها - يسهل الهجرة الواسعة النطاق حتى يصبح اليهود اغلبية . ان نظاماً استعمارياً من هذا النمط يتطلب قوى مسلحة تنصدي

لمقاومة سكان فلسطين الأصليين وتجاهل جميع حقوقهم المشروعة . وان حدود الدولة اليهودية بالنسبة لجابوتنسكي يجب ان تمتد لتشمل ابعد نقطة وصلتها الدولة اليهودية في اي وقت من التاريخ .

رفض جابوتنسكي المساعي التي بذها هيرتسل لتأمين اعتراف دولي وفق القانون العام بالدولة اليهودية لأنه مقتنع بأن العرب لا يمكن ان يقبلوا بسيطرة يهودية في فلسطين، وبالتالي فان اتباع الخطط الأوروبية التي نفذت في عمليات استعمار المناطق المتخلفة في آسية وأفريقية هو افضل السبل امام الحركة الصهيونية لاحتلال فلسطين .

ولقد تأثر جابوتنسكي بشكل عميق بالفاشية عقب ظهورها بعد الحرب العالمية الاولى بواقعية سياسة القسوة والبطش وبفعاليتها . ورأى ان الغرب المؤمن بالحرية والانسانية وبحقوق الآخرين قد ولى وحلّ مكانه عالم جديد يرفض النزعة الانسانية ولا يعتبر اطلاقاً حقوق الآخرين ويستند على الأنانية القومية طريفاً لوجوده الذي لا ينتعش في ظل العقل والأخلاق بل في ظل الحيوية الجسدية .

لم تذهب كلمات جابوتنسكي هباء بل طبقت بحذافيرها بكل ما فيها من مطامع توسعية فاشية وبكل ما تحمل من عنف وبطش وارهاب . ولئن حاولت الحركة الصهيونية ان تصوره زعيماً للتحريفيين فيها وبأن افكاره لا تمثل الخط الرسمي للتفكير الصهيوني، فان برنامج بلتيمور الذي اقرته المنظمة الصهيونية العالمية اثناء الحرب العالمية الثانية يدحض هذا الادعاء لأن هذا البرنامج في الحقيقة مستوحى من البرامج والمخططات والمبادئ التي دعا لها فلاديمير جابوتنسكي، وهذا لا يعني مطلقاً ان مجرى الأمور في الحركة قبل ١٩٤٢ كان مغايراً لهذا الاتجاه، ولنا في حاييم وايزمن اول رئيس لدولة اسرائيل خير شاهد على ذلك . يقول وايزمن في مذكراته « التجربة والخطأ »: في وصف الجو في فلسطين في العام ١٩١٤ ما يلي : « يستطيع الانسان ان يلمس هنا وهناك تحللاً للأخلاقية الصهيونية التقليدية ويلمس بدلا منها مسحة من الروح العسكرية وارتماء في أحضانها، بل وأكثر من ذلك اللجوء الى العنف

والارهاب واستعداد للتعاون مع الشر كقوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي لليهود . « وفي معرض تعليقه على هذا الكلام يقول الاستاذ هانز كوهين ، وهو يهودي » ان الشر لم يكن هنا وهناك فقط وانما كان يغرس جذوره بسرعة في كل مكان حتى مكن ، من خلال الحرب . لقيام الدولة تماما كما قامت اسبارطة وبروسية . وكهاتين الدولتين استمدت اسرائيل في وجودها الى القوة العسكرية وحدها .

وبالرغم من ان حركة الارهاب الصهيوني في فلسطين ضد العرب والانجليز كانت تنفذ بالدرجة الاولى من قبل منظمات عسكرية متطرفة اوجدها جابوتنسكي « الا ان خطط هذه المنظمات كانت تلتقي وتسير وفقاً للمبادئ التي كان قادة الحركة الصهيونية يخوضون على أساسها الحملة السياسية لتحقيق الأهداف الصهيونية .

ولقد حاولت الحركة الصهيونية عبر تصريحات وأقوال زعمائها ، وعبر كتابات المؤيدين لها والمدافعين عنها ، ان تصور حاييم وايزمان رجلاً انسانياً داعياً للسلام يرفض الحرب والعنف . وقد اشترك وايزمن نفسه في رسم هذه الصورة باطلاقه ، جرياً على العادة الصهيونية التي أصبحت تقليداً ثابتاً ، عدداً من التصريحات والأقوال التي تدعو الى السلام وترفض العنف والارهاب ، وبوقوفه الى يمين جابوتنسكي في تطرفه الصريح ، وبدعوته لاتباع الأسلوب المتدرج في قيام الدولة الصهيونية . ان حاييم وايزمن في حقيقته لا يختلف عن غيره من زعماء الحركة الصهيونية للاعتبارات التالية :

١ - كان وايزمن مكلفاً . من قبل المنظمة الصهيونية العالمية ، باتصالات سياسية لتسهيل قيام الدولة ، ولم يكن متوقعاً منه بالتالي ان يدعوا الى العنف والارهاب في نطاق مهمة من هذا النوع .

٢ - ولكن وايزمن كان يعمل لقيام الدولة اليهودية وفي فلسطين بالذات . ولم يكن خافياً على رجل مثل وايزمن أن فلسطين أهلة بالسكان الذين اظهروا منذ صدور وعد بلفور رفضهم الشديد للتخلي عن أرضهم ، وبالتالي فان استمرار وايزمن بالتمسك بفلسطين يعني بوضوح اختياره أو موافقته على السير فوق الأشواك

وعبر انهار الدم. لقد اعلن وايزمن مرة بعد ان بدأت العقبات تظهر في طريق اقامة دولة الصهيونية في فلسطين، وتحت كل الظروف، فان الشعب اليهودي غير مستعد، ولن يكون مستعداً في يوم من الأيام لترك مطلبه في فلسطين وقال كذلك عام ١٩٠٩، «ان الفكرة الرئيسية للصهيونية وجدت قبل هيرتزل وقبل زماننا، وهي لازالت كما كانت: سعي تاريخي مثابر للعودة الى فلسطين. ان ذلك هو الهدف وكل ما عداه وسيلة فقط». وهكذا فان وايزمن يصر على اقامة الدولة تحت كل الظروف ومهما كانت العقبات.

٣- يقول وايزمن «كلما زادت الوكالة اليهودية قوة كلما زادت القضية اليهودية قوة ومنعة». والوكالة اليهودية كانت الادارة التنفيذية للحركة الصهيونية في فلسطين والمشرقة على قوات الهاجاناة التي لم تحمل اغصان الزيتون بل البنادق والمدافع والقنابل.

٤- اعلن وايزمن في الولايات المتحدة في حزيران (يونيو) ١٩٣٣ ما يلي: «ولقد اتخذنا منذ سنوات قرارات سياسية تؤكد اننا نريد ان نعيش بسلام مع العرب. ان هذه القرارات هي عهد وميثاق علينا». وبعد سنتين اعلن في المؤتمر الصهيوني الرابع عشر الذي عقد في فينا في العام ١٩٣٥ «اننا يجب ان نبني الدولة اليهودية في فلسطين دون المساس بالمصالح الشرعية للعرب.. يجب ان لا نمس شعرة واحدة من رؤوسهم. على المؤتمر الصهيوني ان يدرك بأن فلسطين ليست روديسيا وبأن الـ ٦٠٠,٠٠٠ عربي لهم نفس الحق في وطنهم تماما كما لنا الحق في وطننا القومي».

وفي تلك الفترة كتب الكولونيل الانجليزي الصهيوني ماينرتزهاجن الذي كان مسؤولاً عن الشؤون السياسية في فلسطين في بداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين والذي لعب دوراً بارزاً في خدمة الحركة الصهيونية وفي اقناع الرجال البارزين في مراكز القوة في الحكومة البريطانية بضرورة تبني ودعم الأهداف الصهيونية، كتب الملاحظات التالية عن وايزمن:

أ - « ان وايزمن عدو وعنيف بطبيعته للعرب . ان كلمة (يهودي ) او (صهيوني ) تعني بالنسبة له التقدم وقلب النظام القائم في فلسطين ، اما كلمة (عربي ) فتعني الركود واللاأخلاقية والحكومة المتعفنة والمجتمع الفاسد غير الأمين » .

ب - « قال لي وايزمن بأن الدولة اليهودية يجب ان تمتد عبر شرقي نهر الاردن والافان فلسطين لن تتسع لملايين اليهود الذين سيهاجرون اليها » .

ج - « تكلم هربرت صموئيل - اول مندوب سام بريطاني الى فلسطين - وأكد على الحاجة الى التعاون مع العرب ، وقال بأن اليهود لن يحرزوا اي نجاح في فلسطين دون كسب جانب العرب ، وهنا نظر وايزمن الي وغمز بعينه استخفافا بالتعاون الذي سيقوم بين النسناس والأرنب .

د - « ان وايزمن يخفي فهمه الحقيقي للصهيونية ولأحلامه في فلسطين يهودية - انني مقتنع تماماً بأن الدولة اليهودية هي الهدف الكلي للصهيونية . وهذا هو بالضبط ما يعمل له وايزمن . » .

هـ - « سألت وايزمن ما اذا كانت بريطانيا ستمنح قواعد جوية وبحرية وبرية في حال قيام الدولة اليهودية ، فطلب وايزمن مهلة ليعطي الجواب . وبعد ايام حصلت على جواب وايزمن : قال لي انه يرحب بالفكرة واقترح حيفا قاعدة بحرية والمناطق المجاورة لغزة وبافا قواعد جوية فسيحة . والساحل الممتد بين حيفا وغزة مجالا للقواعد البرية . وأضاف وايزمن قائلاً ان هذا سيعطي الدولة اليهودية امناً مطلقاً وسيخفف من نفقاتها الحربية . ولكن وايزمن ربط هذه الموافقة باعطاء فلسطين وشرقي الأردن والجزء الجنوبي من لبنان وبعض اجزاء سورية الى اليهود . وقال بأن وضعاً من هذا النوع سيضعنا حتماً في مواجهة مسلحة ضد العرب ، وما دام هذا سيحصل في يوم من الايام فلم لا يحصل الآن ؟ » .

وفي تقديري أن هذه الأضواء تكشف جوانب هامة من شخصية حايم وايزمن

ولكنني استدرك هنا لأقول بأن هذا لا يعني ايضاً أنه لم يكن هناك صراع داخل المنظمة الصهيونية العالمية . كان هناك صراع حول درجة وحدة وزمان ونطاق الارهاب والعنف ولم يكن هناك في الواقع صراع حول المبدأ .

وبينما كان وايزمن يعمل في الخارج وعلى الصعيد السياسي ويبشر بالتدرج في تحقيق الأهداف الصهيونية، كان حايمم ارسلروف احد مؤسسي حزب الماباي يعلن في العام ١٩٣٢ ان الهدف اليهودي القومي لا يمكن ان يتحقق عبر تقدم متدرج خطوة خطوة . وقال بأن الوقت قد حان ليدرك اليهود ان عليهم واجباً غير بناء قوتهم والمحافظة عليها ، عليهم أن يجربوا هذه القوة ، ان يقذفوا بها في المعترك حتى يستطيعوا بالتالي فرض مكسب سياسي جديد يسهل انجاز الأهداف الصهيونية القومية .

ويأتي دافيد بن جوريون ليكمل اتجاه الحركة الصهيونية نحو العنف والقوة وسيلة لتحقيق اهدافها . ويلخص أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية اسلوب تفكر وعمل بن جوريون بما يلي : «حدد هدفك اولا واعلن عن حاجتك وقل ما تريد . وبعد ذلك ادرس العقبات يجب ان تخضع العقبات للهدف ولا يمكن بأي حال من الأحوال ترك الهدف من أجل الصعوبات التي تعترض تحقيقه » . وهكذا فان بن جوريون، وفقاً لهذا المنطق ، يرفض الاعتراض على اللجوء الى العنف او الى اية وسيلة اخرى في سبيل تحقيق الأهداف الصهيونية . ويعبر بنفسه عن ايمانه بالحرب حين يقول «ان الوضع في فلسطين لا يسوى الا بالقوة العسكرية . الحرب حرب وبالتالي فان عودة العرب الى يافا ليس ظلماً وانما خطيئة كبرى » . ويقول في مكان آخر . «ان اسرائيل لا يمكن ان تعيش الا بالقوة والسلاح . ولقد أبدى بن جوريون محبة شديدة للياهوجولومب المفكر الصهيوني الذي اعد نفسه ليصبح خبيراً عسكرياً لأنه مقتنع بأن اليهود سيحاربون يوماً ما في سبيل اقامة دولة لهم في فلسطين .

ولقد كانت دعوة بن جوريون منذ العام ١٩٥١ حتى استقالته في العام ١٩٦٣ ومن بعده ليفي اشكول الذي كان زعيماً لحزب الماباي بأن على الحكومة ان تعمل

لاستيعاب أربعة ملايين من اليهود الى اسرائيل ولجذبهم كانت هذه الدعوة برهاناً ثابتاً على ان ابن جوريون وحزبه الحاكم . الماباي ، قد استوعبا كلياً النظرية التحريفية المتطرفة وتبني البرنامج الكامل لفلاديمير جابوتنسكي مع فاروق رئيس وهو ان جابوتنسكي اعلن بصراحة عن برنامجه العدواني العسكري الفاشي بينما يقف بن جوريون خلف اقنعة السلام والاشتراكية والعمل في سبيل انعاش الأرض . ذلك لأن اسرائيل بحجمها الحالي ، لا يمكن بأي حال أن تستوعب الملايين الأربعة من المهاجرين وبالتالي فانها ، اذا استطاعت ستوسع حدودها اكثر وستشرد مزيداً من أصحاب الأرض الأصليين كما فعلت عام ١٩٤٨ ، ولقد كانت هذه هي سياسة جابوتنسكي الذين اطلق عليهم اسم التحريفيين او الاصلاحيين والتي كان بن جوريون يدعي معارضته لها وبهذا يحول بن جوريون وقادة اسرائيل الآخرون باعراهم عن النوايا التوسعية لاسرائيل ، والصهيونية الى حركة تحريفية واسرائيل الى دولة عسكرية توسعية . وهذا يعني مزيداً من التوتر في منطقة الشرق الأوسط ومزيداً من الاعتداءات واعمال العنف التي ما برح الصهيونيون يرتكبونها منذ العام ١٩٤٨ . وبالتالي مزيداً من التنكر للحقوق الشرعية لعرب فلسطين وما الغزو الفاشي النازي الذي قام به الجيش الاسرائيلي بعقل وفكر عصابة الهاجناة التي انشأها مناحيم بيغن حتى اصبحت جيش الدولة وبقيادة رئيس وزراء الدولة الذي كان عام ١٩٤٨ رئيس عصابة قتل وعدوان .

ولقد عكس المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون الميول القومية المتطرفة للحركة الصهيونية وأكد تحولها الى تحريفية جابوتنسكي كلياً . وان عدم اشراك ممثلين عن الأحزاب التحريفية في اللجنة التنفيذية لا يحمل اي معنى سوى ان السبب في ذلك هو معارضتهم لنظام بن جوريون بالذات ، ذلك لأن جميع ما يدعو اليه ممثلوا الأحزاب « المتطرفة » يتبناه حزب الماباي وباقي الأحزاب الاسرائيلية الأخرى : ولقد عبر الحاخام لويس نيومان عن ذلك حين قال : « ان الفارق بين حزب الصهيونيين العامين وحزب حيروت هو ان حيروت أكثر اندفاعاً وحزما الفارق هو في الدرجة وليس في النظرة » .

أما مناحم بيجن ، زعيم حزب حيروت بالأمس ورئيس الوزراء اليوم فشبّه بجابوتنسكي في الاعلان بصراحة عن نيّاته العدوانية وإيمانه المتطرف بالعنف والارهاب . ويمكن تلخيص موقفه في هذا المضمار بعبارتين وردتا في كتابه «الثورة» . . تقول الأولى : «أنا احارب اذا انا موجود» وتقول الثانية : «كن اخي والا سأقتلك» ويعتبر مناحم بيجن أساليب العنف التي لجأ اليها الصهيونيون قبل ١٩٤٨ هي الطريق الوحيد الفعال لتأمين الأهداف اليهودية القومية في فلسطين ويقول ان هذه الاساليب الارهابية قد اشبعت « رغبة جارفة مكتوبة عند اليهود للانتقام» وهذا هو سر أسلوبه الدموي ضد العرب والمسلمين بوجه خاص .

ولقد وجد بين اليهود انفسهم من فضح ظاهرة العنف في الحركة الصهيونية ولكن لم يكن هؤلاء اي اثر على الاطلاق في مجرى الأمور. وان كنا نذكر بعض ما قاله هؤلاء . فالهدف هو القاء مزيد من الأضواء على تأصل العنف في التفكير والممارسة الصهيونيين .

وأول هؤلاء هو احدها عام (اسمه الحقيقي أشر جنزبرج ) كتب احدها عام في العام ١٨٩١ ، اي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بستة سنوات ، حول اليهود الذين أقاموا بعض المستعمرات في فلسطين يقول : « ماذا يفعل اخوتنا في فلسطين ؟ كانوا عبيدا ارقاء في بلاد المنفى وفجأة وجدوا انفسهم في جو الحرية فأيقظ هذا الاحساس في نفوسهم ميلا الى الطغيان والاستبداد انا نعتبر العرب متوحشين يعيشون كالحوانات ولا يفهمون ما يجري حولهم « هذا التصور خطأ » . ولقد استمر الصهيونيون يحملون هذه الصورة عن العرب ويبشرون بها في صور مختلفة حتى يومنا هذا .

وثاني هؤلاء هو مرشيه سميلانسكي الذي توفي في العام ١٩٥٢ والذي قال بأن القومية اليهودية في فلسطين مبنية على انانية عسكرية تؤمن بالعنف وبعيدة كل البعد عن الانسانية . وقال بأن الصهيونية تعتبر العمل الواحد حقاً وصواباً اذا قامت هي به وخطأ غير مشروع اذا قام به غيرها .

أما الثالث فهو «ريب بنيومن» الذي قال بأن اعمال العنف الوحشية التي ارتكبتها الصهيونيون في فلسطين أخف وقعاً على النفس من الارتياح الكامل والتأييد الذي لاقته عند الرأي العام الاسرائيلي .

وهكذا فقد كانت الحركة الصهيونية تهدف منذ بدايتها الى اقتلاع جذور العرب من أرضهم بأية وسيلة من الوسائل لأنه لم يكن ممكناً لهذه الحركة ، ان تمسكت بهدفها في اقامة دولة صهيونية في فلسطين ، الا ان تصدى لمقاومة اصحاب الأرض المقيمين فيها وان تعمل بمختلف الوسائل لاجلائهم عنها . ومهما حاولت الحركة الصهيونية ان تدعي السلام فان مجرد اصرارها على تحقيق اهدافها بل وأكثر من ذلك اصرارها على استكمال ما تبقى من أهداف ، هو دليل على اختيارها العنف والقوة اسلوباً لعملها السياسي ، ولم يكن انشاء الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الأولى ، ومن بعده الهاجاناه ومنظمة الأرجون وشيرن وزناي ليومي الا تأكيداً لهذا الاختيار ووضعاً له في موضع التطبيق الفعلي .

ولقد كان هناك يهوداً ربطوا ، عبر العصور ، دينهم بالعمل من أجل السلام ، وكان هناك من دمجوا دينهم بالحرب . «وليس من شك في ان الفريق الثاني شكل ولا يزال الأغلبية الساحقة الطاغية» .

وفي سعيهم لتحقيق اهدافهم الاستعمارية ادرك الصهيونيون ان ذلك يعني ضمناً اجلاء السكان العرب من فلسطين ، ومع هذا فقد استمروا في تنفيذ برامجهم متجنبين باستمرار اثاره هذا الموضوع ومتجاهلين بالتالي العنصر العربي في تصريحاتهم ومطالبهم السياسية حتى انه يخيل للمرء أن الصهيونية كانت تطالب بأرض خالية من السكان وليس فيها الا قواعد للجيش البريطاني . ولم تكن الحركة الصهيونية تتجاهل الوجود العربي في فلسطين فقط بل كانت تعمل على ابطال فعاليته وشل قدرته على الحركة والمقاومة . وقد عبر الدكتور ادر ممثل المنظمة الصهيونية العالمية عن ذلك امام لجنة التحقيق البريطانية عام ١٩٢١ حين قال : « يجب ان يعطي اليهود الحق في حمل السلاح ، ويجب ان يحجب هذا الحق عن العرب ، ثم

أكد اعتقاده بأن هذا التمييز « سيحسن العلاقات العربية اليهودية ». كما أعلنت منظمة الأرجون الارهابية عن سياستها تجاه العرب بقولها : « لقد أبلغنا العرب أنه ليست لنا الرغبة في محاربتهم او الحاق الأذى بهم ، وأنا حريصون على أن نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية . . ولكن اذا وقفوا في طريقنا وعارضوا، ولو جزئياً ، تحقيق أهدافنا ، فاننا سنواجههم بكل ما عندنا من بطش وقسوة » .

وفي ردها على مقترحات لجنة بيل التي دعت الى تقسيم فلسطين، أعلنت المنظمة الصهيونية « أن الشعب اليهودي لا يمكن الا ان ينجذب باتجاه جبل صهيون ووادي الأردن وأن يصل اليها اما بالقوة او بالخداع » .

ويحاول الكاتب الصهيوني آرثر كوستلر أن يبرر لجوء الحركة الصهيونية الى العنف بقوله : « ان محاولة من هذا النوع تقع في خطوتين: الاولى : هي أننا يجب ان ندرك بوضوح ان درجة معينة من العنف ضرورية جداً للتقدم الانساني فبدون تهديم الباستيل ما كان اعلان حقوق الانسان . وهكذا فكلما ازداد اهتمام الانسان بالقيم الاخلاقية والروحية ، كان عليه ان يحذر من الوهن والضعف . اما الخطوة الثانية والأهم فهي ادراكنا أن الغاية تبرر الوسيلة ضمن حدود ضيقة ان العنف هو كالزرنينخ اذا استعمل بكميات قليلة دفع الجسم الى الأمام اما اذا استعمل بكميات كبيرة فهو السم القاتل . واستناداً الى هذا المنطق فان قتال الأرجون زفاي ليومي في سبيل قيام اسرائيل مبرر أخلاقياً وان وصف اعمالها بالفاشية وصف مرفوض .

فالعنف اذا جزء لا يتجزأ من تفكير الحركة الصهيونية وسبيل لا بد منه لتحقيق اهدافها الاستعمارية في اجلاء العرب واحتلال فلسطين وتنفيذ البرامج التوسعية الأخرى .

ولقد حاولت الحركة الصهيونية بواسطة أكثر من ركن من أركانها الاتصال بالمهاثما غاندي وكسب تأييده لقضية الصهيونيين ولمساعاهم في اقامة دولة في فلسطين . ولكن المهاثما غاندي رفض ذلك بالرغم من المحاولات الشتى والاتصالات المتعددة والأساليب المتنوعة التي عرض بها تمثلو الحركة الصهيونية وجهة نظرهم .

ويقول المهاتما غاندي في مذكراته تعليقاً على هذه الاتصالات :

« لم اقترح حين قلت لليهود أن عليهم اتباع سياسة اللاعنف ذلك لأنهم يعيشون في ظل هذه السياسة خلال الألفي سنة الماضية ، ولكنهم لم يمارسوا اللاعنف عن ايمان واختيار حر . أليس مطلوباً منهم أن يؤمنوا العين بالعين والسن بالسن ،؟ هل اللاعنف تجاه مضطهديهم متأصل في قلوبهم؟ اذا كان ذلك فانهم بالفعل شعب مسالم . ولكن اتباعهم للاعنف ناجم في الواقع عن كونهم ضعفاء غير قادرين على الرد بالمثل . . . ان ما طلبته من اليهود هو رفض العنف الكامن في القلب وبالنتيجة رفض ممارسة القوة المنبعثة من هذه الرغبة بالعنف . لقد أخطأ اليهود خطأ قاتلاً حين فرضوا أنفسهم على فلسطين بمساعدة اميركا وبريطانيا . والآن بمساعدة الارهاب البشع . . . لماذا يريد اليهود فلسطين؟ إذ كانوا يريدونها لأسباب دينية فالعنف ليس الطريق الى الحصول عليها بل عليهم أن يعيشوا مع اهلها كمواطنين عاديين وبسلام» . . . وفي حديثه مع الكاتب الصهيوني لويس فيشر ، تكلم غاندي عن احد اصدقائه الصهيونيين الذي اولج به الاتصال بغاندي وهو كالنباخ يحاول ان يؤمن باللاعنف . . ولكن المصائب التي حلت باليهود اكبر من ان يتحملها قلبه . . . وهذا هو الحال بالنسبة لملايين اليهود . . الانتقام حلو المذاق أما الغفران فميزة آلهية وليست لبني الانسان» .

### مشكلة الدولة في اسرائيل ومفهوم الشعب اليهودي لها

اتباع الديانة اليهودية الذين ينتشرون في الأرض على امتداد دول العالم وشعوبه المعقول والمتصور ان شأن الكثرة الكثيرة من عدد المنتمين لهذه الديانة شأن العديد من الشعوب التي تعيش أو تشترك مع غيرها في عقيدة دينية واحدة ، فالدين المسيحي مثلاً ، ينتشر اتباعه في كل بلدان العالم تقريباً ، وتجمع الديانة الاسلامية شعوباً من كل الأجناس والألوان ، وليس هناك من معتنقي الديانتين الاسلاميه والمسيحية على ما بينها من اختلاف بسبب التحريف النصراني من يجعل من أمر

الارتباط العقدي بالمفاهيم السياسية أساساً لاستخدام ممارسات سياسية على غرار الأسلوب اليهودي .

غير ان أغلابة من المتطرفين اليهود في تحالف الحركة الصهيونية مع اطماع رأس المال في العالم كانوا بدعا بين الأمم وكانوا عدوانيين وعنصريين . فاستحدثوا تصوراً عصرياً يربط أتباع الديانة اليهودية في كل العالم كله برباط سياسي يتعدى كل دلالة الدين ورسالته ويتعد به عن مقوماته ، فأطلقوا على يهود العالم كله شعار « الشعب اليهودي » واعتبروا الشعب اليهودي هذا برغم التناقض الحاد بين ظروف جماعته على امتداد كل المشاكل التي يعيشها العالم المعاصر « كياناً سياسياً واحداً » فلما كانت الدولة الاسرائيلية التي أقامها الاستعمار بالقهر والعدوان ارتبطت سياستها التوسعية بمفهوم ادعاءاتها العدوانية وهي انها تمثل « الشعب اليهودي » على أرضه .

وأصبح مفهوم الشعب اليهودي ، محور الإرتكاز الأساسي الذي تقوم عليه في التقاء الى مقدرات العالم وقيمه ، ومحوراً لادعاء في ان ثمة علاقة قوية بل وعضوية تربط بين الدولة فيما تمثله وبين يهود العالم أجمع والذين هم اصلا من غير رعايا الدولة ، ويعيشون بالمواطنة في ظل انظمة تختلف بالطبع عما تمثله اسرائيل ، ومن هنا فانه يصبح من المفيد النظر في المقومات والأسس الأساليب التي وضعتها الحركة الصهيونية ، صانعة إسرائيل وممولة وجودها في هذه القضية بالذات نحو ادعاء اسرائيل وتمسكها بدلالة مفهوم الشعب اليهودي وتمثيلها لهذا الشعب .

يقول الاستاذ « مصطفى عبد العزيز » في كتاب « اسرائيل ويهود العالم » يستند<sup>(١)</sup> ادعاء اسرائيل القائل بأن جميع يهود العالم ينتمون الى كيان سياسي وقانوني واحد ، تسمية « بالشعب اليهودي » على عدد من المقومات بعضها قانوني كالاستناد الى وعد واتفاقيات تضمنت بين نصوصها عبارة الشعب اليهودي كوعد بلفور وصك

---

(١) « مصطفى عبد العزيز - اسرائيل ويهود العالم » صادر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير، سلسلة كتب فلسطينية - عام ١٩٦٩ . صفحات ١٦ - ٥٢ .

الانتداب، رغم انها من الناحية الشرعية الثمينة لا يمثلان موقفاً قانونياً، وبعض هذه المقومات قيم يهودية دينية تستند اليها لتجعل من اليهودية ديناً وقومية، وبعضها عنصري كالقول بأن اليهود يشكلون عنصراً جنسياً متميزاً، والبعض الآخر تاريخي كالقول مثلاً بأن تاريخ اليهود الفريد يكفي وحده لجعل الرباط القومي الشامل «للشعب اليهودي»، الى غير ذلك من المقومات .

وقبل انشاء اسرائيل بخمس سنوات وقف بن جوريون امام حشد يهودي بفلسطين ليعلن « ان يهود العالم يكونون شعباً واحداً في العالم، شعبا لا وطن ولا خلاص له الا بالعودة الى ارض الميعاد (اي فلسطين) »<sup>(١)</sup>، وبعد أن تم انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ اعتقد الكثيرون ان العمل السياسي للحركة الصهيونية قد انتهى باعلان قيام الدولة وتوقعوا ان تتوقف هذه الدولة بمجرد ان أصبحت كياناً قانونياً دولياً، عن الادعاء بوجود أي علاقة سياسية او قانونية بين يهود العالم واسرائيل، اذ ان هؤلاء اليهود يعتبرون في نظر القانون الدولي رعايا ومواطنين في دول اخرى ويحملون جنسياتها .

الا انه منذ اللحظة الأولى التي تلت اقامة اسرائيل جاء اعلان قيامها صدمة للكثيرين، فقد تضمن هذا الاعلان العديد من الاشارات، التي تعني ان يهود العالم يشكلون شعباً متميزاً له قوميته الخاصة به، وان رسالتها الأولى تنحصر في العمل على ضم جميع أبناء هذه القومية، فقد جاء بمقدمة هذا الاعلان «انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في سنة ٥٦٥٧ عبرية «١٨٩٧ ميلادية» بدعوة من ثيودور هرتزل الأب الروحي للدولة اليهودية، واعلن المؤتمر حق الشعب اليهودي في تحقيق بعثة القومي في بلاده الخاصة به» .

ثم يستطرد الاعلان في الفقرة الثانية منه فينسب لوعده بلفور وصك انتداب وعصبة الأمم تأكيداً لوجود «الشعب اليهودي» وحقه في اقامة دولة، فقد جاء في

---

(١) — Burnet Lininof, Ben - Gurion Of israel, Weidengeld and Nicolson, London, ١959, P. 75.

هذه الفقرة : « . . . واعترف وعد بلفور الصادر في ٢ / ١١ / ١٩١٧ بهذا الحق وأكد عليه من جديد صك الانتداب المقرر في عصبة الأمم وهي التي منحت بصورة خاصة ، موافقتها العالمية على الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وأرض اسرائيل واعترافها بحق الشعب اليهودي في اعادة بناء وطنه القومي » .

ويذكر الاعلان في فقرة اخرى أن « دولة اسرائيل تفتح ابوابها امام الهجرة اليهودية لتجميع شمل المنفيين » وكلمة المنفيين هنا تعني يهود العالم ممن يقيمون خارج فلسطين . ويختتم الاعلان بتوجيه نداء الى « الشعب اليهودي » في جميع أنحاء العالم « للالتفاف حول يهود أرض اسرائيل ، ومؤازرتهم في مهمات الهجرة والبناء والوقوف بجانبهم في الكفاح العظيم لتحقيق الحلم القديم - خلاص اسرائيل »<sup>(١)</sup> .

ثم توالى بعد ذلك استخدام اسرائيل لاصطلاح « الشعب اليهودي » في تشريعاتها وقوانينها ووثائقها الرسمية ، فعلى سبيل المثال تضمن اول قانون اصدرته اسرائيل عام ١٩٥٠ وهو قانون العودة : (Law of Return) ان دولة اسرائيل تعتبر نفسها من خلق وابداع الشعب اليهودي « ووفقاً لهذه النظرة فان اسرائيل - كما عبر بن جوريون - لا تعتبر نفسها دولة لمواطنيها فقط ، بل هي دولة كل اليهود في جميع أنحاء العالم وبوسعهم جميعاً أن يصبحوا مواطنين فيها ، فعندما صدر قانون العودة والذي يسمح لأي يهودي في العالم بالهجرة لاسرائيل واعتباره موطناً عائداً من المنفى الى وطنه في فلسطين ، علق بن جوريون - وكان وقتها رئيساً للوزراء - على هذا القانون بقوله ، « ان قانون العودة هو قانون البقاء التاريخي لليهود واستمرار للصلة القائمة بين اليهود في اسرائيل وخارجها ، وان هذا القانون يضع المبدأ الاساسي الذي تم بفضل احياء دولة اسرائيل كما سيعود اليه الفضل في بقائها ونموها وتحقيق رسالتها في الخلاص القومي » .

---

(١) راجع النص الانجليزي لاعلان الاستقلال في مؤلف :

— Joseph Badl, (ED.) Fundamental Laws of the State of Israel, New York, Twanje Publishers,

1961, P.10.

وهناك وحدة في الرأي فيما ينادي به الزعماء الاسرائيليون والصهيونيون بشأن ما يسمونه «بالشعب اليهودي» ، اذ نرى ناحوم جولدمان - وقت أن كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية - يعلن «ان يهود العالم شعب واحد بمركزين حيويين ، اسرائيل وبلاد المنفى ، واحدهما يجب ان يزود الآخر بالأمن واستمرار الوجود .

كما وقف أبا ايان في اجتماع المجلس الصهيوني العام الذي عقد في القدس المحتلة في ١١ / ١ / ١٩٦٦ ليوضح وجهة نظر الحكومة الاسرائيلية في علاقة اسرائيل بيهود العالم فحددها على الوجه التالي «اننا نرى أنفسنا كمحور وكقلعة لشعب عالمي ، وليس فقط كدولة صغرى محدودة بحدودها الجغرافية» ، وهذه الأقوال تبرز اتفاق وجهتي النظر الاسرائيلية والصهيونية حول نوعية وطبيعة العلاقة بين يهود العالم واسرائيل ، فهي ترى أن جميع اليهود ايا كان موطنهم يشكلون امة واحدة ، وان دولة اسرائيل هي الممثل الشرعي لذلك القطاع من الأمة المقيمة في صهيون ، وان المنظمة الصهيونية العالمية هي الممثل المخول السلطات لباقي هذه الأمة المقيم خارج اسرائيل<sup>(١)</sup> .

وقد اوضح احد الكتاب الصهيونيين المقصود او معنى عبارة «الشعب اليهودي» فقال انه اصطلاح جامع CoLLectiveTerm مكون من اسم وهو «الشعب» People «وصفة هي «اليهودي» Jewish وان مدلول كلمة «الشعب» طبقاً للقاموس الانجليزي : (The Shorter Oxford English Dictionary) مساوية لكلمة «أمة» Nation او عنصر او قبيلة ، ولذا فان عبارة الشعب اليهودي «تصف كياناً سياسياً او طائفيًا ، ويضيف هذا الكاتب ان تضمين صك الانتداب على فلسطين لهذا الاصطلاح جعله يعني من وجهة نظر القانون الدولي «كيانا عرقيا سياسياً معترفا به عالمياً»<sup>(٢)</sup> .

---

(١) Moses Laskg. Between Truth and Repose, The World Zionist Organizatipn, ACJ, San Francisco, California, 1956, P. 49.

(٢) Ernest Frankenstein, 'The Meaning of the term «National home The Jewish Year Book (٢) ofinternational Law 1948, Rubin Mass, Jerusalem, (israel), P. 39.

وإذا ما حللنا أقوال بعض الزعماء الاسرائيليين فيما يتعلق بالشعب اليهودي ، نجد أن نظرتهم تقوم على اساس اعتبار اليهودية ديناً وقومية ، فبن جوريون يرى « أن العقيدة اليهودية لا تتمثل في الايمان بالتوحيد ووجود اله واحد فحسب ، ولكن يلزمها دوافع قومية واقليمية هي التي أدت الى ارتباط اليهود ارتباطاً روحياً عميقاً بأرضهم القديمة حتى أثناء اقامتهم في المنفى »<sup>(١)</sup> ، وانثاقاً من هذه النظرة تجد أن اسرائيل تعتبر الجماعات اليهودية خارجها توابع للدولة اليهودية « اي اسرائيل » ، كما تنظر الى افراد هذه الجماعات وكأنهم « اسرائيليين في المنفى » ، فهي تتصور عدم امكانية وجود اميركيين او انجليز او فرنسيين او المان يهود ، بل يهود فقط يعيشون في الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة؛ او فرنسا او ألمانيا ويتخذون هذه الدول كمنفى لا كأوطان ، ولكن ما هي خصائص المفهوم الاسرائيلي والصهيوني « للشعب اليهودي » .

ان المفهوم القائل بأن اليهود في العالم يؤلفون شعباً واحداً هو « الشعب اليهودي » له كافة ما يميزه كسبب وله قوميته اليهودية ووطنه القومي (اسرائيل) يعتبر قلب القانون الصهيوني العام الذي يحكم نظرة اسرائيل ليهود العالم من غير رعاياها ، واعتبار يهود العالم (غير الاسرائيليين) جزءاً من الشعب اليهودي المنتشر في جميع أنحاء العالم ، وبمقتضاه سعت اسرائيل الى تحديد نوعية وشكل علاقتها بهم<sup>(٢)</sup> ولا تؤمن اسرائيل بوجود « الشعب اليهودي » واعتباره كياناً سياسياً عرقياً معترفاً به في القانون الدولي فحسب ، بل ترى ان هناك علاقة قانونية بين الشعب

---

Ben Gurion Looks Back, in Talks With Moshe Pearlman Simon and Schuster, New York, (١) 1965

W.T. Mallisson, Jr, «The Legal problems Concerning the Juridical Status and political (٢) activities of the Zionist Organization, Jewish Agency: A Study in international and U.S.

Law». Wilfiam and Mary Law Review, Vol. 9. Spring 1968, No, 8, pp. 556 - 639.

وقد قامت مؤسسة الدراسات الفلسطينية باعادة طبعها ضمن سلسلة :

Monograph Series, No. 14. p.6.

اليهودي واسرائيل ، وان هذا الشعب يعتبر كياناً مؤهلاً وصالحاً لتلقي وممارسة الحقوق والواجبات السياسية القومية تجاه دولة اسرائيل .

وأهم ما يميز المفهوم الاسرائيلي للشعب اليهودي استخلاصاً من التصريحات والأقوال والكتابات الاسرائيلية والصهيونية هو ما يلي :

١ - إنه كيان سياسي قانوني Political - Legal Entity بمعنى انه يفرض نظاماً للحقوق والواجبات على يهود العالم تجاه دولة اجنبية او وطن قومي هو (اسرائيل) ؛ ويتضح ذلك فيما اورده صحيفه «الجيروزالم بوست» الاسرائيلية وشبه الرسمية في احد افتتاحياتها عندما قالت « ان مبادئ الصهيونية والقانون الاسرائيلي ينصان على انه لكل يهودي بعض الحقوق في هذا البلد (أي اسرائيل)»<sup>(١)</sup> . وهذا المفهوم بنشئ بطبيعة الحال علاقة سياسية - قانونية بين يهود العالم واسرائيل من وجهة نظر القانون الدولي .

٢ - انه كيان مفروض Aninvoluntary Entfity وأول ما يفصح عن سمات فرضه انه يشمل كل يهود العالم لمجرد أنهم يهود وبدون أي اعتبار للتفضيل او الاختيار الفردي ، ولا يتضمن اي استثناء لمواطني أي دولة خارج اسرائيل فيهود العالم وجدوا أنفسهم « منتمين بلا ارادة منهم الى دولة اجنبية على اساس العقيدة الدينية » يؤكد ذلك ما ذكره بن جوريون - وقت ان كان رئيساً للوزراء - بوصفه للعلاقة بين يهود العالم واسرائيل بأنها « الزامية وعضوية وتاريخية وحيوية » .

---

(١)Memorandum From Elmer Berger of the Brother Daniel Case and the «Berger - Mallison»

Rroject Pamphlet published bythe American Council for Judaism, P. 2.

جاء ذلك في صحيفه جيروزالم بوست الاسرائيلية في عددها الصادر بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٦٤ في معرض ردها على ما ورد برسالة مؤرخة في ٢٠ / ٤ / ١٩٦٤ بعث بها فيلبس تالبوت مساعد وزير الخارجية الامريكية للحاخام المبرجر ، ونفي فيها اعتبار ان الشعب اليهودي كمفهوم من مفاهيم القانون الدولي .

٣ - أنه كيان يتعدى القوميات Trauanstionalentity فهو ليس قاصراً على اليهود الذين يعيشون او سوف يعيشون في دولة إسرائيل بل موجه الى جميع اليهود المقيمين خارج اسرائيل ممن لهم وضع قانوني ويحملون جنسيات الدول التي يتتمون اليها ويبدو ذلك واضحاً في خطاب ليفي اشكول رئيس الوزراء الاسرائيلي « السابق » الذي القاه أمام عدد من اليهود الأمريكيين وذكر فيه « نحن في اسرائيل نشعر ان هناك شعباً يهودياً واحداً في العالم أجمع » .

ولقد تأكدت الخصائص التي عرضناها لمفهوم « الشعب اليهودي » في مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين التي جاء بها ما يلي :

١ - كل يهودي في العالم جزء من مجموعة قومية واحدة (الشعب اليهودي) .

٢ - كل يهودي عليه التزامات قومية تجاه اسرائيل .

٣ - الواجب القومي الرئيسي الذي ينبثق من عقيدته الدينية هو الهجرة لاسرائيل .

٤ - لا يمكن لأي يهودي خارج اسرائيل أن يعيش حياة يهودية كاملة .

٥ - كل يهودي خارج اسرائيل معرض لخطر الذوبان والاضطهاد<sup>(١)</sup> .

ولكن ما الذي يربط او يجمع (الشعب اليهودي) من وجهة النظر الاسرائيلية ؟ يجيب بن جوريون على ذلك بأن « هناك وحدة قومية تجمع بين يهود العالم ، وحدة تقوم على المصير المشترك وتراث تاريخي عظيم مشترك بالاضافة الى الأمانى المشتركة للمستقبل<sup>(٢)</sup> » ، ومعنى ذلك وفقاً لهذه المعايير فان اليهود في جميع انحاء العالم يكونون امة<sup>(٣)</sup> ، وانه وفقاً لوجهة النظر الصهيونية ، توجد أمة يهودية واحدة في الماضي والحاضر والمستقبل يتبعها كل يهودي في العالم أيا كانت جنسيته ،

---

Deonard R. Suseman Zionisms 4 Year plan: The 25th World Zionist Congress, New York:(١)

ACJ, February 1951, P.2.

Ben Gurion Gredo of a Jow , Jerusalem Post July 19,1957.(٢)

(٣) هذا ما تنادي به الحركة الصهيونية ايضاً راجع :

Joseph Helley, The Zfionist ides, New York, Sehocken Book, inc., 1949.

وان هذه الأمة غير قابلة للتجزئة<sup>(١)</sup>، وان جميع يهود العالم يعتبرون اعضاء في الأمة اليهودية التي تمثل اسرائيل مركزها<sup>(٢)</sup>.

واذا ما تفحصنا النظرة الاسرائيلية والصهيونية ليهود العالم وفق مفهوم (الشعب اليهودي) والقاتل بأن جميع يهود العالم أيا كان مكان وجودهم او الدول التي ينتمون اليها قانونا يشكلون كياناً واحداً متميزاً. نجد ان هذه النظرة اقتبست الكثير من المفاهيم التي كانت تنادي بها النظرية الألمانية في القومية، فهذه النظرية تقوم على اساس أن جميع الأشخاص المنحدرين من الجنس الآري ايا كان مكان وجودهم او نشأتهم او الدول التي ينتمون اليها يدينون بالولاء الأول لألمانيا ويجب ان يصبحوا مواطنين للدولة الألمانية باعتبارها وطنهم الحقيقي<sup>(٣)</sup>. وقد شاهد العالم ما سببته النظريات الألمانية المتطرفة من دمار للبشرية وكان اليهود في مقدمة ضحاياها.

واذا كنا قد عرضنا خصائص المفهوم الاسرائيلي الصهيوني (للشعب اليهودي) والمقومات التي يستند اليها، فما هو موقف الحقائق القانونية والدينية والعلمية والتاريخية من هذا المفهوم؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه.

---

(١) راجع دراسات تحليلية مقارنة للقومية اليهودية والقومية العربية في مقال:

Fayez Sayegh, «The Encounter of Two Ideologies».

التي نشرها النادي الثقافي العربي ببيروت لبنان ضمن كراسة اسمها:  
Palestine Collected Papers, 1936, p. ico.

(٢) اكد ذلك رئيس المنظمة الامريكية نقلا عما ورد في مقال.

Riehard Korn, «Zionism and Dual Loyalty» Issues, A.C.J «Spring 1962, P.3.

(٣) Ernst Frankenstein, Justice For my People, London N. cholson and Waston, 1943, P. C4.

## نظرة حول مفهوم الشعب اليهودي

عرضنا بايجاز الادعاءات الاسرائيلية والصهيونية حول ما أسمته «بالشعب اليهودي» والمقومات التي يستند اليها .

غير انه يجدر بنا ان نشير الى انه كثيراً ما يشير الصهيونيون الى ان «عبارة» «الشعب اليهودي» التي جاء ذكرها في وعد بلفور وتضمنها صك انتداب عصبة الأمم على فلسطين تعني وجود كيان قانوني سياسي يعرف « بالشعب اليهودي » وان ذلك يعتبر من أهم الأسس القانونية التي تؤكد ان الشعب اليهودي كيان معترف به دولياً ويضم كافة اليهود في عضويته ، وهذه الدراسة وان كانت غير مخصصة لتحليل وعد بلفور وعدم مشروعيته والظروف السياسية والدولية التي رافقت اصداره وتعارضه مع وعود بريطانيا اخرى اعطيت للعرب ، الا أننا سنتناول هذا الوعد من ناحية مدى صحة الاستناد اليه لتأكيد وجود «الشعب اليهودي» ككيان قانوني وسياسي شامل لليهود العالم<sup>(١)</sup> .

لقد استغلت الحركة الصهيونية الأهداف الاستعمارية لبريطانيا وانتهزت فرصة الحرب العالمية الاولى لتحصل على وعد بلفور عام ١٩١٧ الذي تضمن «ان حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل قصاري جهدها في سبيل تسهيل تحقيق هذا الهدف ، على ان يكون من المفهوم بوضوح انه لن يؤتي بعمل من شأنه ان يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق او

(١) لمن شاء الاستزادة فيما يتعلق بظروف اصدار وعد بلفور يمكن الرجوع الى :

J.M.N. Jeffries. The Balfour Declaration.

وهو الفصل الحادي عشر المنشور ضمن كتابه :

« Palestine, The Reality » Longmans, Green and Ca., 1959

ومؤلف د. اسعد زروق - اسرائيل الكبرى - سلسلة كتب فلسطينية رقم ١٣ مركز الأبحاث بيروت -

من ص ٣٤٠ - ٣٨٧ .

الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»<sup>(١)</sup> . وبهذا اعطى من لا يملك (اي بريطانيا) وعدا لمن لا يستحق (الحركة الصهيونية ) ، اذ ان بريطانيا لم تكن تملك قانونا اعطاء مثل هذا الوعد .

وقد اعتبر ارنست فرانكشتين وهو محام يهودي - ان تضمين وعد بلفور لعبارة «الشعب اليهودي» يعتبر أول اعتراف دولي في التاريخ الحديث بوجود «الشعب اليهودي» وأكدته القوى المتحالفة الرئيسية واعترفت به عصبة الأمم في صك الانتداب على فلسطين ، ولذا فانه استناداً الى هذه الوثائق الدولية فان وجود «الشعب اليهودي» ببدلوله الصهيوني الذي يعني انه يشمل جميع يهود العالم - يعتبر احد حقائق القانون الدولي التي لا تقبل النقاش ، ثم يضيف الى ذلك قوله ان اصطلاح Home الوارد بوعد بلفور لم يستخدم من قبل في القانون الدولي ، وانه استخدم بنية واضحة هي اعطاء الشعب اليهودي الحد الأدنى من الحقوق الاقليمية ، وان خلق الوطن القومي هو النتيجة المنطقية للاعتراف باليهود «كشعب» وان الوطن القومي الذي خص به هذا «الشعب» قصد به خدمة كل افراده اي جميع اليهود في العالم الذين يرغبون في الاستفادة منه . وعلى هذا فان كل يهودي في العالم يعتبر طبقاً لهذا التفسير ساكناً محتملاً لفلسطين<sup>(٢)</sup> .

كما اخذ بنفس هذا المنطق احد رجال القانون اليهود وهو (ن . فنبرج . N Feinberg اذ يرى أن «الحق في الوطن القومي» منح «للشعب اليهودي» ككل ولم يمنح لأي جزء منه ، فلم يمنح للصهيونيين او لليهود الذين استوطنوا في

---

(١) Palestine Rohal Commission Report Presented by. the Secretary of State For the Colonies Parliamentary by Command of His Majesty, July 1937, London. His Majesty's Stationary Office, P. 22.

(٢) Ernst Frankenstein, Justice for my People London: Nicholson and Watson, 1943, P. 64, 102. ويلاحظ انه ادلى بهذا الرأي قبل انشاء دولة اسرائيل بخمس سنوات.

فلسطين أو الذين سيستوطنون فيها ، ولكنه منح لكل اليهود ايا كان مكان وجودهم<sup>(١)</sup> .

والتفسير الصهيوني والاسرائيلي لعبارة «الشعب اليهودي» الواردة في وعد بلفور وفقاً لما تقدم على اساس انها تعني كياناً سياسياً وقانونياً يشمل جميع يهود العالم ، فيه الكثير من المغالطات ، ويتعارض مع التحفظين الصريحين الواردين بهذا الوعد اللذين ينصان صراحة على انه «لن يؤتي بعمل من شأنه ان يضير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى ، «والنص الانجليزي لهذين التحفظين هو كما يلي»<sup>(٢)</sup> .

«It isto be Clearly understood That nothing shall be done which may prejudice the Civil and religious rights of existing non - Jewish Communities in Palestine, and it is tobe equally Clearly understood. Nothing shall be done which may PreJudice the rights or Political statusen Joyed by Jews in any Country other than Palestine».

ولذا فان الادعاء الصهيوني الاسرائيلي القائل بأن عبارة «الشعب اليهودي» تعني كياناً سياسياً قانونياً يمتد الى يهود العالم ، ويفرض عليهم نظاماً للحقوق والواجبات تجاه اسرائيل فيه مساس سواء بالحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى . وما يؤكد ذلك ان ادوين مونتاجو Eldvin Montagu

---

(١) اعتمدنا في نقل هذا الرأي على ما تضمنه مؤلف .

Moshe Menuhin, The Decadence of Judaism in our Times, Exposition Press, New Your, 1965, P.

417.

(٢) انظر النص الكامل لهذا التصريح في :

Palestine Poyal Commission Report, op. Cit., P. 31.

ورير الدولة البريطاني لشئون الهند - وهو يهودي معارض للصهيونية - كان وراء ادخال هذا الشرط الذي يحفظ حقوق يهود العالم خارج اسرائيل<sup>(١)</sup>.

## الدين اليهودي ومفهوم الشعب اليهودي له

تحاول الصهيونية واسرائيل ان تستغل القيم اليهودية القديمة لتؤكد بها وجود ما تسميه «بالشعب اليهودي» فمن المعروف ان الحركة الصهيونية هي في جوها حركة سياسية علمانية وليست حركة دينية ، ونشأت كرد فعل الحملات الاضطهاد واللاسامية التي عانى منها يهود شرق اوروبا ، وقامت حجتها الاساسية على ان الحل الوحيد لهذا الوضع يتم بانشاء دولة يهودية ، واضفاء الصفة القومية على اليهودية ، فقد وجد القائمون على الحركة الصهيونية انه من المفيد اعطاء ادعاءاتها بشأن «الشعب اليهودي» وغيره من المفاهيم الصهيونية قالباً دينياً عاطفياً يمكنه جذب تأييد العديد من الطوائف اليهودية المتدينة ، فقد استغل الزعماء الصهيونيون فكرة «العودة» الخيالية التي نسبوها للدين اليهودي كوسيلة لانتزاع مساندة يهود العالم للأهداف الصهيونية واثارة حماستهم الدينية والعاطفية ، كما استغلوا العديد من الحجج الدينية وشكلوها بالقالب الذي يروق لهم واستعملوها استعمالاً علمانياً لاختفاء أهدافهم السياسية الحقيقية ، كالقول بأن اسرائيل ليست دولة مثل باقي دول العالم ، بل لها رسالة خاصة تهدف الى «خلاص الشعب اليهودي المشتت في العالم ، وانها تعدّ بمثابة المركز الروحي لهم ، واعتمدت اسرائيل والصهيونية على قلب القيم اليهودية لتحول بها الدين اليهودي من دين الى حركة سياسية قومية .

ولكن هل توفر الديانة اليهودية الرباط القومي الشامل الذي يؤكد وجود امة يهودية وشعب يهودي بالمدلول السياسي الذي تدعيه اسرائيل؟ نجد الاجابة على جانب من هذه السؤال في البحث الذي اعده نورتون ميزفينسكي Morton Mezvinsky وهو متخصص في التاريخ اليهودي وعنوانه «هل تعني الديانة اليهودية

وجود شعب يهودي «؟»، فنجده يقول في مستهل بحثه «ان الانقسامات الحادة التاريخية والحالية بين الفروع المختلفة لليهودية تناهض فكرة وجود الكنيسة اليهودية» الشاملة «التي يكون الأفراد المنتمون اليها تجمعاً عرقياً واحداً»، ويستشهد نورتون على ذلك بوضع اليهود الأميركيين، اذ فضلاً عن انه توجد بينهم اختلافات سياسية وثقافية واجتماعية وعرقية شاسعة، باعتبارهم قدموا لأميركا من دول ومناطق مختلفة، ويبدو ذلك واضحاً من الفروق الحادة بين اليهود الاشكنازيين واليهود السفريديين، توجد بين اليهود الامريكيين اختلافات في المفاهيم والطقوس الدينية، فاليهود الألمان اعتنقوا الفلسفة الدينية، الاصلاحية، ولم يمارسوا في معابدهم الطقوس والمزامير اليهودية الأرثوذكسية التقليدية، وحدثوا ثورة في الطقوس الدينية متأثرين بالاصلاح في الكنيسة المسيحية البروتستانتية<sup>(١)</sup>.

وتعتبر اليهودية الاصلاحية في نظر البعض نتاج التكيف الكامل للعقيدة الدينية اليهودية مع الحياة الثقافية الحديثة، وتعد بمثابة الذراع المتحرر للايمان، وثمره اساليب الدراسة النقدية<sup>(٢)</sup>، ونظرتها العامة للدين اليهودي نظرة متطورة ومرنة وتنظر للدين اليهودي على انه عقيدة دينية فقط<sup>(٣)</sup>، بينما اليهودية الأرثوذكسية يتمسك اتباعها بشرعهم القديم بدقة وتزمت ويرون في اليهودية ديناً وقومية. وتمثل هذه الطائفة اليمين المتطرف للاهوت اليهودي.

كما ان بعض المجموعات اليهودية رأت في الحركة الاصلاحية ابتعاد أكثر من اللازم عن الشكل والتقليد اليهوديين، فحاولت احداث تغييرات في بعض الجوانب الاساسية في الدين اليهودي، وعرفت هذه الفئة «اليهودية المحافظة»، وحرصت

---

Norton Mezvinsky, Does the Jewish Religion Signify A «Jewish People», Issues, ACJ, (١)

Summer 1967, P. 7 - 9.

Elmer T. Clark. The Small Sects in America, Abengdan Press, New York. P. 162. (٢)

Ben M. Edidin, Jewi Community Life in America, Hebrew Publishing Company, New York, (٣)

1947, P. 57 - 58.

هذه الفئة على ان تظل في اطار التقليد التاريخي ، ولكنها في نفس الوقت قدمت اصلاحات وتغييرات تجعل من اليهودية التقليدية اكثر قبولا ، وان كانت قد فشلت في ان تتطور الى فلسفة ايجابية وظلت سلبية الاتجاه والتوجيه .

ويخلص نورتون ميزفينسكي من بحثه الى القول بأن مثل هذه الاختلافات بين اتباع الدين اليهودي تنفي وجود الرباط الديني الشامل بينهم ، وتدل على انه لا يقتصر على عنصر او جنس معين بالذات ، كما يؤكد ان اتباع هذا الدين ينتمون الى فئات مختلفة ولا يمكن اعتبارهم مجموعة جنسية واحدة ، بل عدداً من التجمعات الجنسية المختلفة التي تدين باليهودية ، وهذا يؤكد ان الدين اليهودي دين مفتوح للجميع مثله في ذلك مثل البروتستانتية والكاثوليكية .

ومن ناحية اخرى فإننا اذا تفحصنا النصوص الدينية اليهودية ، نجد انه لم يرد بها عبارة «الشعب اليهودي» في اي نص من النصوص اليهودية المقدسة ، وانما استخدمها الزعماء الصهيونيون والاسرائيليون كتحريف لعبارة «شعب اسرائيل» التي تعني مجرد فكرة روحانية دينية بحتة ، وتشير الى الأفراد الذين اتخذوا من اليهودية عقيدة دينية لعبارة الله ، وما يؤكد ذلك قول الدكتور سلومون ششتر Solomon Schechter الذي مات قبل انشاء اسرائيل - «أنه يجب ان نتذكر ان لفظ «اسرائيل» لا تعني «أمة» بالمعنى العام لهذه الكلمة»<sup>(١)</sup> .

كما اعلنت الطائفة اليهودية الاصلاحية منذ وقت مبكر وسابق على المؤتمر الصهيوني الأول في وثيقة أسمتها Pittsburg Platform / إننا لا نعتبر انفسنا أمة ، مجرد مجموعة دينية ، ولذا فنحن لا نفكر في العودة الى فلسطين، ولا نرغب في القيام بعبادة قربانية تحت رعاية ابناء هارون او احياء اية قوانين تتعلق بالدولة اليهودية»<sup>(٢)</sup> .

(١) ورد هذا القول في مذكرة للمجلس الأمريكي لليهودية، صارت بتاريخ ٨ / ٤ / ١٩٥٣، س ٤ - ضمن نشرات هذا المجلس .

(٢) The Jewish Encyclopedia «Rabbinical Conference» 1905, P. 215.

ولعل خير رد على الادعاء الاسرائيلي والصهيوني القائل بأن الدين اليهودي يؤكد وجود « الشعب اليهودي » ما جاء بكتاب المجلس الأميركي لليهودية وعنوانه « اليهودية دين لا قومية » فهو يؤكد ان « الشعب اليهودي » ليس له وجود بالمعنى الطائفي والسياسي ، ففي الماضي كانت تستعمل عبارات مثل « الشعب اليهودي » وشعب اسرائيل ، ولكنها دائماً كانت ترمز الى تعميمات نفسانية تمثل استمرار وجود هذه الجماعة في التاريخ ، وذلك لأنها جماعة تتعلق بالناحية الروحانية ، اما في الأعوام الأخيرة فقد كان هناك من رغبو في تحويل هذه الصفة الروحانية الى جماعة طائفية قائمة بذاتها ، أي بتحويلها الى قومية ، او الى امة لها مميزاتها الجنسية اي التي تتعلق بالأجناس ، ولذلك قام هؤلاء بتغيير نفس الالفاظ، فباطلاقهم اسم « اسرائيل » على دولة سياسية غيروا معنى «شعب اسرائيل» ، وان عبارة «الشعب اليهودي» ما هي الا تلفيق سياسي ، فليست لها وجود في اليهودية ، كما انها لا توجد في اي نص من نصوص اليهود المقدسة . وتعد تحريفاً مبتدلاً لعبارة «شعب اسرائيل» وهذه العبارة هي المرادف الذي وضعته الصهيونية لامة اليهود والستار الذي عملت على اخفائها به ، فقبل انشاء اسرائيل كان اصلاح «اسرائيل» له معنى دينياً صرفاً ، فعبارة «شعب اسرائيل» الواردة في التوراة ، كانت تشير الى الأشخاص الذين يعبدون الها واحداً، ويعتقون الديانة اليهودية<sup>(١)</sup>.

كما أن المجلس الأميركي لليهودية عارض اعتبار اسرائيل وطناً قومياً لجميع يهود العالم استناداً الى أن غالبية اليهود في العالم لم يقيموا فيها على الاطلاق، ولا يرغبون في هذه الإقامة مستقبلاً، كما ان غالبية يهود العالم لا يدينون بالولاء السياسي لها<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن ان وصف اسرائيل « بالدولة اليهودية » يعتبر جزءاً من التضليل

(١) Elmer Berger, Jurdaim or Jewish Nationalism, The Alternative to Zionism, Bookman

Associates, New York, 1957, PP - 71 - 72.

(٢) Statement by Clarence L. Coleman - Opening of Eastern Regional Office. Washington D.C.

Oct. 71958, P.3

الصهيوني المرتبط بادعاء « الجنسية اليهودية » التي يراد فرضها على يهود العالم ، كما انها غير سليمة نظراً لأن اسرائيل تضم افراد مسلمين ومسيحيين وغيرهم من ذوي المعتقدات الدينية الأخرى ، كما تضم عدداً من العلمانيين وربما المعادين للدين بالاضافة الى مواطنيها من اليهود، وحتى منذ الف سنة لم يكن هناك كيان سياسي يمكن ان يطلق عليه اسم «الدولة اليهودية»<sup>(١)</sup>.

ومحاولة اسرائيل ربط مفهومها للشعب اليهودي بالدين ، لا تتمشى ، مع الاتجاه السائد في العالم ، فلقد تعدت الأديان الرئيسية في العالم حدود جنسها ولم تعد أية ديانة مقتصرة على عنصر أو جنس معين ، فالاسلام والمسيحية مثلها مثل اليهودية ، تضم أجناساً وطوائف وشعوب مختلفة ولا تشذ اليهودية بأي حال من الأحوال عن هذا النمط ، فهي تضم أتباعاً من اصل روسي وأميركي وألماني وهندي وانجليزي ومجري . . الخ . ولاتتقيد باعتبارات جغرافية او عنصرية ، فهي تمثل ايماناً دينياً يمكن لأي فرد في العالم أن يعتنقها وليس من المعقول - للادعاء الصهيوني الاسرائيلي - القول ان اليهودي الفرنسي واليهودي والألماني ينتمون الى امة واحدة او شعب واحد لمجرد انهم يدينون بدين واحد وهو اليهودية .

والادعاء بوجود قومية او امة يهودية او شعب يهودي على أساس ديني ، وادعاء دولة من الدول حق الولاية على اتباع دين معين يعتبر خطوة انتكاسية انتهى او انها فنحن لا نعيش في عصر الامبراطورية الرومانية المقدسة ، بل في القرن العشرين قرن الانفتاح والتحرر والبعد عن التعصب الديني الأعمى . ولقد كانت كلمة يهودي ولا تزال تدل على شخص ينتمي الى الدين اليهودي بنفس الطريقة التي تدل بها كلمة

---

(١) Memorandum Outlining The Principles of the American Council For Judaism and Severad

Problems Created by Confusion of Judaism With the Nationalism of a Foreign State

Presented to the Secretary of the state, Washington D.C. April 8, 1953, PP. 2 - 3.

والمعلومات اكثر شمولاً عن علاقة الدين بالدولة في اسرائيل والتفارقة بين اليهودية يراجع مؤلف د .

اسعد رزوق - الدولة والدين في اسرائيل - سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٣٧ - مركز الأبحاث - بيروت -

. ١٩٦٨

مسيحي على شخص ينتمي الى الدين المسيحي او المسلم الذي ينتمي الى الدين الاسلامي ، وادعاء الصهيونية واسرائيل بأن كلمة اليهودي واليهودية تشير الى وجود قومية معينة وهي القومية اليهودية ، وشعب معين هو الشعب اليهودي له قومية مميزة يعتبر كما قدمناه ادعاء غير صحيح من الناحية الدينية فقد اتخذت الزعامات الاسرائيلية والصهيونية الدين كأداة من أدوات الاستغلال السياسي لتحقيق اطماع سياسة لا تمت بأية صلة . واذا كنا قد عاجلنا موقف الدين من المفهوم الصهيوني الاسرائيلي « للشعب اليهودي » فما هو موقف العلم منه ؟ .

### مفهوم الشعب اليهودي والحقائق العلمية :

عندما تردد الصهيونية واسرائيل ان اليهود في العالم يشكلون كياناً متميزاً وشعباً منفصلاً له خصائصه ، انما تجعل من نظرية الجنس او العرق اساساً جوهرياً لها ، والنظرية العنصرية ليست غريبة على الحركة الصهيونية بل هي متأصلة فيها منذ قيامها ، فتيدودر هرتزل (الأب الروحي للصهيونية ) يردد في كتابه الشهير «الدولة اليهودية » أن أصل اليهود يختلف عن سائر الأصول البشرية وأنهم يشكلون شعباً واحداً وبنسباً متميزاً . . . . وان عليهم أن يتمسكوا بهذه الفوارق التي تميزهم عن الآخرين من أجل الحفاظ على عنصرهم ، فهل يوجد من الناحية العلمية جنسا او عنصراً يمكن تسميته عنصراً يهودياً (Jewish Race) (١) .

اذا نظرنا الى الواقع نجد ان يهود العالم لا يكونون «شعباً واحداً» او «أمة واحدة» او وحدة جنسية منسجمة بالمعنى السليم استناداً الى آراء علماء الأجناس والسلالات البشرية . واذا كان بعض المتعصبين من اليهود يعتقدون بأنهم سلالة عناصر سامية نقية متميزة، فان هذا الاعتقاد لا تؤيده الأبحاث الانثروبولوجية ، فمن الثابت وجود فوارق وتباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في جميع دول العالم فهم ينحدرون من شعوب وسلالات متعددة ومتباينة ، ويؤكد

---

(١) Theodor Herzl The Jewish State, Fourth Edition, London, 1946, 15, 25, 27.

ذلك جوان كوماس Jasn Comas أستاذ التاريخ الطبيعي للجناس البشرية في الجامعة الوطنية بمكسيكو فقد اعد بحثاً بعنوان « أسطورة الجنس اليهودي » The Mythozthe رد فيه رد فيه انثروبولوجيا على المزاعم الصهيونية والاسرائيلية القائلة بانتماء يهود العالم الى كيان عنصري واحد تسمية « الشعب اليهودي »<sup>(١)</sup>، ونظراً لأهمية هذا البحث فاننا سنعرض لبعض الآراء الواردة به .

ففي مستهل بحث جوان كوماس نجده يؤكد الحقيقة التي يظهرها تاريخ الأجناس البشرية والتي توضح ان اليهود غير متجانسين كعنصر ، وأنه ليس هناك اي اساس للدعاء القائل بوجود جنس يهودي «انثروبولوجيا» فهجرة اليهود المستمر خلال التاريخ . . وعلاقتهم بمختلف الأمم والشعوب قد اوجدت شيئاً من التهجين ، وتكفي للتدليل على ذلك . . مقارنة يهودي من روتردام القوى الجسم ، ويهودي من سالونيك البراق العينين الهزيل الجسم - فاليهود يظهرون كمجموع تباين من ناحية التركيب الجسماني .

ثم يضيف جوان كوماس ان التحليل العام لليهود وتصنيفهم تبعاً لأصلهم ينتهي بنا الى المجموعات الآتية :

- أ - المنحدرون من اليهود المهاجرين من فلسطين وهم قلة .
- ب - المنحدرون من الاندماج بين يهود من أصل آسيوي مختلط او بين اليهود ومجموعات بشرية أخرى ، وهم ما يمكن تسميتهم بسلالة تهجين التهجين .
- ج - اليهود من الناحية الدينية فقط حيث أنهم من ناحية التاريخ الطبيعي للأجناس البشرية ليس لهم اي صلة بيهود فلسطين ، وهم عبارة عن أفراد من أصول بشرية أخرى اعتنقوا اليهودية ، والمثال الواضح لهذه الفئة «بولان» ملك الخزر الذي اعتنق اليهودية عام ٢٤٠ مع كثيرين من نبلائه واتباعه ، كما ان هناك عدداً كبيراً من اليهود في بولندا وجنوب روسيا يمكن نسبتهم الى هذه الفئة .

---

(١) Juan Comas «The Nyth of the Jewisk Race» Issues, A CJ, Winter, 1965 - 1966, PP. 21 - 23

وهناك شواهد تاريخية عديدة تؤيد حقيقة اختلاط وامتزاج العناصر اليهودية بالشعوب التي عاشوا بينها ، منذ زمن بعيد ، فقد صدرت عدة قوانين في فجر المسيحية كانت تحرم الزواج بين المسيحيين واليهود ، مثل دستور ثيود وسيدس الثاني في القرن السادس ، والقوانين التي أصدرتها السلطات المسيحية في توليد وعام ٥٨٩ وفي روما عام ٤٧٣ . وكذلك القوانين التي أصدرها لاديسلاس الثاني ملك المجر عام ١٠٩٢ ، وضرورة التحريم في هذه القوانين توحى بأن الزواج بين اليهود والمسيحيين كان امراً شائعاً ومألوفاً ، كما قدرت نسبة الزيجات اليهودية في المانيا التي تجمع بين شريكين يهوديين في الفترة ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٥ بـ ٥٨٪ ، وتلك التي تجمع بين شريك يهودي وآخر غير يهودي قدرت بـ ٤٢٪ وقد عقدت في برلين عام ١٩٢٦ : ٨٦١ زيجة يهودية كاملة و ٥٥٤ زيجة مختلطة ، وهذه الأرقام لها دلالة خاصة اذا اخذنا في اعتبارنا العدد الكبير من الأزواج الذين أصبحوا يهوداً دون ان يكون لهم أي صلة باليهودية ولعل هذه الظاهرة تدحض المزاعم القائلة بنقاء الجنس اليهودي عبر التاريخ وتبطل الأسس المدعاة كمقومات للحركة الصهيونية في كيدها وعدوانها ضد المسلمين .



## فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف ..... ٥

### الباب الأول

- أوروبا وحركة إحياء العلوم ..... ١١
- عوامل ساعدت على النهضة الأوروبية ..... ١٣
- الحروب الصليبية ودورها في النهضة ..... ١٣
- الحروب الصليبية والتحول الحضاري ..... ١٦
- الحروب الصليبية في منهج المؤرخين ..... ٢٥
- الباعث الحقيقي للحرب الصليبية ..... ٢٧
- أوروبا العصر الوسيط ..... ٣١
- الملوك والاشراف ..... ٣٢
- روح الفرد وظهور المدن ..... ٣٤

### الباب الثاني

- سلبات النهضة الأوروبية والعالم الإسلامي ..... ٣٩

- الدعوة لفصل الدين عن الدولة ..... ٤١
- المنهج الغربي في أهدافه ضد الإسلام ..... ٤٣
- الغزو الفكري لمناهج التعليم ..... ٤٥ ✓
- الكنيسة والغزو الفكري ..... ٤٦ ✓
- الإرساليات الأجنبية ..... ٤٧
- الاستعمار الحديث وأساليبه ..... ٥٠
- الركائز الفكرية للاستعمار الحديث ..... ٥٣
- الدعوة للتغريب ..... ٦٠
- الإسلام في مواجهة الغزو الاستعماري ..... ٦٥ ✓

### الباب الثالث

- المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ..... ٧٣
- نشأة الاستشراق ..... ٧٤
- من مظاهر نشاط المستشرقين ..... ٧٤
- مؤتمرات صليبية ضد الإسلام ..... ٧٦
- رواد النشاط الاستشراقي الحديث ..... ٧٩
- بعض الكتب الخطيرة والمشوهة ..... ٨٦
- الجامعة الأميركية في بيروت والقاهرة ..... ٨٩
- البداية المتقدمة للعداء ..... ٩٠
- من ميادين الحرب ضد الإسلام ..... ٩٩
- المبشرون ليسوا كفاءات علمية ..... ١٠٥
- الكتب المدرسية والطعن على الإسلام ..... ١١٣
- التبشير يتعاون مع الصهيونية ..... ١١٥
- نماذج من الحرب المضادة على المدى الطويل ..... ١٢١
- زيف المطاردات العلمية لنبي الإسلام ..... ١٥٢

- صور من المطاردات العصرية ضد نبي الإسلام ..... ١٦٣

### الباب الرابع

- عمليات التنصير في العالم الإسلامي ..... ١٧١
- مخطط التنصير وأهدافه السرية ..... ١٧٩
- الدعوة الى الشعوبية والقومية ..... ١٨١
- تمزيق الوحدة الإسلامية ..... ١٨٢
- الإرساليات النصرانية تقاوم تقدم الإسلام ..... ١٨٣
- التنصير بين مد وجزر ..... ١٩٤

### الباب الخامس

- العلمانية في العالم الإسلامي ..... ٢٠٧
- موقف الدين من العلم ..... ٢١٦
- براهين للعلم في الدين ..... ٢١٩

### الباب السادس

- المذهب الاشتراكي ودعواه ..... ٢٣١
- مزاعم الاشتراكية في التقدم ..... ٢٣٧
- محو الطبقة ..... ٢٣٨
- ديكتاتورية الطبقة العاملة ..... ٢٤٠
- عدوان التأميم ..... ٢٤٤
- أكذوبة التوزيع ..... ٢٤٧
- الصراع بين المادية والإسلام ..... ٢٤٩
- التضليل الماركسي ..... ٢٥٢

- الهجوم الماركسي على الإسلام ..... ٢٥٨
- موقف الماديين من الإسلام لن يتغير ..... ٢٦٣
- العلم دحض المزاعم الاشتراكية ..... ٢٦٩
- سقوط الفكر المادي بين النظرية والتطبيق ..... ٢٧٢

## الباب السابع

- الماسونية والأسرار التنظيمية ..... ٢٨٥
- محاضر الماسون ..... ٢٩٣
- الماسونية تخطط للماركسية ..... ٣٠٢
- قرار هدم روسيا القيصرية ..... ٣٠٦
- الحرب الشيوعية الماسونية ضد الإسلام ..... ٣٠٧
- الإسلام يتحدى : ..... ٣١٢

## الباب الثامن

- الماسونية العالمية تضرب القوى الدولية ..... ٣١٧
- المخطط الماسوني في الغرب ..... ٣١٨
- الماسونية والغزو العقيدي ..... ٣٢١
- الماسونية والانضباط التنظيمي ..... ٣٢٦
- دلالة المبادئ الماسونية ..... ٣٢٩
- العلاقة بين الماسونية والصهيونية ..... ٣٣٤
- حرب الماسونية للشرائع السماوية ..... ٣٣٩
- ثوب عصري في العداة ضد الإسلام ..... ٣٤١
- الماسونية والدين الطبيعي ..... ٣٤٤
- الماسون واشتغالهم بالسياسة ..... ٣٥١
- الماسون شركة سرية ..... ٣٥٢

- الجذور التاريخية للمنظمات اليهودية في عصر ظهور الإسلام ... ٣٥٨
- العناد والمقاومة اليهودية للإسلام ..... ٣٦٢

### الباب التاسع

- الصهيونية العالمية وشعب إسرائيل ..... ٣٦٩
- الصهيونية السياسية في المجال الدولي ..... ٣٧٣
- مؤتمر بازل والعمل الصهيوني ..... ٣٧٦
- العنف والسلام في تكوين الدولة ..... ٣٨١
- مشكلة الدولة في إسرائيل ومفهوم الشعب اليهودي لها ..... ٣٩٤

